

الدكتور محمد أمين حسن محمد بني عامر

الناشر
دار الأمل للنشر والتوزيع
الأردن - اربد

المستشرقون والقرآن الكريم

تأليف

الدكتور محمد أمين حسن محمد بني عامر

الطبعة الأولى- ٢٠٠٤م

دار الأمل للنشر والتوزيع

إربد- ص. ب: ٤٦٩

تلفاكس- ٧٢٧٦١٧٤

الأردن

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٣/٩/٢١٠٧)

٢٨٢,٣

بني عامر، محمد أمين
المستشرقون والقرآن الكريم/ محمد أمين بني عامر
إربد: المولف، ٢٠٠٣
( ) ص

ر. إ. : ٢٠٠٣/٩/٢١٠٧
الواصفات: /القرآن الكريم//الإسلام// الحضارة الإسلامية/

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر: ٢٠٠٣/٩/٢١٤٨

تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله رب العالمين القائل في محكم التنزيل ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [(١)].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسموات وفطرت عليها جمع المخلوقات.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله الله رحمة للعالمين فمحا به عبادة الأوثان، وأكرمه ﷺ بالقرآن المعجزة المستمرة على تعاقب الأزمان، التي يتحدى بها الانس والجن بأجمعهم، وأفحم بها جميع أهل الزيغ والطغيان، وتكفل بحفظها على مر العصور والأزمان.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

«ولا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها»، وفي رواية: «لا يزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل» [(٢)].

أما بعد:

فإن المتتبع للتاريخ الإسلامي في مراحله المختلفة يجد أن الحرب سجال بين الإيمان وبين الكفر والإلحاد، ولكن الدائرة والهزيمة هي على الكفر والباطل ولو بعد حين.

قال تعالى:

---

(١) سورة التوبة، آية ٣٢.

(٢) سنن ابن ماجة، ج١/٥، المقدمة.

﴿كذلك يضـرب الله الحق والباطل، فـأما الزبد فيـذهب جفاء وأمـا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾[1] .

إن الله عـز وجل قد تعـهـد بحفظ دينـه قال تعـالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكـر وإنا له لحافظون﴾[2] .

وقد أقام الله شريعته على دعائم ثابتة، وأسس قوية، لا تميل إلى باطل أو انحراف بمقتضى تكافل أحكامها ومبادئها على نفي كل باطل وانحراف.

لقد تعرض العالم الإسلامي لهجمات ضارية من قبل التتار، ولكن الله تعالى حفظ دينه، وجاءت حملات الصليب واستمرت قرنين تقريباً، وقد كان لفشل الصليبيين في حملاتهم المسعورة على العالم الإسلامي دافعاً للمزيد من الاهتمام بالثقافة الإسلامية فتحول الصليبيون بعدها من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري، أي تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة في ميدان العقيدة بهدف تزييف عقيدة المسلمين.

لقد ظهر التبشير كبديل عن الحروب الصليبية لتحطيم عقيدة المسلمين وفكرهم. وكذلك انتجت انتاجا فكريا آخر وهو الاستشراق إذ نفر قوم من الغربيين يدفعهم التعصب الذميم إلى الكتابة عن الإسلام فافقدهم التعصب أمانة العلم، وعمدوا إلى تشويه الإسلام من نواح متعددة.

عمدوا إلى كتاب الإسلام فرددوا أنه من وضع محمد، وعمدوا إلى إلصاق التهم برسول الإسلام، وعمدوا إلى إلصاق التهم بدين الإسلام وأنظمته.

فإذا ما نظرنا إلى بلاد الإسلام في بقاعها المختلفة فإننا نجد أن الهجمة على دين الله ضارية في كل بلد حل به، لقد خصص لها الأعداء كل ما تحتاجه من الامكانات، ودبروا لها الخطط اللازمة، وصدق الله إذ يقول:

---

(١) سورة الرعد، آية ١٧.

(٢) سورة الحجر، آية ٩.

﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ [1].

وصدق الله إذ يقول:

﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [2].

ومما يؤسف له أن واقع المسلمين وحالهم يدعوا للأسى والألم ويزيد من مرارة تلك التهم. ولا بد للمسلم أن يعلم.

إن خصوم الإسلام على صنفين:

الأول منهما: من متعصبي الأديان الأخرى وخاصة المستشرقين والمبشرين، الذين يسوؤهم انتشار الإسلام، وامتداد نوره، في كل قارة، رغم ما ينقص أهله ودعاته من طاقات وإمكانيات، ورغم ما يعوقه عن الانطلاق من قيود داخلية وخارجية. وسنقتصر حديثنا في هذا الكتاب على الشبهات التي أثارها المستشرقون حول كتاب الله تعالى.

والثاني منهما: من الماديين الملحدين الذين يخاصمون الأديان جميعاً ويختصون الإسلام بمزيد من العداوة والنقمة، لأنهم يعلمون أنه الدين الفذ الذي يحمل نظاما كاملا للحياة.

وليس لهؤلاء وأولئك سلاح إلا تصيد الشبهات الواهية وتلفيق الأكاذيب والافتراء على الله وعلى الناس وعلى الحق والتاريخ [3].

إن أعداء الإسلام اليوم يعيدون الكرة التي أثارها أخوانهم في الزمن الماضي فالحرب

---

(١) سورة الأنفال، آية ٣٦.

(٢) سورة البقرة، آية ٢١٧.

(٣) الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين، يوسف القرضاوي وزميله، ص ٣-٤، مكتبة المنار، الكويت.

على الإسلام ليست بنت اليوم، وإنما هي حرب صحبت الإسلام منذ إشراق نوره في مكة المكرمة قبل خمسة عشر قرنا من الزمان، وستظل دائرة الرحى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يهيء في كل زمان علماء أجلاء يدافعون عن دينه بعقولهم، ويشرعون أقلامهم وألسنتهم في الدفاع عن حجة الإسلام ﴿قل فلله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ (١).

وقد عمل هذا الصنف من العلماء على إظهار أصالة الإسلام، وإبراز عبقريته ونشر حضارته، ورد كيد الكائدين، وكشف أكاذيب المفترين تحقيقاً لوعد الله بحفظ دينه.

ثم انه لما كان كثير من أعداء الإسلام يعملون جاهدين على تزييف حقائق الإسلام، لذلك رأيت أن أخصص بعض جهدي ووقتي لبيان أباطيل المستشرقين وحيلهم نحو الإسلام وكتابه ورسوله، وقد قمت بجمع بعض هذه الشبهات من بطون الكتب وأخذت ردود العلماء عليها.

وقد تحريت في موضوعي هذا الدقة والصواب ما أمكنني، مراعيا الاختصار غير المخل، والتطويل غير الممل، والكتاب هذا يشتمل على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما **الباب الأول:** فيبحث عن الاستشراق بشكل عام. تاريخه ودوافعه، وصلته بالتنصير، وصلته باليهود، وصلته بالاستعمار، وأهدافه الدينية والعلمية والسياسية وأنشطته.

وأما **الباب الثاني:** فيبحث في الشبهات التي أثارها المستشرقون حول القرآن الكريم، ويشمل ما يلي:

أ- موقف المستشرقين من القضايا العقدية.

ب- موقف المستشرقين من مصدر القرآن.

ج- موقف المستشرقين من تاريخ القرآن.

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٤٩.

د- موقف المستشرقين من النص القرآني.

هـ- موقف المستشرقين من الترجمة القرآنية.

و- موقف المستشرقين من القراءات القرآنية.

وقد تناولت في هذا الباب أقوال المستشرقين، ولخصت شبهاتهم وبينت أهدافهم من هذه الشبهات، ثم أوردت الأدلة العلمية والعقلية إن وجدت على بطلان قولهم.

وأما **الباب الثالث**: فقد تناولت به شبهات المستشرقين على بعض القضايا الإسلامية.

وقد تناولت في الفصل الأول: موقف المستشرقين من قصة الغرانيق وذكرت الأدلة على بطلانها من القرآن والسنة واللغة والمعقول والتاريخ.

ثم تعرضت في المبحث الثاني من هذا الفصل: لموقف المستشرقين من آيات الجهاد حيث أنهم جعلوا الحرب وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية ثم أوردت الأدلة على بطلان هذه الفرية من الواقع والتاريخ، وشهادات المستشرقين على بطلانها وبينت الهدف من الحرب في الإسلام.

ثم تعرضت في المبحث الثالث: لموقفهم من آية الجزية حيث زعموا أن الإسلام أرهق أهل الذمة بضرائب كثيرة سميت بالجزية، وأوردت الأدلة على بطلان قولهم حيث قدمت شهادة التاريخ في معاملة المسلمين لأهل الذمة، وموقف أهل الذمة من الفاتحين المسلمين، وذكرت مبادىء الإسلام في الجزية، وذكرت بعض الشهادات من منصفي علماء الغرب على بطلان قول المستشرقين.

ثم تعرضت في المبحث الرابع: لموقف المستشرقين من آيات الحدود وكيف أنهم اتهموا أحكام الإسلام بالقسوة والهمجية التي لا تتناسب مع حضارة القرن الحالي.

وأوردت الأدلة على بطلان قولهم حيث ذكرت مبادىء الإسلام في إثبات الحدود وإقامتها، وأن الحدود في الإسلام تعتبر تأديبا لا انتقاما، وهي تراعي مصالح المجتمع، وتتناسب مع الفطرة الإنسانية، وأن شرائع السماء كاملة تقر هذا المبدأ.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب: بحثت بعض المسائل المتعلقة بالمرأة وموقف المشتسرقين منها.

فالمبحث الأول: تناولت فيه موقف المستشرقين من تعدد الزوجات فأوردت أقوال بعض المستشرقين في هذا الموضوع ثم ذكرت الرد عليهم وتناولت فيه ما يلي:

أ- موقف الأمم السابقة من التعدد.

ب- موقف علماء الغرب من التعدد.

ج- الحكمة من التعدد.

د- رعاية الشريعة الإسلامية لنظام التعدد.

ثم أوردت شبهات المستشرقين حول تعدد زوجات الرسول ﷺ، وذكرت الأدلة على بطلان أقوالهم وبيان الحكمة من تعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام. وأوردت بعض الأدلة من العلماء المنصفين في الرد على المستشرقين.

وفي المبحث الثاني: تناولت موقف المستشرقين من آيات القوامة ثم ذكرت الرد على باطلهم بالنقاط التالية:

أ- ضرورة القوامة للأسرة.

ب- مبررات القوامة عند الرجل ومقوماتها.

ج- القوامة لا تعني إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع.

وفي المبحث الثالث: تناولت موقف المستشرقين من آيات الطلاق وذكرت شبهتهم وقمت بالرد عليها في المسائل التالية:

أ- موقف الأمم السابقة من الطلاق.

ب- موقف الدول المعاصرة من الطلاق.

ج- مبادىء الإسلام في الطلاق.

د- الطلاق في الإسلام علاج لبعض الأمور التي لا يمكن علاجها.

وفي المبحث الرابع: تناولت موقف المستشرقين من آيات الميراث، وذكرت شبهتهم والأدلة على بطلانها فبينت:

أ- موقف الأمم السابقة من الميراث.

ب- مبادىء الإسلام في الميراث.

ج- موقف المستشرقين من الميراث.

د- مناقشة التهمة.

ثم بعد ذلك أوردت الفهارس التالية:

الأول: فهرس المراجع العلمية.

الثاني: فهرس الموضوعات.

والحمدلله رب العالمين أولاً وآخراً

الباب الاول

الاستشـــــــــــراق

الفصل الأول:

المبحث الأول: تعريفه

المبحث الثاني: تاريخ الاستشراق

المبحث الثالث: دوافع الاستشراق

الفصل الثاني:

المبحث الأول: صلة الاستشراق بالتنصير – التبشير

المبحث الثاني: صلة الاستشراق بالاستعمار

المبحث الثالث: صلة الاستشراق باليهود

الفصل الثالث:

المبحث الأول: أساليب الاستشراق

المبحث الثاني: أهدافه الدينية، العلمية، السياسية

المبحث الثالث: أنشطته

الفصل الأول

الاستـــــــشراق

المبحث الأول

تعريفه

الاستشراق:

مصدر الفعل استشرق أي اتجه إلى الشرق وتزيّا بزي أهله في لغته [1]. ولفظة الاستشراق -ومشتقاتها- مولدة استعملها المحدثون من ترجمة (Orientalism)، ثم استعملوا من الاسم فعلا، فقالوا استشرق وليس في اللغات الاجنبية فعل مرادف للفعل العربي.

والمدققون يؤثرون استعمال «علماء المشرقيات» بدلا من مستشرقين، ولكن لفظة: استشرق، ومستشرق، واستشراق، شاع استعمالها بين الناس ولا بأس بذلك [2].

المفهوم العام للاستشراق:

إن الاستشراق اليوم علم له كيانه ومنهجه، ومدارسه، وفلسفته ودراساته، ومؤلفاته وأغراضه، وأتباعه، ومعاهده، ومؤتمراته، ولا بد للباحث في هذا المجال من الاعتناء بتحديد مفهومه. والوقوف على معالمه البارزة، وآفاقه ومظاهره، وأطواره، وخصائصه، وأهدافه قبل أن يبحث في آثاره وميادين نشاطه.

المفهوم اللغوي للاستشراق:

كلمة الاستشراق مشتقة من مادة شرق، يقال: «شرقت الشمس شروقا إذا طلعت» [3].

---

(١) الدعوة إلى الإسلام مضامينها وميادينها، عبد الكريم الخطيب، ص١٠١، دار الكتاب العربي، ط١.

(٢) الاستشراق، نشأته وتطوره وأهدافه، إسحاق موسى الحسيني، ص١، مطبعة الأزهر، الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط ١٤٨٢، مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٠.

علماً بأن معاجم اللغة العربية لم تتعرض لهذه الكلمة لأنها كلمة محدثة كما تقدم. ولكن هذا لا يمنع الباحث من الوصول إلى معناها الحقيقي استناداً إلى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق حيث يبدوا أن معنى (استشرق) أدخل نفسه في أهل الشرق، وصار منهم [1].

المفهوم العلمي للاستشراق:

إن تحديد المفهوم لهذه الكلمة يقتضي الرجوع إلى أحد المعاجم العلمية الحديثة، ثم الاطلاع على رأي علماء الغرب، وعلماء العرب لكي يكون بالامكان بعد ذلك القيام بمحاولة وضع تعريف محدد لهذا الاصطلاح.

جاء في معجم متن اللغة ما يلي:

«استشرق طلب علوم الشرق ولغاتهم -مولدة عصرية. يقال لمن يعتني بذلك من علماء الفرنجة».

والمستشرق: هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه» [2].

المستشرق في نظر علماء الغرب:

أورد علماء الغرب تعاريف متعددة لهذا اللفظ نقتصر منها على ما يلي:

١- جاء في قاموس اكسفورد الجديد: تحديد معنى المستشرق (Orientalist): بأنه من تبحر في لغات الشرق وآدابه [3].

٢- وعرف (ديتريش) المستشرق: بأنه هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق [4]

---

(١) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب الغربي المعاصر، أحمد سمايلوفتش، ص٢٢.

(٢) معجم متن اللغة، أحمد رضا، ج٣/٣١١.

(٣) فلسفة الاستشراق، أحمد سمايلوفتش، ص٢٣.

(٤) نفس المرجع السابق، ص٢٥، نقلاً عن الدراسات العربية في ألمانيا، ديتريش، ص٧؛ المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، ص١١.

٢- وعـرّف جـويدي (Guidi) علم الاستشراق بقوله: «الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو علم الشرق»[(١)].

وبعد عرض هذه التعاريف، والاطلاع على غيرها يمكن للباحث أن يخرج بالنقاط التالية:

أولاً: إن لفظ المستشرق مر بأدوار مختلفة منذ سنة ١٦٨٣ حيث كان يعني أولاً: أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، ثم أصبح معناه في هذا العصر التبحر في إحدى لغات الشرق وآدابها، فكأن هذا التبحر شرط أساسي في عالم الاستشراق، لأنه لا يمكنه تحقيق الأهداف التي وضع من أجلها إلا بذلك، كما هو واضح في بعض هذه التعاريف.

ثانياً: دلالة كلمة الاستشراق

إن هذه الكلمة لها دلالتان:

الأولى: أن الاستشراق علم يختص بفقه اللغة ومتعلقاتها على وجه الخصوص.

الثانية: أنه علم الشرق أو علم العالم الشرقي على وجه العموم، وبناء على هذا الأساس فهو يشمل كل ما يتعلق بمعارف الشرق من لغة وآداب وتاريخ وآثار، وفن، وفلسفة، وأديان، وغيرها من علوم وفنون.

ثالثاً: أن الاستشراق علم ذو حدود واسعة وأحياناً غير واضحة إذ يختلط ميدانه بميادين العلوم الأخرى، لأن المستشرق قد يشارك في أبحاثه علماء الآثار والأصوات، والاشتقاق والحفريات، واللاهوت، والفنون، والفلسفة، وما شاكل ذلك.

المستشرق في نظر علماء العرب:

نشير الى بعض مفاهيم علماء العرب لهذه الكلمة:

١- قال احمد حسن الزيات في بيان معنى هذه الكلمة: «يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته، وآدابه وعلومه، وعاداته ومعتقداته وأساطيره،

---

(١) المرجع السابق، ص٢٢.

ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقاً في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح [(١)].

٢- وأما أحمد أمين فعرّف المستشرق بأنه:

كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية، وتقصى آدابها طلبا لتعرف شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانتها وعلومها وآدابها أو غير ذلك من مقومات الأمم، والأصل في كلمة (استشرق) أنه صار شرقياً، كما يقال (استعرب) إذا صار عربياً [(٢)].

٣- ويعرفه على العناني بقوله:

«من صيغة هذه الكلمة نعرف أن المستشرق هو المشتغل بالعقليات الشرقية، سواء أكانت سامية أو غير سامية. ولكن هذه الكلمة في اصطلاح العلماء والأدباء تطلق على المشتغل بالعقليات السامية خاصة، ويتبع ذلك البحث في اللغات الحامية [(٣)].

٤- ويعرفه عبد الكريم الخطيب بقوله:

والمستشرق هو من درس لغة أو أكثر من لغات الشرق كالعربية والعبرية والسريانية، والفارسية، وغيرها، ثم درس بهذه اللغة علوم تلك اللغة، وقد توفر هؤلاء المستشرقون على هذه الدراسة للغة العربية، وتخصصوا في علومها من بلاغة، ونحو، وصرف، وأدب، ثم إذا تمكنوا من اللغة نظروا في علوم الدين الإسلامي، من عقيدة وشريعة، وهذا هو المطلب المقصود عند أكثرهم [(٤)].

---

(١) تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص٥١٢، ط٢٥.

(٢) المفصل في تاريخ الأدب العربي، أحمد الاسكندري وزملاؤه، ج٢، ص٤٠٨.

(٣) المستشرقون والآداب العربية، علي العناني، ج١/ ٤٠، ط ١٩٣٢.

(٤) الدعوة إلى الإسلام، مضامينها وميادينها، عبد الكريم الخطيب، ص١٠١، ط١، دار الكتاب العربي.

٥- ويعرفه الأستاذ أنور الجندي بقوله:

«ولما كان الاستشراق هو المصنع الأساسي لمخططات التغريب بينما التبشير هو أداته، فإن أصدق تعريف للاستشراق هو:

«استخدام العلم في خدمة السياسة» [١].

ثم يقول:

ومادة الاستشراق هي أعظم معطيات التبشير عن طريق المدرسة والصحيفة وفي مجال التعليم لدعم خططه. وإثارة عوامل الخلاف تأوريث الشبهات [٢].

٦- ويعرفه الأستاذ حسين الهروي بقوله:

«وعندي أن الاستشراق مهنة وحرفة كالطب، والهندسة، والمحاماة، وهو أقرب الشبه إلى مهنة التبشير، ولا يخفى عليك أن التاريخ الإسلامي ينقسم إلى قسمين: القسم الأول منه: هو الإسلام من حيث هو دين وعناصره القرآن والحديث وحياة سيدنا محمد ﷺ. والقسم الثاني منه: تاريخ الدولة العربية التي نشأت وعاشت في الإسلام، وهذا القسم قد خدمه المستشرقون حقاً لأنه نوع من المباحث التاريخية الحرة.

أما القسم الأول منه: فهو بيت القصيد، ولا يتصدى له كل المستشرقين والذين يتصدون له ترى كلامهم مملوءاً بالتشكيك والاستنتاج الخاطىء والغمز واللمز، إن لم يكيلوا التهم جزافاً، ويرموا الدين الإسلامي بما شاءت عقائدهم الخاصة، وفائدتهم المادية [٣].

وهناك تعاريف متعددة لعلماء الإسلام كلها تدور حول ما جاء في هذه التعاريف

---

(١) الإسلام والدعوات الهدامة، أنور الجندي، ص٢٥١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١/ ١٩٨٢.

(٢) نفس المرجع، ص٢٥١.

(٣) نحن والمستشرقون، حسين الهروي، موضوع نشر في مجلة المعرفة، يوليو سنة ١٩٣٢.

السابقة. ونستطيع من دراسة هذه التعاريف أن نتوصل إلى النقاط التالية:

١- أن الاستشراق يركز أصحابه على دراسة الشرق وحضارته، وعلومه، وفنونه وآدابه، وعقائده وتشريعاته، وتاريخه.

٢- إن معنى استشرق أي صار شرقياً، والمستشرق الذي يشتغل بدراسة العقليات الشرقية عامة، والسامية خاصة، والعربية بشكل أخص.

٣- إن الاستشراق عَلَمٌ يشمل طوائف متعددة من المتخصصين في دراسة الشرق من علوم وآداب وتاريخ وحضارة وعقيدة.

٤- إن الاستشراق علِم قائم بذاته، له خصائصه ومميزاته.

٥- إن الاستشراق مهنة أكثر منه علماً وإنه أقرب إلى دائرة التبشير من دائرة العلم، فهو كمنهج عقلي لقاح من أبوين غير شرعيين التبشير الذي خطط له، والاستعمار الذي غزاه.

٦- إن لفظة استشراق مولدة وحديثه، فالاستشراق حركة ولدت في هذا العصر الحديث، قام بها جماعات من علماء الغرب، وهي في ظاهرها حركة علمية، وفي باطنها حركة استعمارية، تعمل على صرف الشرق نحو الغرب، والتعلق بحضارته ليجرفهم تيارها نحو الضلال.

إن تحديد مفهوم هذه الكلمة فيه صعوبة، ومع ذلك يمكن أن نقول «إن المستشرقين: جماعة من علماء الغرب، من مسيحيين ويهود وملحدين درسوا لغات الشرق من عربية، وفارسية، وعبرية وسريانية، وغيرها، وقد أكب كثير منهم على دراسة اللغة العربية والاطلاع الواسع على علومها، ومعارفها، لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة للطعن في الإسلام، من أجل التهوين من شأن الدعوة الإسلامية والتقليل من أثرها في الحياة، وفي الارتفاع بالمستوى الإنساني وبدورها في إنقاذ الإنسانية، وتحريرها من العبودية، وإخراجها من الظلمات إلى النور.

المبحث الثاني

تاريخ الاستشــــــراق

بعد فشل الحروب الصليبية، التي شنتها أوروبا على العالم الإسلامي والتي من أهم أسبابها ما يلي:

أولاً: التعصب الديني عند الأوروبيين:

هذا التعصب دفع الأوروبيين للسيطرة على البلاد المقدسة -فلسطين- والسيطرة على كنيسة القيامة في القدس. وهي البلد التي يعتقد المسيحيون أن قبر المسيح موجود فيها، ومن المعلوم أن هذه البلاد بقيت تحت الحكم الإسلامي منذ عهد الخليفة الراشد عمر وهي مصانة، محترمة، لا يمنع أحد من زيارتها وأداء العبادات فيها.

ولكن الحاقدين الذين يطمعون في خيرات البلاد وثرواتها، انتحلوا الكذب لترويج باطلهم فزعموا أن المسلمين لا يعاملون الحجاج النصارى الذين يقدمون لزيارة الأماكن المقدسة، معاملة حسنة وأنهم يسيئون إليهم، ولا يحترمون شعائرهم الدينية، فلذلك لا بد من تخليصها من أيديهم.

ثانياً: طمع الأوروبيين بخيرات البلاد الإسلامية:

لقد عرف الأوروبيون ثراء بلادنا فاحبوا أن يحسّنوا أحوالهم الاقتصادية السيئة بوضع بلادنا تحت حكمهم، وفتح أسواق جديدة لمنتجاتهم. والسيطرة على طرق الملاحة الموصلة لمستعمراتهم خلف البحار كالصين والهند.

ثالثاً: طمع الحكام الأوروبيين في تأسيس إمارات وممالك في بلاد المسلمين، فكما طمعوا في خيرات البلاد، كذلك طمعوا في إنشاء ممتلكات جديدة يحكمونها في البلاد العربية الإسلامية.

رابعاً: رغبة البابا في بسط نفوذه على الكنائس الشرقية:

كان البابا في روما مسؤولاً عن الكنائس المسيحية في أوروبا، وكانت الكنائس الشرقية خارجة عن نفوذه، لذلك رغب في قيام هذه الحروب من أجل مد نفوذه على

الكنائس الشرقية ووضعها تحت سيطرته.

وقد حدث أن طلب امبراطور الروم من البابا في ذلك الوقت أن يرسل إليه نجدات تساعده على محاربة المسلمين السلاجقة -في تركيا- الذين كانوا في حرب معه، وكانوا منتصرين عليه فرأى البابا في هذا الطلب فرصة مناسبة للتدخل في الحرب، من أجل تحقيق أهدافه الخاصة، في مد نفوذه على الكنائس الشرقية، وأخذ يدعو للحرب ويحرض الناس عليها [(١)].

بعد فشل هذه الحروب نفر قوم من أهل الغرب يدفعهم التعصب إلى الكتابة عن الإسلام، وقد تسلح هؤلاء بتعلم اللغة العربية لا حباً فيها، ولكن لاتخاذها وسيلة لقراءة القرآن، والاطلاع عليه، ومناقشة وتشويه محاسنه [(٢)].

وقد عمل هؤلاء القوم بوصية (القديس) لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثانية التي استولت على دمياط، وانتهى الأمر بهزيمتها في المنصورة، ووقوع لويس في الأسر وسجنه بدار ابن لقمان، ولما عاد إلى فرنسا، بعد أن قدّم فدية مالية كبيرة لفك أسره -دعا إلى ضرورة تكتل جهود الأوروبيين لتشويه الإسلام، وإفساد عقيدة المسلمين التي هي سر قوتهم وتفوقهم، وأنه لا غنى للأوروبيين عن هذا الغزو الفكري إذا ما أرادوا التغلب على المسلمين الذين لا سبيل إلى التغلب عليهم عن طريق القوة العسكرية، ذلك، لأن في دينهم عامل حاسم هو عامل المواجهة، والمقاومة والجهاد. وبذل النفس والدم رخيصاً في سبيل حماية العِرض والأرض، وأنه مع وجود هذا المعنى عند

---

(١) أساليب الغزو الفكري، علي جريشة وزميله، ص١٦، ط١/١٣٩٧؛ مذكرة حاضر العالم الإسلامي للمؤلف، ص٢٧؛ أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية العمري، ص١٦٣، ط٢، مؤسسة الرسالة.

(٢) المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، ص١١، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر؛ الإسلام بين الإنصاف والجحود، محمد عبد الغني حسن، ص١٦- ١٧، ط القاهرة، ١٩٦٠.

المسلمين، فمن المستحيل السيطرة عليهم لأنهم قادرون دوماً انطلاقاً من عقيدتهم إلى المقاومة، ودحر الغزو الذي يقتحم بلادهم، وأنه لا بد من إيجاد سبيل آخر من شأنه أن يزيّف هذا المفهوم عند المسلمين حتى يصبح مفهوماً أدبياً أو وجدانياً وإيجاد ما يبرره على نحو من الأنحاء، بحيث تسقط خطورته واندفاعاته وأن ذلك لا يتم إلا بتركيز واسع على الفكر الإسلامي، وتحويله عن منطلقاته وأهدافه حتى يستسلم المسلمون أمام لقاء القوى الغربية وتروض أنفسهم على تقبلها على نحو من أنحاء الاحتواء أو الصداقة أو التعاون [(١)].

فمن هذه الوصية يظهر المنحنى الخطير الذي تحولت إليه علاقات الغرب مع العالم الإسلامي، ويظهر الهدف الذي جنّدت من أجله قوى التبشير والاستشراق والتغريب، ويظهر أن البعثات التبشيرية قد حلت محل القوات الصليبية المنهزمة.

يقول أرنست باركر

«وظهر أمثال ريمون رول (Remon Rol)، الذي كان ينادي بوجوب استبدال الحملة الصليبية ببعثة تبشيرية، وأن يقوم التبشير السلمي مقام الحملة الحربية» [(٢)].

وكان ريمون رول، الاسباني هو أول من تولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها [(٣)].

وتقدمت بعثات التبشير نحو العالم الإسلامي، تحت ستار تحقيق الغايات الإنسانية، والتخفيف من آلام البشرية وكلها تعمل لتحقيق هدفها الأساسي، وهو تحقيق استعباد الغرب للعالم الإسلامي، بتحويل بلاد الإسلام إلى النصرانية والقضاء على الإسلام [(٤)].

---

(١) الإسلام في وجه التغريب، مخططات الاستشراق والتبشير، أنور الجندي، ص٧، دار الاعتصام.

(٢) الحروب الصليبية، النص العربي، أرنست باركر، ص١٤٤، ط القاهرة.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي، مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، ص٢٩، ط١، الدار السعودية للنشر.

(٤) التبشير والاستعمار، عمر فروخ، مصطفى الخالدي، ص٣٨، ط٣/١٩٨٤، المكتبة العصرية.

وقد ركز التبشير على كسر الوحدة الإسلامية، لأنه كان يؤمن أن الاتحاد الإسلامي إذا تحقق أصبح لعنة وخطراً على العالم، وأما إذا سيطرت الفرقة على بلاد الإسلام، فإنه يظل حينئذ بلا وزن ولا تأثير. لذلك سعى المبشرون بتبشيرهم إلى تحويل مجاري التفكير في الوحدة الإسلامية من أجل تغلغل النصرانية في المسلمين وهذا ما دعى إليه المبشر لورنس براون (Lorans Prawn)(١).

وقد اتفق الباحثون والمؤرخون على أن الارساليات التبشيرية التي حلت محل الحملات الصليبية كانت طليعة الغزو الاستعماري الجديد (٢).

وقد ركزت هذه الطلائع على استدراج الشعوب الإسلامية نحو الحضارة الغربية، يقول المبشر وليم بالكراف (Wheelym Bel Kraf): «أنه متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه (٣).

وقد ركزت الارساليات التبشيرية على النواحي الفكرية لأنها هي التي تمهد الطريق وتفتح العقول والقلوب إن نجحت، لتقبل الوجود العسكري الصليبي، وتقبل السير في ركاب الحضارة النصرانية. ومن هنا ركز التبشير على الوسائل العلمية.

فقد رأت الكنيسة الصليبية بعد تجارب مريرة في العالم الإسلامي أن أخطر وأنجح الوسائل التي يمكن أن تستخدمها هو -التعليم- فاستغلته إلى أبعد الحدود وفتحت المدارس والكليات الصليبية ليس في أوروبا فحسب، بل في قلب العالم الإسلامي منتهزة فرصة وقوعه تحت السيطرة الاستعمارية الأوروبية، وكان من تلك الكليات الإنجيلية في بيروت التي غير اسمها فيما بعد بالجامعة الأمريكية، ومثلها الجامعة الأمريكية في

---

(١) نفس المرجع، ص٣٧.

(٢) فصل الدين عن الدولة، إسماعيل الكيلاني، ص١٢٧، المكتب الإسلامي.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي، ص٩٣- ٩٤، ط١، الدار السعودية للنشر.

القاهرة، وكلية أخرى في اسطمبول في تركيا، وبدأت الكنيسة حملات ثقافية وتعليمية لتشويه الإسلام في نفوس أبنائه.

يقول بنروز (Penross) رئيس الكلية الإنجيلية في بيروت في منتصف القرن العشرين: «لقد برهن التعليم أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان»[1].

ويرى المبشرون أن فتح المدارس من أنجع الطرق لنجاح التبشير، يقول المبشر هنري هريس جَسَبْ (Hinrey Harris Jasp): «إن المدارس شرط أساسي لنجاح التبشير، وهي بعد هذا وسيلة إلى غاية، لا غاية في نفسها، لقد كانت المدارس تسمي بالاضافة إلى التبشير (دق الاسفين) وكانت على الحقيقة كذلك في إدخال الإنجيل إلى مناطق كثيرة لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل أو المبشرون من طريق آخر»[2].

وقد حقق التعليم للتبشير كثيراً من الأهداف حيث أن الزعامة الادارية، والسياسية، والاقتصادية الآن تتركز في أيدي النخبة التي تربت على أيديهم والتي ترى أن السير خلف الحضارة الأوروبية هو عنوان التقدم والرقي، لأن العلم هو السلم الحقيقي للوصول إلى الزعامة.

ومن الطريف أن المبشر ريمون رول (Rymon Roll) الذي تقدم الحديث عنه أول من نادى باستخدام التبشير كسلاح للسيطرة على بلاد المسلمين وإضعاف شأن الإسلام، كان هو أيضاً أول من نادى بايجاد كرسي للدراسات الشرقية في الجامعات الأوروبية، وهو

---

(١) التبشير والاستعمار، ص٤٥، ط٣، ١٩٨٤؛ أساليب الغزو الفكري، علي محمد جريشة وزميله، ص٣٠؛ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ص٤٧ وما بعدها، ط٨، مكتبة وهبة.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير، والاستشراق، الاستعمار، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص٦١، دار القلم، دمشق، بيروت.

الذي أدخل تعليم العربية في المعاهد المسيحية في الدراسات العليا [1].

وهكذا نشأ الاستشراق نتيجة الفشل الذي انتهت إليه الحروب الصليبية لدراسة الإسلام ونقده وتشويهه باعداد دراسات غريبة عنه، وعن تاريخه لتقديمها جاهزة حسب التفكير الغربي، وبما يخدم مصالحه ويحقق غايته للموفدين من الشرقيين لمتابعة تحصيلهم العلمي في ديار الغرب وعودتهم إلى بلادهم وجهاً آخر للعملة التي يريدها المستعمرون [2].

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك عاملاً آخر ساعد على نشوء حركة الاستشراق وهي رغبة المسيحيين في التبشير بدينهم بين المسلمين، دفعتهم ليقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في بادئ أمره على أكتاف المبشرين والرهبان، ثم اتصل بالاستعمار الذي كانت مصلحة المبشرين قد التقت مع أهدافه فمكن لهم واعتمد عليهم في بسط نفوذه وسيطرته في الشرق.

وهناك أسباب أخرى مهدت لنشأة الاستشراق منها أسباب:

أ- تجارية.

ب- وسياسية دبلوماسية.

ج- وشخصية مزاجية [3].

وبعد هذا العرض يمكن القول أن الاستشراق جاء كبديل عن الحروب الصليبية لتحطيم عقيدة المسلمين وفكرهم، بعد أن تيقن الغرب الصليبي أن لا سبيل إلى النصر والغلبة على

---

(١) فصل الدين عن الدولة، إسماعيل الكيلاني، ص١٢٩، المكتب الإسلامي.

(٢) نفس المرجع، ص١٢٩.

(٣) المستشرقون، نجيب العقيقي، ص١٩ وما بعدها، و ص ٤٠ وما بعدها؛ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، محمد البهي، ص٤٧٣، ط٨.

المسلمين عن طريق القوة الحربية، لأن تدين المسلمين بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفوس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام، ومن هنا قام نفر من الغربيين يدفعهم التعصب إلى الكتابة عن الإسلام فافقدهم التعصب أمانة العلم، وعمدوا إلى تشويه الإسلام من عدة نواحي:

أ- الخلط بين الكتاب والسنة وبين الاجتهاد، فنظروا إلى الجميع على أنها من صنع البشر فسووا بينها في المنزلة.

ب- دعوا إلى التصوف الإسلامي لما يؤدي إليه في الغالب من صرف أصحابه عن الجهاد.

تحديد تاريخ الاستشراق:

اختلف الباحثون في تحديد بداية الاستشراق ونشأته على أقوال متعددة نورد بعضها:

١- يقول الأستاذ أحمد محمد جمال:

«فالاستشراق ظاهرة قديمة، بدأت منذ القرن العاشر الميلادي وكان من بواعثها العداء الذي أحدثه الصراع الصليبي بين الفرنجة والمسلمين، وما سبق الحروب الصليبية من الفتوح الإسلامية، التي كان من آثارها دخول كثير من الممالك المسيحية في الدين الإسلامي كمصر، وسوريا، وشمال افريقية، والأندلس. كما كان من بواعث العداء الصليبي للإسلام: أنه ينكر عقيدة التثليث- والصلب والفداء، التي هي أساس المسيحية وعمادها [١].

فهذا القول يرجع تاريخ الاستشراق إلى القرن العاشر الميلادي ويؤكد هذا القول الأستاذ إبراهيم عبد المجيد اللبان، ويعتبر القرن الثاني عشر هو قرن ازدهار حركة الاستشراق [٢].

---

(١) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص١٠، ط٣، مطبوعات الشعب.

(٢) المستشرقون والإسلام، إبراهيم عبد المجيد اللبان، ص١١، مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٠.

٢- ويرى الدكتور عبد الجليل شلبي: أن الاستشراق يرجع إلى أعقاب الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين (١٠٩٧- ١٢٩٥م)[١].

٣- ويرى أحمد الشرباصي: بأن الاستشراق بدأ تقريبا في القرن الثالث عشر الميلادي حيث انبثق من الحروب الصليبية[٢].

٤- ويرى الدكتور علي جريشة وزميله:

إن الاستشراق بدأ في الأندلس (إسبانيا) في القرن السابع الهجري حين اشتدت حملة الصنيبيين الإسبان على المسلمين فدعا الفونس (Func) ملك قشتالة، ميشيل سكوت (Michil Scot) ليقوم بالبحث في علوم المسلمين، وحضارتهم، فجمع سكوت (Scot) طائفة من الرهبان في بعض الأديرة بالقرب من مدينة طليطلة، وشرعوا يترجمون بعض الكتب من اللغة العربية إلى لغة الفرنجة، ثم قدمها سكوت (Scot) لملك صقلية الذي أمر باستنساخ نسخ منها، وبعث بها هدية إلى جامعة باريس[٣].

٥- ويذهب الدكتور مصطفى السباعي إلى القول بأنه:

«لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات، ومن أوائل هؤلاء الرهبان، الراهب الفرنسي جربرت (Jerbert) الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام (٩٩٩م) بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، وبطرس المحترم (١٠٩٢- ١١٥٦) وجيراردي كريمون (Girardy Krimon) (١١١٤- ١١٨٧)[٤].

---

(١) صور استشراقية، عبد الجليل شلبي، ص٢٥-٢٨، نشر مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٨.

(٢) التصوف عند المستشرقين، أحمد الشرباصي، ص٧.

(٣) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشة وزميله، ص١٩.

(٤) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص١٣- ١٤.

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة (بادوي) العربية، وأخذت الأديرة والمدارس (العربية) تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية -وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ- واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون [(١)].

ومنذ ذلك الوقت تتابعت دراسات الغربيين للإسلام ولغته، وعملوا على ترجمة القرآن وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر وهو العصر الذي خضع فيه العالم الإسلامي للاستعمار فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية فيسرقون قسماً ويشترون آخر، ويعملون على نقلها إلى بلادهم فتجمعت أعداد كبيرة من المخطوطات في مكتبات أوروبا وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلداً وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم [(٢)].

٦- يذكر الدكتور محمد البهي: أن هذه المحاولات الاستشراقية التي بدأت في وقت مبكر لا تعدو أن تكون فردية أو جماعية محدودة برزت بشكل أكثر شمولا في بعض البلاد الأوروبية خلال القرن الثالث عشر الميلادي، ويكاد الدارسون لتاريخ الاستشراق يجمعون على أن انتشاره في أوروبا ظهر بصفة جدية بعد فترة ما يسمى في التاريخ الأوروبي (عهد الاصلاح الديني) [(٣)].

---

(١) نفس المرجع ص١٤.

(٢) نفس المرجع، ص١٤-١٥.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ص٤٧٢، مكتبة وهبة، ط٨.

٧- وأما نجيب العقيقي[١] فأشار إلى أن الذين يظنون أن أوروبا لم تعرف استشراقا حقيقيا قبل الحملات الصليبية مخطئون لأن الاستشراق عرف في القرن العاشر الميلادي، وما كانت الحروب الصليبية إلا نتيجة واحدة لمقدمة واحدة هي الاستشراق، وما الحملات الصليبية إلا نتيجة وقوف الغرب على ثقافة الشرق وفلسفته التي تناهض المسيحية كما يدعون، ولم تكن الحملات الصليبية سريعة النضج ثمرة، كما يتوهمون، ولم يكن احتكاك الصليبيين بالعرب ونظرهم إليهم بمنظار أسود، سودته دماء قتلى الحروب ليترك في نفوسهم متسعا لانصافهم في دروسهم [٢].

٨- ويؤكد الدكتور إسحاق موسى الحسيني بأنه من العسير للغاية تحديد نشأة الاستشراق بسنة معينة. ثم يشير إلى أن الإسلام استرعى نظر رجال الدين المسيحي منذ ظهور انتشاره في المشرق والمغرب بسرعة مدهشة [٣].

وبعد أن ذكر رأي الكاردينال كوبنج (Koping) رئيس أساقفة النمسا الذي أشاد بجهود يوحنا الدمشقي[٤] واعتماده في كتاباته على علم الكلام عند المسلمين أردف قائلاً: «وبناء على هذا النص ترجع بداية الاهتمام بالإسلام ودراسته إلى نحو مائة سنة بعد ظهوره، ثم التقى الإسلام بالمسيحية في الأندلس وأقبل المسيحيون على دراسته، ودراسات العربية وأدابها بحماسة استرعت نظر علماء رجال الدين المسيحي أنفسهم، لأن

---

(١) نجيب العقيقي: ولد في كفر دبيان بلبنان سنة ١٩١٦، وتعلم في مدارسه، وعمل في الصحافة وعلم الأدب العربي في الكلية البطريركية ١٩٣٦/ ١٩٣٨، وفي القاهرة، وعمل في جامعة الدول العربية من ملحق إلى مستشار، له مجموعة أبحاث. المستشرقون/ للعقيقي، ج٢، ٣٢٥، ط٤، دار المعارف.

(٢) المرجع السابق، ص٣٥-٣٦، ط١/١٣٩٧، بيروت.

(٣) الاستشراق، نشأته، وتطوره، وأهدافه، إسحاق موسى الحسيني، ص٢.

(٤) عاش ما بين سنة ٦٧٦ و ٧٤٩، وهو حفيد منصور بن سرجون وزير معاوية بن أبي سفيان.

أتباعهم قد اغرقوا في قراءة الشعر العربي، والقصص العربية، ودرسوا فلسفة المسلمين وعنوا باتقان العربية والتعبير بها[1].

٩- ويرى الأستاذ إبراهيم مدكور: أن الاستشراق بالمعنى العلمي الكامل لم يبدأ إلا في منتصف القرن التاسع عشر إذ أننا لا نستطيع أن نتحدث عن دراسات إسلامية بالمعنى الكامل سابقة على النصف الأخير من القرن التاسع عشر لا في الغرب أو في الشرق، ذلك لأن الغربيين في اتصالهم بالشرق شغلوا أولاً: بنواحيه السياسية والاقتصادية، ولم يتجهوا إلا أخيراً إلى نواحيه الثقافية، وما نراه لدى بعض مؤرخيهم في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، من تعليق على العرب والثقافة العربية، إنما هو مستمد في الغالب من المصادر اللاتينية، وأما الشرقيون أنفسهم فلم يكن في وسعهم، وقد كانوا مغلوبين على أمرهم أن يحيوا معالمهم ولا أن ينهضوا بتراثهم[2].

والذي ينظر في آراء علماء العرب يجد أنها تتقارب من بعضها فهي تشير إلى أن الاستشراق بدأ في وقت مبكر قبل الحروب الصليبية، ولكنه نما وترعرع وأصبح علما قائما بذاته في منتصف القرن التاسع عشر. وأن بواعثه العداء الذي أحدثه الصراع الصليبي بين الفرنجة والمسلمين وما سبق الحروب الصليبية من فتوحات إسلامية أثارت أحقاد الأوروبيين على الإسلام.

موقف علماء الغرب من تحديد تاريخ الاستشراق:

أما علماء الغرب فلهم أقوال متعددة في تحديد تاريخ الاستشراق وسنقتصر على ذكر ثلاثة آراء منها:

الأول: ذهب المستشرق رودي بارت (Rody Part) إلى أن الاستشراق كما هو اليوم ليس سوى نتيجة لدراسة أجيال عديدة، فلو طلبت الإجابة على السؤال التالي بالتحديد:

---

(١) نفس المرجع، ص٣.

(٢) في الفلسفة الإسلامية، إبراهيم مدكور، ص٢٥، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨.

متى بدأت حركة الاستشراق؟ فإن الباحث سيواجه المشاكل بدون شك، ومع ذلك فعليه أن يوجه نظرة إلى التاريخ نفسه، وتطور الاستشراق ذاته، وبناء على هذا الأساس يستطيع أن يقول إن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر، إذ فيه ترجمة معاني القرآن إلى اللاتينية لأول مرة عام ١١٤٣م بتوجيه الأب فيزابل(Fizapl) وفي هذا القرن أيضاً ألف أول قاموس لاتيني عربي، ولذلك كله، كانت بداية الاستشراق في القرن الثاني عشر [١].

الثاني: يرى يوسف جبرا أن فلسفة العرب ومعرفتهم بفلسفة أرسطو قد أجبرت الرهبان على تعلم العربية في زمن مبكر، حيث اضطروا إلى مناقشة الآراء الفلسفية كما رغبوا في إحراز ألقاب (المستشرقين) مما يدل على أنه لم يكن يسمى مستشرقا إلا الذي كان على معرفة تامة باللغة العربية [٢].

الثالث: ذهب الأب لامنس (Lammens) إلى أن الأحبار الرومانيين قرروا دراسة اللغة العربية وأدابها في مدارسهم منذ القرن الثالث عشر [٣]. نأخذ من هذه الأقوال أن الاستشراق عند الغربيين كان ما بين القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر.

أمور لا بد من مراعاتها:

أولاً: التفريق بين نوعين من الاستشراق

الأول منهما: الاستشراق السلمي، ونقصد به ذلك الاستشراق الذي يتمثل في إقدام الغربيين على الأخذ من منابع الحضارة الشرقية وأهمها الحضارة الإسلامية، حيث أن *المسلمين أصبحوا فيما* بين القرن الثامن والثالث عشر حملة مشاعل العلم في أنحاء

---

(١) فلسفة الاستشراق، أحمد سمايلوفتش، ص٥٧: الاستشراق والخلفية الفكرية، محمود حمدي زقزوق، ص٢٠، كتاب الأمة.

(٢) نفس المرجع، ص٥٨-٥٩.

(٣) نفس المرجع، ص٥٧.

العالم، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تغط في سبات عميق، وقد دخلت إليها الحضارة من منافذ متعددة أشهرها بلاد الأندلس، فانهالت البعثات العلمية عليها من أقطار أوروبا وكان ممن قصدها جربرت (Jerbert) الذي اعتلى الكرسي البابوي سنة ٩٩٩م باسم البابا سلفستر الثاني (Sellvestr) كما تقدم.

فهذا النوع من الاستشراق بدأ في القرن العاشر الميلادي، وربما قبله، وقد عمل بهذا الاستشراق عدد قليل ممن رغبوا في البحث عن الحقيقة فكانوا من المنصفين [١].

وأما **النوع الثاني**: وهو الاستشراق العدواني:

وأقصد به ذلك الاستشراق الذي لبس أصحابه لباس العلم وتظاهروا بخدمة الحضارة الإنسانية، فهذا النوع يرجح أنه ظهر بعد فشل الحروب الصليبية بعد أن ترسبت الاحقاد لدى المسيحيين ضد الإسلام وأهله لأسباب نوجزها بما يلي:

١- تحول كثير من الممالك النصرانية إلى الإسلام نتيجة للفتوحات الإسلامية كبلاد الشام ومصر مثلاً.

٢- إنكار الإسلام لعقائد النصارى الفاسدة -عقيدة التثليث والصلب والفداء.

٣- خوف زعماء الكنيسة من إعجاب أتباعهم بقوة المسلمين وبحضارتهم [٢].

يقول محمد كرد علي: «وأهم الأسباب بين الغربيين والشرقيين (المسلمين) في القرون الأولى من الهجرة: كون الإسلام جاء لهداية البشر كافة، فأتى على الوثنية في البلاد التي انتشر سلطانه فيها، ودخل فيه من الصابئة، واليعاقبة، والنساطرة، والمجوس، واليهود، وغيرهم جمهور كبير، وخافت أوروبا النصرانية من تسربه إلى ربوعها، فاتفقت كلمة الملوك ورجال الدين على حربه، حتى وقفت دعوته عند جزيرتي الأندلس وصقلية وما إليهما من أرض الفرنجة، ثم نشأت الحروب الصليبية ودامت قرنين كاملين، وقدمت الجيوش

---

(١) أضواء على الاستشراق، محمد عبد الفتاح عليان، ص٨، ط١.

(٢) نفس المرجع، ص٨.

الصليبية إلى الشام ومصر حتى كتبت الغلبة الأخيرة للإسلام في أرض الشام [1] .

ثانياً: بالرغم من أن الاستشراق تمتد جذوره إلى ما يقرب من ألف عام مضت إلا أن مفهوم مستشرق لم يظهر في أوروبا، إلا في نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام ١٧٧٩م، وفي فرنسا عام ١٧٩٩م، وأدخل مفهوم الاستشراق(Orientalism) في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م [2].

ثالثاً: لا يهم المسلم متى ظهر مفهوم الاستشراق أو المستشرق، وإنما المهم متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ومتى بدأ التركيز على الحضارة الإسلامية، وعلى الإسلام، فالتركيز على الإسلام وحضارته بدأ في وقت مبكر.

رابعاً: على المسلم أن يعرف أن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالم الإسلامي والعالم النصراني في بلاد الأندلس.

كما كانت الحروب الصليبية بصفة خاصة من أقوى الدوافع إلى اشتغال الأوروبيين بالإسلام وتراثه. ولهذا يمكن أن يقال بأن تاريخ الاستشراق في مراحله الأولى هو تاريخ الصراع بين العالم النصراني في العصور الوسطى وبين الشرق الإسلامي.

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية، محمد كرد علي، ج١/٢، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، ص٢.

المبحث الثالث

دوافع الاستشـــــــراق

يجمع المستشرقون في دوافعهم، بين الدافع الديني والدافع السياسي وكلاهما معاً يشكلان تحدياً ظاهراً، الهدف منه استمرار سيطرة العالم الغربي على العالم الإسلامي.

وأهم دوافع الاستشراق هي تلك المصالح المرتبطة بالشرق، وأهداف التوسع في الميدان الاقتصادي والتجاري.

فالاستشراق بوجه عام له دوافع متفاوته شدة وضعفا منها التبشيري ومنها الاستعماري ومنها العلمي، وتظهر هذه الدوافع في أعمال المستشرقين، وفيما يلي بيان لهذه الدوافع:

أولاً: الدافع التبشيري:

جاء الاستشراق كبديل عن الحروب الصليبية لتحطيم عقيدة المسلمين وفكرهم والعمل على نشر عقيدة النصارى، وذلك بعد أن تيقن الغرب المسيحي أن لا سبيل إلى النصر والغلبة على المسلمين عن طريق القوة الحربية لأن تدين المسلمين يدفعهم للدفاع عن دينهم كما ذكرنا.

وقد ذهب رودي بارت (Rody Part) : إلى أن الهدف الرئيسي من جهود المستشرقين في بدايات الاستشراق في القرن الثاني عشر الميلادي وفي القرون التالية له: هو التبشير، وعرّفه بأنه: إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي[1].

إن عمل المستشرقين لم يكن منفصلاً عن عمل المبشرين بل كانت مهمة كل من الطائفتين تدخل في الأخرى، وقد أكد الاستاذ محمد البهي تهم المستشرقين التبشيرية

---

(١) الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندي، ص٢٧٣، دار الاعتصام؛ المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، ص١٥، ط١ نقلاً عن كتاب الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة: مصطفى ماهر، ص١١، دار الكاتب العربي، القاهرة.

بكتاب سماه (المبشرون والمستشرقون) بيّن فيه موقفهم من الإسلام، حيث أنهم ساروا على طريقة المبشرين بالغض من مكانة القرآن والإسلام، من أجل تقليل أهميتها وتشكيك المسلمين بهما. ويمكن تلخيص هذا الدافع بما يلي:

١- العمل على تشويه محاسن الإسلام، والطعن في القرآن، والتاريخ الإسلامي واسدال صورة قاتمة على هذا التاريخ.

٢- حجب محاسن الإسلام عن الأمم والشعوب، وخاصة النصرانية.

٣- عرقلة تيار التحول من المسيحية إلى الإسلام.

٤- تشكيك المسلمين أنفسهم بأمور دينهم، وتنفيرهم منه، وتوجيه المطاعن له [(١)].

ومما يدل على هذا الدافع أن معظم المستشرقين من رجال الكنيسة هم الذين قادوا حركة الاستشراق لدراسة لغة الإسلام، وترجمة تراثه بقصد النيل منه وحجب محاسنه عن جموع النصارى الذين يعيشون في نطاق دولة الإسلام.

لذلك نجد أن رجال الدين النصراني عملوا على إنشاء أول مركز لدراسة اللغة العربية في الفاتيكان، كما أمر الفاتيكان بإدخال اللغة العربية، واللغات الشرقية الأخرى في مدارس الأديرة، وعمل أيضاً على إنشاء كرسي لهذه اللغات في جامعات فرنسا، وإسبانيا، وإيطاليا وغيرها [(٢)].

وقد قصد المستشرقون من هذا الباعث عرقلة تيار التحول من المسيحية إلى الإسلام، ثم تطور هذا الباعث فيما بعد إلى محاولة تشكيك المسلمين أنفسهم في عقيدتهم بزعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس أبنائه من ناحية، وإثبات تفوق الحضارة الغربية وعظمتها من ناحية أخرى.

---

(١) الاستشراق، عبدالله الشحام، بحث دوافع الاستشراق؛ أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص٩١؛ الاستشراق والخلفية الفكرية، محمود حمدي زقزوق، ص٧٢؛ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص١٧٩، ط٣، دار القلم، الكويت.

(٢) أضواء على الاستشراق، محمد عبد الفتاح عليان، ص٤٣، ط١.

وقد أشار الدكتور مصطفى الخالدي وزميله: إلى أن الغاية من الدراسات الاستشراقية، هي تخاذل روحي، وشعور بالنقص في نفوس المسلمين وغيرهم من الشرقيين، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخنوع للمدنية المادية الغربية الحديثة [١].

وقد أشار الدكتور محمود حمدي زقزوق إلى أهداف الاستشراق التبشيرية فقال: والهدف الديني للاستشراق كان يسير منذ البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معا جنبا إلى جنب، وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يلي:

١- محاربة الإسلام، والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها، والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية، واليهودية، والانتقاص من قيمته، والحط من قدر نبيه.

٢- حماية النصارى من خطره، بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

٣- التبشير وتنصير المسلمين.

وقدم على ذلك أدلة منها:

١- قرار إنشاء كرسي للغة العربية في جامعة كمبردج.

٢- تأسيس مجلة العالم الإسلامي عام ١٩١١م عن طريق صمويل زويمر رئيس المبشرين في الشرق الأوسط [٢].

ثانياً: الدافع الاستعماري

الدافع الاستعماري بلا شك يمثل النقطة الخطرة في العلاقات بين الشرق والغرب، ومحاولة الغرب السيطرة على الشرق وتدمير قواته، واحتلال أراضيه، واستغلال قدراته.

ولهذا الدافع جذور عميقة زرعت ونبتت قبل الميلاد، ونمت بعده وازدادت عمقاً وشمولاً بعد سيطرة الإسلام على الامبراطوريات السابقة ووصوله إلى قلب أوروبا.

---

(١) التبشير والاستعمار، مصطفى الخالدي وعمر فروخ، ص٢٤-٢٥، ط٥، المكتبة العصرية.

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، ص٧٢.

فعندما رأى الغرب ذلك شرع يعد قواته لخوض معركة فاصلة مع الأسلام، عند ذلك بدأ يتعلم لغته وآدابه، وحضارته وتاريخه من أجل أن يتفوق عليه، ثم قام بحربه قروناً ورجع فاشلاً ولما نجح في طرد الإسلام من الأندلس، واصل استعداده لمواجهته في عقر داره، واحتلال بلاده، والسيطرة عليها.

والاستعمار نفسه يعترف أن أشد ما يخشاه هو الإسلام، لأن القوة التي تكمن فيه هي التي تخيفه.

أعلن لورانس براون (Lawrence Browne) رأيه الخاص عن الإسلام فقال:

«لقد كنا نخوّف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل هذا الخوف، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي، والخطر الأصفر (باليابان وتزعمها على الصين) وبالخطر البلشفي إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق (لم نجده، لم يتحقق) كما تخيلناه إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب الصفر فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتها، ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والاخضاع، وفي حيويته إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي [1].

وبعد استقلال الجزائر ألقى أحد كبار المستشرقين محاضرة في مدريد كان عنوانها: لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر، أجاب على هذا السؤال بشرح مستفيض، ملخصه:

«إننا لم نكن نسخّر النصف مليون جندي من أجل نبيذ الجزائر، أو صحاريها، أو زيتونها. إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوروبا الذي يقف في وجه زحف إسلامي محتمل يقوم به الجزائريون وأخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها، وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة بواتيه جديدة ينتصرون فيها ويكتسحون أوروبا

---

(١) التبشير والاستعمار، خالد وفروخ، ص١٨٤؛ راجع كتاب أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، ص١٧١ وما بعدها، ط٢.

الواهنة، ويكملون ما كانوا قد عزموا عليه أثناء حلم الأمويين بتحويل المتوسط إلى بحيرة إسلامية خالصة. من أجل ذلك كنا نحارب في الجزائر» [١].

فالاستعمار يعتقد أن الدين الإسلامي هو الوحيد بين الأديان والمذاهب، الذي يستطيع أن يقف في وجه الغرب وأطماعه بالسيطرة على العالم سياسيا وحضاريا ودينيا وفكريا [٢].

ومن هنا تظهر غاية الاستعمار من الاستشراق، من أجل ذلك تلقف الاستعمار حركة الاستشراق، وكان ملوك الدول الاستعمارية رعاتها، وكان قناصلهم في بلدان المشرق عمالها.

ولو تتبع الباحث الأمر بشكل أكثر عمقا وشمولا لوجد فيه شيئا من الغرابة، إذ سرعان ما التقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار فمكن لهم، واعتمد عليهم في بسط نفوذه في الشرق، واقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق، وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم، وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار [٣].

وقد كان الاستعمار سنداً قوياً، وحصناً منيعاً، وسلاحاً حاداً للاستشراق ينفذ به أهدافه، فانضوى المستشرقون تحت لواء حكوماتهم الاستعمارية فاعتمدت عليهم هذه الحكومات في بسط نفوذها على البلاد الإسلامية الشرقية [٤].

---

(١) قادة العالم يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، ص٤٢-٤٣، نقلاً عن جريدة الأيام، ١٩٦٣، الأقصى للنشر والتوزيع، ط١٤٠١، ١٩٨١.

(٢) نفس المرجع ص٣٧ وما بعدها.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، محمد البهي، ص٥٣٣، دار الفكر، ط٦، ١٩٧٣.

(٤) لمحات من الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص١٩٥، مؤسسة الرسالة.

بعد أن احتضن الاستعمار المستشرقين اتجه هؤلاء إلى دراسة شؤون البلاد الإسلامية، من عقيدة وعادات، وأخلاق، وثروات، ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها، وعلى مواطن الضعف فيغتنموها، ولما تمت سيطرتهم على العالم الإسلامي سياسيا، وعسكريا، كان من دوافع تشجيع الاستشراق ما يلي:

١- ضعف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وسيطرة الوهن والإرتباك في تفكيرهم، وقد استطاع المستشرقون أن يصلوا إلى نفوس أبناء المسلمين عن طريق:

أ- التشكيك بعقيدة المسلمين وقيمهم من أجل فقدان الثقة بالنفس.

ب- التشكيك بفائدة التراث الإسلامي الذي بأيديهم.

ج- إحياء مبدأ القوميات من أجل تفريق كلمة الأمة.

وقد أشار الأستاذ نجيب العقيقي إلى الهدف الاستعماري من الاستشراق فقال:

«فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاغتراف من تراثه، والانتفاع بثرائه، والتزاحم على استعماره، أحسنت كل دولة إلى مستشرقيها فضمهم ملوكها إلى حاشيتهم أمناء أسرار وتراجمة، وانتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية الى بلدان الشرق، وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة، والمكتبات العامة، والمطابع الوطنية، وأجزلوا عطاءهم في الحل والترحال، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية [(١)].

وقد أصبح المستشرقون أدوات تمهيد للاستعمار وتخطط له. فعملوا على تحطيم وحدة المسلمين، وعلى إلغاء مفهوم الجهاد إلغاءً كاملاً.

ويرى الدكتور علي جريشة [(٢)] وزميله أن الاستشراق في القرن التاسع عشر كان أحد الوجوه البارزة للاستعمار. لذلك عملت الدول الاستعمارية على إنشاء عدة مؤسسات في

---

(١) المستشرقون، نجيب العقيقي، ص١١٤٩، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٤.

(٢) علي جريشة: مؤلف مصري معاصر، له مؤلفات عدة منها أساليب الغزو الفكري، ومنها المشروعية العليا، ومنها في الزنزانة وهو ما زال حياً.

البلاد الإسلامية التي خضعت لنفوذها، لخدمة الاستشراق ظاهريا وكذلك خدمة التبشير.

من هذه المؤسسات **في مصر** المعهد الشرقي بدير الدومينيكان، والمعهد الفرنسي، وندوة الكتاب، ودار السلام، والجامعة الأمريكية.

وفي لبنان: جامعة القديس يوسف (وهي جامعة بابوية كاثوليكية، وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية) والجامعة الأمريكية ببيروت (وكانت تسمى من قبل الكلية السورية الإنجيلية وهي بروتستنتية).

وفي سورية: مدارس اللاييك، والفرير، ودار السلام، وغيرها، وهكذا في كل الأقطار الإسلامية [1].

ثالثاً: الدافع التجاري

ومن الدوافع التي حرضت كثيرا من الغربيين على الاستشراق:

(١) رغبتهم في التعامل مع العالم الإسلامي من أجل ترويج بضائعهم وشراء المواد الأولية لصناعاتهم بأقل الأثمان، والعمل على قتل صناعاتنا المحلية التي كان لها كثير من المصانع في بلاد الإسلام.

وقد أدرك الغرب أنه لكي يصل إلى مصادر القوة في الشرق ويمزقها يجب عليه أن يتسلح بالقوة الاقتصادية، من أجل ذلك وجد المستشرقون أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية، والتعرف عليها، ودراسة جغرافيتها الطبيعية، والزراعية، والبشرية، حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد ويحققوا ما يهدفون إليه من الخير الذي يعود على تجارتهم وصناعتهم. ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات، وكذلك الملوك في بعض الأحيان يزودون الباحثين بما يحتاجون إليه من مال كما عملت الحكومات على رعايتهم [2].

---

(١) أساليب الغزو الفكري، علي جريشة وزميله، ص٢٢.

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية، محمود حمدي زقزوق، ص٧٤؛ الاستشراق، نشأته وتطوره وأهدافه، إسحاق موسى الحسيني، ص١٦– ١٧.

(٢) البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل الحياة العادية، وقد لجأ هؤلاء إلى إشباع رغبة قرائهم في الغرب بنقلهم صور خرافية عن البلاد الشرقية، وذلك عن طريق المؤلفات والكتب التي تدور حول الإسلاميات والشرقيات ويروج لها أصحاب المكتبات [(١)]. ويعتبر الدافع التجاري من أشد الدوافع إلحاحاً في اندفاع الغرب لتعلم لغات الشرق ودراسة حضارته.

رابعاً: الدافع العلمي:

ويتمثل هذا الدافع بما يلي:

١- رغبة عدد من الغربيين بالاطلاع على حضارات الشرق وأديانه وثقافاته ولغاته. وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه حيث أنهم كانوا يهدفون إلى المعرفة العلمية الخالصة، فقالوا فيما كتبوه عن الإسلام كلمة حق فانصفوا وأُنصفوا، ومنهم من اهتدى بدراسته إلى الإسلام فآمن.

يقول الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكه:

«على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى، لا تلقى رواجاً، لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، لذلك فهي لا تدر عليهم مكاسب ومغانم فطبيعي أن يندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين [(٢)].

الأسباب التي شجعت الاستشراق العلمي:

بما أن الحضارات القديمة قامت على أرض العالم العربي فهو كنز حضاري لا مثيل له في العالم. فقد نشأت فيه لغات وفلسفات وولدت فيه علوم وفنون، ونزلت على أرضه شرائع

---

(١) المستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص١٥ وما بعدها؛ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي، ص١٨٠، ط٣، دار القلم.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص٩٤.

وأديان، كل هذه الأمور دفعت علماء الغرب للاهتمام بدراستها، واكتشاف أسرارها، وتحقيقاً لهذه الغايات أيقن الغرب أنه لا بد له إذا أراد النهوض أن يدرس لغات الشرق، وآدابها وحضاراتها وخصوصا ما يتعلق بالإسلام، فأقبل المستشرقون على هذه الدراسات بجد واجتهاد، وقد انطلق كثير منهم إلى آفاق بناءة استفاد منها الشرق والغرب على حد سواء.

ومن الأمثلة التي تدل على الاستشراق العلمي البعثات الثلاثة التي قدمت إلى الأندلس.

الأولى: البعثة الفرنسية برئاسة الأميرة اليزابيث ابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا.

الثانية: البعثة الإنجليزية وعلى رأسها الأميرة دوبان ابنة الأمير جورج صاحب مقاطعة ويلز.

الثالثة: البعثة الإسبانية وبعضها من مقاطعات سفوا والبافة ،ساكسونيا والرين [1].

فقد انعكست آثار هذه البعثات على أوروبا فعملت على نشر العلم والفلسفة بين شعوب أوروبا كما عملت على تقدمها.

خامساً: الدافع السياسي

بعد أن تحررت البلاد الإسلامية من مخالب الاستعمار، رأت الحكومات الاستعمارية أن حاجتها السياسية تقضي بأن يكون لها في قنصلياتها وسفاراتها من لديهم معلومات جيدة من الدراسات الاستشراقية ليقوم هؤلاء بما يلي:

أولاً: تقديم معلومات وافية للحكومات الغربية عن أحوال العالم الإسلامي، ليسهل عليها فيما بعد إحكام قبضتها الحديدية عليه عن طريق الغزو العسكري المسلح [2].

ثانياً: الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم ونشر الاتجاهات السياسية التي تريدها الدول الاستعمارية فيهم.

---

(١) المستشرقون والتاريخ الإسلامي، علي حسني الخربوطلي، ص٣٤.

(٢) الاستشراق، عبدالله الشحام؛ أجنحة المكر الثلاثة، للميداني، ص٩٣.

ثالثاً: الاتصال بعملائهم من رجال السياسية الذين يقومون بخدمة أسيادهم سياسياً.

رابعـاً: القيام بالرد على الأفكار والعقائد، وقمع الحركات والأوضاع التي تسبب للدول الغربية صداعاً وعرقلة، وتحدث لها مشكلات وعقبات والعمل على خلق جو لا تكاد تخطر فيه معارضة، بل تحدث هالة من التقديس والإجلال حول حضارتهم، حتى يعترفوا بمآثرهم وجلائل أعمالهم، وحتى ينبعث فيهم دافع الاقتداء والتقليد الذي يحملهم على السير على آثارهم في سبيل إصلاح البلاد وترقيتها [١].

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، للندوى، ص١٧٩.

الفصل الثاني

المبحث الأول

صلة الاستشراق بالتنصير (التبشير)

التبشير من البشارة: وهو الخبر الذي يؤثر على البشرة، وقد يكون للحزن، ولكن غلب استعماله فيما يفرح[1] ويستطيع الباحث أن يعرف التبشير حسب الأطوار التي مر بها بما يلي:

١- إخراج الناس من دينهم ونقلهم إلى النصرانية.

٢- تشكيك الناس في دينهم- مع عدم الدخول في النصرانية.

٣- بقاء الناس في دينهم صورة، مع العمل على تغيرهم اجتماعياً وسياسياً.

وأما الاستشراق فقد سبق تعريفه ومن هنا...

فليس غريباً أن يكون هناك صراع بين الأفكار والعقليات، لأن الصراع بين الأفكار والعقليات سنة الحياة نفسها، ولكن الغريب حقاً أن تتصارع الأديان السماوية فيما بينها على الرغم من أن ركيزة وجودها التسامح الفكري، والحب الإنساني، والتفاهم المتبادل بين جميع البشر، ولكن الروح التي سيطرت على عالمي الغرب والشرق كانت مخالفة لذلك تماماً، على الرغم من اتحاد العقيدتين مصدراً، إلا أن الصراع بينهما قديم قدم وجود الإسلام نفسه[2].

ومما لا شك فيه أن حركة الاستشراق مستقلة عن حركة التبشير مع أن مصدرهما بدأ في أول أمره واحداً، ثم اختلفا في طريقهما، ولكن التعاون والتنسيق ظل مستمراً بينهما، لذلك ما زال الاستشراق يوصف بأنه المصنع، والتبشير بأنه المصدر أو الموزع للشيء

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، محمد فريد وجدي، ج٢/١٩٦، ط٣، ١٩٧١، دار المعرفة، بيروت.

(٢) فلسفة الاستشراق، أحمد سمايلوفتش، ص١٢٥.

الذي يصنعه الاستشراق [١].

وإذا نظرنا إلى المستشرقين في جمهورهم فانه لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً أو يهودياً وقد يشذ عن ذلك أفراد [٢].

والذي يتابع حركة الاستشراق يجد أن معطياتها في غالب الأحيان كانت نافعة لتغذية حركة التبشير. كما أن الآراء التي تقدمها تعتبر مادة خام يستطيع التبشير استعمالها في إنجاح خططه، وفي إثارة الفتن في العالم الإسلامي، وإثارة الشبهات التي تحقق لها النجاح.

وإذا كان الاستشراق يخضع لنفوذ التبشير فلا بد له من دراسة القضايا باحكام مقرر، وبأهداف تتسم بسوء النية في غالب الأحيان، لأن التعصب يغلب على رجاله كما يغلب على رجال التبشير ومن هنا وجهت سهامه نحو الإسلام بأسلحة فكرية تحمل الكثير من الدس والشبهات، ويشير إلى هذه الحقيقة المقال الذي نشره المستشرق (الفرد غيوم) بعنوان الفلسفة وعلم الكلام حيث قال: وبمرور الزمن أسلم الكثير من اليهود والنصارى تخلصاً من الجزية التي كانت تجبى من أهل الكتاب من غير المسلمين، وحين دخل هؤلاء إلى كنف الإسلام حملوا معهم ثقافة الامبراطورية البيزنطية، وثقافة اليونان، وقد أفزعت هذه الانشقاقات السلطات الكنسية فشرعت تهاجم -الجدل والمناظرات- أسس العقيدة الإسلامية [٣].

ويمكن أن نلخص وجوه الالتقاء بين الاستشراق والتبشير بالنقاط التالية:

أولاً: كان رجال التبشير قدوة للمستشرقين الذين جاءوا من بعدهم، والدليل على ذلك ما

---

(١) الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندي، ص١٤٦، ط دار الاعتصام.

(٢) المستشرقون، نجيب العقيقي، ج٣/١١٦٠، دار المعارف؛ السنة ومكانتها في التشريع، السباعي، ص١٦، ط٢/ ١٣٩٨، ١٩٧٨، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٣) تراث الإسلام، مجموعة من المستشرقين، بإشراف (توماس أرنولد)، ص٣٦٤، بيروت.

قام به القديس (يوحنا الدمشقي) من دس على الإسلام في زمن مبكر من سنة (٨١-١٣٧هـ/ ٧٠٠- ٧٥٤م) حيث وضع كتاباً سماه (حياة محمد) بيّن فيه أن الإسلام فرقة مسيحية مارقة، ظهرت على عهد الامبراطور الروماني (هرقل) بفعل متنبىء من العرب يدعى حامد (محمد) وإن حامداً هذا كان قد اطلع على كتابي العهد القديم والجديد ثم اتصل بأحد أتباع (أريوس) الموحد، الذي طردته الكنيسة لأنه كان يعتقد بالتوحيد المجرد لله، فعرف منه نحلته الوحدوية، فأسس دعوة الإسلام على أساسها، وقد استطاع هذا المتنبىء أن يكتسب قلوب قومه، وأن يقدم لهم كتاباً زعم أنه أنزل عليه من السماء ووضع فيه فرائض مضحكة على أنها شريعة [(١)].

وكذلك دس فرية أخرى وهي أن النبي ﷺ قد شغف بالسيدة زينب بنت جحش، وهي تحت مولاه زيد بن حارثة، وقد تلقف هذه الافتراءات من بعده عدد من رجال الاستشراق ما زالوا يرددونها جيلاً بعد جيل.

ثانياً: استدلال المبشرين بالإسرائيليات، حتى إذا رأوا الفرصة مواتية دسوا ما يريدون دسه على الإسلام، وكان أول من استدل بالإسرائيليات المبشر يوحنا الذي تقدم ذكره، ثم انتقلت أباطيله من بعده إلى رجال الاستشراق، فساروا على نفس النهج الذي سار عليه يوحنا من قبل.

ثالثاً: عمل المستشرقون بوصية القديس لويس التاسع، وقد تقدم نص وصيته التي دعا فيها إلى ضرورة تكتل الأوروبيين لتشويه الإسلام، وإفساد عقيدة المسلمين التي هي سر قوتهم وأنه لا غنى للأوروبيين عن هذا الغزو الفكري إذا ما أرادوا التغلب على المسلمين الذين لا سبيل إلى التغلب عليهم من طريق القوة العسكرية. وقد كانت أيضاً أبحاث المستشرقين الذين عملوا في مجال التنسيق وقوداً خصباً في ايدي زويمر

---

(١) التبشير والاستشراق، محمد عزت الطهطاوي، ص٤٩، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية.

(Zewemer) وأصحابه، كما كانت أبحاث المبشرين أيضاً وقوداً خصباً في أيدي المستشرقين.

رابعاً: لم يكن عمل المستشرقين منفصلاً عن عمل المبشرين فالاستشراق في نشأته ما هو إلا أداة من أدوات التبشير.

فالتبشير وجّه سهامه نحو القرآن، والإسلام، وقد تولى القس بيتر (Peter) المعروف ببيتر المحترم (Peter the Venerable) هذه الحملة وهو من كبار المتعصبين ضد الإسلام، حيث كان يوجه اللوم إلى النصارى لمهادنتهم المسلمين، وفي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي صدرت أربع تراجم قرآنية قدم لها هذا القس، كما ترجمت إلى اللاتينية كتب تتناول سيرة النبي ﷺ، وتاريخ الخلفاء الراشدين، والأمويين، إلى عهد يزيد ابن معاوية ومقتل الحسين بن علي[1].

وقد سلك المستشرقون نفس هذا الطريق فعملوا على ترجمة القرآن إلى لغات متعددة، وكتبوا في سيرة سيدنا محمد ﷺ، وسيرة الخلفاء من بعده وكتبوا في تاريخ الدولة الأموية والعباسية.

وكان غرض المبشرين والمستشرقين واحد هو:

أ- تشويه صورة الرسلام.

ب- الطعن في مصادره.

ج- تنفير المسلمين والمسيحين على السواء من الإسلام.

د- الحيلولة دون وحدة المسلمين في إثارة الفتن بينهم.

خامسا: اتحاد المستشرقين والمبشرين في الهدف وقد التقت أهدافهم وتعاونوا على أداء الدور الذي أعده المستعمرون لهم، فقد كان الهدف من دراسة رجال الدين التابعين للفاتيكان للغة العرب وغيرها من اللغات الشرقية هو تخريج علماء يتقنون الجدل من أجل

---

(١) صورة استشراقية، عبد الجليل شلبي، ص٢٧، ط/١٣٩٨، مجمع البحوث الإسلامية.

مقارعة علماء الإسلام وتثبيت الاتهامات للإسلام وتأييدها، وقد أكب علماؤهم على دراسة المؤلفات الإسلامية الضعيفة المحشوة بالإسرائيليات، أو المؤلفة في عصور الانحطاط والتأخر معتمدين عليها في تأييد مزاعمهم الفاسدة.

واستخدم أيضاً الاستشراق الكتاب، والمقال في المجلات العلمية وكراسي التدريس في الجامعة، واهتم المستشرقون بدراسة اللغة العربية والإسلام ليس بدافع علمي خالص، لأن من طبيعة الدافع العلمي أن يكون نزيهاً عادلاً حريصاً على إظهار الحقيقة بتجرد وصدق، لا تتحكم فيه موروثات أو رواسب ثقيلة مما أملته وقائع تاريخية معينة، تتسم بتسجيل فترات الخصومات الدموية والنزاع العدواني[1].

ومن هنا يمكن القول أن مهمة الاستشراق تسميم وإفساد عقول المثقفين بإبعادهم عن دينهم، وإلقاء التهم الباطلة في ساحاتهم، ومهمة التبشير تسميم وإفساد عقول العامة بكافة وسائل الجذب والإغراء وكلاهما يسير في ركاب الاستعمار.

سادساً: تعاون المستشرقين مع المبشرين والمستعمرين لإيجاد وسائل تحقق أهدافهم، ومن أهم تلك الوسائل، التي لعب هؤلاء من خلالها دوراً بارزاً المؤسسات التعليمية في البلاد الإسلامية والمؤتمرات التي عقدت بها.

١- الجامعة اليسوعية – في بيروت.

٢- الجامعة الأمريكية – في بيروت.

٣- الجامعة الأمريكية – في القاهرة.

٤- الجامعة الأمريكية – في اسطنبول.

٥- الكلية الفرنسية – في لاهور.

٦- كلية غوردن – في الخرطوم.

---

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص١٨٩، مؤسسة الرسالة.

وهذه الجامعات تحتضن عدداً من المبشرين والمستشرقين الذين يعملون لتحقيق الأهداف الاستعمارية بالدرجة الأولى، ونضرب مثالاً على ذلك الأستاذ أنيس فريحة، أستاذ التاريخ واللغات السامية في الجامعة الأمريكية في بيروت، وهو من دعاة استبدال الحروف العربية بأخرى لاتينية تسهيلاً لقراءتها وتخفيضاً لنفقات الطباعة (١).

ويتوجه نشاط هذه الجامعات إلى التبشير ومما يدل على ذلك أن مجلس الأمناء في الجامعة الأمريكية أعلن أن الكلية لم تؤسس للتعليم العلماني، ولا لبث الأخلاق الحميدة، ولكن من أولى غاياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة، وأن تكون مركزاً للنور المسيحي، وللتأثير المسيحي، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به (٢).

سابعاً: اشترك المستشرقون في مؤتمرات التبشير العالمية، واتخاذ عدد من القرارات والتوصيات، وقد بلغ عدد هذه المؤتمرات الدولية من عام (١٨٧٣- ١٩٦٤م) ستة وعشرين مؤتمراً ضم الواحد منها مئات العلماء، من أعلام المستشرقين والعرب والمسلمين الشرقيين من آسيا وأفريقيا، وتناولوا الأبحاث والمقترحات، ثم نشروها في مجلدات للاهتداء بها، كنظم ومناهج ووسائل، ثم أصبحت دراسات مؤتمراتهم الموضوعية والاقليمية أصولاً وأمهات الباحثين (٣).

وقد ركز المستشرقون والمبشرون في مؤتمراتهم على الإسلام وكأنهم في قرارة نفوسهم يعتقدون بصلاحية الإسلام ديناً عاماً للبشرية كافة، ولكن قلوبهم الحاقدة، وعقولهم الجاحدة، ونياتهم الفاسدة، تحاول جعل النور ظلاماً، والحق باطلاً وصدق الله إذ يقول:

---

(١) أضواء على الاستشراق، محمد عبد الفتاح عليان، ص٣٨.

(٢) التبشير والاستعمار، خالد وفروخ، ص١٠٨، ط٥، المكتبة العصرية، بيروت- صيدا.

(٣) أضواء على الاستشراق، محمد عبد الفتاح عليان، ص٤١؛ الرسلام والمستشرقون، محمد الدسوقي، ص٣٨ وما بعدها، ط ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة؛ مذكرة في المذاهب الهدامة، أبو المجد سيد نوفل، ص٧٢، الجامعة الإسلامية.

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [(١)].

ونذكر على سبيل المثال المؤتمر الذي عقد سنة ١٩١٠ في (أدنبرج) في إنجلترا حيث كان من توصياته:

١- تأسيس مدرسة تبشيرية مشتركة بين كل الفرق البروتستانتية وتكون هذه المدرسة خاصة بتعليم مبشري الدول الإسلامية، وتقبل النساء والرجال، وتعلم فيها اللغة العربية، وتاريخ الأوضاع الإسلامية والأمور الاجتماعية التي اقتبسها المبشرون من الإسلام.

٢- تأسيس مكتبة تحوي أمهات الكتب العربية وغير العربية المتعلقة بالإسلام [(٢)].

ثامناً: اتحادهما في العمل:

فالتنصير يعمل في مجال التعليم المدرسي ابتداءا من الروضة حتى الجامعة، والتركيز على دور الحضانة ورياض الأطفال، والمراحل الابتدائية، باعتبار أنها المجال الأسهل لصياغة أطفال المسلمين، قبل أن تتكون فيهم مفاهيم الإسلام الصحيحة لتقبل آراء التغريب، والشعوبية، وتقبل النفوذ الاستعماري على أنه حضارة واحترام الغرب، وانتقاص الإسلام.

وبينما نجد أن الاستشراق عمل في مجال البحث باسم المنهج العلمي وقد استخدم الكتاب، والمقال، وكرسي التدريس في الجامعة، والمشاركة في المؤتمرات العلمية العامة، يقول الأستاذ أنور الجندي: ومن هنا يقع التلاقي والتنسيق بين العملين في دور العلم والصحافة بين الدعوة الصريحة في التبشير، وبين الدعوة المنشورة في الصحافة

---

(١) سورة التوبة، آية ٣٢.

(٢) الإسلام والمستشرقون، محمد الدسوقي، ص٣٨، ط١٣٨٢/ ١٩٦٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

والكتاب، والدراسات ذات الطابع العلمي، وهكذا يشترك التبشير والاستشراق في العمل من خلال أهم الجوانب التوجيهية الهامة في التعليم والثقافة بوسائلها المختلفة [(١)].

تاسعاً: الخدمات العظيمة التي قدمها الاستشراق للتبشير، وقد استطاع الاستشراق أن يقدم خدمة عظيمة للتبشير من خلال دراسته للتراث القديم، والتركيز فيه على الشخصيات المضطربة في الفكر الإسلامي أمثال الحجاج، أبو نواس، وبشار، وإعلائها.

كذلك اهتمامه بكتاب الأغاني وألف ليلة وليلة، وحصوله على كثير من الروايات الغامضة والمضطربة التي يتصيدها من كتب المحاضرات، وتقديم هذه الأمور على أنها حقائق علمية يمكن استغلالها كأسلحة لإثارة الشبهات حول حقائق الإسلام [(٢)].

عاشراً: اتحادهما في النشأة:

فالاستشراق والتبشير حركتان خرجتا إلى حيز الوجود بعد خيبة الحروب الصليبية التي دامت قرنين من الزمان، وذلك عندما رأى الغرب أن يجدد وسائله في هذه المعركة، وأن يخلط الشدة بالحيلة والمقابلة بالالتفاف، فاقتحموا الشرق مرة أخرى في أزياء جديدة، مخفين مخالبهم في قفازات من حرير وقرروا أن يكيدوا للإسلام في حذر وتؤده، وقد اهتدوا إلى الطريق الذي يساعدهم على هذه الحرب، وإلى ضرورة إيجاد أسلحة في المعركة من داخل الإسلام والمسلمين فقرروا دراسة الإسلام وتاريخه وآدابه.

فكان التبشير، وكان الاستشراق أخطر سلاحين استعملهما الغرب منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى أيامنا هذه في هذه المعركة المحتدمة العنيفة [(٣)].

كما أن أساتذة الاستشراق والتبشير تربوا في محاضن أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية والامريكية، فقد أنشىء أول كرسي للغة العربية في جامعة (كمبردج) في

---

(١) الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندي، ص١٤٨.

(٢) أساليب الغزو الفكري، علي جريشة وزميله، ص٢٥-٢٦، دار الاعتصام.

(٣) القومية العربية والاستعمار، ناصر الدين الأسد، ص٩٢.

أوائل القرن السابع عشر، وذكر في المراجع الأكاديمية المسؤولة في الجامعة في تبرير إقامة ذلك الكرسي، إن من جملة أهدافه تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة، والدعوة إلى الديانة المسيحية [(١)] .

الحادي عشر: ومما يدل على قوة الصلة بينهما أن قسماً كبيراً منهم من المبشرين فمن هؤلاء:

١- المستشرق (Kennet Krage) أمريكي، شديد التعصب ضد الإسلام، درّس في الجامعة الأمريكية في القاهرة، ورئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتفور(Hart Ford).

٢- (Massignon. L) أكبر مستشرقي فرنسا الداعي الروحي للجمعيات التبشيرية في مصر، مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا .

وبعد هذه الدراسة يتبين لنا أن التبشير والاستشراق هما طليعة الاستعمار يسيران في اتجاه واحد، فتوهين دين الله، وتهديم أركانه، وإطفاء جذوته، هدف مشترك لهما، وتفتيت الوحدة الإسلامية، وتقطيع الآصرة الإيمانية، غاية يسعى كلاهما لتحقيقها، ورفع الصليب ونصرها أمنية يبذلان كل ما في وسعهما لانجازهما.

---

(١) الله أو الدمار، سعد جمعة، ص١٠١، ط١٩٨٠، دار الكاتب العربي، بيروت.

(٢) الاستشراق والمستشرقون، مصطفى السباعي، ص٣٢، ط١.

المبحث الثاني

صلة الاستشراق بالاستعمار

تعرض العالم العربي لهجمات الغرب المتواصلة منذ أواخر القرن العاشر الميلادي، وكان الهدف من هذه الهجمات احتلال الأراضي، واستغلال القدرات، واستعباد الشعوب، وكانت بداية الهجمات الحروب الصليبية التي أخذت من الدين ستاراً لاعمالها الهدامة، ولما رجعت جحافلها مقهورة قامت متأثرة بما رأت في بلاد الإسلام وأخذت عنها مقومات النهضة العلمية، وشرعت تستعد لهجمات جديدة أبعد خطراً، وأشد ضرراً من حرب الحديد والنار، إنها حرب شعارها مدرسة أو مستشفى أو ملجأ، أو كتاب، أو مقال أو ما إلى ذلك من خداع العناوين التي يقطر باطنها بالسم الناقع [١].

وتمهيداً لذلك لا بد أن تدخل طلائع الغرب في البلاد التي يجب استعمارها ولا بد لهذه الطلائع من ركيزة يعتمدون عليها، وهي تعلم اللغة العربية وغيرها من لغات الشرق ليستطيعوا الحديث مع شعوبها، والتعرف على أفكارهم، وإثارة المنازعات بينهم، حتى تقع البلاد فريسة بين مخالب المستعمر.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف أكثروا من هذه الطلائع ليقوموا بالتجسس على البلاد والتعرف على أحوالها، وتقديم التقارير عنها، ومن هنا كان لا بد للجاسوس أن يلبس ثوب العالم بلغة البلاد، وأن يصطنع البحث العلمي، وأن يسعى لخلق صلة بين الأهالي وجيوش الاستعمار إذا دخلتها.

والتاريخ يحدثنا أن هؤلاء جميعاً من المستشرقين [٢] ومن أجل ذلك كان الوفاق بين الاستشراق والاستعمار تاماً يساعد أحدهما الآخر مساعدة فعالة.

---

(١) لماذا لا يلتقي المسلمون في عصر طابعة اللقاء، أحمد موسى، ص١٤؛ أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية العمري، ص١٦٣، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٣٠٤هـ- ١٩٨٤م.

(٢) فلسفة الاستشراق، أحمد سمايلوفتش، ص١٢٠.

يقول الدكتور محمد البهي: «وينطوي عمل الدارسين للإسلام من المستشرقين على نزعتين رئيسيتين»:

النزعة الأولى: تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الاسلامية.

وتتمثل هذه النزعة بما يلي:

١- في إضعاف القيم الإسلامية.

٢- في تمجيد القيم الغربية المسيحية.

وأمـا **النزعة الثانية**: الروح الصليبية في دراسة الإسلام تلك النزعة لبست ثوب البحث العلمي وخدمة الغاية الإنسانية المشتركة [1]. ونبين فيما يلي مظاهر الصلة بين الاستشراق والاستعمار لتقوم الحجة ويثبت البرهان.

أولاً: تأسيس الكليات المتعددة لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوروبا مثل لندن وباريس وليدن وبرلين وغيرها. وظهرت فيها أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية، وبعض اللغات الإسلامية كالفارسية والتركية والأردية، وكان الغرض من تأسيس هذه الكليات تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشؤون الإسلامية وقد عمل التحاق الطلاب المسلمين بهذه الكليات على تأثير أفكارهم بما يلقيه المستشرقون في آذانهم [2].

ثانياً: تأسيس الدول الاستعمارية للمؤسسات العلمية في البلاد الإسلامية والتي تخضع لنفوذ المستشرقين في الظاهر وهي في حقيقتها تعمل على خدمة الاستعمار والتبشير ونضرب مثالاً على ذلك:

في مصر: المعهد الفرنسي، والجامعة الأمريكية.

في لبنان: الجامعة الأمريكية، والجامعة اليسوعية.

وهكذا في كل قطر من أقطار عالمنا الإسلامي [3].

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث، محمد البهي، ص٤٨، ط٨.

(٢) أساليب الغزو الفكري، علي جريشة وزميله، ص٢١.

(٣) نفس المرجع السابق، ص٢١؛ التبشير والاستشراق، محمد عزت الطهطاوي، ص٤٢ وما بعدها، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية.

وإذا أمعنا النظر فإننا نجد أن رجال السياسة في هذه البلاد على صلة وثيقة بأساتذة تلك الكليات، وإلى آرائهم يرجعون قبل البت في المسائل السياسية المتعلقة بالأمة العربية والإسلامية.

بل إن بعض أولئك الأساتذة يستغلون صداقتهم لرجال الدولة فيتخذ منها ستاراً يقوم من ورائه بأعمال التجسس في السلم والحرب وأكبر دليل على ذلك أن المستر (إيدن) لم يكن ليضع قراراً سياسياً في شؤون الشرق الأوسط، قبل أن يجتمع بأساتذته من المستشرقين في جامعة أكسفورد، وكلية العلوم الشرقية وأخصهم المستشرق (Margoliouth) أستاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد [١].

ثالثاً: وأوضح دليل على صلة الاستشراق بالاستعمار أن سوق الاستشراق رائجة في أوروبا وأمريكا، في الدول التي لها مصالح في الدول الشرقية بعامة وفي الدول الإسلامية بخاصة، بل لا تكاد توجد سفارة من سفارات هذه الدول الاستعمارية في دولة من دول الشرق الإسلامية إلا يوجد فيها مستشرق أياً كانت رتبته بين رجال السفارة والعاملين بها [٢].

رابعاً: اتفاق الاستشراق مع الاستعمار على حرب الإسلام والتشويش على دعوته، واستعمال كل الأسلحة التي تحقق الهدف.

ومن هنا يمكن القول بأن الاستشراق مظلة لكل أعداء الإسلام من المستعمرين والملحدين وغيرهم. وهو المطية التي يركبها أعداء الإسلام للطعن في الدعوة الإسلامية التي تتناسب مع الفطرة الإنسانية السليمة.

وما يكتبه المستشرقون عن الإسلام ورسوله وكتابه يفضح الحقد الدفين الكامن في

---

(١) التبشير والاستشراق، ص٤٢.

(٢) الاستشراق وجهوده وأهدافه، عبد المنعم حسين، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثاني، السنة العاشرة، رمضان ١٣٩٧هـ– ١٩٧٧م، ص٨٠.

قلوبهم، وسنرى ذلك في الباب الثاني والثالث من هذا الكتاب.

خامساً: اعتراف بعض المستشرقين بالصلة القائمة بين الاستشراق والاستعمار، حيث أن الاستعمار عمل على تجنيد طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه، وتحقيق أهدافه، وتمكين سلطاته في بلاد المسلمين، فمن أجل ذلك نشأت رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، وقد ارتضى هؤلاء المستشرقون لأنفسهم أن يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شأنهم، وقد شعر بعض المستشرقين المنصفين إزاء هذا العمل بالخجل فقال المستشرق الألماني المعاصر استفان فيلد (Stephan Wild) والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الاسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لا بد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة [(١)].

سادساً: تعيين كثير من المستشرقين كخبراء ومستشارين في وزارات الخارجية ببلادهم مثل المستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر(Goldziher) وماسنيوث(Massighyoth) وغيرهما، وقد عين برنارد لويس (Bernard Lewis) في الخارجية الإنجليزية في سنة ١٩٤١م [(٢)].

وقد سلك المستشرقون كل مسلك ظنوه محققاً لأهدافهم واستطاعوا أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي بمصر، والمجمع العلمي بدمشق، والمجمع العلمي ببغداد.

كما تدخلوا بتأييد الاستعمار في مجال التربية والتعليم محاولين غرس مبادىء التربية الغربية في نفوس المسلمين، ونجحوا في هذا إلى حد كبير.

ولعل الغرض من هذا كله أن يشبوا متشبعين بمبادىء الغرب ممالئين له، وبهذا تخف

---

(١) الإسلام في الفكر الغربي، محمود حمدي زقزوق، ص٦٠.

(٢) المستشرقون، نجيب العقيقي، ج٢/٥٦١.

في نفوسهم موازين القيم الإسلامية، والقيم الوطنية العربية [1].

ومن المستشرقين الذين اشتركوا في المجامع العلمية:

١- المجمع اللغوي بمصر:

أ- المستشرق الإنجليزي جب (Gibb) أستاذ الدراسات الإسلامية العربية في جامعة هارفارد الأمريكية.

ب- المستشرق لوي ماسنيون (Massignon L.) وهو مستشرق فرنسي معاصر ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا.

ج- المستشرق د. س. مرجوليوث (Margoliouth D. S.) وهو أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية [2].

د- المستشرق ر. أ. نيكولسون (Nicholson R. A.) وهو مستشرق إنجليزي ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية.

٢- المجمع العلمي بدمشق:

أ- المستشرق جريفني (Griffini) الإيطالي.

ب- المستشرق جوتهيل (Gottheil) الكولومبي.

ج- المستشرق جويدي (Guidi) الإيطالي.

د- المستشرق جي سو (Guy. Su) الفرنسي.

هـ- المستشرق نالينو (Nallino) الإيطالي.

و- المستشرق هارتمان (Hartmann) الألماني.

ز- المستشرق هوتمان (Hottmann) الهولندي [3].

---

(١) الاستشراق والتبشير وصلتها بالامبريالية العالمية، إبراهيم خليل أحمد، ص٦٠، مكتبة الوعي العربي.

(٢) المرجع السابق، ص٦١ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق، ص٦٠-٦١؛ أضواء على الاستشراق، محمد عبد الفتاح عليان، ص٢٨ وما بعدها.

وبعد أن بينا تسلل المستشرقين إلى المجامع العلمية من أجل تحقيق أهدافهم نقول ليس مهماً أن يعلم المسلم ما فعله هؤلاء، لكن المهم أن يعرف المسلم كيف كان أعداء الإسلام يقصدون ديارهم، ويتعرفون أمورهم، فيتقدمون لحربهم، وكل أمر عندهم واضح، وكل سر لديهم جلي، فتكون الضربة المسددة الصائبة بعد أن مهد لها بالتخطيط والمعرفة والدرس، أما من يحاول حرب الخصوم ومقارعة الأعداء، دون معرفة بأمرهم واطلاع على شأنهم فذلك إنما يرقم على ماء، ويتاجر في هواء.

وبعد إقامة الأدلة على صلة الاستشراق بالاستعمار نقول مما لا ريب فيه أن المستشرقين هم عيون الغرب في الشرق. ولا شك أن الاستشراق إنما قام لتعريف الدول الغربية بالنواحي التي لا يستطيع أن يعرفها رجال الاستعلامات في وزارات الاستعمار، من عقائد الشرقيين وآدابهم، والثقافات التي يتأثرون بها، غير أن المستشرقين يتفاوتون في نشاطهم العلمي بحسب تفاوتهم في نشأتهم وأخلاقهم، وتربيتهم فمنهم القسيسون كالأب لامنس (Lammens) اليسوعي وأضرابه. ومنهم من يعتز بأصله الذي يرجع إلى الحروب الصليبية كالأمير كايتاني (Caetanl)، ومنهم من يحارب الإسلام بعواطفه اليهودية كالمنتصر مرجليوث (Margoliouth) [١].

---

(١) مجلة الزهراء، الجزء الرابع، غرة ربيع الآخر ١٣٧٧- ١٩٥٧، مجلد ٢٨، ص٤٦١.

المبحث الثالث

صلة الاستشراق باليهود

تضافرت قوى الغرب عبر التاريخ على العالم العربي في محاولاتها المتكررة لاحتلال أراضيه واستعباد شعوبه وتفريق وحدته.

وكانت الهزيمة التي أصابت الصليبيين، تؤرق أجفان حكام أوروبا وتجعلهم يتلقفون أية فكرة تخدم أغراضهم في النيل من الشرق والسعي لزعزعته وتحطيم كيانه.

ومع انصراف الغرب عن الشرق مؤقتاً إلى مصالحه الخاصة وشواغله الداخلية، إلا أن فكرة أرض بيت المقدس ظلت تراود أفكار الغرب قروناً متعددة، فأخذ بجمع قواه لتحقيق آماله، ودخلت قواته بيت المقدس في ١٠ ديسمبر سنة ١٩١٧م وبعد الحرب العالمية الثانية تحول النزاع من بين المسيحية الغربية والعالم الإسلامي، فأصبح بين إسرائيل تناصرها القوى الاستعمارية في العالم الغربي، وبين دول الشرق الإسلامي.

وقد رأى اليهود أن الاستشراق باب خطير من أبواب التسلل إلى البلاد التي يحلمون بالسيطرة عليها، وفق طريقتهم ويريدون أن يتخذوا لأنفسهم صنائع فيها من أبنائها، فتخصص فريق منهم بالدراسات الشرقية، وتابعوا المسيرة ضمن خططهم، حتى احتل اليهود عدداً وفيراً من كراسي الدراسات الشرقية في الجامعات الكبرى، وأخذوا يخدمون الأغراض اليهودية الصهيونية في هذا المجال، تحت ستار أغراض المستشرقين المسيحيين، وأغراض الدوائر الاستعمارية[(١)].

وظهرت مدارس الاستشراق، وتعددت، كل مدرسة لها أهداف معينة تنسجم مع المذهب الفكري أو الديني الذي يتبعه المنتسبون إليها.

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، للميداني، ص٨٥، دار القلم، دمشق، بيروت.

١- المدرسة النصرانية بقسميها الكاثوليكية والبروتستانتية.

٢- المدرسة اليهودية.

٣- المدرسة الالحادية العامة.

٤- المدرسة الالحادية الشيوعية [(١)].

وأما الأسباب التي دفعت اليهود للانخراط في سلك حركة الاستشراق والدور الذي قام به اليهود في إطار هذه الحركة فيشير الدكتور محمود حمدي زقزوق إلى صعوبة تحديدها، وذلك لأن المراجع التي تتحدث عن الاستشراق، وتطوره قد أغفلت الحديث عن هذا الجانب.

ثم يقول: ونعتقد أن سبب إغفال الحديث عن هذا الموضوع يرجع إلى أن المستشرقين اليهود قد استطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الاستشراقية الأوروبية النصرانية، فقد دخلوا الميدان بوصفهم الأوروبي لا بوصفهم اليهودي، وقد استطاع جولدتسيهر(Goldziher) في عصره -وهو يهودي مجري- أن يصبح زعيم علماء الإسلاميات في أوروبا بلا منازع ولا تزال كتبه حتى اليوم تحظى بالتقدير والاحترام من كل فئات المستشرقين، ثم يقول:

وهكذا لم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية كلها، بوصفهم مستشرقين يهوداً حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالي يقل تأثيرهم، ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوروبيين وبذلك كسبوا مرتين.

١- كسبوا أولاً فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

٢- وكسبوا تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى [(٢)].

---

(١) نفس المرجع، ص٨٦.

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود زقزوق، ص٤٩.

وأما سبب دخول اليهود في الحركة الاستشراقية فقد أشار الدكتور محمد البهي إلى أن أسباب إقبال اليهود على الاستشراق تتلخص في أسباب دينية وأسباب سياسية.

أما الأسباب الدينية فتتمثل فيما يلي:

١- محاولة إضعاف الإسلام.

٢- التشكيك في قيمه باثبات فضل اليهودية عليه، وذلك بادعاء أن اليهودية في نظرهم هي مصدر الإسلام الأول.

وأما الأسباب السياسية فتتمثل فيما يلي:

١- خدمة الصهيونية فكرة أولاً ثم دولة ثانياً [(١)].

والمسلم عندما ينظر بعين الواقع فإنه ليس بحاجة إلى دليل لاثبات عداوة اليهود للإسلام ويكفي قول الله تعالى: ﴿لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ [(٢)].

فعداوة اليهود للإسلام واضحة كالشمس، من يومه الأول إلى يومنا هذا، ومكائد اليهود للإسلام متتابعة، وقد وجدوا في مجال الاستشراق باباً ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام وأهله، فدخلوا هذا الباب مستخفين تحت لباس العلم، كما وجدوا في الصهيونية باباً آخر يفرضون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين.

ومن الأدلة الواضحة على صلة الاستشراق باليهودية، وجود عدد من المستشرقين اليهود أمثال المستشرق جولد تسيهر (Goldziher) المجري اليهودي الذي عُرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، فقد كتب عن القرآن والحديث وزعم بأن القرآن حُرّف وبدّل بعد وفاة النبي ﷺ، وأن النبي كان يصاب بالصرع [(٣)].

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث، محمد البهي، ص٥٣٤، ط٦، دار الفكر.

(٢) سورة المائدة، آية ٨٢.

(٣) المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، ص١٦، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

وأمثال المستشرق شاخت (Schacht) الألماني اليهودي الذي تابع أستاذه جولدتسيهر(Goldziher) في الحملة على الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالأسرة والوراثة، حيث ذكر بأنها مستمدة من النظام القبلي الجاهلي [١] .

ومن الأدلة أيضاً ما ذكره الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى من لقاءاته المباشرة لعدد من المستشرقين اليهود في جولته التي طاف بها على أكثر جامعات أوروبا سنة ١٩٥٦م وما جرى بينه وبينهم من أسئلة ومناقشات فيقول: وفي إنكلترا رأينا أن الاستشراق له مكان محترم في جامعات لندن (London)، وأكسفورد (Oxford)، وكمبردج (Cambredg)، وأدنبرة (Adnprh)، وجلاسكو، وغيرها. ويشرف عليه يهود وإنجليز استعماريون ومبشرون، وهم يحرصون على أن تظل مؤلفات جولد تسيهر (Golaziher) ومرجليوث (Margoliouth) ثم شاخت (Schacht) من بعدهما هي المراجع الأصلية لطلاب الاستشراق من الغربيين وللراغبين في حمل شهادة الدكتوراه عندهم من العرب المسلمين وهم لا يوافقون على رسالة لطلب الدكتوراه يكون موضوعها إنصاف الإسلام، وكشف دسائس أولئك المستشرقين [٢] . ثم يقول الدكتور السباعي:

ويلاحظ أن المستشرقين اليهود- أمثال جولدتسيهر (Golaziher) وشاخت (Schacht) هم أشد حرصاً على ادعاء استمداد الإسلام من اليهودية، وتأثيرها فيه، أما المستشرقون المسيحيون فيجرون وراءهم في هذه الدعوى إذ ليس في المسيحية تشريع يستطيعون أن يزعموا تأثر الإسلام به، وأخذه منه، وإنما فيه مبادىء أخلاقية، زعموا أنها أثرت في الإسلام، ودخلت عليه منها، كأن المفروض في الديانات الإلهية أن تتعارض مبادؤها الأخلاقية، وكأن الذي أوحى بدين هو غير الذي أوحى بدين آخر- فتعالى الله عما

---

(١) الاستشراق والمستشرقون، للسباعي، ص٣٨.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ص١٧، ط٢.

يقولون علواً كبيراً[1].

تلاحم الاستشراق والتبشير والاستعمار:

من المؤسف حقاً أن نجد الكنيسة ورجالها، والاستشراق ورجاله يسيرون جنباً إلى جنب مع رجال الاستعمار لمكافحة الإسلام، وحرب مبادئه وإبعاد الناس عنها، ولولا أن الإسلام حق بذاته مؤيد بتأييد الله، محفوظ بحفظه، لم تبق منه بقية تصارع قوى الشرّفي الأرض، التي ما تركت سبيلاً من المكر إلا سلكته، ولا سبباً لإطفاء نوره إلا أخذت به، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين[2].

ومن المؤسف أيضاً أن تتواطأ الكنيسة على حرب الإسلام وأهله وأن تكون جندياً من جنود الاستعمار تباشر الغزو المادي المسلح ليؤدي وظيفته ضد الإسلام وليكون سبيلاً للغزو الفكري، لقد تناست ما قدمه الإسلام إبان عظمته لرعاياها في البلاد المفتوحة في الشام ومصر والأندلس.

جاء في كتاب نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين: «لبث المدجنون عصراً يتمتعون في ظل الحكم الإسباني بامتيازات كثيرة ويعيشون في نوع من الأمن والدعة بعيداً عن عصف الأهواء السياسية والقومية العنيفة، ولكن هذه الحال اخذت في التبدل منذ اتسع نطاق الفتوحات النصرانية في أراضي الأندلس وزاد عدد المدجنين في مختلف المناطق المفتوحة.

وكانت الكنيسة تبغض هذه الطوائف الإسلامية القائمة في قلب المجتمع النصراني وتنقم على المدجنين هذه الدعة، وهذا التسامح، وترى في احتفاظهم بدينهم ولغتهم نوعاً من التحدي المذموم، وتأخذ على ملوك قشتالة وأرجون تسامحهم في معاملتهم، وتسعى جاهدة لتحريضهم على اتباع سياسة الانتقام والعنف إزاء أولئك الرعايا المسالمين من

---

(١) الاستشراق والمستشرقون، للسباعي، ص٢١.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة، للميداني، ص٣، ط١، دار القلم، دمشق، بيروت.

المسلمين، ومنذ أوائل القرن الثالث عشر تتوالى أوامر البابوية وقراراتها ضد المدجنين والحض على استرقاقهم أو تنصيرهم، ومن ذلك ما أمر به البابا أنوسان الرابع في سنة ١٢٤٨م ملك أرجون خايمي الأول من وجوب استرقاق المسلمين في الجزائر الشرقية [(١)].

فالكنيسة ورجالها نسوا أو تناسوا الحياة الكريمة التي كان يتمتع بها النصارى في ظل الحكم الإسلامي، فقد جاء في نفس الكتاب السابق: كان نظائر هؤلاء الأندلسيين المدجنين، جمهرة من النصارى الإسبان يعيشون في القواعد والثغور الإسلامية، ويعرفون بالنصارى المعاهدين، أو المستعربين، وقد لبثوا عصوراً يتمتعون في ظل الحكم الإسلامي بضروب الرعاية والتسامح، وكانت الحكومات الأندلسية حتى في أزهى عصورها تحافظ على سياسة التسامح التي اتبعت ازاءهم، وتقاليدهم القومية وتجانب أية محاولة لإرغامهم على اعتناق الإسلام، وكان من ضروب هذه الرعاية، أن نشأ في ظل حكومة قرطبة منذ عهد الحكم بن هشام ديوان خاص للنظر في شؤون أهل الذمة (النصارى واليهود) يتولاه كبير من الأحبار والنصارى يطلق عليه (قوس أهل الذمة).

ثم يقول: ومع ذلك فقد كانت منهم دائماً طوائف متعصبة تسيء استعمال هذا التسامح وتحاول بمختلف الوسائل أن تكيد للإسلام ودولته، ومن ذلك ما حدث في عهد عبد الرحمن ابن الحكم، (أواسط القرن التاسع الميلادي) من الحوادث الدموية التي أثارها تعصب النصارى [(٢)].

خطط العدو:

ومن هنا تتبلور خطط العدو؛ فهي في جبهات ثلاث: الاستشراق، والتبشير، والاستعمار، ومرجع هذه الجبهات كلها هو الكنيسة، ومعها الصهيونية المعاصرة، ولكل واحدة من هذه الجبهات خططها، ومناهجها، وأساليبها، ومراكزها.

---

(١) نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، محمد عبدالله عنان، ص٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص٥٨.

ولئن كان التبشير قد ظهر قديماً بقدم المسيحية إلا أنه لم يأخذ الطابع العلمي، والتنظيم المنهجي إلا في العصور الحديثة، بعد أن ظهر الاستشراق العلمي الذي اطلع على الثقافة الإسلامية، في مدارس المسلمين في الأندلس وصقليا وغيرهما، فقدم للتبشير العلمي الذي طورته، وتقدمت بوسائله تقدماً كبيراً. وقد ظهر أن هذه الجبهات الثلاث متظافرة متعاونة، فالاستعمار يحمي الاستشراق الذي درس له المجتمعات الإسلامية، ليمهد له استعمارها واحتلالها.

والتبشير: يمهد للاستعمار ويدفعه إلى الاحتلال.

والاستعمار يحمي التبشير ويمده بالمال، والعتاد، وهكذا يتعاون الجميع يداً واحدة على ضرب الإسلام والمسلمين.

وقفة مع المستشرقين:

نقول لأولئك المستشرقين اقبلوا على دراسة الرسلام وتوجيه الانتقادات له. هلا بدأتم بأنفسكم قبل أن تبدأو بغيركم، وهلا درستم دينكم على النحو الذي درستم به الإسلام.

لقد بحثتم في أصل الإسلام والسنة، والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية، ... إلخ، وكان منكم من قال: أن القرآن من صنع البشر والسنة من وضع الصحابة، وعالمية الإسلام من صنع محمد وأصحابه، والفقه الإسلامي مسروق من القانون الروماني.

فهلا وجهتم دراساتكم في هذا المحيط، وبهذا الاجتهاد إلى دينكم فبحثتم في مصادره، وعقيدته، وتوراته، وأناجيله، ومؤلفيها ثم بعد فراغكم من هذه البحوث تتوجهون إلى بحث الأديان الأخرى فتكونون منطقيين مع أنفسكم وفي أبحاثكم، وهذا هو الأجدر بكم إن كنتم تطلبون العلم لذاته.

ثم نقول لكم: أين سند التوراة، وأين سند الأناجيل، ومن هم أصحابها؟

الفصل الثالث

المبحث الأول

أساليب الاستشـــــــــراق

اتخذ المستشرقون وسائل متعددة تسهّل لهم القيام بأداء مهمتهم منها:

أولا: إنشاء المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة بادوي. كما أن الأديرة قامت بتدريس المؤلفات العربية المترجمة إلى اللاتينية وكانت مهمتها تخريج عدد كبير من المتخصصين في الدراسات الإسلامية والشرقية. وبعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق اهتمت مدارس الاستشراق بدراسة جميع ديانات الشرق، وعاداته وتقاليده وحضاراته، وجغرافيته، وأشهر لغاته، وإن كانت العناية بالإسلام، والآداب العربية، والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم.

وقد أحضرت المخطوطات العربية إلى هذه المدارس من جميع أنحاء البلاد العربية والإسلامية، وكانت فترة الخمول والكسل والضعف التي مر بها العالم الإسلامي تجعل الحصول على هذه المخطوطات النادرة ميسوراً وسهلاً [(١)].

ثانيـــاً: تأسيس المطابع الشرقية في بلدان الشرق والغرب، وقد استوعبت مطبعة ليدن وحدها حروف عشرين لغة شرقية، ثم تعددت مطابع الجامعات والمكتبات، والجمعيات، والمراكز الثقافية والعلمية والأثرية، وقد ساعد على نشر كتبهم تحمل جمعياتهم ومعاهدهم ومجلاتهم، وريع مؤساتهم نفقات طبعها [(٢)].

ثالثـــاً: إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه، فهي تزيد على

---

(١) الإسلام والمستشرقون، محمد الدسوقي، ص٣٣-٣٤.

(٢) المستشرقون، نجيب العقيقي، ج٣، ١١٤٦.

ثلاثمائة مجلة متنوعة خاصة بالاستشراق وهي منشورة بمختلف اللغات [١] .

وكانوا يراعون في مجلاتهم جمال الإخراج، وجودة الطباعة لتجذب الأنظار إليها، وتسترعي الانتباه، وكان تسلط الغرب العسكري قد فرض على الشرق الثقافة الغربية فأصبح لهذه الدوريات مكانتها الملحوظة وأثرها البارز في عالم التربية والثقافة، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كتبوا الأبحاث العديدة عن كل ما يتصل بالشرق وبذلوا فيها الوقت والمال.

وكان الهدف من هذه الكتابات صرف أنظار المسلمين عن تراثهم والاتجاه نحو هذه الدراسات والاعتماد عليها في معرفة تاريخ المسلمين وعقائدهم حتى تنسلخ بمضي الزمن من تاريخها وعقائدها وتصبح الأجيال غريبة روحاً وفكراً، وإن بقوا شرقيين وطناً ولساناً.

وعن طريق هذه الأبحاث دخلوا في مجال التعليم الجامعي وصار منهم أساتذة نستقدمهم وننفق عليهم الأموال الطائلة، كما تمكنوا من دخول المجامع العلمية اللغوية [٢] .

رابعاً: تأسيس المراكز الاستشراقية التي تنظم المستشرقين وأعمالهم ومنذ أكثر من مائة وعشرين عاماً وجدت الجمعية الاستشراقية التي أسسها البارون الفرنسي ديساس (Sacy. S. de) سنة ١٨٢٢م وتسمى الجمعية الآسيوية. وقد قامت هذه الجمعية بإصدار النشرات والمجلات، واختلف إليها العلماء من كل صوب.

ويجد ممثلوا الدراسات العربية والإسلامية مجالاً آخر لنشر مقالاتهم ودراساتهم الصغيرة في مجلتين أخريين هما مجلة العالم الإسلامي ومجلة الإسلام [٣] .

أما مجلة العالم الإسلامي فهي أخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر أنشأها صمويل أزويمر (Zewemer) سنة ١٩١١م وتصدر الآن من

---

(١) نفس المرجع، ج٣/١١٤٨؛ الاستشراق والمستشرقون، للسباعي، ص٢٦.

(٢) الاسلام والمستشرقون، محمد الدسوقي، ص٣٤.

(٣) المستشرقون، للعقيقي، ج١/١٨٠.

هاردفورد (Hartford) بأمريكا ورئيس تحريرها كينت كراج (K. Crajj) وطابع هذه المجلة تبشيري سافر[1].

وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة العالم الإسلامي في روحها واتجاهها العدائي والتبشيري واسمها أيضاً (Lemond my Salman)[2].

ويصدر المستشرقون أيضاً مجلة شؤون الشرق الأوسط وكذلك مجلة الشرق الأوسط وطابعها سياسي[3]، وغير هذه المجلات كثيراً[4].

خامساً: عقد المؤتمرات للتباحث في شؤونهم ورسم الخطط، وقد بلغت مؤتمرات المستشرقين الدولية من عام ١٨٧٣- ١٩٦٤م ستة وعشرين مؤتمراً ضم الواحد منها مئات العلماء من أعلام المستشرقين والعرب والمسلمين الشرقيين من آسيا وأفريقيا وتناولوا الأبحاث والنظريات والمقترحات ثم نشروها في مجلدات للاهتداء بها كنظم ومناهج ووسائل ثم أصبحت دراسات مؤتمراتهم الموضوعية والاقليمية أصولاً وأمهات للباحثين[5].

وعندما رأى المستشرقون الوعي الديني عند المسلمين أضافوا على مؤتمراتهم صبغة البحث الأكاديمي ليبعدوا عنها الشبهات فكانوا يدعون إلى هذه المؤتمرات بعض

---

(١) الاستشراق والمستشرقون، السباعي، ص٢٩، ط١.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث، محمد البهي، ص٢٣٦.

(٣) نفس المرجع السابق، ص٥٣٦.

(٤) راجع الاستشراق والمستشرقون، للسباعي، ص٢٨؛ الفكر الإسلامي الحديث، محمد البهي، ص٥٣٥، ٥٣٦.

(٥) مذكرة عن الاستشراق، أبو المجد سيد نوفل، ص٧٢، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

الشخصيات البارزة في الدراسات الإسلامية ليتحدثوا في بعض المسائل، وليكون ذلك أيضاً مظهراً من مظاهر الاخلاص في العمل، من أجل الحفاظ على التراث العلمي دون نظر إلى مصلحة اقليمية أو اهتمام بنزعة تعصبية، وللأسف كانت تنطلي هذه الخدعة على الكثيرين[1].

سادساً: إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية وقد كان يدعى إلى هذه المحاضرات إلى الجامعات العربية والإسلامية أشد المستشرقين عداء للإسلام فيلقون بحوثهم التي تحتوي على السم الناقع، والأفكار المسمومة ضد الإسلام، يقول الشيخ أبو علي المودودي: هذا من تقلبات الدهر، وعجائب أمره، لقد مر على المسيحيين في أوروبا حين من الدهر كانوا يشدون فيه الرحال إلى الأندلس، ليتعلموا كتابهم المقدس -التوراة- من علماء المسلمين، أما الآن فقد انقلب الأمر رأساً على عقب حيث أصبح المسلمون وآسفاه - يرجعون إلى أهل الغرب (أوروبا وأمريكيا) يسألونهم: ما هو الإسلام؟ وما هي حضارته؟ ليس هذا فقط بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم، ويستوردونهم لتدريس التاريخ الإسلامي، وكل ما يكتبونه عن الإسلام والمسلمين لا يجعلونه مادة للدراسة في كلياتهم وجامعاتهم فقط، ولكن يؤمنون به إيماناً راسخاً مع أنهم -أعني أهل الغرب- قوم لا يسمحون لأحد إذا لم يكن من اتباع دينهم بأن يتدخل فيما يتعلق بدينهم وتاريخهم ولا في أتفه الأمور.

لقد نشر اليهود موسوعتهم (Jewish Encyclopaedie) وما فيها مقال واحد (Article) كتبه أحد المسيحيين فضلاً عن أن يكتبه أحد من المسلمين وقد قاموا أنفسهم بترجمة التوراة ويربأون عن أن يمسوا الترجمة المسيحية وعلى العكس من هذا فأن

---

(١) الإسلام والمستشرقون، محمد الدسوقي، ص٣٤، ط/١٣٨٢-١٩٦٢.

علمائهم يكتبون الكتب والمقالات عن الإسلام، ويتلقاها المسلمون بكل ترحيب [(١)].

سابعاً: إنشاء الموسوعات العلمية (دوائر المعارف الإسلامية) أصدر المستشرقون دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات، وقد بدأ بترجمة الطبعة الأولى إلى العربية، وصدر منها حتى الآن ثلاثة عشر مجلداً، وتتسم هذه الموسوعة التي وضعها أشد الناس عداء للإسلام بأنها مليئة بالأباطيل المدسوسة على الإسلام ومما يندي له الجبين أن يتخذها أبناء الإسلام مرجعاً علمياً، وهذا يدل على جهل أبناء المسلمين بالثقافة الإسلامية [(٢)].

ثامناً: اعتماد المستشرقين على الإرساليات التبشيرية في العالم الإسلامي والتي تقوم بتقديم الخدمات الإنسانية في الظاهر، كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجيء والمياتم... إلخ. حيث تمد هذه الإرساليات بالخبراء من المستشرقين، وتُدْعم بما تحتاجه من جهود عن طريقهم.

تاسعاً: تأليف الكتب عن الإسلام والرسول والقرآن والتاريخ الإسلامي، وحشوها بالتحريف المتعمد في نقل النصوص، وفي فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها.

وفي الختام أود الإشارة إلى أن الأبحاث التي ألفها المستشرقون والتي يظهر للقاريء منها الثناء على الإسلام، والإشادة بتعاليمه وأثارت هالات المدح والاطراء فإن مديحهم هذا ما هو إلا جزء من هذا المخطط الذي يدعو للتقارب والتفاعل بين حضارتنا وحضارة الغرب، وما هذا الأسلوب إلا دسيسة ومكر ومخادعة، فبعد أن فشل أسلوب الهجوم المباشر على الأفكار الإسلامية النيرة وظهر عواره وانكشف أمره للمسلمين، كان يقابل هذا الأسلوب الهجومي من جانب المسلمين بهجوم مضاد كاسح، وتزييف للقيم الغربية، وسخرية بأنظمتها الفاشلة الخاطئة الباطلة. وبعد فشل هذا الأسلوب ابتكر المستشرقون

---

(١) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، أبو علي المودودي، ص٢٧١، ط٥، ١٩٨٣، دار القلم.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ص٥٣٦، ط١٩٧٣/٦، دار الفكر، بيروت.

لوناً جديداً من ألوان الصراع، وهو محاولة التوادد والإشادة بالإسلام وأحكامه، التماساً لكسب ثقة المسلمين في بحوثهم، ووصولاً لامتصاص مشاعرهم وعواطفهم وكسبها لصالحهم.

والمسلم عندما يرى هذا الأسلوب من المستشرقين تثور في نفسه أحاسيس المودة والائتلاف تجاهه، وتنشط فيه عوامل الاقبال على قراءة كل ما يكتبه المستشرقون فتكون بحوثهم مستساغة لدى المسلمين ومحببة لنفوسهم، فيأخذونها على أنها حق واعتراف بالواقع وهم لا يدرون أن المستشرق إذا أورد في بحثه سطراً، أو عبارة تمجيد بالإسلام فإنه قد دس في ثنايا هذا البحث أوراقاً وصفحات وأكداساً من الطعن والهجوم المباشر وغير المباشر.

وما هذا الاعتراف بعظمة الإسلام من جانب المستشرقين إلا تغيير في الأسلوب والطريقة، وانتقال من الهجوم إلى التصافح لتحقيق غاية عجز عن تحقيقها في الأسلوب القديم. لأنهم لو كانوا صادقين في مدحهم لآمنوا بالإسلام باعتباره المبدأ الحق، والنظام الأمثل لسعادة الإنسان.

ومن هنا وجب على المسلمين أن يكونوا على حذر من أبحاث المستشرقين وأن يدركوا أبعاد هذه المناورة ومداها وعمقها، وما تتركه من أثر سلبي على الحضارة والأفكار الإسلامية. وأن يدركوا أن تمجيدهم بالإسلام يقصد به خلق جو من الثقة والاطمئنان إلى نزاهة الفكر الغربي [(١)].

---

(١) ماذا عن المستشرقين، بدر الهلالي، ص١٠٣، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٢٣٠ صفر ١٤٠٤، السنة العشرون.

المبحث الثاني

أهداف الاستشراق والمستشرقين

الاستشراق ميدان واسع للارجاف والتشكيك، فالهجوم على الإسلام وآدابه وحضارته والتمهيد للاستعمار هدفان أساسيان للمستشرقين.

ودراسات المستشرقين المتنوعة تظهر أهدافهم حيث أنهم يعملون على إضعاف مُثل الإسلام وقيمه العليا من جانب، وإثبات تفوق المُثل الغربية وعظمتها من جانب آخر، وإظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر [1].

يقول محمد أسد: «وإذا نظرنا إلى المستشرقين الأوروبيين أثناء دراستهم للأديان والحضارات الأخرى -غير الإسلامية- نرى أن دراستهم تتصف بالرصانة والاتزان وفي بعض الأحيان بالتقدير والإجلال، بينما نرى الموازين تنقلب عند دراستهم للإسلام، فهم يتنكرون عند بحثهم لهذا المنهج فتسيطر عليهم المحاباة العاطفية، فتضطرب وتختل موازينهم وتجانب الحق وتبعد عن الصواب [2].

وإذا أردنا أن نفسر ظاهرة هذا الحقد من العالم الغربي نحو العالم الإسلامي، فإن هذه الظاهرة ترجع إلى خبرات سابقة عميقة الجذور في الفكر الأوروبي، فهي تعود إلى فترة الحروب الصليبية والقرن الذي سبقها مباشرة.

ولما أدرك المستشرقون أن بقاء القرآن مصدر قوة وتوجيه للمسلمين فيه الحكم الصارم بفشل جميع جهودهم، ونشاطاتهم التخريبية، لذلك صوبوا إليه سهامهم، وثنّوا برسول الإسلام ﷺ، ثم عرّجوا على خلفائه الراشدين، والتاريخ الإسلامي كله.

وكان هدف المستشرقين من كتاباتهم التي دارت حول الإسلام وكتابه ورسوله وخلفائه كما ذكر بارت (Parth) إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين

---

(١) معالم في الثقافة الإسلامية،، عبد الكريم زيدان، ص٩٩، مؤسسة الرسالة، ط١٩٨٢.

(٢) الطريق إلى مكة، محمد أسد، ص٢٠، ط١، بيروت، ١٩٥٦، ترجمة عفيف البعلبكي.

المسيحي، ومن هنا كانت دراسة المستشرقين للإسلام في أغلبها غير مخلصة ولا نزيهة، ولا علمية موضوعية، وإنما كانت رغبة في التشفي والانتقام من الإسلام وكتابه ورسوله [1].

جهود المستشرقين في محاربة الإسلام

سأعرض فيما يلي جهود الاستشراق المختلفة في محاربة الإسلام، والتشويش على دعوته، وأبين أهدافه من وراء هذه العداوة الشديدة.

أولاً: محاربة الإسلام بسلاح العلم، والتشويش على دعوته بإلقاء الأباطيل والمفتريات في ساحة شريعته الغراء.

يتخذ الاستشراق العلم وسيلة للتشويش على الدعوة الإسلامية ويتستر وراء البحث العلمي ويختلق الأباطيل ويلقي بها في ساحة شريعته الغراء. ويعمل من جانب آخر على تضليل شباب المسلمين الذين يتتلمذون على أساتذته ويعملون على إقناعهم بآرائهم الفاسدة الخبيثة ليشركوهم معهم في الإساءة إلى الإسلام دون وعي.

وكتابات المستشرقين عن الإسلام ورسوله وكتابه تفضح الحقد الدفين الكامن في قلوبهم وسنذكر ذلك في الباب الثاني والثالث من هذا الكتاب.

وقد ركز المستشرقون أيضاً على السنة النبوية، وعلى الفقه الإسلامي، واللغة العربية، وعملوا جاهدين للنيل منها، وفيما يلي عرض لموقف المستشرقين من ذلك.

١- موقف المستشرقين من السنة:

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وموقف المستشرقين من السنة هو موقفهم من القرآن الكريم.

وتتركز مطاعن المستشرقين في السنة على ما يلي:

١- تأخر تدوين السنة أعطى فرصة للمسلمين ليزيدوا وينقصوا في الحديث، وفي وضع أحاديث لخدمة أغراضهم.

---

(١) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص١١، ط/٣/١٩٧٥م، مطبوعات الشعب.

وممن قال بهذا القول المستشرق جولد تسيهر (Goldziher)، ودوزي (Dozy)، وسبرنقر (Sprenger)، وقد شك جولد تسهير (Goldziher) في صحة وجود صحف كثيرة في عهد الرسول ﷺ، ويرمي من وراء ذلك إلى:

أ- إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور.

ب- وصم السنة كلها بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين، ويزعم أن هؤلاء- المدونين لم يجمعوا من الأحاديث إلا ما يوافق هواهم، ويرى سبرنقر (Sprenger) في كتابه (الحديث عند العرب) أن الشروع في التدوين وقع في القرن الهجري الثاني، وأن السنة انتقلت بطريق المشافهة، وأما المستشرق دوزي(Dozy) فهو ينكر نسبة هاته (التركة المجهولة) من الأحاديث إلى الرسول ﷺ [١] .

وانقل فيما يلي قولاً للمستشرق اليهودي المجري الذي يعتبر من أخطر المستشرقين وأكثرهم خبثاً في مجال السنة، وتعتبر كتبه مراجع علمية خصبة لمن جاء بعده من المستشرقين.

يقول جولد تسهير (Goldziher) :

إن القسم الأكبر من الحديث ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة للإسلام في عهده الأول، عهد الطفولة ولكنه أثر من آثار جهود المسلمين في عصر النضوج [٢] فكيف يصدق هذا القول، مع أن الثابت الصحيح أن النبي ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد كمال الدين، وأكبر شاهد على ذلك قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ [٣].

وقد اتهم هذا المستشرق الزهري بوضع الأحاديث لصالح البيت الأموي [٤] .

إن الذي دفع المستشرقون للطعن في السنة النبوية، وهو ما رأوه فيها ثروة فكرية وتشريعية مدهشة، وهم لا يعتقدون بنبوة الرسول ﷺ، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله عن محمد الأمي بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى.

---

(١) الإسلام في وجه التغريب، مخططات الاستشراق والتبشير، أنور الجندي، ص٣٥٥.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع، للسباعي، ص١٩٠، ط٢، ١٣٩٨-١٩٧٨، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٣) سورة المائدة، آية ٣.

(٤) راجع ما كتبه السباعي، السنة ومكانتها، ص١٩٢، ط٢.

٢- موقفهم من الفقه الإسلامي: أدرك المستشرقون عظمة الفقه الإسلامي وما فيه من ثروة علمية هائلة لم تجتمع لأمة من الأمم، لذلك اجتهدوا لإلصاق التهم بها، فزعموا بأنها مستمدة من الفقه الروماني.

وللرد على هذه التهمة الباطلة نقول الفقه الإسلامي مستقل بذاته وليس مستمداً من أي فقه آخر وعلامات ذلك:

أ- الشريعة الإسلامية لا تفرق بين الروح والجسد، لأن الإنسان مركب منهما بخلاف القانون الروماني الذي يراعي الجسد دون الروح.

ب- الفقه الإسلامي مقسم على أساس العبادات والمعاملات والعقوبات بينما القانون الروماني مقسم على أساس الأشخاص والخصومات.

جـ- الفقه الإسلامي مستمد من كلام الله تعالى وأما القانون الروماني فمستمد من مشيئة الإنسان.

د- خلاصة الفقه الإسلامي (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بينما القانون الروماني مبني على أوامر رئيس الحكومة أو العرف العام.

هـ- الفقه الروماني يهمل المسائل العمومية كالأمور الدستورية، وأحكام القانون الدولية لأنها من أمور السياسة، بينما الإمام عند فقهاء المسلمين هو إمام صلاة الجماعة كما هو إمام دولة المسلمين.

و- الفقه الإسلامي رتب العقوبة على القتل والزنى، والسرقة، والقذف، وشرب الخمر، وهي من أعمال ليست محرمة عند الرومانيين ومن هنا فلا عقوبة عليها [(١)].

ومن المستشرقين الذين قالوا بتأثر الشريعة الإسلامية بالفقه الروماني المستشرق جولدتسهير (Goldziher)، والمستشرق فون كريمر (Von Krymar)، والمستشرق شيلدون أموس (Scheeldon Amous) الذي يقول:

(١) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عبد الكريم الخطيب، ص٧٣-٧٤، ط٦؛ الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندي، ص٣٦١.

«إن القانون المحمدي ليس سوى قانون جستنيان في لباس عربي» ويقول أيضاً: «إن الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للامبراطورية الشرقية معدلاً وفق الأحوال السياسية في الممتلكات العربية»[1].

ويستدل هؤلاء المستشرقين على مزاعمهم بما يلي:

١- أن النبي ﷺ كان على معرفة واسعة بالقانون الروماني.

٢- تعرف فقهاء المسلمين على آراء فقهاء مدارس القانون الروماني.

٣- تشابه النظم القانونية والأحكام والقواعد الموجودة في الشريعة والقانون الروماني[2].

الشبهة الأولى: قولهم إن النبي ﷺ كان على معرفة واسعة بالقانون الروماني هذه الفرية باطلة من عدة وجوه:

الأول: إن النبي كان ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب قال الله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[3].

أي هو جل وعلا برحمته وحكمته الذي بعث في العرب رسولاً من جملتهم أمياً مثلهم لا يقرأ ولا يكتب: قال المفسرون[4] سمي العرب أميين لأنهم لا يقرأون ولا يكتبون فقد اشتهرت فيهم الأمية كما قال عليه الصلاة والسلام: «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»[4] وأما قولهم بأن النبي ﷺ اطلع على القانون الروماني في رحلتيه إلى بلاد الشام فهذا قول

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، ص١٠٧؛ المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عبد الكريم الخطيب، ص٧٤.

(٢) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عبد الكريم الخطيب، ص٧٤.

(٣) سورة الجمعة، آية ٢.

(٤) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج٣/٣٧٨، ط٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصيام الفتح، ج٤/٢٨، الطبعة المصرية.

باطل لما يلي:

أولاً: الرحلة الأولى: كانت مع عمه أبي طالب وهو في التاسعة من عمره. والرحلة الثانية: فقد كان سنه حين ذاك خمساً وعشرين سنة ولم يرافقه فيها إلا عرب خلص، ولم يخالط أحدا من علماء القانون الروماني حتى يأخذ عنهم. فضلاً عن أنه لم يكن هناك أي سبب يدعو الحكام الرومان أو أحد علمائهم لتعليم محمد قواعد القانون الروماني [(١)] .

الشبهة الثانية: قولهم «إن علماء الإسلام تعرفوا على آراء فقهاء الرومان»

وهو قول باطل من وجوه:

١- إن مدارس الرومان كانت قد ألغيت بقرار امبراطوري في ١٦ ديسمبر سنة ٥٣٣م وما بقي من هذه المدارس في روما والقسطنطينية لم يكن له تأثير على المسلمين، وأما مدرسة بيروت فقد انتهى أمرها قبل الفتح الإسلامي بثلاثة أرباع القرن [(٢)] .

الشبهة الثالثة: قولهم بالتشابه بين الفقه الإسلامي والقانون الروماني سنرد عليه بأن التشابه لا يعني بالضرورة التأثر، فقد يكون ناتج من تشابه الظروف الاجتماعية.

وعلى كل حال فبالرغم من وجود بعض التشابه في الظاهر، إلا إن هناك اختلافات كثيرة وجوهرية بينهما، فمصدر الفقه الإسلامي من عند الله، ومصدر القانون الروماني العقل البشري، لذلك فلا اتصال بينهما بحال من الأحوال.

يقول العالم الفرنسي زيس (Zeys) بحق إني أشعر حينما أقرأ في كتب الفقه الإسلامي أني قد نسيت كل ما أعرفه عن القانون الروماني... وأصبحت أعتقد أن الصلة منقطعة بين الشريعة الإسلامية وبين هذا القانون فبينما يعتمد قانوننا على العقل البشري، تقوم الشريعة على الوحي الإلهي، فكيف يتصور التوفيق بين نظامين قانونين وصلا إلى هذه الدرجة من الاختلاف [(٣)] .

---

(١) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عبد الكريم الخطيب، ص٧٦.

(٢) نفس المرجع السابق، ص١٠٨؛ كتاب المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص٧٦.

(٣) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، ص٨٨، ط٦، مؤسسة الرسالة؛ بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني، صوفي حسن أبو طالب، ص١٠٩.

إن هذا العالم يشير إلى أن الخلاف جوهري بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني.

فالشريعة الإسلامية تقوم على أساس الوحي الإلهي، حيث إنها بدأت كتاباً ربانياً منزلا من عند الله، ونمت وازدهرت عن طريق القياس المنطقي والأحكام الموضوعية، بينما القانون الروماني يقوم على أساس القوانين الوضعية وقد بدأ هذا القانون عادات ونما وازدهر عن طريق الدعوى والاجراءات الشكلية.

وبعد هذا العرض لموقف المستشرقين من الإسلام فإننا نتوصل إلى نتيجة هامة وهي أن المستشرقين يكتبون بروح التعصب والتقليد الأعمى لأسلافهم، وبروح العداء التي تربوا عليها، ونشأوا في جوها، ومن هنا فيجب على العاقل أن يقابل ما يكتبونه عن الإسلام بما يستحقه من الاستهجان والرفض، لأنه لا يقوم على أساس علمي، وإنما يقوم على أساس قوله تعالى: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [1].

وليس غريباً أن يبلغ الحقد بهؤلاء أن يلقنوا أطفالهم العداوة للإسلام حتى في الأناشيد التي تعلم لصغارهم في المدارس، وهاك مثلاً منها: في إحدى الأناشيد الإيطالية:

«إني ذاهب يا أمي إلى الجهاد لمحو القرآن، وإذا مت فلا تحزني عليّ وإن سئلت عن السبب في عدم حدادك علي فقولي -وأنت فرحة- لقد استشهد في سبيل القضاء على الإسلام» [2].

---

(١) سورة التوبة، آية ٣٢.

(٢) التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبي ﷺ، محمد عزت الطهطاوي، ص٤٨؛ قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، ص١٠-١١، ط٨؛ أساليب الغزو الفكري، علي جريشه وزميله، ص٣٥-٣٦.

٣- موقفهم من اللغة العربية:

التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، والهدف من ذلك: أن تبقى أمة الإسلام عالة على مصطلحات الغربيين وبذلك تشعر هذه الأمة بفضل الغربيين وسلطانهم الأدبي.

وملخص شبهتهم:

أن اللغة العربية الفصحى لم تعد صالحة اليوم، وبدلاً منها يجب أن تستخدم العامية، واللهجات الدارجة، كما يجب أن تستخدم الحروف اللاتينية عوضاً عن الأحرف العربية.

كما أنهم يتهمونها بالعجز عن مسايرة ركب الحضارة الحديثة ويزعمون أن اللغة العربية تعجز بقاموسها اللغوي عن حمل العلوم والفنون التي جاء بها العصر الحديث.

ويقولون أن التخلف الذي أصاب المجتمع الإسلامي، سببه قصور اللغة وعجزها عن نقل ما جاءت به العقول والقرائح عند الأمم الغربية، ومن هنا يجب على أهل العربية أن يتركوا هذه اللغة ويبحثوا عن لغة غيرها .

هذه فرية باطلة لما يلي:

١- تعتبر اللغة العربية من أوسع اللغات وأقدرها على توليد الألفاظ الجديدة، والدليل على ذلك أنها استوعبت بألفاظها كل ما وجدته من حضارات الأمم السابقة.

كما أنها مدت ذراعيها إلى حضارتي اليونان والرومان فترجمت كلما أنتجته عقول حكمائها وعلمائها، مما كان له الأثر البعيد في حياة أوروبا، كما أن أثر اللغة العربية كان واضحاً في تنوير أوروبا، وإخراجها من ظلام العصور الوسطى وإدخالها إلى هذا العصر الحديث وما فيه من حضارة وازدهار.

وبعد هذا فلا يعقل أن تعجز اللغة العربية عن نقل العلوم والفنون التي جاء بها العصر[1] .

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية، الاستشراق وجهوده وأهدافه، عبد المنعم حسنين، ص٩٤، العدد الثاني/ السنة العاشرة رمضان ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ثم بعد ذلك تلقف المستشرقون دعوة المبشرين إلى اللهجة العامية... فقام المستشرق الفرنسي كولان (Colin) بالدعوة إلى العامية[1] . وقد قامت دعوة المستشرقين على أن لغة القرآن الفصحى، لا تساير حاجات العصر فيجب أن تعم اللغة العامية، حتى تصبح لغة الصحف والمؤلفات، وقد ساعد المستشرقين في هذه الناحية حكومات الاحتلال وشجعت عليه، ثم قامت بعد ذلك الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، حتى قدم أحد مشاهير مصر وهو عبد العزيز فهمي باشا سنة ١٩٤٣ اقتراحاً بذلك إلى المجمع العلمي المصري، قال فيه:

«لقد فكرت في هذا الموضوع منذ زمن طويل فلم يهدني التفكير إلا في طريقة واحدة وهي اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات بدل حروفنا العربية كما فعلت تركيا».

ومن أشهر المستشرقين الذين دعوا إلى إهمال الحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية المستشرق لويس ماسنيون (Massignon L.) [2]، وقد دعا إلى إهمال الإعراب، من أجل تيسير تعلم اللغة العربية لغير أبنائها.

كما دعى المستشرق مرجليوث (Margoliouth) الإيرانيين إلى استبدال الحروف العربية بحروف لاتينية [3].

والآن نستعرض شبهات المستشرقين حول اللغة العربية لنقف على حقيقتها ونظهر الأهداف التي تنطوي عليها كل دعوة.

أ- دعوتهم إلى استعمال اللغة العامية بدل الفصحى باطلة لما يلي:

---

(١) اللغة العربية بين حماتها وخصومها، أنور الجندي، ص١١٨ وما بعدها، مطبعة الرسالة، مصر.

(٢) معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، ص١٠٠، مؤسسة الرسالة؛ اللغة العربية بين حماتها وخصومها، أنور الجندي، ص١٢٧ وما بعدها.

(٣) نفس المرجع، ص١٨.

١- لو صح الأخذ بها لكان لكل مجتمع من المجتمعات العربية عشرات اللغات.

٢- وضوح اللغة الفصحى، وفهم الناس لها بكل بساطة، فالعامة عندما يسمعون القرآن يفهمون ألفاظه، وما تحمله من أوامر ونواهي ومواعظ.

وأما العامية فمجالها محدود وضيق، كما أنها تختلف من قطر إلى قطر، مع صعوبة فهمها من قبل الناس.

٣- العامية تشويه محلي يعتري كل لغة في العالم، وهو ما يسمونه لهجة، واللهجات متفاوتة في كل أمة، وفي كل بلد فئة لهجة يستعملون.

الهدف من هذه الدعوة:

يهدف المستشرقون من دعوتهم هذه أموراً منها:

١- حرب الإسلام، لأن اللغة الفصحى هي لغة القرآن الكريم، الذي يقوم عليه الإسلام، والقرآن هو الرباط الوثيق بين الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها. فقطع الصلة باللغة العربية قطع للصلة بالقرآن.

٢- انحلال العالم العربي وتشتيت شمل الشعوب الإسلامية التي تنطق بلغة القرآن.

ب- دعوتهم إلى ترك الحروف العربية واستبدالها بحروف لاتينية.

وقد حمل لواء هذه الدعوة كل من المستشرق ماسنيون (Massignon) والمستشرق بنيار (Pnyar) رئيس البعثة العلمانية في الشرق.

وقد أقاموا دليلاً على دعوتهم هذه: أن عملية الطباعة بالحروف العربية شاقة وبطيئة لأن لكل حرف صوراً عديدة بحسب موقع الحرف في الكلمة. أما كتابة الكلمات العربية بالحروف اللاتينية فإنها لا تحتاج إلى جهد ووقت لأن الحروف اللاتينية تكتب متفرقة على صورة واحدة مهما اختلف موقع الحرف في الكلمة [(١)].

---

(١) الاستشراق وجهوده وأهدافه، عبد المنعم محمد حسنين، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثاني، السنة العاشرة، ص٩٣؛ اللغة العربية بين حماتها وخصومها، ص١٢٣.

أهداف هذه الدعوة:

١- قطع الصلة بيننا وبين تراثنا القديم إذا طال الزمن على استعمال الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية.

٢- القضاء على المكتبة العربية التي تضم التراث الإسلامي.

٣- إضعاف اللغة العربية لغة القرآن.

٤- حرب الإسلام، والتشويش على دعوته.

٥- القضاء على أحد عوامل الوحدة داخل المجتمع العربي.

الرد على هذه الفرية:

لبيان هذه الفرية نقول:

١- إن اللغة العربية تشتمل على حروف لا نظير لها في الحروف اللاتينية، مثل (التاء، والحاء، والطاء، والعين، والقاف) فهذه حروف لا تنطق نطقاً سليماً باللاتينية فكيف نعمل بهذه الحروف [(١)].

إن تضييع هذه الحروف تضييع لجزء عظيم من اللغة العربية إذا لم نقل أنه تضييع للغة برمتها.

موقف المستشرقين من هذه الدعوة:

لقد عارض بعض المستشرقين هذه الدعوة وبين بطلانها منهم المستشرق الإيطالي كارل نلينو (Carlo Nallino) حيث قال:

«إن الحروف اللاتينية لا تصلح لكتابة اللغة العربية، وإذا كان الترك قد اختاروا هذه الحروف في انقلابهم الأخير فذلك لحاجة الكتابة التركية إليها، دون الكتابة العربية التي تحفظ بحروفها الآن كنوز العلوم والآداب ووحدة اللغة على الرغم من اختلاف اللهجات [(٢)].

وقد عارض هذه الدعوة أيضاً بعض المفكرين والكتّاب منهم عبد الوهاب عزام،

---

(١) اللغة العربية بين حماتها وخصومها، أنور الجندي، ص٥.

(٢) نفس المرجع، ص١٢٥.

وإسعاف النشاشيبي، وعباس محمود العقاد، ومحمد كرد علي، ومحمود محمد شاكر [1] .

ج- دعوة المستشرقين إلى ترك الإعراب:

قامت بالسنوات الأخيرة دعوة إلى ترك الإعراب، وتسكين أواخر الكلمات العربية تسكيناً لازماً في جميع الأحوال، فلا رفع ولا نصب ولا جر لأية كلمة، بل تلزم الكلمات جميعها السكون شأنها في ذلك شأن اللغات الأوروبية، وبهذا يأمن الإنسان الخطأ، ويسهل على الناشئة تعلم اللغة التي يقف النحو حائلاً بينهم وبينها [2] .

ويمكن حصر الهدف من هذه الدعوة بما يلي:

أ- العمل على هدم اللغة العربية من أساسها.

ب- محاربة الإسلام إذ كيف يقرأ كتاب الله جلا وعلا، وتقرأ أحاديث رسوله ﷺ من غير إعراب.

الرد على هذه التهمة:

هذه دعوة باطلة لما يلي:

أولاً: الإعراب هو أعظم مميزات اللغة العربية عن اللغات الأخرى، وبالإعراب كانت اللغة الوحيدة التي حملت كلماتها المعجزة التي عجز الإنس والجن عن تحديها، وبهذا استحقت هذا الوصف الكريم من الله سبحانه: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ [3] .

ثانياً: تحويل المسلمين عن دينهم وإشاعة البلبلة الاعتقادية والفكرية في صفوفهم، وذلك عن طريق محاولة إغراقهم بالتيارات الفكرية المضللة من أجل محاربة الإسلام والتشويش على دعوته.

---

(١) نفس المرجع، ص١٢٧.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، عبد الكريم الخطيب، ص١٠٧، دار الكتاب العربي.

(٣) سورة الشعراء، آية ١٩٣-١٩٥.

من هذه التيارات:

أ- المــادية: وهي فكرة تقوم على إنكار المشاعر الإنسانية التي يعمل الدين على غرسـها وتنميتها في النفوس من المودة والرحمة والعطف والإيثار، وتعمل على خلع الإنسان من كل مقررات التوحيد.

كما أنها تستهدف تحطيم القيم التي قدمتها الأديان للأمم والبشرية وخاصة في مجال العقائد والأخلاق، فهي تدعو إلى التحرر الكامل من كل قيد، وإسقاط كل تكليف، وضرب الحدود التي وضعتها الأديان للبشرية، حتى تستطيع أن تؤمن مسيرتها، وخاصة الإباحة في أمور الجنس والغرائز، والتحرر من المسؤولية الفردية، والالتزام الأخلاقي كمنطلق إلى اللذات والشهوات العاجلة بدعوى أن الموت هو نهاية الأحياء وهذه هي الخلقية التي أقامتها الأيدولوجية التلمودية لتدمير البشرية، وتحطيم معنويات الإنسان [١].

وقد استغل الاستشراق هذه الدعوة في تضليل شباب المسلمين عن دينهم، فأغرقهم في تيار المادية، من أجل التشويش على الدعوة الإسلامية، والتشكيك في مقررات الإسلام.

ب- الوجودية:

وهي إحدى محاولات الفكر الغربي في فهم الحياة فهما منفصلا عن الدين والأخلاق في نطاق النظرية المادية، أي إنها دعوة إلى عزل الإنسان عن عالمه الروحي، وجعله جسداً حيوانياً، لا يجد في كيانه شيئاً من العواطف والمشاعر الإنسانية، يقول سارتر (Sartar) زعيم الوجودية: «إن ما ينبغي أن تكون عليه حياة الوجودي، هو توديع ما يسميه الجبناء وجدانا وضميراً، والاستجابة إلى داعي الحيوانية، وتلبية كل ما تدعو إليه شهواته، ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية وتحطيم القيود التي ابتدعتها الأديان [٢].

---

(١) الإسلام والدعوات الهدامة، أنور الجندي، ص١٣٤ وما بعدها، ط١، ١٩٧٤.

(٢) إرادة الاعتقاد، وليم جميس، ترجمة محمود حب الله، ص١٢١.

فالوجودية دعوة تعمل على إفساد طبيعة الإنسان، وتدمير عقله وقلبه وروحه، وتحوله إلى حيوان بلا عقل ولا قلب ولا روح، وقد انتشرت هذه الحركة في بلاد الغرب، ثم دخلت إلى البلاد الإسلامية عن طريق الذين يذهبون للدراسة هناك[١] .

وقد لعب المستشرقون دوراً كبيراً في تضليل شباب المسلمين بهذه الدعوة ليتحرروا من الدين ومن العقل ومن الإنسانية، ليصبحوا كالأنعام بل هم أضل سبيلا، وبهذا يتحقق هدف المستشرقين في التشويش على الدعوة الإسلامية.

ج- العلمانية: [٢]

وهي حركة تقوم بالدعوة إلى فصل الدين عن الدولة، ومحاولة حصر الإسلام في المسجد، وفي الزاوية الاعتقادية فقط، والحقيقة أن العلمانية التي يدعو إليها المستشرقون، هي الحركة التي تدعو إلى فصل العلم عن الدين، وهذه الحركة ظهرت في أوروبا نتيجة للصراع العنيف الذي نشب بين رجال العلم والكنيسة التي حجرت على العقول والقلوب في العصور الوسطى، وقد أدى هذا الصراع إلى انفصال الكنيسة عن العلم فأصبح للعلم رجاله وللدين رجاله «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، ليست مملكتي في هذا العالم» [٣] .

أما الإسلام فإنه لا يقبل ذلك فهو يؤاخي بين العلم والدين، ويجعل الدين علما، والعلم رائدا هاديا إلى الدين، فعلمانية الاستشراق لا مجال لها في الإسلام، الذي يعتبر جامعة العلم والمعرفة.

فهذه الدعوة تهدف إلى خداع المسلمين عن حقيقة دينهم حتى لا يعودوا إليه، لأن

---

(١) الإسلام والدعوات الهدامة، أنور الجندي، ص١٨٥ وما بعدها.

(٢) أساليب الغزو الفكري، علي جريشة وزميله، ص٥٩ وما بعدها؛ الإسلام والدعوات الهدامة، أنور الجندي، ص١٤٧.

(٣) انجيل متى، ٢٢/٢١.

العودة إليه تعني انهيار جميع منجزات ومخططات الحلف الصليبي. وها هو توينبي يكتب محذراً من الصحوة الإسلامية فيقول:

ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ إذا ثارت البرولتياريا العالمية للعالم المتغرب ضد السيطرة الغربية، ونادت بزعامة معادية للغرب، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح الجهادية للإسلام، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام (١).

ثم يستدل على ذلك بالحرب الإسلامية التي حصلت في عهد الخلفاء لدحر الدولة الرومانية والفارسية، وما حصل في عهد صلاح الدين لطرد الصليبيين.

ثالثاً: خلق التخاذل الروحي، وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجهات الغربية.

جاء في كتاب التبشير والاستعمار:

ومن المبشرين نفر يشتغلون بالآداب العربية والعلوم الإسلامية أو يستخدمون غيرهم في سبيل ذلك، ثم يرومون كلهم مما يكتبون إلى أن يوازنوا بين الآداب العربية والآداب الأجنبية، أو بين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية (التي يعدونها نصرانية لأن أمم الغرب تدين بالنصرانية) ليخرجوا دائما بتفضيل الآداب الغربية على الآداب العربية والإسلامية، وبالتالي إلى إبراز نواحي النشاط الثقافي في الغرب، وتفضيلها على أمثالها في تاريخ العرب والإسلام وما غايتهم من ذلك إلا تخاذل روحي، وشعور بالنقص في نفوس الشرقيين وحملهم من هذا الطريق على الرضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية (٢).

---

(١) الإسلام والغرب والمستقبل، أرنولد توينبي، ص٧٣ وما بعدها، الدار العربية، بيروت، سنة ١٩٦٥.

(٢) التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، ط٥، سنة ١٩٧٣.

رابعاً: تأييد الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين:

وذلك عن طريق الخدمات التي يؤديها له في بلاد الشرق الإسلامي والعمل على تحطيم البلاد الإسلامية، وذلك بصرف أنظار المسلمين عن الجهاد في سبيل الله، فقد مكن الاستشراق للغرب من اتخاذ عملاء له في البلاد الإسلامية بواسطة الجامعات والمدارس التي افتتحها الغرب في بلاد الشرق، وأشرف على إدارتها مستشرقون ومبشرون، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عملوا على فتح مراكز للدراسات الإسلامية في جامعاتهم في أوروبا، وحفوا بالمغريات انتساب أبناء الشرق إليها، وخاصة المسلمين، وصارت هذه المراكز تمنح الشهادات العلمية العالية -ماجستير ودكتوراه- وقد وجد الغربيون أن هذه الأقسام مرتعاً خصباً لإفساد عقول الشرقيين وعقائدهم [(١)].

خامساً: التركيز على الدراسات الاستشراقية من أجل جعلها مصدراً لتعليم الإسلام للمسلمين أنفسهم، ومصدراً للدراسات عن الشرق عامة، وقد توفرت الدراسات المتنوعة في جامعات أوروبا، منها دراسة تاريخ الشرق، والتاريخ الإسلامي، والعلوم الإسلامية كلها، واللغة العربية وآدابها، وقد أدى هذا العمل على إكبار الغرب من قبل الشرق ودفعه إلى تعظيم حضارة الغرب، وتمكين سلطانه في بلاد الشرق.

وهذا يؤدي إلى نتيجة خطيرة، وهي فقدان الثقة بالنفس من قبل أبناء الشرق، بل يعمل على احتقار الذات والأمة، ومن هنا نرى في هذا العصر من أبناء الإسلام من انبهر بالدراسات الاستشراقية وأعطاها الثقة الكاملة، وتوهم أنها تقوم على الموضوعية العلمية والحياد والانصاف في البحث ابتغاء الحقيقة.

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص٨٦ وما بعدها، دار القلم، دمشق.

لقد غفل هؤلاء المخدعون أن اليهود والنصارى -ومعظم المستشرقون منهم- قد حرفوا دينهم وعبثوا به، وكتموا منه، وأضافوا إليه ما شاءت لهم أهواؤهم، قال الله تعالى: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ (١).

ولم يكونوا في لحظة من لحظات تاريخهم أمناء عليه!! فكيف يغدون أمناء على دين خصومهم.

ومن العجيب أن تسقط الجامعات المقامة في بلاد الإسلام تحت سيطرة الاستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية، وتغدو خططها ومناهجها وتوجيهاتها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه وتمليه هذه الأيدي الخفية، وصارت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الإسلامية والعلوم العربية تدرس على طريقتها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين، وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها (٢).

سادساً: العمل على تحطيم الوحدة الفكرية للمسلمين، وذلك عن طريق إثارة البلبلة في صفوف المسلمين، بإحياء الخلافات الفكرية للفرق والمذاهب المتطرفة -وخاصة الباطنية- مستهدفين تحطيم أصالة الفكر الإسلامي.

ومن المستشرقين الذين بحثوا في هذه المواضيع:

١- المستشرق فون كريمر (Krimar Fon) كتب كتاب (تاريخ الفرق في الإسلام).

٢- المستشرق هوتسما (Houtsma) وضع كتاب (العقيدة الإسلامية والأشعري).

٣- المستشرق برنارد لويس (Lewis Bernard) في كتابه (أصول الإسماعيلية).

٤- المستشرق إيفانوف (Ivanov) في كتابه (الإسماعيلية في الهند).

٥- المستشرق وشتروثمان (Strothman) في كتابه (الزندقة والإسماعيلية والنصيرية والإباضية والشيعة).

---

(١) سورة البقرة، آية ٧٥.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة، الميداني، ص٨٨.

٦- المستشرق هابولد (Ha Bold) في كتابه (المذاهب الباطنية).
٧- المستشرق شبرنجر (Sprenger) في (إعداد فهرست كتب الشيعة). للطبع وهو كتاب من تأليف الطوسي [١].

وقد قصد المستشرقون من إحياء هذا التراث، إحياء الشبهات التي تسيء إلى الإسلام، وإعادة طرح الخلافات القديمة في أفق الفكر الإسلامي لتمزيق المسلمين شيعا، والواقع أكبر دليل.

كل شعب قام يبني نهضة	وأرى بنيانكم منقســـــما
في قديم الدهر كنتم أمــة	لهف نفس كيف صرتم أمما؟!! [٢]

كما أنهم قصدوا طرح مفاهيم من شأنها أن تزاحم مفهوم الأصالة في الإسلام لتزيفه وتفسده [٣].

وقد شجع المستشرقون على قيام القوميات التاريخية البائدة، التي قضى عليها الإسلام وأزالها. ومنها القومية الفرعونية في مصر.

يقول الأستاذ محمد محمد حسين معلقا على دعوة الفرعونية في مصر والتي نشطت في أوائل القرن العشرين: «واجتاحت مصر موجة من الفرعونية تحاول أن تغزو سائر النواحي الثقافية، وتدعو إلى إقامة الفنون على أسس فرعونية»، وتزعمت صحيفة السياسة الأسبوعية هذا الاتجاه الجديد، فأفسحت صدرها لدعايته، وأعان رئيس تحريرها محمد حسنين هيكل في شطر كبير من حياته [٤].

ومنها الفينيقية في سوريا ولبنان، والأشورية في العراق، والقومية العربية في بلاد

---

(١) أضواء على الاستشراق، محمد عبد الفتاح عليان، ص٥٥.

(٢) المستشرقون في الميزان، عبد العزيز القاري، مجلة الجامعة الإسلامية، ص١٥٦.

(٣) الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندي، ص٣٥٣.

(٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، ج١٤٨/٢، ط٥.

العرب، والفارسية في إيران... إلخ. وكان الهدف من هذه البلبلات، تشتيت شمل الأمة الواحدة التي تحيط بدول أوروبا كما يحيط السوار بالمعصم، وإعاقة اندفاع المسلمين نحو التحرر، والوقوف في وجه التقدم الحضاري للمسلمين [1].

يقول المستشرق الإنجليزي جب (Gibb): «وقد كان من أهم مظاهر فرنجة العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن، فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا، وفي مصر، وفي إندونيسيا، وفي العراق، وفي إيران، وقد تكون أهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لأوروبا، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دوراً مهما في تقوية الوطنية الشعوبية وتدعيم مقوماتها [2].

سابعاً: تقويض أركان العقيدة الإسلامية، وإحلال تصورات ومفاهيم مناوئة لهذه العقيدة، وتكوين شبكة فكرية في العالم الإسلامي تدور في فلك الاستشراق وتبشر بتعاليمه وتستمد منه، والهدف من ذلك خلق جيل متنكر لتراث هذه الأمة لتصير إلى حيرة واضطراب فكري، وخلاء روحي فيسهل عنده غزو المجتمع الإسلامي بالفكر والمبادىء والمفاهيم والتصورات الغربية على دين الأمة وعقيدتها [3].

ثامناً: العمل على إضعاف الشخصية الإسلامية بالاحتيال في عرض تاريخ الإسلام فقد أثبتت حقائق الأحداث أن الدراسات التاريخية الفاسدة أخطر سلاح حقق إضعاف شخصية المواطن، لأن الأمة بتاريخها، وقد كشفت دراسات علم الاجتماع في الشعوب الأفريقية الوثنية أنها لا تشعر بذاتية قوية بسبب هزال تاريخها، وأن ميل الكثير من

---

(١) الاستشراق والمستشرقون، مصطفى السباعي، ص١٧-١٨.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبي الحسن الندوي، ص١٨٥؛ نقلاً عن كتاب وجهة الإسلام، للمستشرق جب، ص٣٤٢.

(٣) المستشرقون والإسلام، عرفان عبد الحميد، المكتب الإسلامي، ص٢٨-٢٩.

المواطنين للتبعية والتقليد ميل قوي، وهذا أمر ملاحظ أن الأمة التي يمتلىء تاريخها بالأمجاد والمآثر، تورث أبنائها الاعتزاز بالنفس، والاعتماد على الذات، ومن هنا نجد اهتمام كثير من الدول بعرض تاريخها عرضا موجها وهادفا من أجل أن تحفز أفرادها إلى صنع الأمجاد، فالتاريخ عنصر هام في تكوين شخصية المواطن.

وانطلاقا من هذا المبدأ عمد أساتذة الاستشراق إلى دراسة الصفحات الناصعة في التاريخ الإسلامي وعملوا على طيها، وتغطيتها، وعندما يحتاجون لرد شيء من أمجاد الإسلام، يقومون بإعداد التفسير المادي الذي لا يتناسب مع الأحداث للتغطية على جمالها، هذا في جانب، وأما الجانب الآخر، وهو جانب الخلافات، فركزوا جهودهم على عرضها بما يتناسب مع أهوائهم، وأضفوا عليها من تفسيراتهم ما يزيد الطين بله، وأغمضوا عيونهم عن الدور الذي لعبه زنادقة اليهود والمجوس والنصارى عندما قهرهم الإسلام، ورأوا أقوامهم يدخلون في دين الله أفواجاً، من أجل ذلك سلكوا طريقاً سهلاً للطعن في الإسلام، فتظاهروا بالإيمان به، ليتمكنوا من الكيد له، والتخريب في الدولة الإسلامية.

ومن القضايا التاريخية التي ركز عليها المستشرقون، فتنة عثمان رضي الله عنه، ووقعة الجمل [1]، قاصدين بذلك أن يظهروا الإسلام للبسطاء بأنه دين فتن وتناحر، ولكن الباحث النبيه لا تغيب عنه هذه الأحداث التاريخية وما فيها من ملابسات.

ولو سألنا المستشرقين لم تعرضتم لتاريخ الإسلام، وتركتم تاريخكم أليس فيه صفحات سوداء، فهل تعملون على عرضها بنفس الطريقة التي تعرضون بها تاريخ الإسلام، فتاريخ أوروبا مليء بالمخازي والفتن الدامية، والحروب الطاحنة التي لا تجد لها نظيراً في تاريخ الإسلام[2].

---

(١) كتاب العواصم من القواصم، للقاضي أبي بكر بن العربي، ص٦٨ وما بعدها، و ص ١٠٧ وما بعدها، ط ١٤٠٥/١٩٨٥، المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) وحي الله، حسن ضياء الدين محمد عتر، ص٢٢-٢٣، بحث قدم في المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية، المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٦/١٩٨٥،

تاسعاً: تنفير المسلمين من العودة إلى الخلافة الإسلامية. لقد عاشت أمة الإسلام أكثر من ألف سنة في مقدمة الأمم، بل كانت هي الأمة الأولى في العالم كله، يسعى العالم لكسب رضاها، ويحسب لها ألف حساب، فامبراطور ألمانيا يسعى للتقرب من خليفتها هارون الرشيد، فيرسل له الهدايا [(١)].

وتوالت الأيام وتكسرت مطامع اليهود أمام صمود دولة الإسلام في أيام خليفتها السلطان عبد الحميد، وصوّب الغرب سهامه نحو خلافة الإسلام، فقوض أركانها، وقسم الدولة الواحدة إلى دويلات، ونفذوا فيها توصية أحد مؤتمراتهم (لا يقطع الشجرة إلا أحد أعضائها) [(٢)].

لكن قبل أن تقطع الشجرة التي أظلت بلاد الإسلام، منذ عهد النبوة وقبل أن يقضي على الخليفة المسلم السلطان عبد الحميد، كان هناك تمهيد، حيث ظهرت فكرة فصل الدين عن الدولة، ثم بعدها ظهرت فكرة نشر القومية، ثم جاءت المرحلة الأخيرة لإسقاط الخلافة، فصُنع البطل الذي يقطع الشجرة، وتمّت المؤامرة، وصحبها حملات التبشير والاستشراق، لكن الصليبيين ومن وراءهم وعوا الدرس الذي صرح به المستشرق جب (Gibb) من أن صحوة الإسلام تتم بسرعة وخاف أعداء الإسلام هذه الصحوة. فاتخذوا من الوسائل ما يضمن بقاء الجسد الممزق، هامداً مثخناً بالجراح [(٣)].

ومن هذا المنطلق نجد أن الدراسات الاستشراقية التاريخية تركز على الطعن في خلفاء الإسلام، وفي الخلافة الإسلامية فهي تنسب المجون والفسق لهارون الرشيد وغيره

---

(١) تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، الشيخ محمد الخضري، ص١٢٣، المكتبة التجارية، سنة ١٩٧٠.

(٢) أساليب الغزو الفكري، علي جريشة وزميله، ص٣٣-٣٤؛ مكائد اليهودية، عبد الرحمن حبنكه.

(٣) أساليب الغزو الفكري، علي جريشة وزميله، ص١٥ وما بعدها.

من الخلفاء [1]. كما أنها تنسب كثيرا من المخازي المختلفة للخلافة الإسلامية في كافة عصورها [2] وخاصة الخلافة العثمانية التي توجه لها سيلا جارفا من التهم، التي لا تثبت أمام البحث العلمي الصحيح الذي يقوم على الأدلة والبراهين، ومن هنا ندرك أن جيوش الاستشراق والتبشير تكاتفت على هدم الخلافة الإسلامية، وهم اليوم أشد تعاونا على تنفير المسلمين من العودة إلى نظام الخلافة، لأن هذا النظام يوحد كلمتهم ويجمع شملهم وهذا ما تخشاه دول أوروبا بكاملها.

عاشرا: إغراق العالم الإسلامي بالأساليب الدعائية التي تعمل على تحطيم المعنويات وإفساد المجتمع وتتلخص بما يلي:

١- الدعوة إلى تحرير المرأة، وإثارة الشبهات حول حقوقها في الإسلام.

٢- إفساد عقول الشباب.

٣- تحطيم المعنويات.

أ- أما النقطة الأولى: فتتجلى فيما ظهر من كتب تدعو إلى تحرير المرأة، منها كتاب قاسم أمين، وعنوانه (تحرير المرأة)، وهناك كتاب آخر له واسمه (المرأة الجديدة) وقد صدر الكتاب الأول سنة ١٨٩٩ وصدر الثاني سنة ١٩٠٠م.

وقد ذهب المؤلف في كتابه الأول إلى أن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج عن الدين وقد ركز في كتابه الأول على أربع مسائل:

١- مسألة الحجاب.

٢- مسألة اشتغال المرأة بالشؤون العامة.

٣- تعدد الزوجات.

٤- الطلاق.

وقد سلك في هذه المسائل مسالك المستشرقين، وزعم أن ذلك هو مذهب الإسلام، ثم دعا في آخر كتابه إلى الأخذ بالحضارة الغربية، فقد جاء فيه: «هذا هو الداء الذي يلزم أن

---

(١) تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخضري، ص١٣٥ وما بعدها، ط ١٩٧٠، المكتبة التجارية.

(٢) سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، أنور الجندي، ص٦١ وما بعدها، ط٢.

نبادر إلى علاجه، وليس له داء إلا أننا نربي أولادنا على أن يتعرفوا شؤون المدنية الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها...[1].

وقد كانت نتائج هذين الكتابين سلبية على العالم الإسلامي حيث ظهرت الدعوة إلى السفور والاختلاط، والرحلات إلى العالم الغربي للدراسة.

يقول الدكتور محمد محمد حسين:

«وجزع المحافظون لما صحب هذه الحركة من ميل إلى التبرج ومن نزوع إلى التحرر والانطلاق، وانكروا ما رأوا من تغير حال المرأة، ومن جرأتها على التقاليد وتمردها على سلطة الأب والزوج، وراحوا يتابعون في ذهول تطور الزي، وتقلص الثوب فوق جسدها في سرعة تجاوزت كل ما يتخيلون من حدود»[2].

وقد تزعمت هذه الحركة هدى شعراوي زوجة علي باشا شعراوي، وقد قامت بالسفر إلى باريس وأمريكا لدراسة شؤون المرأة، وأخذت تلقي بالتصريحات لمندوبي الصحف[3].

والحقيقة أن فكرة تحرير المرأة أول من أوصى به إحدى مؤتمرات التبشير، وكان الهدف من ذلك تنصير المرأة المسلمة، ثم جاء الاستشراق من بعد التنصير وتابع الطريق، ثم جاء تلاميذ المستشرقين ورددوا أفكار أساتذتهم[4].

وقد كان الهدف من هذه الدعوة:

أ- تحرير المرأة من بيتها.

ب- تحرير المرأة من زيها.

فقد أدرك أعداء الإسلام خطر المرأة على المجتمع، فهي جامعة خطيرة يتخرج من

---

(١) الاتجاهات الوطنية، محمد محمد حسين، ج٢/٢٨٢؛ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، الندوي، ص١٠٨ وما بعدها، ط٣، مطبعة التقدم، ١٣٩٧/١٩٧٧.

(٢) نفس المرجع السابق، ج٢، ص٢٥٢، ط٥، مؤسسة الرسالة.

(٣) نفس المرجع، ج٢/٢٥١.

(٤) أساليب الغزو الفكري، علي جريشة وزميله، ص٨٥ وما بعدها.

كلياتها الأجيال، فإن صلحت هذه الجامعة، صلح خريجوها، وإن فسدت، فسد خريجوها، وتحرير المرأة يعني إغلاق هذه الجامعة، فإذا أغلقت انعدم الخريجون من النوع الخاص الذي يحمل شعار الإسلام.

والذي يتطلع في هذا العصر الذي اغبر وجهه يجد أن هذا النوع من الخريجين قد قل، وأصبح التخريج من النوع الذي لا يعرف الإسلام. وهذا ليس غريباً على المجتمع الذي نعيش فيه، حيث أننا نرى أن واجب الأم تعطل، فواحدة تعمل بالرقص، وأخرى تعمل بالغناء، وثالثة تعمل في طيات المصانع والمتاجر وهكذا [1].

وإذا كانت فكرة التحرير تعني كشف ما أمر الله أن يستر وهتك ما أمر أن يصان، وأن تصبح المرأة سلعة رخيصة تباع في المعارض، فإن الهدف من وراء ذلك هو إشاعة الانحلال في المجتمع الإسلامي والسقوط في حمأة الرذيلة.

ب- وأما النقطة الثانية: إفساد عقول الشباب:

تعرض الشباب الإسلامي لحملات خارجية متواصلة، استهدفت تفريغ عقله وقلبه من المضمون الإسلامي، وحشوه بألوان أخرى من المذاهب والأفكار. كما تعرض أيضاً لحملات داخلية، فهو يعيش في مجتمعات لا تحيا وفقا لتشريع الإسلام ونظمه وأخلاقياته.

ويمكن تلخيص الأساليب الخارجية التي استخدمها المستشرقون وأعوانهم لتغيير المبادىء والقيم الثقافية والفكرية والاجتماعية لدى الشباب بما يلي:

١- التنصير أو ما يسمى بالتبشير.

٢- الدعوة إلى القومية.

٣- محاربة اللغة العربية.

٤- استبدال نظام التعليم الإسلامي بنظام غربي.

---

(١) يراجع ما كتبه محمد محمد حسين في كتابه الاتجاهات الوطنية، ج٢/٢٤٨ وما بعدها.

٥- استخدام وسائل الإعلام والصحافة.

٦- الحرب الفكرية والعلمية عن طريق المستشرقين وأعوانهم.

٧- استبدال القوانين الإسلامية بقوانين وضعية [(١)].

وأما الأساليب الداخلية التي ركز عليها المستشرقون وأعوانهم لإفساد الشباب، فتتلخص بما يلي:

أولاً: إصدار الكتب الخليعة التي تتكلم عن الجنس يقول الاستاذ فتحي يكن: «بل أصبحت ممارسته -أي الجنس- والاغراق فيه غاية الحياة وقمة الأمنيات لدى كثير من الناس» [(٢)].

ثانياً: انتشار الصور العارية، بالصحف والمجلات، دون مراعاة لحرمة بلاد الإسلام.

ثالثاً: انتشار الغناء بما يحمله من ألفاظ فاحشة مكشوفة تهتك استار الحياء وتدعو إلى الاثم.

رابعاً: الأفلام السينمائية التي تعرض في بلاد الإسلام وما فيها من الفواحش التي تعمل على تحطيم معنويات الشباب بدعوتها الصريحة للعنف والجريمة والجنس.

خامساً: استعمال أجهزة الإذاعة والتلفاز في نشر هذه المفاسد وإدخالها إلى البيوت حتى لا يكاد يخلو منها بيت من بيوت المسلمين.

وبعد ذكر الأساليب الخارجية والداخلية، نستطيع القول بأن جيوش التبشير

---

(١) المدخل إلى الثقافة الإسلامية، رشاد سالم، ص٢١-٢٢، دار القلم، الكويت؛ المخاطر التي تواجه الشباب المسلم وكيف نتوقاها، مصطفى حلمي، ص٢٣ وما بعدها، دار الأنصار؛ مشكلات الشباب في ضوء الإسلام، إسحق الفرحان، ط٤، دار الفرقان.

(٢) الإسلام والجنس، فتحي يكن، ص١٠، مؤسسة الرسالة؛ الشباب والتغيير، فتحي يكن، ص١١ وما بعدها، مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

والاستشراق تعاونت على تنفيذ غاياتها، وقد اتخذت العلم سلاحاً لها، ابتداء من المرحلة الإلزامية وانتهاء بالدراسات الجامعية التي تتلقف أعداداً كبيرة من الطلاب حيث تختفي فيها الدراسات الإسلامية، بل تتسم هذه الدراسة بطابع النظريات والفلسفات المادية في أغلبها.

وإذا علمنا أن نظم التعليم مستوردة ومنقولة بحذافيرها من الجامعات الأوروبية، فلا غرابة أن تدخل هذه النظم في عقول الشباب الكثير من المفاسد التي يحتاجون إلى من يصححها لهم ويقومها في نفوسهم، ويكفي أن نعلم أن هذه النظم عملت على تجريد الشباب من الروح الديني، والعواطف الإسلامية، والعقلية الإسلامية، وأنشأت فيه طبيعة النفعية والتهام الحياة، وتقديس المادة، وعدم الاستقامة الخلقية، وضعف الثقة بالنفس، والشك في الدين [(١)].

يقول زعيم المبشرين النصارى زويمر (Zewemer) في كلمته التي ألقاها على جبل الزيتون في القدس أبان الاحتلال الإنجليزي لفلسطين سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م: «لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من الثلث الأخير للقرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وإنكم أعددتم نشئا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها.

وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشىء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات... فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء [(٢)].

ج- وأما النقطة الثالثة: تحطيم المعنويات:

عمل الغرب على زرع عقيدة تفوق العنصر الغربي الآري، وتدني العنصر الشرقي

---

(١) روائع إقبال، أبي الحسن الندوي، ص١٠٨، دار القلم، الكويت، سنة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

(٢) أساليب الغزو الفكري، علي جريشة وزميله، ص٦٣.

السامي، في نفوس أبناء المسلمين، وتمشياً مع هذا المبدأ أطلقوا شعارهم (الشرق شرق، رالغرب غرب) فزعموا أنهم أهل النبوغ والذكاء والمواهب والعلم والعبقرية والنظام والتعاون، وأن الشرق ليس أهلا لذلك.!!

لقد عمدوا إلى تحطيم النواحي الاقتصادية في بلاد الشرق، فزعموا أنها بلاد لا تصلح للصناعة، وإنما تصلح للزراعة فقط، إلا أنهم حاربوا الزراعة أيضاً، وكان قصدهم من وراء ذلك أن يجعلوا بلاد الشرق سوقاً استهلاكية لبضائعهم، كما أنهم قصدوا السيطرة علي المواد الخام التي تتركز في بلاد الشرق، وقد عملت هذه الأمور على إثراء الغرب على حساب الشرق.

هذه الأساليب عملت على إيجاد عقدة الشعور بالنقص لدى أبناء الشرق من أجل الشعور بالتدني في كل شيء [١].

الوسائل التي ساعدت المستشرقين على تحقيق أهدافهم:

يمكن تلخيص الأمور التي ساعدت المستشرقين على تحقيق أهدافهم بما يلي:

١- إيجاد عدد من المثقفين المسلمين الذين تلقوا علومهم على يد المستشرقين حيث ساروا على طريق أساتذتهم، فكانوا أقدر منهم على التشكيك في عقيدة الإسلام وثقافته، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها.

٢- تخلف العلوم الإسلامية، وتقدم العلوم الغربية، ووقوف الفكر الإسلامي، وتقدم الفكر الغربي، وإصابة المنهج الدراسي بجمود لم يسمح له أن يتعدى عن خطه المرسوم.

٣- الضعف السياسي الذي أصاب المسلمين، وفقدان الثقة بالنفس.

٤- عمل المستشرقون وأعوانهم على إلباس الإسلام كل خطأ يقع فيه أبناؤه، فهم ينسبونه إلى الإسلام، مع أن سببه ترك الإسلام، فهم يحكمون على الإسلام دائماً من واقع المسلمين الحالي، ولا يصورون الإسلام من منابعه ومصادره، بل

---

(١) وحي الله، حسن ضياء الدين محمد عتر، ص٢٤، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية.

يصورونه من واقع المسلمين السيء، ويعمدون إلى اختيار البيئات الإسلامية التي نالها أكبر قسط من الضعف ويجعلونها نموذجاً للإسلام.

٥- أخذ المجتمعات الإسلامية بنظم التعليم الغربي كما هي، مع أن روح التعليم ظل لعقائد واضعيه، ونفسياتهم وغاياتهم، وهو مظهر لأخلاقهم، وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة روحاً وضميراً، وعندما تكون للأمة عقيدة وتأخذ بنظام تعليم آخر، فعند ذلك يتحقق وقوع النزاع العقلي والعاطفي، وينتهي الأمر إلى قبول القيم الجديدة شيئاً فشيئاً والتخلي عن القيم السابقة [(١)].

تطور الاستشراق وكيفية انتشار أفكار المستشرقين:

في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي غيّر المستشرقون أساليبهم وأرادوا أن يظهروا بمظهر جديد، وهو تحريره من الأغراض التبشيرية والاتجاه به نحو البحث العلمي، فقاموا بالأعمال التالية:

١- إنشاء كليات في العواصم الغربية والأوروبية لتدريس اللغات الشرقية وخاصة العربية لتزويد الاستعمار بالخبراء في الشؤون الإسلامية ولاجتلاب الطلاب المسلمين إلى تلك الكليات والجامعات للدراسة فيها، ومن ثم القيام بإلقاء ما يريدونه في أذهان هؤلاء المبعوثين من أبناء المسلمين.

٢- نشر كتبهم مترجمة والقيام بنشرها عن طريق أبناء المسلمين وتلاميذهم الذين تلقوا العلم على أيديهم في أوروبا، والقيام بنشرها على أنها حقائق علمية.

٣- التسلل إلى الجامعات الإسلامية والمجامع العلمية للتدريس والعمل فيها من أجل تنفيذ مخططهم الخبيث.

٤- إنشاء عدة جامعات في بلاد إسلامية لخدمة الاستشراق ظاهراً ولكنها تخدم التبشير في الحقيقة كالجامعات الأمريكية وغيرها.

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، ص١٠٢، مؤسسة الرسالة؛ أضواء على الاستشراق، محمد عبد الفتاح عليان، ص٤٤؛ المستشرقون، علي حسن الخربوطلي، ص٨٣.

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك جماعة من المستشرقين اتصفوا بالعدل والانصاف على تفاوت بينهم، فمنهم من أخطأ وأصاب، ومنهم من انتهى به البحث إلى الايمان، فدخل في الإسلام، كالمستشرق الفرنسي (ناصر الدين دينيه) والدكتور (جرينييه).

المبحث الثالث

أنشطة المستشرقين

تنحصر جهود المستشرقين في أعمال مختلفة، تشكل في مجموعها كلا واحدا، ويمكن حصرها بما يلي:

١- التدريس في الجامعات.

٢- تحقيق المخطوطات وجمعها وفهرستها.

٣- الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية.

٤- التأليف في شتى مجالات الدراسات العربية والإسلامية.

٥- الإشراف على دور النشر.

والحقيقة أن المستشرقين قد سلكوا طرقاً متعددة، تشمل المجال الديني، والمجال العلمي، والمجال السياسي، كل ذلك من أجل إحكام خطتهم لتدمير الإسلام.

ونوجز فيما يلي مجالات أنشطة المستشرقين.

أولاً: المجال الديني: ويتمثل فيما يلي:

أ- مؤازرة المستشرقين للمبشرين في أعمالهم التبشيرية، وذلك عن طريق تزويدهم بالخبرات والمعالجات لكثير من المسائل والمواقف.

ب- إلقاء المحاضرات العلمية في الجامعات العربية، بقصد الطعن في الإسلام وتشويه محاسنه، والتشكيك في قدراته، وقد تكون ثمار هذه المحاضرات محققة عندما تصادف بعض التلاميذ لهؤلاء المستشرقين، يعملون على الترويج للمحاضرة، والدعوة إليها، وقد تدفع الأجور المادية أو المعنوية لهؤلاء التلاميذ عن طريق أساتذتهم، وإذا كان هؤلاء يعملون على الطعن في الإسلام فإنهم في المقابل يروجون للمسيحية.

يقول الدكتور محمد عبد الفتاح عليان:

«وقد كان الباعث الديني للاستشراق في أول أمره عرقلة تيار التحول من المسيحية إلى

الإسلام، ثم تطور هذا الباعث فيما بعد إلى محاولة تشكيك المسلمين أنفسهم في عقيدتهم بزعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس أبنائه من ناحية، وإثبات تفوق الحضارة الغربية وعظمتها من ناحية أخرى، وقد حرص أغلب المستشرقين في الدراسات التي قاموا بها على تحقيق هذا الهدف التبشيري [(١)].

ثانياً: المجال العلمي:

ويتمثل نشاط المستشرقين في هذا المجال بما يلي:

١- إصدار النشرات والمجلات والصحف الاستشراقية، والتي يستطيع الاستشراق عن طريقها أن ينفث سمومه، وأن يروج أفكاره، وقد تقدم الحديث عن أشهر مجلات المستشرقين.

وقد استطاع المستشرقون أن يصلوا إلى قلب المجتمع الإسلامي، من أجل أن ينفثوا سمومهم، فكتبوا في المجلات والصحف المحلية المأجورة، وهكذا استطاع أعداء الإسلام غزو المسلمين في عقر دارهم فكرياً.. وثقافياً.

٢- تأليف الكتب وإحياء التراث العربي القديم.

قام المستشرقون بتأليف الكتب في العلوم العربية والإسلامية، وقد بلغ ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف -منذ أوائل- القرن التاسع عشر حتى منتصف العشرين (٦٠,٠٠٠) ستين ألف كتاب [(٢)].

وقد انصب معظم اهتمامهم على علوم القرآن والسنة، لأنهما المصدران الأساسيان للدين الإسلامي، وكذلك ألفوا في التاريخ العربي والإسلامي، وفي الفلسفة الإسلامية، والتصوف الإسلامي، وفي تاريخ أدب اللغة العربية...إلخ، ولم يتركوا مجالاً من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا وألفوا فيه، ومن هنا نقول بأنه يجب على علماء الإسلام

---

(١) أضواء على الاستشراق، محمد عبد الفتاح عليان، ص٤٣- ٤٤.

(٢) الاستشراق، ادوارد سعيد، ص٢١٦.

ما يلي:

١- من أجل إغلاق التأثير السلبي لكتابات المستشرقين، وإصلاح الفساد الذي منيت به، يجب أن يقوم علماء الإسلام ورجال الفكر بالكتابة حول الموضوعات العلمية، التي تناولها علماء الاستشراق وأن يقدموا للعالم الإسلامي معلومات صحيحة مؤكدة.

٢- لا بد من مراعاة الجوانب المحمودة في كتابات المستشرقين، والزيادة عليها وإبرازها.

٣- أن تتصف الكتابات العلمية المقدمة من علماء الإسلام بالتحقيق وحسن الدراسة وعمق النظر وصحة الدليل.

٤- محاسبة كتابات المستشرقين في ضوء الحقيقة والواقع حتى ينكشف الحجاب عن أخطائهم وتلبساتهم في فهم النصوص ، وبيان المعنى، وحتى يظهر للناس ضعف مصادرهم التي يعتمدون عليها (١) .

ثالثاً: إحياء التراث الإسلامي:

مما يتصل بالنقطة السابقة إحياء التراث العربي، فقد عمل المستشرقون على نشر نفائس المخطوطات العربية في طبعات متقنة ومحققة تحقيقاً علمياً، وعملوا على تزويدها بشروحات وافية وفهارس مفيدة تصف المخطوط وصفاً دقيقاً، وتشير إلى ما يتضمنه من معلومات، وتذكر اسم المؤلف، وتاريخ ميلاده، ووفاته، وتاريخ تأليف الكتاب أو نسخه.

يقول الأستاذ عبد السلام هارون:

«إن الجهد العلمي الذي بذله المستشرقون في إحياء التراث العربي لا يستطاع إنكاره،

---

(١) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، لأبي الحسن الندوي، ص٢٠ وما بعدها، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣، مؤسسة الرسالة.

فهم كانوا أساتذة الجيل الحاضر في الطريقة العلمية التي جرو عليها، ولا ريب أن تحقيق النصوص وتوثيقها فن عربي أصيل يتجلى في معالجة أسلافنا الأقدمين لرواية كتب الحديث واللغة والشعر، والأدب، والتاريخ في دقة وأمانة، ونظام بارع، ولكن المستشرقين تبنوا إحياء هذا الفن في هذه العصور القريبة، ونبغ من بينهم علماء أمناء، قاموا بنشر عيون ثمينة من التراث العربي في أمانة علمية دقيقة اقتبسوها من أسلافنا مقرونة بعناية خاصة بالفهارس الفنية، وهذا أيضاً كان شأن جمهور أسلافنا (١) .

موقف الاستشراق من التراث الإسلامي:

يتجلى موقف الاستشراق من التراث الإسلامي فيما يلي:

١- غمط قيمة هذا التراث، ووصفه بأنه متخلف، لا يستطيع خدمة العصر الحديث، وإنكار قيمته بالنسبة للحضارة الأوروبية.

٢- التركيز على الجوانب الضعيفة وإظهارها، وخاصة ما يتعلق بالفرق السياسية، والدعوات الباطنية.

٣- استخدام التراث الإسلامي، استخداماً سيئاً، حيث أن دول الغرب حاكت مؤامرة لسلب هذا التراث من أيدي أصحابه، ونقله إلى دوائر الغرب، من أجل تحقيق مآربهم في إظهار سلبيات هذا التراث، وتجاهل إيجابياته، وإظهار ما يفرق وإخفاء ما يجمع (٢) .

٤- تأليف الموسوعات المسماة بالإسلامية.

تعاون المستشرقون في المجالات العلمية على إصدار الموسوعات العلمية، فقد أصدروا الموسوعة الإسلامية، حيث صدرت الطبعة الأولى منها بلغات متعددة منها: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، وذلك ما بين سنة ١٩١٣ إلى سنة ١٩٣٨، وقد عملت

---

(١) التراث العربي، عبد السلام هارون، دار التراث العربي.

(٢) الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندي، ص٣٥١ وما بعدها.

لجنة من خريجي الجامعات المصرية على نقلها إلى العربية، وقد وصلت إلى حرف العين، بدأ عملها من سنة ١٩٣٣م.

وقد تم تعليق المترجمين على كثير من المقالات من أجل تصحيح الأخطاء فيها، لأن هذه الموسوعة تتصف ببساطة معلوماتها، وقد استغلها المستشرقون بأساليبهم المعهودة فدسوا السم بالدسم، وحرفوا وبدلوا وتجاهلوا كثيراً من حقائق الإسلام.

وقد تعدى المستشرقون هذه الدائرة فعملوا على إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة، أعيدت فيها كتابة المقالات بناء على ما صدر من بحوث حديثة، وما نشر أو اكتشف من مخطوطات، وقد ظهرت الطبعة الجديدة، باللغتين الإنجليزية والفرنسية فقط من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٧٧م [١].

ودائرة المعارف كتاب يحوي مواد عن مشاهير المسلمين من كل عصر ومن كل قطر، كما أنها تبحث في القبائل والأسر الحاكمة، وعن المؤسسات السياسية والدينية، وتهتم بالجغرافيا، وتشمل وصفاً لتاريخ أهم المدن والبلاد وآثارها، وتتناول الاصطلاحات الدينية والفلسفية والعلمية [٢].

٥- تأليف المعاجم:

أ- بذل المستشرقون جهوداً كبيرة في مجال المعاجم والقواميس اللغوية، فوضعوا (معجم اللغة العربية القديمة) الذي جمعه المستشرق أوجست فيشر (Fischer Aug) وقد مكث أربعين عاماً في جمعه وتنسيقه وتعاون معه عدد من المستشرقين.

ب- وضع معاجم تتعلق بالقرآن الكريم:

فقد اتجه نفر من المستشرقين الغربيين إلى القرآن الحكيم، حين ظهرت لهم

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية، محمود حمدي زقزوق، ص٦٨- ٦٩؛ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، محمد البهي، ص٤٩٥ وص ٤٧٥.

(٢) الاستشراق، عبدالله الشحام، المزايا العامة للاستشراق.

عظمته، وتأثيره بالبشر، فعمل هؤلاء على تيسير الرجوع إلى القرآن واستخراج ما يحتويه، فأنشأوا معاجم منها كتاب (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) لمؤلفه المستشرق فلوجل الألماني (Flugel)، الذي طبع لأول مرة عام ١٨٤٢م في ليبسك، وقد وقع هذا المستشرق في أخطاء كثيرة [١].

ج- وفي مجال السنة:

١- مفتاح كنوز السنة، وضعه باللغة الإنكليزية المستشرق أ. ي. فنسك (Wensinck A. J.) ونقله إلى اللغة العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، والكتاب معجم مفهرس عام تفصيلي وضع للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة، وذلك بالدلالة على موضع كل حديث (في صحيح البخاري، ومسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، والدارمي، ومسند أحمد بن حنبل، وهذه الثمانية هي أصول السنة ومصادرها الصحيحة الموثوق بها.

ثم موطأ الإمام مالك، ومسند أبي داود الطيالسي، وهما من أقدم الكتب المؤلفة في الحديث، لأن أصحابهما من علماء القرن الثاني الهجري، ثم سيرة ابن هشام، ثم كتاب المغازي للواقدي، وكتاب الطبقات لابن سعد.

والكتاب الرابع عشر هو المسند المنسوب للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المتوفى سنة ١٢٢هـ.

وقد رتب الأستاذ فنسنك (Wensinck) كتابه على المعاني والمسائل العلمية والاعلام التاريخية، وقسم كل معنى أو ترجمه إلى

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، مقدمة منصور فهمي ومقدمة واضع المعجم، ط٢/١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار الفكر، بيروت.

الموضوعات التفصيلية المتعلقة بذلك، ثم رتب عناوين الكتاب على حروف المعجم، واجتهد في جمع ما يتعلق بكل مسألة من الأحاديث والآثار الواردة في هذه الكتب[١].

وقد نقل هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، وسماه مفتاح الكنوز، وقدم له العلامة محمد رشيد رضا، وأحمد محمد شاكر.

٢- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، عن الكتب الستة، وعن مسند الدارمي، وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل، وقد رتب هذا المعجم ونظمه لفيف من المستشرقين، ونشره الدكتور أ. ي. ونسنك(Wensinck A. J.) أستاذ اللغة العربية بجامعة ليدن[٢].

سادسا: إنشاء المكتبات:

عمل المستشرقون على تأسيس المكتبات وتزويدها بكل وسائل الراحة للقراء والمطالعين، وتزويدها بمختلف أنواع الكتب في شتى العلوم والفنون، وبدار طباعة لطبع جريدة أسبوعية باسم الصداقة، ويرسلونها إلى المترددين إلى مكتباتهم العامة، ويستغلون مكتباتهم في القيادة التوجيهية للمترددين عليها، ويقيمون مسابقات في المطالعة بتلخيص مجموعة من الكتب تختار من بين مجموعة تعرضها لجنة المكتبة، ويمنحون جوائز تشجيعية في حفل رائع للفائزين.

هذه الأعمال التي يقوم لها المستشرقون، تكفل لهم اكتساب الأصدقاء الذين يدرسون اللغة الإنجليزية أو الفرنسية، فيتشربون الثقافة الغربية عن طريقها، وهذا ما نلاحظه في هذه الأيام في المجتمعات الشرقية، حيث أن الأسرة الواحدة تتكلم بعدة لغات، ومن تكلم العربية شعر بالغربة في بلاده، وبين أفراد أسرته التي استمسكت بأهداب المدنية الغربية بدلاً من استمساكها بالعروة الوثقى، وأصبحت الأسرة تجعل الأحد عطلة نهاية الأسبوع

---

(١) مفتاح كنوز السنة، أ. ي. فنسنك، ترجمة محمد فؤاد، مقدمة الكتاب، ص ظ-غ.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، أ. ي. فنسنك، المقدمة.

جرياً على عادات أهل الغرب، ونسيت يوم الجمعة وما فيه من فرض وسنة [1].

سابعاً:

عقد المؤتمرات للمدارسة، وتقديم الخطط اللزمة لتحقيق أهدافهم.

ثامناً:

عمل الاستشراق على إنشاء كليات وأقسام للدراسات الإسلامية في جامعات الغرب، وقامت هذه الكليات بمنح الشهادات العلمية العالية للطلاب الوافدين عليها من العالم الإسلامي في العلوم الإسلامية، وقد استغل المستشرقون إقبال المسلمين على جامعاتهم، فصيروا أنفسهم مصدراً وثيقاً للعلوم الإسلامية، وأشعروا المسلمين بذلك من أجل أن يفقدوهم الثقة بأنفسهم، فيتعلقوا بالغرب ليتعلموا منه.

ونورد فيما يلي أسماء الجامعات التي تحتوي على أقسام للدراسات الإسلامية حسبما أشار الدكتور مصطفى السباعي في زيارته لأوروبا:

١- جامعة لندن، معهد الدراسات الشرقية، ورئيسه البروفسور أندرسون(Anderson).

٢- جامعة أدنبره/ أسكتلندا، فيها قسم الدراسات الإسلامية والذي يرأس هذا القسم قسيساً بلباس مدني.

٣- جامعة جلاسكو/ اسكتلندا، فيها قسم الدراسات العربية، ورئيس هذا القسم قسيساً عاش رئيساً للإرسالية التبشيرية في القدس قرابة عشرين عاماً.

٤- جامعة أكسفورد/ في إنجلترا، فيها قسم الدراسات الإسلامية والعربية ، ورئيس هذا القسم المستشرق مرجليوث (Margoliouth)، وجاء من بعده المستشرق سير هاملتون جب (.Hamilton Gibb).

---

(١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية، إبراهيم خليل أحمد، ص٥٩- ٦٠، مكتبة الوعي العربي؛ راجع ما كتبه العقيقي في كتابه المستشرقون عن المكتبات التي عمل المستشرقون على إنشائها، موزعة بحسب بلادهم.

٥- جامعة كمبردج/ في إنجلترا، فيها قسم الدراسات العربية والإسلامية، ورئيس القسم المستشرق أربري (Arberry)، واختصاصه في اللغة العربية.

٦- جامعة مانشستر/ في إنجلترا، قسم الدراسات الإسلامية، ورئيس القسم المستشرق روبسون (Robson).

٧- جامعة ليدن/ هولندا، المستشرق اليهودي شاخت (Schacht).

٨- جامعة أبلا/ السويد، المستشرق نيبرج (Niebarg)[1].

الكليات الاستشراقية في الوطن العربي:

أنشأ الاستعمار عدة كليات ومعاهد علمية في الوطن العربي الإسلامي من زجل خدمة الاستشراق ظاهرياً، لكن هدفها في الحقيقة خدمة الاستعمار والتبشير الكاثوليكي والبروتستانتي، نورد منها ما يلي:

١- المعهد الشرقي بدير الدومنيكان -مصر- شارع مصنع الطرابيش.

٢- المعهد الفرنسي - مصر.

٣- الجامعة الأمريكية - مصر.

٤- جامعة القديس يوسف - لبنان- الجامعة اليسوعية حالياً.

٥- الجامعة الأمريكية - بيروت، وكانت من قبل تسمى الكلية السورية الإنجيلية، أنشئت سنة ١٨٦٥م وهي بروتستنتية[2].

يقول الدكتور علي جريشه وزميله في بيان الغرض من إنشاء هذه الكليات في جامعات الدول الأوروبية: «فأنشئت كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوروبا مثل: لندن، وباريس، وليدن، وبرلين، وبطرسبرج، وغيرها، وظهرت فيها أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية، وبعض اللغات الإسلامية، كالفارسية، والتركية، والأردية، وكان الغرض منها:

١- تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشؤون الإسلامية.

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع، مصطفى السباعي، ص١٦-١٧؛ أضواء على الاستشراق، محمد عبدالفتاح عليان، ص٨٦، ٩٨.

(٢) التبشير والاستشراق أحقاد وحملات، محمد عزت، ص٤٣.

٢- ثم أخذ الطلاب المسلمون يؤمون هذه الكليات الأوروبية للدراسة فيها، وبذلك تأثر الفكر الإسلامي بما يلقيه المستشرقون في أذهان هؤلاء المبعوثين من أبناء المسلمين [(١)].

وقد استطاع المستشرقون بعد ذلك أن يتسللوا إلى الدوائر العلمية والجامعات في الدول الإسلامية، ثم بعدها تسللوا إلى المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد.

سمات كتابات المستشرقين وشواذها:

إن أسلوب البحث عند المستشرقين يسجل عددا من الأخطاء الظاهرة في أبحاثهم، نسوق بعضها:

١- عدم إتقان اللغة العربية، أدى إلى وضع النصوص في غير مواضعها، وتحميلها ما لا تحتمل، وقد أدى ذلك إلى فقدان شروط البحث العلمي في كتاباتهم.

٢- إن النقص العلمي عند المستشرقين أوقعهم في أخطاء كثيرة نتجت عن سوء فهمهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل نجدهم عند دراسة القرآن يخرجون بآراء تثير الدهشة، كما أنهم يتعمدون إساءة فهم النصوص وتوجيهها إلى غير دلالاتها والمغالطة فيها في المناقشات العلمية التي تثار بينهم وبين المسلمين.

٣- انحراف المستشرقين عن الطريق العلمي الصحيح في دراسة الإسلام كونهم ليسوا متخصصين في ذلك.

٤- اجتماع سوء الظن مع سوء الفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده، مع سوء الظن برجال الإسلام وعلمائه، ومن هنا نجد رغبتهم في التجريح كثيراً ما حملتهم على التماس أسانيد ضعيفة ومنبوذة، وكثيراً ما يغفلون النصوص والأخبار التي تنقض ما يقررون، وهذا هو الانحراف العلمي بعينه.

٥- اعتمادهم في أبحاثهم على الأدلة الباطلة التي ردها علماء الإسلام بدلائل علمية قاطعة، وتجاهلهم تلك الدلائل، بل ينسبونها أحياناً إلى العلماء الذين ردوها على أنها آراؤهم المعتمدة.

---

(١) أساليب الغزو الفكري، علي جريشه وزميله، ص٢١.

٦- اقتطاع فقرة من نص لاثبات غرض خبيث ينقضه النص لو تم إيراده كاملاً، وقد ذكر ذلك الدكتور سزكين (Czkyn) في نقده للمستشرق اليهودي جولدتسهير (Goldziher).

٧- تزوير الوقائع التاريخية، وعدم الاستقامة في تعليلها، حيث إنهم يحكمون مفاهيم البيئة العربية -على الرغم من فسادها- في تفسير النصوص والوقائع التاريخية، ومثال ذلك تعليلهم لروائع الفتح الإسلامي ببواعث ورغبات خيالية مماثلة للنزوات الاستعمارية الغربية.

٨- تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور، وخاصة العصر الأول، الذي هو القدوة للمسلمين بمجتمع منحل تقتل الأنانية رجاله وعظمائه، وقد ركزوا على إبراز جانب الحروب والفتن التي قامت في هذا العصر والتي لا يكاد يخلو منها تاريخ أمة، وهدفهم من ذلك أن يقولوا بأن الإسلام لم يطبق إلا في زمن محدود، ولهم هدف آخر وهو إغفال الجوانب المشرقة في تاريخ الإسلام.

٩- تصوير الحضارة الإسلامية تصويراً سيئاً من أجل تقليل قيمتها، واحتقاراً لآثارها، فقد جعلوا المسلمين ناقلين للحضارات السابقة، مع أن كل منصف يعرف ما للمسلمين من اختراعات وتصحيحات وإضافات في كل مجال من مجالات العلم.

١٠- تحكمهم في المصادر التي ينقلون عنها، فهم ينقلون مثلا من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب الحيوان ويكذبون ما يرويه مالك في الموطأ، كل ذلك انسياقاً مع الهوى وانحرافاً عن الحق [١].

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع، مصطفى السباعي، ص١٨٨ وما بعدها؛ وحي الله، حسن ضياء الدين محمد العتر، حول مشكلة الاستشراق، الاستاذ محمد ذياب في مجلة منبر الإسلام، العدد الثاني عشر، سنة ٢٨ ذو الحجة ١٣٩٠؛ محاضرات في الثقافة الإسلامية، منشورات مديرية الإفتاء في القوات المسلحة الأردنية، ص١٣٨ وما بعدها.

وبعد العرض لشواذ أبحاث المستشرقين فإننا نخرج بنتيجة علمية:

١- وهي أن المستشرقين يعتمدون في كتاباتهم على مصادر ليست في مستوى البحث العلمي وإنما هي كتب قصص وفكاهة.

٢- وكذلك نلاحظ عليهم عدم الاهتمام بالتأكد من صحة ما ورد في كتب المؤرخين المسلمين، ولا يطالبون بالمرة بالوثائق والمستندات إذا كان الأمر يتعلق بحادثة يظنون أنها مما يسيء إلى الإسلام، ويشوه صورته في نظر أتباعه وغيرهم، فتراهم يسارعون إلى التقاطها وانتزاعها من سياقها وتجريدها مما أحاط بها من ظروف وملابسات، ثم تفسيرها بطريقة خبيثة، وتحليلها بمنهج مريب توسلا إلى بلوغ هدفهم ونيل مآربهم.

وعلى وجه العموم يمكن القول بأن جميع كتابات المستشرقين حول الإسلام وما يتصل به من تاريخ وفقه، وتفسير وحديث، وأدب وحضارة، قد اتسمت بهذه السمات إلا ما ندر، وقد عملت الحكومات الاستعمارية علي تشجيعهم وتوفير المصادر العلمية لهم، وإيجاد التفرغ الكامل لهم، والتخصص لكل واحد منهم بفن معين من أجل أن يبذل جهده في هذا العلم[1].

حقيقة لا بد من الإشارة إليها:

إن الانحراف العلمي لا ينطبق علي جميع المستشرقين، فهناك عدد منهم حاول أن يتحرر في بحوثه العلمية من النزعات العصبية والسياسية، والتزم بالأدلة الموضوعية للمسائل العلمية، وقد أعرب كثير من هذا الفريق عن أفكارهم للانحرافات التي وقع فيها زملائهم.

تقول المستشرقة الدكتورة إيفون حداد (Efon Hdad) أستاذة الدراسات الإسلامية

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع، السباعي، ص١٨٩.

في مدرسة هارتفورد للاهوت في كونيتيكوت: «إن المؤرخين يدركون الآن أن مستشرقي الماضي الدارسون الغربيون لحضارات الشرق الأوسط في القرن التاسع عشر كانوا مخطئين في النتائج التي توصلوا إليها عن الإسلام، وإن وجهات نظرهم هذه قد رسمت مفاهيم معينة مسبقة عن العالم الإسلامي، وأضافت بأن الباحثين المعاصرين يعرضون وجهات نظر أكثر إنصافاً في العالم الإسلامي» [(١)].

ويقول المستشرق غوستاف لوبون (Lebon G.): «لقد تراكمت الأوهام الموروثة المتسلطة علينا والنقمة على الإسلام بسبب الحروب الصليبية، واستيلاء المسلمين على الآستانة، وقوة تأثير مدنيتهم السامية الساحقة، حتى أصبحت تلك النقمة جزءاً من نظامنا، وكانت تلك الأوهام متأصلة فينا كالبعض المتأصل المتزايد في أعماق نفوس النصارى لليهود [(٢)].

ويقول المستشرق مونتجومري وات (Montgomery Watt) في محاضرة له ألقاها في جامعة الكويت في موسمها الثقافي سنة ١٩٧١: «إن الأوروبيين في عصر النهضة كان لا يزال لديهم إحساس بالنقص بالنسبة للمسلمين، ولذلك عمد مفكروهم إلى تشويه حقائق الإسلام، فعرضوا الإسلام، وتاريخ المسلمين في صورة منفرة، ولكننا معشر الغربيين في القرن العشرين لم تعد تسيطر علينا عقدة النقص كما كان الحال في عصر النهضة، وذلك بعد أن انتقل زمام السيادة -كما قال- إلى أوروبا وأصبحت لهما السيطرة والغلبة ولذا أصبحنا الآن لا نجد حرجاً في ذكر الحقائق دون تحريف وبالتالي ظهر الإنصاف

---

(١) نشرة صحفية، الرقم ٨٣- ٦، تاريخ ٨/ آذار/ ١٩٨٣، المركز الأمريكي، جبل عمان، الدوار الثالث.

(٢) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص١٢، ط٢/١٩٧٥.

والموضوعية فيما نكتب عن الإسلام والمسلمين.

وقد ضرب مثالاً على ذلك ما كتبه هو عن الإسلام في كتابين له، الأول: (محمد في مكة)، والثاني: (محمد في المدينة).

وهذا الكلام ليس صحيحاً، لأن عددا من المستشرقين لجأ إلى إنصاف الإسلام في بعض الجوانب، ولكنهم اتخذوا من هذا الإنصاف الجزئي مدخلا للطعن فيه (١).

أنشطة المستشرقين في المجال السياسي:

يمكن تلخيص أنشطة المستشرقين في المجال السياسي بالنقاط التالية:

١- خلق الأسباب التي تدعو إلى الحرب بين الأمم الإسلامية التي يعمل المستشرقون بين شعوبها، وبين الحكومات الأوروبية التي يعتنقون سياستها، بل عملوا على تشجيع الحرب المستمرة على الأمم الإسلامية بأمل إضعافها كما حدث في تركيا إبان الامبراطورية العثمانية خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

٢- تشجيع الحركات القومية التي تهدف إلى إضعاف الشعور الإسلامي بين البلاد الإسلامية، وقصر الصلة بين هذه الدول الإسلامية على العنصر القومي وحده، دون اعتداد بالإسلام كلية.

٣- تهيئة الأجواء المناسبة للدول الاستعمارية لتغزو البلاد الإسلامية سياسياً وعسكرياً من أجل احتلالها.

٤- مقاومة الحركات الوطنية، ومحاولات تمزيق صفها. يقول الأستاذ أميل الغوري:

«وقد تعاون المبشرون من قدامى وجدد مع الموظفين البريطانيين التابعين لدوائر

---

(١) راجع ما كتبه محمد عبد الفتاح عليان في كتابه أضواء على الاستشراق، ص١١ وما بعدها؛ الدعوة إلى الإسلام، سير توماس أرنولد؛ حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، فإن هذه الكتب تظهر صورة عن كتابات المستشرقين.

الاستخبارات ومع الدائرة السياسية للوكالة اليهودية ورجال المخابرات التابعين لها ولسائر الأحزاب اليهودية ولعب هؤلاء مجتمعين ومتعاونين دوراً بارزاً في مقاومة الحركة الوطنية، ومحاولات تمزيق صفها، فلما نشأت أزمة البراق الشريف خلال عام ١٩٢٩ نتيجة لأعلان اليهود عزمهم على الاستيلاء على هذا المكان الإسلامي المقدس، انصرف المشار إليهم آنفا من رجال الإرساليات التبشيرية الأجنبية والبدع الجديدة والعاملين في المخابرات البريطانية، انصرفوا يروجون دعاية واسعة النطاق في الأوساط الداخلية والخارجية، تأييدا لوجهة نظر اليهود وحقوقهم المزعومة في ساحة الحرم المقدس الشريف [(١)].

٥- العمل على إلغاء مفهوم الجهاد كاملاً عند المسلمين، واستبدال هذا المفهوم بالشعارات الزائفة.

أساليب الاستشراق في حرب الإسلام:

يمكن تلخيص أساليب الاستشراق في حرب الإسلام بالأمور الآتية:

١- العمل على إضعاف الرابطة بين المسلم وإسلامه، وذلك عن طريق التشكيك في الإسلام وكتابه ورسوله.

٢- تعطيل المدارس الإسلامية وإغلاقها، ووضع العراقيل والعقبات في وجهها إن وجدت.

٣- نشر المدارس التابعة للبعثات التبشيرية، وإسناد الوظائف الهامة والقيادات العليا للمتخرجين منها.

٤- محاربة الجماعات الإسلامية واضطهادها، ونشر الدعايات ضدها، والعمل على ضربها من الداخل والخارج.

٥- وضع المسلمين في وضع اقتصادي سيء، بنشر الفقر بينهم وتحت ضغطه يتحول

---

(١) دور التبشير في خدمة الاستعمار والصهيونية، إميل الغوري، ص١٩-٢٠.

المسلمون عن الإسلام.

٦- إشاعة الأباطيل والافتراءات على الإسلام.

٧- مطاردة علماء المسلمين في كل مكان، والتشكيك بهم.

٨- الترويج لفكرة القومية لإبعاد المسلمين عن عقيدة التوحيد.

٩- استغلال مناهج التعليم، باعتبارها أثمن الوسائل في إفساد عقول المسلمين.

مكافحة الاستشراق:

يمكن مكافحة الاستشراق وأساليبه الهدامة عن طريق وضع خطط محكمة يمكن عن طريقها إبطال كيد الاستشراق ورجاله، ونقترح ما يلي:

١- الدعوة إلى تضامن الدول الإسلامية، والعمل على وضع ميزانية خاصة لتنفيذ برنامج متكامل لمواجهة مخطط الاستشراق من جهة، ومساعدة المسلمين وخاصة في الدول التي تسيطر عليها التيارات الاستشراقية من جهة أخرى.

٢- الاهتمام بالتعليم الإسلامي، خاصة في الدول التي تنتشر فيها تيارات الاستشراق وذلك بالتوسع في فتح المدارس الإسلامية والجامعات المتخصصة التي تقرر فيها المناهج الإسلامية بشكل مبسط وواضح، ويتولى التدريس فيها مبعوثون من البلاد الإسلامية.

٣- الاهتمام بإقامة المساجد في البلاد التي تجتاحها التيارات الاستشراقية لتكون مقراً للتوعية الإسلامية، والعمل على فتح مكتبات إسلامية فيها، وأن يعمل فيها وعاظ ومدرسون على مستوى عال من الثقافة الدينية والدنيوية.

٤- إصدار مجلات إسلامية باللغات التي يتكلمها المسلمون في هذه البلاد على أن يكتب فيها أساتذة متخصصون في كل مجالات البحث العلمي، ولديهم الثقافة الإسلامية الكافية الواعية، وأن تبرز المسائل العلمية التي يرد بها على المستشرقين.

٥- العمل على إنشاء مجمعات إسلامية، تشمل مدرسة لتحفيظ القرآن ومستشفى وصيدلية ومصحة لأصحاب العاهات.

٦- زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء المسلمين في هذه البلاد ليتمكنوا من مواصلة تعليمهم وتزويدهم بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة بالإضافة إلى تعلم اللغة العربية -لغة القرآن- وتشجيع المؤسسات المتخصصة في هذا المجال.

٧- الاهتمام بالشباب وإعداد معسكرات، وبرامج فكرية ثقافية لهم.

٨- دراسة أحوال المسلمين في هذه البلاد دراسة علمية للوقوف على العوامل المحيطة بهم والمؤثرة عليهم في حياتهم الاجتماعية والفكرية.

٩- تكوين هيئة إسلامية دولية مهمتها متابعة التيارات الفكرية المناهضة للإسلام، والدفاع عن الأقليات المسلمة في كل المحافل الدولية، ومكافحة وتشجيع المؤسسات المهتمة بهذه النشاطات.

١٠- على أولي الأمر في العالم الإسلامي أن يحسنوا اختيار المبعوثين إلى أوروبا وأمريكا من الطلاب وغيرهم لأنه كثيراً ما يسيء هؤلاء المبعوثون إلى الإسلام بسوء سلوكهم ويثيرون أخطر على الإسلام من أعدائه.

١١- العمل على إيجاد الدعاة المتخصصين العاملين في الميدانين الدفاعي والتبليغي، على أن يقوموا ببيان حقائق الإسلام للناس، لأن بيان هذه الحقائق كاف لإخماد أصوات أعداء الإسلام.

ما الذي يجب أن يكون عليه موقفنا من الاستشراق

الموقف الذي نقابل به الاستشراق يتمثل في النقاط التالية:

١- إحصاء أغاليط وأضاليل المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية وغيرها من الكتب التي أصدرها علماء الاستشراق، وتصنيف هذه الأضاليل وجمعها في كتاب يتضمن الردود المقنعة عليها.

٢- دراسة تاريخ حركة الاستشراق في العالم العربي، وتتبع الشبهة التي أثيرت والردود التي وضعت للانتفاع بها في موقفنا الحاضر من حركة الاستشراق.

٣- مراجعة العلاقة بين الدراسات العربية والإسلامية في البلاد العربية بمدارس

الاستشراق في الغرب التي تقوم بنفس الدراسات، حتى لا تندس نظرياتهم وآراؤهم في ثقافتنا.

وتدخل في عملية المراجعة البعثات التي ترسلها الجامعات العربية إلى مدارس الاستشراق.

٤- تأسيس هيئة خاصة لدراسة مشكلة الاستشراق، وتعقب انتاج المستشرقين المعاصرين وغير المعاصرين، وتحديد مواقفهم ومنازعهم الخاصة في الجامعات الأوروبية والأمريكية، على أن تقوم هذه الهيئة بمهمة الرد وتفنيد ما كتبوه في القديم والحديث [١].

---

(١) حول مشكلة الاستشراق، محمد دياب، ص٤٢، مجلة منبر الإسلام، العدد الثاني عشر، سنة ٢٨ ذو الحجة/ ١٣٩٠.

الباب الثاني

شبهات المستشرقين من القضايا العقدية

الفصل الأول: موقف المستشرقين من القضايا العقدية

المبحث الأول: موقف المستشرقين من قضية التوحيد

المبحث الثاني: موقف المستشرقين من النبوة

المبحث الثالث: موقف المستشرقين من مصدر القرآن

الفصل الثاني: المستشرقون وتاريخ القرآن

المبحث الأول: دعوى المستشرقين بأن القرآن قد حُرف

المبحث الثاني: دعوى تناقض القرآن

المبحث الثالث: المستشرقون وفواتح السور

المبحث الرابع: موقف المستشرقين من الآيات المكية والمدنية

المبحث الخامس: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم

المبحث السادس: المستشرقون والقراءات القرآنية

الباب الثاني

شبهات المستشرقين حول القرآن

التمهيد:

إن موضوع الشبهات يعتبر من أخطر الموضوعات التي تهم المسلمين، فالهجوم على الإسلام يمتد في جبهات واسعة، فهو يستهدف العقيدة الإسلامية، والشريعة، والثقافة، والكيان والشخصية، والتاريخ، والأمجاد، والتراث، والماضي، والحاضر، والمستقبل لأمة الإسلام، والأسلحة التي تصوب نحو الإسلام متعددة، وأعداء الإسلام أظهروا مكنون قلوبهم، فليس يرضيهم شيء إلا أن يفرقوا أهله عنه، وأن يملأوا الدنيا أباطيل بأن الإسلام دعوة باطلة، ورسالة زائفة، وأنه لا بد من الإجهاز عليه.

ومن هنا تكالبت جهود المبشرين والمستشرقين لنشر هذا الباطل، فظهرت كتبهم المتعددة التي تطعن بالإسلام ونبيه وكتابه.

وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من تعرّف المسلم على هذه الشبهات والأراجيف التي ينشرها الأعداء من أجل التصدي لها والرد عليها وبيان زيفها وضلالها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا بد من العمل على تنقية الفكر الإسلامي مما علق به منها، وإبراز حقائق الإسلام ومظاهر جماله، وأسرار حكمته، فيما شرع لنا من وجوه الخير وأسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

وقد يسر الله تعالى لدينه من يدافع عنه في القديم والحديث فبيّن العلماء زيف هذه الشبهات وبطلانها، وردّوا كيد أصحابها في نحورهم.

ونذكر من هؤلاء العلماء على سبيل المثال:

١- ابن قتيبة في كتابه تأويل الحديث.

٢- وابن حزم في الرد على الفرق.

٣- وابن العربي في العواصم من القواصم.

٤- والغزالي في الرد على الباطنية والفلاسفة.

٥- ومحمد رشيد رضا في الرد على النصارى وشبهاتهم.

٦- ومحمد قطب في الرد على الشبهات التي أثيرت حول الإسلام.

٧- ومحمد الغزالي في الرد على المستشرق المجري اليهودي جولد تسهير في كتابه العقيدة والشريعة.

وغير هؤلاء كثير ممن دافع عن الإسلام وكتابه ورسوله فهذا العلم يعمل على تصحيح المفاهيم، ونرجو الله تعالى أن يوفق القائمين على الجامعات الإسلامية لفتح مراكز علمية يكون واجبها الاهتمام بالدراسات الاستشراقية لدراستها والرد عليها [(١)].

تعريفات:

الشبهات: جمع شبهة وهي واحدة من شبه عليه الأمر: أبهمه عليه حتى اشتبه بغيره.

وشبه عليه وله: لبس، قال تعالى: ﴿ولكن شبه لهم﴾[(٢)]، واشتبه عليه الأمر: اختلط.

وتشابه الشيئان: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، قال تعالى: ﴿إن البقر تشابه علينا﴾[(٣)].

والشبه: الألتباس، وأمور مشتبهه ومشتبهة: مشكلة يشبه بعضها بعضاً وشبه عليه: خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره.

وأما تعريف الشبهات في الشرع:

ما التبس أمره فلا يدري أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل والجمع شبه [(٤)].

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، ص٣؛ شبهات حول التشريع الإسلامي، محمد نبيل غنايم، ص٥؛ الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ص٤.

(٢) سورة النساء، آية ١٥٧.

(٣) سورة البقرة، آية ٧٠.

(٤) المعجم الوسيط، ج١/٤٧٤، مادة شبه؛ لسان العرب، ابن منظور، ج١٣/٥٠٣.

والمتشابه في النص القرآني يحتمل عدة معاني، قال تعالى: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ [1].

قال القرطبي: أحسن ما قيل في المتشابه والمحكم، أن المحكم ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره.

والمتشابه: ما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه ولم يكن لأحد إلى علمه سبيل.

قال بعضهم: وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدجال، وعيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور [2]. وعلى هذا يمكن تعريف الشبهات بأنها: «كل تصور من شأنه أن يمنع صاحبه من القناعة التامة بأمر ما لعدم وضوح ذلك الأمر عنده، بقطع النظر عن صدق هذا التصور أو خطئه، وبالنسبة لما نحن بصدده تكون الشبهات عبارة عن كل تصور من شأنه أن يمنع صاحبه من القناعة التامة بصلاحية الإسلام للتطبيق بقطع النظر عن صدق هذا التصور أو خطئه [3].

والحقيقة أن الشبهات بهذا المعنى تصدق على كل من لم تتضح له الحقيقة من المسلمين وغيرهم، أما الذين يثيرون الشبهات من الأعداء فغالب الظن أنهم يعرفون الحقيقة، ولكنهم يقصدون إثارة الشبهات، وإذا كانت الحقيقة واضحة لديهم، فلا نسميها شبهات، وإنما نسميها أكاذيب وأباطيل [3] وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم

---

(١) سورة آل عمران، آية٧.

(٢) القرطبي، ج٤، ص٩-١٠.

(٣) الشبهات التي تثار حول تطبيق الشريعة الإسلامية، محمد سعيد البوطي، أحد بحوث مؤتمر الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود، سنة ١٣٩٦، ص٣٥٥.

(٤) شبهات حول التشريع الإسلامي، محمد نبيل غنايم، ص١١-١٢.

يعلمون﴾[1] .

وصدق الله إذ يقول أيضاً: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسولـه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[2] .

فهذا هو دأب أعداء الإسلام منذ القديم، درجوا على التشكيك في نبي الإسلام والطعن في رسالته، والنيل من كرامته، يختلقون الأكاذيب والأباطيل ليشككوا المؤمنين في دينهم، ويبعدوا الناس عن إيمانهم.

تركيز المستشرقين على القرآن:

منذ نزل القرآن على محمد ﷺ، بلسان عربي مبين، عني به المسلمون عناية فائقة لا مثيل لها.

وقد ألفت الكتب المتعددة في علوم القرآن في عصور مبكرة، وهذا دليل ساطع على العناية به، وما زال العلماء حتى يومنا هذا يسيرون على البحث عنه وبه بنواح شتى.

وفي القرن الثاني عشر اتبعهم علماء الافرنج، فبدأوا يبحثون عن تاريخه وعن الكتب المؤلفة فيه، وعن تفسيره، وما أشبه ذلك، وفي هذا العصر قامت الدول الأوروبية عن طريق جامعاتها ومعاهدها بالعناية الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه[3] .

ففي ألمانيا قام المستشرق ج. برجشتراسر (J. Bergstraesser) الذي كـان في المجمع العلمي في مدينة ميونخ، بجمع كل ما يمكن الحصول عليه من المصادر الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه، ثم جاء من بعده سنة ١٩٣٣م المستشرق أوتو برتيزل (Or. Otto Pretzl) أستاذ اللغة العربية في ميونخ، وقد كتب رسالة إلى المجمع العلمي

---

(١) سورة البقرة، آية ١٤٦.

(٢) سورة الصف، آية ٨-٩.

(٣) تاريخ القرآن، أبو عبدالله الزنجاني، تقديم أحمد أمين، ص١٢، ط١٣٨٨/٣.

في دمشق يقول فيها: «ولقد نوينا تسهيلاً لمحبي الاطلاع أن ندون كل آية من القرآن الكريم في لوحة خاصة تحوي مختلف الرسم الذي وقفنا عليه في مختلف المصاحف مع بيان القراءات المختلفة التي عثرنا عليها في المتون المتنوعة، ومتبوعة بالتفاسير العديدة التي ظهرت على مدى العصور وتوالي القرون»[(١)].

وقد ركز المستشرقون في كتاباتهم القرآنية على ما يلي:

١- نشر أهم الكتب المؤلفة في القرآن، ونذكر بعضها:

أ- التيسير في القراءات السبع: لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني.

ب- المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: للداني.

ج- مختصر الشواذ: لابن خالويه.

د- المحتسب: لابن جني.

هـ- غاية النهاية في طبقات القراء: لشمس الدين محمد الجزري[(٢)].

وغيرها كتب كثيرة نشرت على يد المستشرقين في مناطق مختلفة.

٢- اهتمام المستشرقين في البحث عن تاريخ القرآن وعن أدواره التي مرت عليه من زمن النبي ﷺ إلى القرون الأولى الإسلامية، وبيان مكيه ومدنيه، وقراءاته، ولهجاته، وكتابته وتدوينه.

٣- اهتمام المستشرقين بترجمة القرآن إلى لغاتهم المتعددة، ترجمة حرفية أو تفسيرية أو لغوية، جزئية أو كلية.

٤- البحوث العامة والدراسات المتنوعة التي تنبثق عن القرآن في علومه وفنونه وبلاغته، ومسايرته للحياة في الفن والفلسفة والاجتماع[(٣)].

---

(١) نفس المرجع، ص١٢-١٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ص١٣.

(٣) المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، ص٧، ط١.

وأما الدوافع التي دفعت المستشرقين للتركيز على القرآن يمكن إيجازها بالنقاط التالية:

١- القرآن آخر الكتب السماوية وهو المهيمن عليها، يبين الصحيح منها، والباطل المحرّف، قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾(١).

فالقرآن الكريم جاء مصدقاً للكتب السابقة ومهيمناً عليها ورقيبا يقر ما فيها من حق، ويبين ما دخلها من تحريف.

وقد بين الرسول ﷺ بأن القرآن أمين على الكتب السابقة التي تقدمته، فما وافق القرآن فيها قبلناه، وما خالفه فهو من التحريف الذي دخلها، قال ابن عباس رضي الله عنه المهيمن: الأمين (القرآن أمين على كل كتاب قبله) (٢).

فبما أن القرآن اتهم أتباع التوراة والإنجيل بتحريفهما لذلك اتهم المستشرقون محمداً بأنه استمد في إنشاء القرآن من هذين الكتابين قصصاً وأخباراً وأحكاماً.

٢- إنكار القرآن للأسس الثلاثة التي تقوم عليها المسيحية وهي (التثليث، والصلب، والفداء). قال الله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾(٣).

فهذا سبب آخر دفعهم للتركيز على دراسة القرآن من أجل النيل منه.

٣- محاولة علماء اللاهوت في أمريكا الآن تطبيق نظرية النقد الأعلى على القرآن، كما يطبقونها على الإنجيل والتوراة، ويزعمون في وقاحة أن الله لم يتحدث العربية قط، وهم يحاولون بذلك التشكيك في أن القرآن من عند الله، ويقولون القرآن كغيره من الكتب عرضة للانتقاد والتحريف (٤).

---

(١) سورة المائدة، آية ٤٧.

(٢) فتح الباري، كتاب التفسير، سورة ٥، ص٢٦٩؛ فضائل القرآن، ج٩/٣.

(٣) سورة المائدة، آية ٧٣.

(٤) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص١٧.

ويؤكد الدكتور اللبان هذه الحقائق المتقدمة، فيقول: «إن السبب الأول لحقد المستشرقين على القرآن وإصرارهم على أنه من كلام محمد، وليس من عند الله، هو أن القرآن اتهم أتباع التوراة والإنجيل بتحريفهما، ولذلك زعموا بأن محمداً استمد معارفه في تأليف القرآن من هذين الكتابين قصصاً وأخباراً وأحكاماً، كما أن القرآن -من ناحية أخرى- ينكر الأسس الثلاثة التي تقوم عليها مسيحيتهم وهي (التثليث والصلب والفداء)[(١)].

ومن المستشرقين جورج سيل (J. Sell)، والمستشرق رتشارد (Richard)، والمستشرق هيوز (Hughes). وهذه الطائفة من المستشرقين، هم الحاقدون على الإسلام الذين يعانون من عقدة دينية في شعورهم الباطني، وقد أشار إلى ذلك المستشرق لوبون (Lebon)[(٢)] كما مر معنا.

وهناك طائفة أخرى قادهم البحث العلمي إلى معرفة حقائق الإسلام فآمنوا، وكتبوا عن الإسلام ما لم يكتبه أبناؤه، منهم الأستاذ محمد أسد ليوبولد فايس (Lyobold Fays)، والأستاذ ناصر الدين (دينيه)، والسيدة مريم جميلة مارجريت ماركوس (Margarita Marscos) وغيرهم كثير.

٤- ما أحدثه القرآن من تغيير شامل في المجتمع الإسلامي والعربي وما أضافه إلى الحضارات الإنسانية من مادة علمية وحياة، وما قدمه للثقافة من تطور وتجديد دفع هؤلاء للحدب على دراسته، وتتبع نصوصه.

وبعد هذا العرض نستطيع القول أن أعداء الإسلام استطاعوا في غفلة من الزمن أن ينفثوا بشبهاتهم وحقدهم من فوق أسوار البناء الإسلامي المكين، تحت أعين المغافلين عن حراسته في العصور الأخيرة، حينما صار أمر الدين في أيدي ناس جعلوه صلاة

---

(١) نفس المرجع، ص١٢.

(٢) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص٥٧٧-٥٧٨، بتصرف، ترجمة عادل زعيتر، ط٣، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

وعبادة فقط، وتركوا ميادين الحياة لغيرهم، واليوم تحقق للمستشرقين وأعوانهم، ما أرادوا بشيوع أفكارهم [(١)].

القرآن محفوظ بحفظ الله له:

أحيط القرآن الكريم بسور من العناية الإلهية التي لم تتوفر لغيره من الكتب السابقة، التي لم يتعهد الله بحفظها فدخلها التحريف والتغيير والتبديل، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [(٢)].

قال الخازن في تفسيره: (الضمير في له يرجع إلى الذكر، يعني: وإنا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون) يعني من الزيادة فيه، والنقص منه، والتغيير والتبديل والتحريف، فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها، لا يقدر أحد [(٣)] من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفاً واحداً أو كلمة واحدة).

وبما أن العناية الإلهية اقتضت أن يبقى هذا القرآن بعيداً عن عبث العابثين وتلاعب المحرفين، لذلك نجد أن الله هيأ لهذا الكتاب أسباب الحفظ التي تتمثل بما يلي:

١- الرعاية الإلهية.

٢- أن هذا القرآن نقل بالكتابة والحفظ معاً.

٣- كان من أسباب حفظ القرآن عند الرسول ﷺ وتثبيته في قلبه أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في رمضان من كل عام مرة واحدة، وقد عارضه إياه مرتين في

---

(١) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص١١، ط٤، دار الفكر.

(٢) سورة الحجر، آية٩.

(٣) تفسير الخازن، علي بن محمد الشهير بالخازن، ج٤/٥٧، ط٢، ١٩٧٥، مصطفى البابي الحلبي؛ التفسير الكبير، للفخر الرازي، المجلد العاشر، ج١٩، دار الفكر العربي؛ أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، ج٣/١٠٧، مطبعة المدني.

العام الذي توفي فيه [1].

٤- عناية الرسول ﷺ، والصحابة من بعده، ومن جاء بعدهم من الأمة الإسلامية بالقرآن، وحفظهم له، جاء في الحديث (إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان) [2].

فالحديث يشير إلى أن الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ محفوظ من الزوال والاندثار، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، والكتاب الذي لا يغسله الماء هو الذي لا يصله التحريف، والقرآن محله القلوب لا الصحف وقد جاء في وصف هذه الأمة (أناجيلهم في صدورهم) [3].

والمراد قرآنهم لأنه ليس لهم أناجيل.

ويشير الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى إلى هذا الحفظ الإلهي، فيقول: «لقد جاء على هذا القرآن زمان في أيام الفتن الأولى كثرت فيه الفرق، وكثر فيه النزاع، وطمت فيه الفتن، وتماوجت فيه الأحداث، وراحت كل فرقة تبحث لها عن سند في هذا القرآن وفي حديث رسول الله ﷺ».

ولقد أدخلت هذه الفرق على حديث رسول الله ﷺ ما احتاج إلى جهد عشرات العلماء الأتقياء الأذكياء، عشرات من السنين لتحرير سنة رسول الله ﷺ وغربلتها وتنقيتها من كل دخيل عليها، من كيد أولئك الكائدين لهذا الدين، كما استطاعت هذه الفرق في تلك الفتن،

---

(١) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ج٩/٤٣ السلفية.

(٢) مسلم، ج٤/٢١٩٧؛ المسند، ج٤/١٦٢.

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة، ص١٦؛ وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى، ط١٩، تحقيق محمد خليل هراس؛ وذكره ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ من سورة العنكبوت، ج٦/٢٩٥، تحقيق محمد إبراهيم البنا وزميليه.

أن تؤول معاني النصوص القرآنية، وأن تحاول أن تلوي هذه النصوص لتشهد لها بما تريد تقريره من الأحكام والاتجاهات، ولكنها عجزت جميعاً، وفي أشد أوقات الفتن حلوكا واضطرابا أن تحدث حدثا واحدا في نصوص هذا الكتاب المحفوظ، وبقيت نصوصه كما أنزلها الله حجة باقية على كل محرف وكل مسؤول، وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الذكر المحفوظ.

ثم جاء على المسلمين زمان -ما نزال نعانيه- ضعفوا فيه عن حماية أنفسهم، وعن حماية عقيدتهم، وعن حماية نظامهم، وعن حماية أرضهم، وعن حماية أعراضهم وأموالهم وأخلاقهم، وحتى عن حماية عقولهم وإدراكهم، ولكن أعداء هذا الدين -بعد هذا كله- لم يستطيعوا تبديل نصوص هذا الكتاب ولا تحريفها، ولم يكونوا في هذا من الزاهدين، فلقد كانوا أحرص الناس على بلوغ هذا الهدف، ولو كان يبلغ، وعلى نيل هذه الأمنية لو كانت تنال»[1].

---

(١) ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤/٢١٤٨، ط/١٣٩٤، دار الشروق؛ راجع ما جاء في التفسير الكبير؛ فخر الدين الرازي، المجلد العاشر، ج١٩، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾؛ وراجع تفسير الصاوي على الجلالين، للشيخ أحمد الصاوي، ج٢/٢٤٧، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

الفصل الأول

موقف المستشرقين من القضايا العقدية

التمهيد:

العقيدة: مأخوذة من العقد والعقد هو الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة، كعقد الحبل، وعقد البناء، وتوسع في العقد فاستعمل في المعاني كعقد البيع وعقد النكاح.

والعقيدة الدينية: هي ما يجب على المسلم الإيمان به، فكأن المؤمن المعتقد قد جمع أطراف قلبه وعقدها على ما صدق به[1].

ولفظ العقيدة لم يرد في القرآن الكريم، وإنما ذكر لفظ الإيمان فيجب على المسلم أن يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والبعث والنشور، والحياة الآخرة، كما يجب عليه الإيمان بأصول الشريعة التي لا اجتهاد فيها ولا خلاف كالصلاة والصيام وغيرها.

والعقيدة هي الأصل والأساس الذي تبنى عليه الشريعة، والعقيدة والشريعة مترابطتان لا تنفصل إحداهما عن الأخرى، وقد بنى الإسلام مجتمعه الجديد على أساس العقيدة، فهي ضرورية للفرد والجماعة، بالعقيدة يطمئن الفرد ويسعد وتطهر نفسه، وبالعقيدة يتماسك المجتمع ويستقر، ويرتفع، فالمجتمع بغير عقيدة مجتمع غابة، وإن ظهرت له بوارق الحضارة، فهو مجتمع تعاسة وشقاء ليس له غايات وأهداف، وأهله يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام.

وقد اعترف المفكرون والفلاسفة من الذين لا يؤمنون بالله بقيمة الإيمان وأثره في النفوس البشرية وقد قال بعضهم (لو لم يكن الله موجوداً لوجب علينا أن نخلقه) أي

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، مادة عقد، ج٢/٥٢٥؛ شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس، ص١٥، ط٤، مؤسسة مكة للطباعة.

نخترع للناس إلهاً يؤمنون به ويلتمسون رضاه، ويخافون حسابه حتى ترتدع الأنفس الشريرة وتستقيم أخلاق الجماهير [1].

سمات العقيدة الإسلامية:

اتسمت العقيدة الأسلامية بما يلي:

أ- الوضوح حيث أنها خالية من كل تعقيد أو غموض كتعقيد التثليث والمثنوية [2].

ب- الشمول: قامت العقيدة الإسلامية بتفسير القضايا الكبرى التي شغلت العقول البشرية، كقضية الألوهية، وقضية الكون، وقضية الإنسان، وقضية النبوة، وقضية المصير، حيث تناولها جميعها بأسلوب واضح ظاهر لكل الناس، ويتجلى شمولها في قضية الإله ذلك أنها بينت أنه إله واحد، ولم تضع الإنسان في صراع فكري، كما فعلت العقائد الأخرى كالمجوسية والنصرانية.

ج- الثبات: قال الله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [3] فثبات عقيدة الإسلام ناتجة عن أنها منزلة من عند الله والوحي قد انقطع عن الأرض بموت النبي ﷺ، فنصوص الدين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل إلى يوم القيامة.

---

(١) الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، ص٨ وما بعدها، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) المثنوية: وهم القائلون بوجود أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر، والضر والصلاح، يسمون أحدهما النور، والثاني الظلمة، وينتشر هذا المذهب في المجوس والفرس، الملل والنحل، الشهرستاني، ج٢/٧٢.

(٣) سورة الروم، آية ٣٠.

المبحث الأول

موقف المستشرقين من قضية التوحيد

قبل الدخول في البحث، لا بد من تقسيم المستشرقين حسب جنسياتهم لكي تتضح لنا عقيدة كل فريق منهم.، ويمكن تقسيمهم إلى ثلاث طوائف:

١- المستشرقون اليهود.

٢- المستشرقون النصارى.

٣- المستشرقون الشيوعيون.

المستشرقون اليهود وعقيدتهم

عقيدة اليهود في الألوهية:

اليهودية إحدى الديانات السماوية القديمة القائمة حتى اليوم رغم ما اعتراها من تحريف وتغيير، نزلت أصولها النقية من السماء على موسى عليه السلام، والتي يدين بها شعب من الشعوب السامية، يعرفون باليهود كما يعرفون بالعبرانيين، كما يعرفون ببني إسرائيل.

وقد قامت هذه الدعوة على التوحيد، جاء في الإصحاح السادس من سفر التثنية ما يلي: «اسمع يا إسرائيل الرب الهنا رب واحد» (١)، وهناك نصوص كثيرة وردت في التوراة الموجودة بأيدي اليهود اليوم تدل على وحدانية الله وقدرته وعظمته، وكماله، وتقديسه، وعلمه، وعدله (٢).

وأما عقيدة اليهود الحالية، فهي عقيدة محرفة لإنها تنبثق من توراتهم الحالية، فإلههم إله عجيب، إله جاهل حيناً، عالم حيناً آخر، إله ضعيف تارة، وقوي تارة أخرى... إلخ.

---

(١) الكتاب المقدس، سفر التثنية، ٦/٤.

(٢) سفر التثنية ٦/٤؛ ١٠/١٧؛ سفر التكوين ١/١٧، ٤٨/٣، ٤٩/٢٥؛ سفر حزقيال ١٢/٢٥؛ سفر أشعياء ١٤/٢٤؛ سفر اللاويين ١١/٤٤؛ صموئيل الأول ٦/٢٠، ٢/٢، ٣؛ المزمور ١٨/٣٠، ١٩/٧، ١١/٧.

يقول الأستاذ عبدالله التل:

«وقد عدد اليهود آلهتهم في التوراة، فهم يركزون على يهوه بعد الخروج من مصر، ويعتبرون هذا الإله خاصاً بهم، فتارة يسمونه إله إسرائيل، وتارة أخرى رب الجنود، ويضفون على يهوه الصفات الحسية التي تنطبق على الإنسان تارة، وعلى الشيء المرعب العجيب تارة أخرى، وما أسهل في نظر التوراة من المقابلات والمجادلات والمناجاة التي تتم بينهم وبين يهوه، حتى ليخيل للإنسان أن تلك المقابلات كانت أسهل من المقابلات التي تتم في الوقت الحاضر مع بعض حكام الدول وملوكها»[(١)].

ثم نجد أن عملية تعدد الآلهة قد وصلت إلى اليهود، فهم يعترفون بوجود آلهة كثيرة، جاء في سفر الخروج ما يلي: (الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الالهة لأنه في الشيء الذي بغوا به كان عليهم)[(٢)].

وكان اعتقاد اليهود أن إلههم (يهوه) هذا لا يريد من شعب إسرائيل أن يلتفت إلى الآلهة الأخرى، لأنه يريد أن يستأثر بشعب إسرائيل لنفسه بين سائر الشعوب، وأن يستأثر شعب إسرائيل به لأنفسهم بين سائر الآلهة، وكان النبي ارمياء يقول لهم بلسان الرب الههم.

«هذا الشعب الشرير الذي يأبى أن يسمع كلامي الذي يسلك في عناد قلبه ويسير وراء آلهة أخرى ليعبدها ويسجد لها يصير كهذه المنطقة التي لا تصلح لشيء»[(٣)].

ويستخلص من ذلك أن اليهود لم يكونوا ينكرون تعدد الآلهة غير يهوه، بل إنهم كانوا يتركون إلههم، ويعبدون آلهة غيره، وإذا عادوا لعبادته فإنما يرجعون إليه لاعتقادهم

---

(١) جذور البلاء، عبدالله التل، ص١٦، ط٢، ١٣٩٨- ١٩٧٨، المكتب الإسلامي؛ انظر سفر التكوين، ٣٢/ ٢٢- ٢٩.

(٢) سفر الخروج.

(٣) سفر ارمياء ١٣/١٠.

بالتجربة المزعومة أنه أقدر على النكاية بهم، وأن الآلهة الأخرى عجزت عن حمايتهم من سخطه وانتقامه [1].

وإذا كانت هذه هي عقيدة اليهود في الإله فهو عندهم يشبه البشر، يتعب، ويحزن، ويغضب، ويندم... إلى غير ذلك من الصفات البشرية، فهذه أيضاً هي عقيدة المستشرقين منهم، يسيرون وراء توراتهم المحرفة وتلمودهم الباطل.

المستشرقون النصارى وعقيدتهم في الإله

دعوة عيسى عليه السلام :

امتن الله تعالى على بني إسرائيل بعيسى عليه السلام، الذي بدأ دعوته في بني إسرائيل دون سواهم، وقد صرحت بذلك أناجيلهم جاء في إنجيل متى:

«ثم خرج يسوع من هناك، وانصرف إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: إرحمني يا سيد ابن داود، ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة، فتقدم تلاميذه، وطلبوا إليه قائلين اصرفها لإنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة» [2].

وقد ورد في بعض الأناجيل على لسان المسيح بأن دعوته قامت على التوحيد الخالص.

جاء في إنجيل يوحنا: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» [3].

وجاء في إنجيل مرقس: «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه

---

(١) محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت إسماعيل، ص١٢٢- ١٢٣، مطبعة التقدم.

(٢) متى ١٥/٢١-٢٥.

(٣) يوحنا ٣/١٧.

أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل، الرب الهنا رب واحد، وتحب الرب الهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى» [١].

وجاء في الفقرة ٣٢ من نفس الإنجيل: «فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه» [٢].

العقيدة المحرفة وعناصرها:

يقوم جوهر العقيدة النصرانية ولبها على ثلاثة عناصر:

الأول: التثليث والإيمان بثلاثة أقانيم.

الثاني: صلب المسيح فداء عن الخليقة، وقيامه من قبره ورفعه.

الثالث: أن المسيح يدين الأحياء والأموات.

والذي يهمنا من هذه العناصر في هذا الكتاب، هو العنصر الأول، جاء في كتاب سوسنة سليمان، لمؤلفه نوفل بن نعمة الله بن جرجس النصراني في بيان عقيدة النصارى ما يلي: «إن عقيدة النصارى التي لا تختلف بالنسبة لها الكنائس، وهي أصل الدستور الذي بينه المجمع النيقاوي، هي الإيمان باله واحد آب واحد، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يرى وبرب واحد، يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، والذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس، وصلب عنّا على عهد بيلاطس، وتألم وقبر وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب، وسيأتي بمجد، ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه والإيمان بالروح القدس الرب

---

(١) مرقس ١٢/٢٩.

(٢) مرقس ١٢/٣٢.

المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الابن يسجد له ويمجد، الناطق بالأنبياء»[١].

وهذا يسمى عند النصارى قانون الإيمان الذي وضع في مجمع فنيقية سنة ٣٢٥م، وقد أشار الدكتور بوست (Bost) إلى عقيدة التثليث، فقال: «طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية، الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير»[٢].

ويفهم من كلام الدكتور بوست، أن هذه الأقانيم الثلاثة عناصر متلازمة، لا تنفصل عن ذات الإله، فالاب لاهوت وهو الخالق والابن جمع بين اللاهوت والناسوت وهو الفادي، والروح القدس لاهوت محض وهو المظهر المنبثق من الآب، ويذهب علماء النصارى إلى إقامة الأدلة على التثليث، وألوهية المسيح من كتبهم المقدسة والعهد القديم والجديد.

جاء في سفر أشعياء من العهد القديم: «ها العذراء تحبل، وتلد ابنا، وتدعو اسمه عمانوئيل، أي الله معنا»[٣].

وجاء فيه أيضاً: «كأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً، وتكون الرئاسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً الها قديرا، أبا أبدية، رئيس السلام»[٤].

وأما في كتب العهد الجديد فقد جاء في إنجيل متى ما يلي: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت»[٥].

---

(١) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص١٠٨، ط٣، ١٩٨٥، مطبعة المدني؛ دعوة الحق، منصور حسين عبد العزيز، ص١٠، ط٢، مكتبة علاء الدين، الإسكندرية؛ النصرانية والإسلام، محمد عزت طهطاوي، ص٢٨ وما بعدها.

(٢) محاضرات في النصرانية، ص١٠٩.

(٣) سفر أشعياء ٩٤/٧.

(٤) سفر أشعياء ٦/٩.

(٥) متى ١٧/٣.

وجاء في إنجيل يوحنا ما يثبت ذلك: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء، والكلمة صار جسداً، وحل بيننا ورأينا مجده مجداً» [(١)]. وورد في إنجيل مرقس ما يشير إلى ذلك [(٢)].

والذي يدقق النظر فيما كتبه النصارى من الأدلة على عقيدتهم نجد أنهم اعتمدوا على الأدلة النقلية في إثبات تلك العقيدة، ولم يعتمدوا في إثباتها على أدلة العقل، لأنهم لو حاولوا ذلك فإن العقل لا يستسيغ ذلك.

وكذلك نجد النصارى يرون أن التثليث لايتنا في معتقدهم مع توحيد الإله في جوهره، وحدوث العالم بقدرته المفردة ويضربون لذلك مثلا بالشمس ونورها المنبثق عنها والخير الناتج منها للأرض مما يستوجب الشكر والحب.

وأما روح القدس فهي روح الله عامة في نظرهم وهي ترف على الخليقة وتملؤها بالحب والنعمة [(٣)].

كيف وصلت هذه العقيدة إلى النصارى:

دخل الرومان والمصريون أفواجاً في المسيحية في القرون الثلاثة الأولى، وكان هؤلاء أهل فلسفة وفكر، ولقد ألقت الفلسفة هنا بدلوها في هذه الديانة، ويقول المؤرخون بأن هذه الفلسفة ألفت بين الأديان المتضادة، ألفت بين الوثنية الرومانية، واليهودية، والمسيحية الناشئة، فكانت المسيحية هي الخليط الذي جمع عناصر اليهودية والوثنية الرومانية، ثم هناك جامعة الاسكندرية ومدرستها الفلسفية، وكان شيخ هذه المدرسة أمنيوس (Amnyos) المتوفى عام ٢٤٢م معتنقاً للمسيحية، ثم ارتد عنها إلى وثنية اليونان، ثم جاء بعده تلميذه أفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠م، وقد تعلم في مدرسة الإسكندرية، ثم رحل إلى فارس والهند، وهناك أخذ الصوفية الهندية، واطلع على تعاليم بوذا وبراهمه، ثم عاد إلى

---

(١) يوحنا ١/١-٤.

(٢) مرقس ٦٢/١٤.

(٣) الدين والفلسفة والعلم، محمود أبو الفيض المنوفي، ص١٣٣، دار الكتب الحديثة، مصر.

الإسكندرية وقال بعقيدته، وتتلخص هذه العقيدة بما يلي:

أولاً: صدور الكون عن منشىء أزلي دائم لا تدركه الأبصار.

ثانياً: جميع الأرواح شعب لروح واحدة متصلة بالمنشىء الأول بواسطة العقل.

ثالثاً: خضوع العالم لهذه الثلاثة المنشىء الأول -الروح- العقل- والله منشأ الأشياء ليس بجوهر ولا عرض إلا أنه واجب الوجود يتصف بكل كمال يليق به، وأول شيء صدر عنه هو العقل، ولهذا العقل قوة الإنتاج ومنه تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، وهذا الثالوث هو الذي يصدر كل شيء في هذا الوجود [(١)].

وهذه هي الفلسفة المعاصرة لنشأة المسيحية عندما أريد تحويلها إلى الانحراف، فالمنشىء الأول، إذا عبر عنه بالأب، وعن العقل بالابن، وعن الروح بروح القدس، وهذا هو ثالوث النصارى.

بولس وأثره في هذه العقيدة:

الحقيقة أن بولس لم يكن من تلاميذ المسيح أو حوارييه، بل إنه لم ير المسيح في حياته، ولم يسمع منه أية موعظة من مواعظه، بل كان عدواً للمسيحيين، واضطهاده مستمر لهم، وفجأة انتقل من حاله التي كان عليها في عدوانه للمسيحية، من غير تمهيد ولا مقدمات، اللهم ما حكاه عن نفسه في سفر الأعمال في الإصحاح التاسع بأن ذلك جاء نتيجة ما شاهده من نور خلال رحلته إلى دمشق، حيث أنه رأى نوراً من السماء فسقط على الأرض، وسمع صوتا قائلاً له: شاؤول، شاؤول لم تضطهدني؟ فقال من أنت يا سيد؟ فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده... فقال وهو مرتعد، ماذا تريد أن أفعل، فقال الرب: قم وأدخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل.

وللوقت جعل يكرر في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله [(٢)].

---

(١) النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي، ص٢٧ وما بعدها، وص ٨٥ وما بعدها؛ محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص٣٦، ٣٧، ٣٩.

(٢) سفر الأعمال ٣/٩ وما بعده ثم/ ٢٠.

وقد استطاع هذا الرجل بنشاطه وذكائه وحيلته أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية، وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين، وكان أهم ما جاء به ما يلي:

أولاً: نقل الدعوة المسيحية من التوحيد إلى التثليث.

ثانياً: القول بألوهية المسيح وأنه ابن الله، نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً.

ثالثاً: صعود المسيح إلى السماء ليجلس عن يمين أبيه.

جاء في رسالة يوحنا الأولى [(١)] : «هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الأب والابن، كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضاً، ومن يعترف بالابن فله الأب أيضاً، احذروا الذين يضلوكم». فهو هنا ينعى على من ينكرون الابن ولا يعترفون بألوهيته [(٢)] .

المجامع المسكونية وتقرير هذه العقيدة:

وضع بولس (Bols) فكرة ألوهية المسيح وأنه ابن الله، وصادفت البذرة أرض خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت المسيحية، وساعد على نمو هذه الأفكار، ما صادفه المسيحيون الأوائل من الاضطهادات المدمرة التي التهمت كثيرا من مراجعهم وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين أو كادت، وقد استمرت تلك الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون حتى سنة ٣١٣م، في خلال هذه القرون فقدت المسيحية طابعها من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة، واختلاف الناس في أفكارهم، وأشد هذا التناقض ما كان بشأن السيد المسيح.

١- أهو رسول ككل الرسل.

٢- أو إله.

٣- أو ابن إله.

٤- إله له طبيعة واحدة أم له طبيعتان.

---

(١) رسالة يوحنا الأولى ١٨/٦

(٢) انظر النصرانية والإسلام، محمد الطهطاوي، ص٢٤٣ وما بعدها، دار الأنصار، القاهرة.

ولما اشتدت تلك الاضطرابات بين الجماعات المسيحية جمع قسطنطين امبراطور الروم البطاركة والأساقفة فيما يسمى بمجمع نيقية سنة ٣٢٥م ليضع حداً لهذه الاختلافات، وليقرر حقيقة المسيح، وكان عدد المجتمعين (٢٠٤٨) عضواً، واختلف المجتمعون ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار، فقرر الامبراطور أن يفصل في الأمر، فأصدر أمراً بإخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين، واجتمع بالأعضاء القائلين بالتثليث وعددهم (٣١٨) فاتخذوا هذا القرار:

«نؤمن بالله الواحد الأب، مالك كل شيء، وصانع ما يرى وما لا يرى، وبالابن الواحد يسوع الميسح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع إله حق من إله حق... إلخ» (١).

وقد قرر هذا المجمع تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان، كما قرر إحراق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح، والتي تقرر بشريته.

الأسس التي استند عليها مجمع نيقيّة في تقرير هذه العقيدة:

ورد في كتبهم ما يلي: جاء في إنجيل متى حكاية عن رئيس الكهنة عندما سأل المسيح «وأما يسوع فكان ساكتاً فأجاب رئيس الكهنة، وقال له استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله، قال له يسوع أنت قلت» (٢).

نقد ومناقشة هذه الأسس:

أولاً: أن ما يرويه متى أو يوحنا أو أي إنجيل من أناجيل النصارى الحالية أو رسائلهم لا يمكن أن يعتبر دليلاً على مثل هذا الأمر الخطير، وهو اعتبار المسيح إلها أو ابن إله، وبخاصة إذا اتضح أن هذه الأناجيل لا تثبت نسبتها إلى مؤلفيها، وأن السند التاريخي

---

(١) النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي، ص٢٦٣، دار الأنصار، القاهرة.

(٢) متى ٢٦/٦٣-٦٤.

لهذه الأناجيل مقطوع [1] .

ثانياً: أن كلمة (ابن الله) أو قول الله تعالى -حسب زعمهم- هذا ابني الحبيب، لو صح لما كان دليلاً قط على ألوهية المسيح أو بنوته فإنه استعمال مجازي معناه التكريم والطاعة، ونظيره إطلاق الأناجيل على العصاة أنهم أبناء الشياطين، مع أنهم أبناء آدم، والغرض من ذلك أنهم يطيعون الشيطان كطاعة الأبناء للآباء.

ثالثاً: يقول (H. D. A. Mazor) مدير ريبون هول- أكسفورد: «ينبغي أن يلاحظ أن عيسى لم يدع أنه ابن الله من الناحية الحسية الجسمانية، ولا من الناحية الفكرية العقلية، وإنما من الناحية العامة التي تضع كل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب في التعلق به والاعتماد عليه، والحاجة إليه مثل قول المسيح (أبانا الذي في السموات) أما أن يكون ابن الله وهذا مستحيل وكذلك المسيح [2] .

رابعاً: تقرير الأناجيل المعتمدة لديهم توحيد الله، وأن المسيح نبي وبشر ورسول، وفي نفس الوقت تثبت النبوة، وهذا يدل على أن المراد بالنبوة غير ما فهموه.

جاء في إنجيل مرقص «فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي إسمع يا إسرائيل الرب الهنا رب واحد» [3] .

خامساً: أدلة القرآن والسنة على زيف عقيدة التثليث، قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، وما للظالمين من أنصار، لقد كفر الذين قالوا أن

---

(١) راجع ما كتبه الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه محاضرات بالنصرانية بشأن سند الأناجيل، ص٤٤ وما بعدها؛ وما كتبه رحمه الله الهندي بشأن طلب السند المتصل لكتبهم من علمائهم الفحول فعجزوا، ج١، ص٥٧؛ إظهار الحق، تحقيق عمر الدسوقي، مكتبة الوحدة العربية.

(٢) النصرانية والإسلام، محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، ص٤٠، دار الأنصار، القاهرة.

(٣) مرقص ٢٩/١٢.

الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ [1].

وقال بعض المفسرين: «المراد بذلك قولهم بالأقانيم الثلاثة، أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن على اختلافهم في ذلك ما بين الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية». ولهذا قال تعالى: ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ أي وما من إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير له، ولا كفء له، ولا صاحبة له، ولا ولد، ثم توعدهم وتهددهم، فقال: ﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ [2] [3].

وأما السنة النبوية:

فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، يزعم أن لي ولدا وأنا الأحد الصمد، الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد» [4].

وعن أبي كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ يا محمد إنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى: قال هو الله أحد.... إلخ، وكذا رواه الترمذي وابن جرير عن أحمد بن منيع زاد ابن جرير ومحمود بن خداش عن أبي سعيد محمد بن ميسرة به زاد ابن جرير والترمذي قال (الصمد) الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث» [5].

---

(١) سورة المائدة، آية ٧٢-٧٣.

(٢) تفسير المنار، ج٦/٤٨٤؛ تفسير ابن كثير، ج٢/٨١.

(٣) راجع الآيات التالية، سورة المائدة، آية ٧٥؛ سورة مريم، آية ٩٠-٩٥؛ سورة الإخلاص؛ سورة التوبة، آية ٣٠؛ سورة الكهف، آية ١-٦؛ سورة الإسراء، آية١١١.

(٤) أخرجه البخاري؛ انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج١٠/٣٧١ نحو هذا النص.

(٥) أخرجه الترمذي؛ تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، المباركفوري، ج٩/٢٩٩، دار الفكر

وفي الصحيح أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدّعون له الولد وهو يعافيهم ويرزقهم»[(١)].

ولكن حكمة الله اقتضت أن يمد للظالم، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾[(٣)].

سادساً: إذا كان النصارى يتمسكون بأن المسيح إله وابن إله ويستدلون على ذلك ببعض نصوص كتبهم التي صنعوها، فهذا دليل واه واهن لأن من المعلوم لدى البشر أن الابن بمعناه الحقيقي بإتقان أهل العلم أنه المتولد من نطفة الأب الملقحة لبيضة الأم، وذلك محال على الله عز وجل أن تكون له صاحبة أو يوجد له ولد يتولد من نطفته فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

سابعاً: إن العقيدة يجب أن تكون جامعة شاملة مانعة، فإذا كان النصارى يقولون بأن المسيح هو الله، فلا يصح بأي حال أن يقبل منهم القول بأنه ابن الله في اعتقادهم، أما الجمع بين ألوهيته وبين بنوته لله، فإنه أمر لا يمكن فهمه ولا قبوله على الإطلاق، وإذا كان النصارى يقولون بأن هذه البنوة ليست بالمعنى المفهوم، وبالذات ميلاد المسيح من الله ليس هو الميلاد الذي نفهمه وإنما هو ميلاد معنوي فإننا نقول لهم أن للنبوة معنى محددا ومفهوما وللولادة كذلك معنى محددا ومفهوما.

ثامناً: ردود العلماء على النصارى:

جاء في كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: «إن قول النصارى في التثليث

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، فتح الباري، ج١٧/ ١٣٠.

(٢) فتح الباري، ج٩/ ٤٢٥.

(٣) سورة يونس، آية٦٩.

متناقضاً في نفسه لا حقيقة له وبمجرد تصور ذلك يكفي للعلم بفساد قول النصارى من غير احتياج إلى دليل.

لذلك قال العلماء إن النصارى ناقضت في اللفظ، وأحالت في المعنى فلا يجوز أن يعتقد ما يدعون انتحاله لتناقضه، و وذلك أنهم يزعمون أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، وهذا لا يصح اعتقاده لأنه لا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء أنه ثلاثة مع اعتقاده فيه أنه واحد لان ذلك مضاد، وإذا كان ذلك كذلك فليس يخلو من أن يعتقد أنه ثلاثة أو أنه واحد. وليس يحتاج أن يعرف بدليل بطلان قول من ادعى أن الواحد ثلاثة، وأن الثلاثة واحد لأن ذلك لا يعقل، وهو كمن ادعى في الشيء أنه موجود معدوم، أو قديم محدث أو في الجسم أنه قائم قاعد، متحرك ساكن [1].

وبعد هذا الرد نستطيع القول بأن عقيدة النصارى أمر معقد لا يستقيم مع العقل والمنطق السليم، ومن أجل ذلك نرى كثيراً من النصارى يزعم أن عقيدتهم فوق العقل.

والذي يدرس أناجيل النصارى الحالية يرى أن المسيح عليه السلام كان شديد الرغبة في العبادة أو الصلاة لله، ولو كان إلها كما يدعون لاستحال ذلك لأن الإله لا يعبد نفسه [2].

ويقول البروفسور ديفيد بنجامين كلداني قسيس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية سابقاً ما يلي: «والثالوث المسيحي أو النصراني بحكم اعترافه أو تسليمه، بتعدد الشخصيات في الإله، فإنه ينسب خصائص شخصية منفصلة لكل شخص، ويستفيد من أسماء العائلة المشابهة لتلك الموجودة في الميثولوجيا الوثنية، ولذلك لا يمكن قبول هذا التثليث على أنه المفهوم الصحيح للإله، فالله ليس أبا لابن، كما أنه ليس إبناً لأب، وليس له أم، وهو أزلي لا أول له، أبدي لا آخر له.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ج٣/١٦٦، مطابع المجد.

(٢) النصرانية والإسلام، محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، ص٢٨، دار الأنصار، القاهرة.

ثم يقول: والرياضيات كعلم إيجابي تعلمنا أن الوحدة ليست أكثر من واحد، ولا أقل وأن واحدا لا يمكن أن يساوي (واحدا + واحدا + واحدا) وبعبارة أخرى فإنه لا يمكن أن يكون الواحد مساويا لثلاثة، لأن الواحد هو ثلث الثلاثة لا تساوي واحدا، كما أنه لا يمكن للثلث أن يساوي الوحدة، والوحدة هي أساس جميع الأعداد، وهي معيار للمقاييس والأوزان من جميع الأبعاد والمسافات والكميات والزمن، والحقيقة، فإن جميع الأرقام هي حاصل جمع الوحدة، والعشرة هي حاصل جمع عشر وحدات متساوية من نفس النوع.

ثم يقول أيضاً: والذين يقولون بوحدانية الله في ثالوث من الأشخاص إنما يقولون لنا كل شخص هو (إله قدير، موجود، دائم، أزلي، وكامل، لكنه لا يوجد ثلاثة آلهة قديرين، وموجودين، ودائمين، وأزليين وكاملين، ولكنه إله واحد قدير» [1].

ثم يطرح هذا اللغز الذي تقدمه الكنائس النصرانية بالمعادلة الآتية: إله واحد= إله واحد + إله واحد + إله واحد.

وهذا يشير إلى أن: إلها واحدا = ثلاثة آلهة؟!

وهذا قول لا يصدقه العقل بأن إلها واحدا يساوي ثلاثة آلهة، بل إنه يساوي واحدا منها فقط، وإذا سلمنا بأن كل شخص إله كامل مثل قرينه، فإن الاستنتاج ١ + ١ + ١= ١ ليس استنتاجاً رياضيا، بل هو ضرب من السخف لأنه لا يقول عاقل بأن ثلاثة وحدات تساوي وحدة واحدة [2].

وفي نهاية هذا البحث لا بد من تنبيه النصارى بأنهم ما لم يؤمنوا بوحدانية الله المطلقة، وينبذوا الإيمان بالأقانيم الثلاثة فإنهم يكفرون قطعاً بالإله الحقيقي.

ولا بد لهم من دراسة كتبهم دراسة دقيقة، فإن التوراة والقرآن لا يقر مبدأ الأقانيم الثلاثة، وأما كتب العهد الجديد فليس فيها تأييد صريح لهذه الفكرة ولو وجد فيها تأييد فإنها لا تقبل لأنها لم تعرض على المسيح، ولم يكتبها هو.

---

(١) محمد في الكتاب المقدس، ديفيد بنجامين كلداني، ص٤٥، الشؤون الدينية، قطر.

(٢) نفس المرجع، ص٤٥.

ج- عقائد المستشرقين الشيوعيين:

إذا أردنا أن نعرف عقائد المستشرقين الشيوعيين فلا بد من الاطلاع على المرتكزات الأساسية للعقيدة الشيوعية، فالركيزة الأساسية التي تقوم عليها الشيوعية موقفها من الدين، ويتمثل فيه موقف الخصومة والعداء المستمر، فماركس وأتباعه يرددون في كل مكان (أن الدين أفيون الشعوب) ومخدر الفقراء، وأنه انعكاس لشقاء فعلي، واحتجاج على هذا الشقاء.

وظلت الشيوعية تعتز بموقفها من الدين طوال صدامها مع الكنيسة ولكن بعد أن وجدت لها أتباعا في الشرق الإسلامي بدأت تتراجع عن موقفها تجاه الدين، بعد أن وجدت من عقيدة الإسلام صخرة قوية تقف في طريقها، ومن هنا فقد اتخذت خطة مرحلية بالابتعاد عن الهجوم على الدين، حتى إذا ما أتيحت الفرصة المناسبة قاموا بالانقضاض على بقايا هذه العقيدة.

جاء في مجلة العلم والدين التي تصدر في الاتحاد السوفياتي «أن بين الاشتراكية العلمية والأديان السماوية صراعاً مستمراً. لقد أدركنا في الاتحاد السوفياتي منذ البدء خطورة بقاء الميراث الديني على حاله في المجتمعات السوفياتية مسيحية أو إسلامية، ولا زلنا نواجه اليوم تحديات خطيرة، وخصوصاً في المناطق الإسلامية، لذا قرر المؤتمر الثاني والعشرون للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي زيادة اليقظة والحذر، وتجديد العزم على قهر البعث الديني في المناطق الإسلامية.

وحين نستخدم الميراث الديني ويظهر الاهتمام به في مرحلة التحول الاشتراكي فلنفعل ذلك، وبين أعيننا وصية أنجلز (Englz) التي تقول «حتى لو كان في الإنجيل والكتب الدينية الآخرى صفحة هنا وآية هناك تصلح لتأييد التفسير الاشتراكي للأشياء فإن علينا دائماً أن نتذكر بأن جوهر الدين معاد للاشتراكية[1] .

---

(١) بلشفة الإسلام، صلاح الدين المنجد، ص٢١-٢٣، ط٢؛ وانظر مذكرة حاضر العالم الإسلامي، علي جريشه، ص٤٠، الجامعة الإسلامية.

ومبدأ العداء ناتج عن نظرة الشيوعية المادية للكون، والإنسان والحياة، والشواهد على ذلك كثيرة من كتبهم.

١- يقول ماركس (لا إله والحياة مادة)[1].

فهذه العبارة تبين موقف الشيوعية من الدين.

٢- ويقول لينين: «ليس صحيحاً أن الله هو الذي ينظم الأكوان إنما الصحيح هو أن الله فكرة خرافية اختلقها الإنسان ليبرر عجزه، ولهذا فإن كل شخص يدافع عن فكرة الله إنما هو شخص جاهل عاجز»[2]. وهذا يدل على أن الشيوعية لا تؤمن إلا بالمحسوس المشاهد.

٣- ويقول أحد الشيوعيين في تقديمه لكتاب لينين عن الدين: «الإلحاد جزء طبيعي من الماركسية لا ينفصل عنها»[3].

فهذا هو لباس الشيوعية الحقيقي، فالشيوعية عدوة الدين، تبذل قصارى جهدها في محاربته ومعاداته، والوقوف أمامه بكل إصرار وعناد، بل إنها تستخدم جميع إمكانياتها الممكنة من أجل الخلاص من الدين وأهله، وهي عقيدة تقوم على الإلحاد.

يقول لينين (Lanen) في كتاب أرسله إلى الكاتب الروسي الكبير مكسيم جوركي (Mkcym Gorky): «إن البحث عن الله لا فائدة منه، ومن العبث البحث عن شيء لم يخبأ، وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد، وليس لك إله لأنك لم تخلقه بعد، والآلهة لا يبحث عنها وإنما تخلق»[4].

---

(١) الشيوعية منشأ ومسلكاً، دندل جبر، ص١٨٩، ط٢، مكتبة المنار.

(٢) حركات ومذاهب، فتحي يكن، ص١٥، ط١.

(٣) حقيقة الشيوعية، لثلاثة من الكتاب المصريين أمين شاكر، وسعيد عريان، وعلي أدهم، ص١٨٩-١٩٠.

(٤) نفس المرجع السابق، ١٨٩-١٩٠.

بل إن كلام لينين يعتبر مجرد التفكير بالله خصلة ذميمة تتمثل فيها الخسة الكامنة في النفس. يقول لينين (Lanen): «إن كل فكرة دينية وكل معتقد بالله، لا بل إن مجرد التفكير بالله دناءة كامنة في النفس» [١].

هذه هي عقيدة الشيوعيين في كل زمان ومكان لا تتغير ولا تتبدل لا إله والحياة مادة، في عام ١٩٥٤ نشرت صحيفة -سوفتسكيا برافدا- «إن الاعتقاد بالله هو تراث القدامى الجهلة» [٢].

ونشرت باكنسكي بابوش في ١٧/ كانون الأول/ ١٩٥٨: «لو كان الله موجوداً لما سمح أن ننبذ الدين» [٣].

ونشرت صحيفة العلم الأحمر بتاريخ ١/ آذار/ ١٩٥٩: «من الطبيعي أن الصراع بين الإلحاد والإيمان بالله لم ينته بعد، ولا بد من توجيه الجماهير نحو استئصال جذور الإيمان بالخرافات والجن والآلهة بصورة أعمق مما حدث حتى الآن» [٤].

ومما يدل على هذه العقيدة أن الثورة البلشفية ما كادت تنجح حتى هدمت أكثر بيوت الله من كنائس ومساجد، وأصدرت قوانين قضت بحرمانها من كل إعالة، وبمصادرة الأوقاف الموجودة عليها، وشنت حملة تشهير برجال الدين متهمة إياهم بضعف الثقافة وباستغلال الدين لإحراز الثروة العريضة، وأقامت لهم محاكمات صورية انتهت إلى إلقاء عدد عظيم منهم في أعماق السجون، ثم أخذت في تجريح العقيدة الإسلامية ومهاجمة الله، والرسول، والقرآن [٥].

---

(١) حركات ومذاهب، فتحي يكن، ص١٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٦.

(٣) المرجع نفسه، ص١٦.

(٤) المرجع نفسه، ص١٧.

(٥) حقيقة الشيوعية، لثلاثة من الكتاب المصريين، ص١٩١-١٩٢.

وبعد هذا العرض لعقيدة الشيوعيين، نورد ما جاء في صحيفة (تركمانكايا أسكرا) من هجوم على العقيدة الإسلامية. فتقول: «إن العقيدة الإسلامية هي القوة المظلمة التي لا تزال تفسد العقول، وحياة الشعوب، وتعيق النمو، وتقف كأي حاجز في طريق السعادة والنور والمعرفة، هذا وإن الطقوس الدينية لا تزال لاصقة ثابتة، كما أن الديانة لم تتوقف عن كونها مادة الأفيون لدى بعض الناس»[(١)].

إن على دعاة الإسلام أن لا يخدعوا بالتكتيك الشيوعي الجديد الذي يعلن المسالمة مع العقيدة، والاعتراف بالأديان، إنها مرحلة انتقالية حتى يتحقق التمكين للشيوعية ثم يجري بعد ذلك القضاء على الدين.

شبهات المستشرقين حول العقيدة:

بعد هذا العرض لعقيدة اليهود، والنصارى، والشيوعيين، والاطلاع على ما خالطها من الفساد والاضطراب والتناقض والإلحاد.

نعود إلى القرآن الكريم، ننهل العقيدة، ونلتمس الإيمان من ينبوعه الأصلي، إنها العقيدة التي تدعوا إلى الإيمان بالله خالق الكون، والإيمان بالحياة الآخرة التي تتجلى فيها مسؤولية الإنسان ويتحدد مصيره الأبدي.

والإيمان بالنبوة والوحي طريقاً إلى معرفة الحقائق التي يريد الله أن يلقيها إلى الإنسان سواء أكان موضوعها عالم الغيب أو حقائق ما وراء المادة، أم كان توجيه الإنسان وتنظيم شؤونه في هذه الحياة الدنيا[(٢)].

إن عقيدة الإسلام التي حلت لغز الوجود، وفسرت للإنسان سر الحياة والموت، وأجابت عن أسئلته الخالدة، من أين خلق وإلى أين يعود، ولماذا؟

هذه العقيدة ليست من مستحدثات الإسلام، ولا مما ابتكره محمد عليه الصلاة

---

(١) حركات ومذاهب، فتحي يكن، ص١٦.

(٢) العقيدة في القرآن الكريم، محمد المبارك، ص٩-١٠، طبعة دار الفكر.

والسلام، إنها العقيدة المصفاة التي بعث بها أنبياء الله جميعاً، ونزلت بها كتب السماء قاطبة، قبل أن ينال منها التحريف والتبديل، إنها الحقائق الخالدة التي لا تتطور ولا تتغير، عن الله وعن صلته بهذا العالم.. ما يبصر منه وما لا يُبصر، وعن حقيقة هذه الحياة ودور الإنسان فيها وعاقبته بعدها، إنها الحقائق التي علمها آدم لبنيه، وأعلنها نوح في قومه، ودعا إليها هود وصالح عادا وثمود، ونادى بها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وغيرهم من رسل الله وأكدها موسى في توراته، وداود في زبوره، وعيسى في إنجيله.

إنها العقيدة التي نقّت فكرة التوحيد وكمال الألوهية مما شابها على مر العصور، ونقّت فكرة النبوة والرسالة مما أصابها من سوء التصور.

ونقّت فكرة الجزاء الأخروي مما دخل عليها من أوهام الجاهلين وتحريف المغالين، وانتحال المبطلين[1].

هذه هي عقيدة الإسلام بصفاءها ووضوحها، ولكن عناصر غريبة من أعداء الإسلام من المستشرقين وأعوانهم حاولوا تكدير صفائها، وإفساد توحيدها، فزعموا أنها عقيدة منقولة عن النصرانية واليهودية، كما زعموا أنها عقيدة متناقضة، إلى غير ذلك من الافتراءات الزائفة، والحجج الواهية التي لا يقبلها العقل، ولا يصدقها.

وسنورد فيما يلي بعض الشبهات:

الشبهة الأولى: حول العقيدة

قولهم: «عقيدة الإسلام مستمدة من العقائد السابقة»

يقول جولد تسيهر (Goldziher): «والوحي الذي نشره محمد في أرض مكة، لم يكن ليشير إلى دين جديد، فقد كان تعاليم واستعدادات دينية نمّاها في جماعة صغيرة، وقوّى في أفراد هذه الجماعة فهما للعالم مؤسسا على الحكم الإلهي، ولكن لم يحدد تحديداً دقيقاً حينئذ أشكال هذا الحكم ومذاهبه»[2].

---

(١) الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، ص٢٠، مكتبة وهبه، ط٣، ١٩٧٥.

(٢) العقيدة والشريعة، جولدتسيهر، ص١٠، ط دار الكاتب المصري، ترجمة محمد يوسف موسى، وعلي حسن عبد القادر.

يقول جولدتسيهر: «أن الوحي الذي نشر في مكة لم يكن ليشير إلى دين جديد، أي بمعنى أن دين الإسلام منقولاً عن الأديان السابقة والمعاصرة له -بما فيه من عقيدة وشريعة- وإلى ذلك يشير المستشرق أندرسون (Anderson) حيث يقول: «ليس من شك في أن محمداً اقتبس أفكاره من مصادر التلمود وكتب الأساطير اليهودية والمصادر المسيحية»[(١)].

وقول المستشرق تور أندريه (Thor Andreh): «لا شك أن الأصول الكبرى للإسلام مستقاة من الديانتين اليهودية والمسيحية، وهذه حقيقة لا يحتاج إثباتها إلى جهد كبير»[(٢)].

وكذلك أشار المستشرق بروكلمان (Brocelmman) في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية، ج١/٤٣، والمستشرق برنارد لويس (Bernad Lewis) في كتابه العرب في التاريخ، ص٥٠.

ونرد على هذه الشبهة بما يلي:

١- موقف النبي ﷺ في نشر دعوته التي جاء بها من عند الله إذ لو كانت هذه الدعوة منقولة عما كان سائدا في الجاهلية، لما وقف الشرك والمشركون في وجهها، وعذب المؤمنون من أجلها، وكلما بزغ نور للحق تنادت عناكب الليل لطمسه ﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا، قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره

---

(١) المستشرقون والإسلام، عرفان عبد الحميد، ص٢٤؛ نقلاً عن:

Anderson J. N. D. The World Aeligions - London, 1950; The Article on Islam, pp. 7, 8, 56. 58, 59.

(٢) نفس المرجع، ص٢٣؛ نقلاً عن: Andraue Tor. Op. Cit. pp. 10- 26.

(٣) سورة الجن، آية ١٩-٢٠.

الكافـرون﴾ ، وتفنن أهل الجاهلية في حربه، وابتكروا أساليب لضرب دعوته، فعمدوا أولاً إلى أسلوب نفسي خسيس يستهدف تدمير أعصاب الرسول ﷺ وصحبه، والقضاء على روحه المعنوية العالية، وشنوا حملات السخرية والاستهزاء، وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الأرض ينبوعا، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا.. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا، أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقي في السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه .

ووقف النبي ﷺ في وجه المحنة، وصبر، وتعددت أساليب قريش، فعمدوا إلى اختلاق الشائعات والتهم، ونشروها في كل الأوساط ليضعفوا الثقة به، فمرة يتهمونه بالسحر، وأخرى بالجنون، وثالثة بالكهانة، ورابعة بالشعر.

وهكذا لما يئسوا من الحرب النفسية وحرب الأعصاب وحرب الشائعات، لجأوا إلى الحرب الحسية ينالون بها من دعاة الإسلام، فاجتمع سادتهم، وتدارسوا أمر الداعية، ووضعوا الخطة، وحزبوا أمرهم، وكشف الله أمرهم، ورد كيدهم، ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (٣) (٤) .

ولما فشلت خطتهم لجأوا إلى أساليب أكثر خسة ومكراً، وذلك بعد هجرته عليه السلام استأجر صفوان بن أمية عمير بن وهب سراً وندبه للخروج إلى المدينة، واغتيال محمد ﷺ على أن يقضي صفوان له دينه، ويكفل عياله، ولكن الله حافظ لرسوله، فعندما قدم

---

(١) سورة الصف، آية ٨.

(٢) سورة الإسراء، آية ٩٠.

(٣) سورة الأنفال، آية ٣٠.

(٤) الرسول والحرب النفسية، منصور عويس، ص١٢ وما بعدها، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، ط١٩٧٥؛ نور اليقين، محمد الخضري، ص٨٨، مؤسسة علوم القرآن؛ فقه السيرة، الغزالي، ص١٩٦؛ مختصر سيرة الرسول ﷺ، محمد بن عبد الوهاب، ص٧٩-٩٧.

عمير إلى المدينة عرف النبي ﷺ الشر في وجهه فناداه وأعلمه بما تم بينه وبين صفوان في الحجر، فشهد الرجل شهادة الحق [١].

وبعد هذا العرض فهل يمكن أن يُقبل قول جولد تسيهر (Goldziher) الذي يقول فيه أن الوحي في مكة لم يكن ليشير إلى دين جديد.

٢- إن الدين الذي جاء به محمد عليه السلام في مكة احتوى على كل عناصر الدين الجديد:

أ- اشتمل على التوحيد.

ب- اشتمل على العبادات والمعاملات.

ج- اشتمل على الأخلاق.

فهل هذه العناصر كانت موجودة في الأديان التي وجدت قبل دعوة الإسلام وعاصرتها.

فاليهودية: دخلها التحريف وانتقلت من التوحيد إلى عبادة آلهة متعددة، ثم استقر بها الأمر إلى عبادة (يهوا) [٢].

والنصرانية: تلقفتها اليد الحاقدة بعد رفع المسيح عليه السلام، فقام بولس ودعا إلى التثليث وأمر مجمع نيقية ذلك (الأب، الابن، روح القدس) وهي تعاليم مستقاة من مذاهب الهندوس، والبوذيين، وفلسفة الإغريق، وبعض تعاليم اليهود [٣].

وأما الامبراطورية الرومانية المتاخمة لجزيرة العرب، فقد ظهرت فيها الفرق الدينية، وعمت فيها الخلافات المذهبية بين أتباع المسيح، فمن قائل بألوهية المسيح، ومن قائل بأنه عبد رسول إلى غير ذلك من الأقوال.

وقد عقدت المجامع لفظ الخلافات المذهبية، ولكن أصحاب المذاهب تعصب كل لرأيه، ولم تنته هذه الخلافات، بل زاد تمسكهم بمذاهبهم، ودفاعهم عنها، فظهر على إثر ذلك

---

(١) نور اليقين، محمد الخضري، ص٤٦ وما بعدها، ط٣، ١٤٠٣-١٩٨٣.

(٢) اليهودية، أحمد شلبي، ص٩٥ وما بعدها، ط٥، مكتبة النهضة المصرية.

(٣) المسيحية، أحمد شلبي، ص٧٠ وما بعدها، مكتبة النهضة المصرية؛ محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص٢٥ وما بعدها، ط١٣٦١.

النفي والتشريد لأصحاب المذاهب المخالفة، وانتشر الفساد وعم الظلم، وخضعت عقيدة المسيح للرأي، ودخلتها الفلسفة فانحرفت عن الطريق المستقيم الذي جاء به المسيح [١].

وأما الامبراطورية الفارسية: فلم تكن إلا بقايا دولة أصابها ما أصاب الامبراطورية الرومانية من فساد العقيدة، وسوء الأخلاق، وتغلب الشهوات على النفوس وظهور الطبقية [٢]. فقد ظهرت فيها المانوية، التي تنسب إلى ماني بن فاتك في أوئل القرن الثالث عشر، وهي مزيج من النصرانية والزاردشتية [٣].

وظهرت المزدكية، التي تنسب إلى مزدك، وقد قامت على الثانوية، فهي تقول بالنور والظلمة [٤]. وظهرت فيها الزاردشتية في القرن السابع الميلادي، نسبة إلى زاردشت بن يورشب، فكانت تعبد مظاهر الطبيعة، متبعة في ذلك أسلافها، وقد بينت عقيدتها على وجود النزاع بين القوى المختلفة من النور والظلمة، والخصب والجدب، وإله الخير، وإله الشر [٥].

وأما الامبراطورية الهندية والصينية:

أما الهند: فقد ظهرت فيها عقائد زائفة تدور حول اتجاهين:

الأول: اتجاه التعدد الذي يتجلى في عبادة مظاهر الطبيعة، كالماء والأشجار، وهو الأكثر انتشاراً. فمن معبوداتهم التي وردت في كتبهم المقدسة

١- وارونا : إله السماء.

٢- اندرا : إله الرعد الذي يأتي بالمطر.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ج٤/٤٢٩ وما بعدها، دار المعرفة، بيروت.

(٢) راجع كتاب إيران في عهد الساسانيين، أرثر كريستنس، ص٣٠٢، نقلا عن كتاب تنسر.

(٣) كتاب الملل والنحل، الشهرستاني، ج٢/٨١ هامش الفصل، ط٢/ ١٣٩٥، دار المعرفة.

(٤) المرجع السابق، ج٢/٨٦، هامش الفصل.

(٥) نفس المرجع، ج٢/٧٧ هامش الفصل.

٣- أغني : إله النار.

٤- أوشا : إله الصبح.

٥- رودراء : إله العواصف.

٦- بارجانيا : إله الأنهار.

٧- سورية : إله الشمس.

الاتجاه الثاني: الانتقال إلى الاتجاه الآخر وهو القريب من التوحيد، حيث أنهم جمعوا الآلهة كلها في إله واحد، وقالوا إن هذا الإله أخرج العالم من ذاته وبعد ذلك تولى حفظه، وهو الذي سيهلكه في النهاية ويرده إليه، وقد أطلقوا على هذا التصوير بالنسبة للآلهة ثلاثة أسماء:

١- براهما : وهو الموجود والإله الخالق.

٢- فشنوا : وهو الذي يحفظ. ٣- سيفا : وهو المهلك [١].

أما الصين: فقد كانت الديانة الصينية تقوم على عبادة السماء باعتبارها الإله الأعظم، وحاكم الحكام، أو رب الأرباب، ثم عبادة الأرض لأن الأرض إلها، ثم عبادة أرواح الأجداد، ثم عبادة الجبال والأنهار، وبعد قرون طويلة استقر الصينيون على أديان ثلاثة، وهي:

١- الكنفوشية ٢- البوذية ٣- الثاوزمية [٢].

وقد كان كنفوشيوس يقول بوجود إله مدبر للكون بحكمته، وأنه يجب أن يعبد دون سواه، وأنه كائن عظيم، يحب الخير، ويكره الشر، ويجازي الناس بأعمالهم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر.

---

(١) النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي، ص١٠٨؛ الدين والفلسفة والعلم، السيد محمود أبو الفيض المنوفي، ص٤٧، دار الكتب الحديثة، مصر.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ج٢/١٩ الذيل؛ الدين والفلسفة والعلم، المنوفي، ص٨٧.

وأما في جزيرة العرب: فقد وفدت إليها الوثنية عن طريق بعض القبائل من النصارى، مثل نصارى نجران وتغلب الذين غلب عليهم عبادة الالهة المصنوعة من دون الله.

وقيل أن الوثنية دخلت إلى جزيرة العرب على يد عمرو بن لحي الخزاعي، فكان أول من غيّر دين إسماعيل، جاء في الحديث: أن النبي ﷺ قال: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار، إنه كان أول من غيّر دين إسماعيل، فنصب الأوثان وبحّر البحيرة وسيّب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي»[1].

وبعد هذا العرض لما كانت عليه عقائد الأمم التي سبقت الدعوة الإسلامية وعاصرتها، نسأل هذا المستشرق أي شبه بين العقيدة الإسلامية، وعقائد هذه الأمم، وعمّن أخذ النبي ﷺ هذه العقيدة. إن العقيدة التي جاء بها عقيدة متميزة عن غيرها من العقائد، فهي تتسم بالوضوح، ليس فيها غموض ولا تعقيد، تتلخص في أن وراء هذا العالم البديع المنسق ربا واحدا خلقه ونظّمه، وقدّر كل شيء فيه تقديرا، وهذا الرب ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد، ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا، سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون، بديع السموات والأرض وإذا قضي أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾[2].

إن عقيدة الإسلام لا تحوي ما في العقائد الأخرى مثل المثنوية والنصرانية من الغموض الذي يعتمد دائماً على الكلمة المأثورة عند غير المسلمين (اعتقد وأنت أعمى)[3].

إنها عقيدة تناسب الفطرة البشرية، وهي ثابتة لا تقبل الزيادة ولا النقصان، والتحريف والتبديل، ليس لاجتهاد البشر فيها مجال، ولا لمجمع من مجتمع الدنيا، أو مؤتمر من المؤتمرات.

---

(١) سيرة ابن هشام، ج١/٨٥، تحقيق محمد خليل هراس.

(٢) سورة البقرة، اية ١١٦-١١٧.

(٣) الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، ص٤٠، مؤسسة الرسالة، ط٣/ ١٣٩٨- ١٩٧٨.

قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [(١)].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد» [(٢)].

إنها عقيدة مبرهنة أقامت الأدلة من الكون ومن النفس ومن التاريخ على وجود الله ووحدانيته، كما أقامت الأدلة على البعث والنشور، إنها عقيدة اتسمت بوسطيتها خالية من الغلو ومن التشبيه والتجسيم الذي وقعت فيه عقائد أخرى كاليهودية والنصرانية [(٣)].

فأي عقيدة اتصفت بمثل هذه الصفات غير عقيدة الإسلام حتى نقول بأن عقيدة الإسلام أخذت عنها، ولكنه الحقد الدفين الذي يسيطر على نفوس هؤلاء.

وفي مقام آخر يقول هذا المستشرق: ومن المسلم به من الجميع أن العقيدة الإسلامية، في صورتها النهائية قامت على خمس قواعد وأركان أساسية ترجع في خطوطها الأولية -من شعائرية وإنسانية- إلى العصر المكي، وإن كانت لم تأخذ نظامها الثابت إلا في العصر المدني، وهذه القواعد هي:

أولاً: الاعتقاد بالله الواحد، والاعتراف بمحمد رسول الله.

ثانياً: شعيرة الصلاة التي كانت بصورتها الأولى من قيام وقراءة وبما فيها من ركوع وسجود، وبما يسبقها من وضوء تتصل بالمسيحية الشرقية.

ثالثاً: الزكاة التي كانت في أول الأمر صدقات اختيارية، ثم صارت بعد جزءا معينا أو ضريبة محددة تنفق في سبيل تدبير حاجات المجموع.

رابعاً: الصوم الذي جعل أولاً في اليوم العاشر من الشهر الأول، أي عاشوراء، محاكاة للصوم اليهودي الأكبر، ثم نقل بعدئذ إلى شهر رمضان.

---

(١) سورة المائدة، آية ٣.

(٢) أخرجه ابن ماجة، ج١/٧ المقدمة.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ج٣/١٣٩ وص ١٤٨ وما بعدها.

خامساً: الحج إلى المعبد الوطني العربي القديم في مكة، إي إلى الكعبة بيت الله، وهذا الركن الآخر احتفظ به محمد عن الوثنية، لكنه جعله متفقا والتوحيد وعدل معناه مسترشداً في ذلك ببعض الأساطير الإبراهيمية [١].

٣- ومما نرد به على هذا المستشرق أن أهل مكة كانوا يعرفون عقائد اليهود الذين كانوا جيراناً لهم، وكانوا يعرفون عقائد النصارى وعقائد المجوس، لأن هؤلاء الأقوام منهم من كان يعيش في جزيرة العرب ومنهم من يعيش على أطرافها، لكنهم لما سمعوا دعوة الإسلام قالوا فيما يحكيه القرآن عنه: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة إن هذا الا اختلاق﴾ [٢].

فالدعوة التي جاء بها محمد ﷺ دعوة جديدة غير معهودة في الديانات الوثنية والكتابية المحرّفة، إنها الدعوة التي تطالب الناس بالتوحيد الخالص، فهي جديدة بالنسبة إليهم لذلك انطلقت ألسنتهم تقول: ﴿اجعل الآلهة إلهاً واحدا إن هذا لشيء عجاب، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد﴾ [٣].

٤- إن الوحي المكي جمع إلى جانب العقيدة مبدأ الآداب والوصايا والأخلاق الرفيعة الموزعة في صحائف العهدين القديم والجديد، وزاد عليها آداباً ووصايا ومبادىء أخرى احتاج العالم إليها، واستن شرائع لم تكن معروفة في العبادات الأصلية.

فكيف يوصف القرآن المكي بأنه استعدادات دينية، وليس ديناً جديداً، إن سورة واحدة من السور المكية تضمنت من حقائق الدين ما يربو على الأناجيل كلها فإذا كان الإسلام لم يكن ديناً، فلن تكون اليهودية ولا المسيحية ديانات [٤].

---

(١) العقيدة والشريعة، جولدتسهير، ص١٧-١٨.

(٢) سورة ص، آية٧.

(٣) سورة ص، آية ٥-٧.

(٤) دفاع عن العقيدة والشريعة، محمد الغزالي، ص٣١، مطبعة حسان.

٥- وأما ما زعمه هذا المستشرق بأن عبادات الإسلام نسخة محرفة عن الأديان السابقة نقول:

أولا: العبادات في الإسلام فرع من العقيدة الإسلامية وهي أمور توفيقية تؤخذ بأوضاعها وأشكالها التي شرعها لنا رب العزة ، فليس فيها مجال للعقل.

ثانياً: إن الغرض من العبادات يمكن حصره في إحدى حقيقتين:

الأولى: تذكير العبد بوجوده الروحي.

الثانية: تذكيره بوجود أسمى من وجوده وأبقى، أمده بالخلق والأنعام والتكريم، فهذا يقتضي القيام بالشكر، ومعرفة الحق، ومن هنا يقبل على عبادة الله ويخلص له الدين، قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾(١) .

وقد عمل الإسلام على تنقية العبادات من رواسب الوثنية، وطقوس الشرك، فالعبد في عبادته يتجه إلى الله وحده.

كما أن العبادات في الإسلام تمتاز بالعمل على رعاية الضمير الإنساني وعلى استقلال الفرد المسلم في حياته، وهي تكليف لضمير الإنسان وحده، لا يتوقف على توسيط هيكل أو تقريب كهانة.

كما أن الحج الذي أشار إليه هذا المستشرق، بأن محمدا احتفظ به عن الوثنية هو رحلة يتجه فيها المسلم ببدنه وقلبه إلى بيت جعله الله رمز التوحيد والوحدة.

وقد عمل محمد ﷺ على طمس معالم الشرك، وحطم بيده الأصنام التي نصبها المشركون فيه يوم الفتح وهو يقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾(٢) .

---

(١) سورة البينة، آية ٥.

(٢) سورة الإسراء، آية ١٨.

وقد خلص الكعبة للتوحيد، ورد الحج إلى ما كان عليه في عهد إبراهيم عليه السلام، وصفاه من آثار الوثنية الجاهلية، وأصبح شعار الحج (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك).

وإنما كان الحج قذى في عين أعداء الإسلام لأنه المؤتمر الإلهي الجامع الذي يتنادى اليه المسلمون من كل فج وصوب، فيربط قلوبهم برباط الأخوة الإسلامية العامة، ويذكرهم بوحدة الهدف ووحدة الآمال والآلام، ويوحي إليهم أن يعملوا ويتعاونوا ليعودوا من جديد خير أمة أخرجت للناس، وهذا ما تغص به حلوق أعداء الإسلام [(١)] .

فهذه هي عبادات الإسلام، وهنا نسأل هذا المستشرق الذي يعرف الحقيقة، ويعمل على طمسها، أهذا هو الدين الذي يعتبر نسخة محرفة عن الأديان السابقة؟!

٦- عقائد الفرق المسيحية وغيرها لم تكن مما يغري بالإعجاب أو مما يدعوا إلى الاقتداء.

يقول المستشرق جورج سيل (G. Sale) مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية في وصف حالة المسيحية في الحجاز، بعد أن وصف حال المسيحية في سائر الأنحاء القريبة، وما أصابها من الاضطهاد واختلال الأحوال.

«هذا ما كان عليه حال النصرانية في غير بلاد العرب، أما في بلاد هذه الأمة التي هي موضع بحثنا، فلم تكن خيراً من ذلك... فكان في نصارى العرب قوم يعتقدون أن النفس تموت مع الجسد وتنشر معه في اليوم الآخر، وقيل إن أوبيجانوس هو الذي دسّ فيهم هذا المذهب، وكم، وكم من بدعة كان أصحابها يقولون بألوهية العذراء مريم، ويعبدونها كأنما هي الله، ويقربون لها أقراصاً مضفورة من الرقاق يقال لها كليرس، وبها سمي أصحاب هذه البدع كليرين...

وفضلاً عن ذلك اجتمع أيضاً في جزيرة العرب عدد وافر من الفرق المختلفة الأسماء لجأوا إليها هرباً من اضطهاد القياصرة...» [(٢)] .

---

(١) الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين، يوسف القرضاوي وزميله، ص٣٦، مكتبة المنار بالكويت.

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، ص٦٢-٦٣، الموسوعة، ج٥، ط١.

فهل هذه الأديان تشتمل على ما يغري لتقليدها، إن الإسلام دعا إلى إله منزه عن لوثة الشرك، منزه عن جهالة العصبية وسلالة النسب، منزه عن التشبيه الذي تسرب من بقايا الوثنية إلى الأديان الكتابية.

﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾ [١].

إن العقيدة الإلهية في الإسلام كانت مصححة متممة لكل عقيدة سبقتها في مذاهب الأديان أو مذاهب الفلسفة.

٧- ويقول هذا المستشرق: وكذلك عناصر القرآن المسيحية، نعرف أنها وصلت إلى محمد عن طريق التقاليد أو الروايات المتواترة المحرفة، وعن ابتداعات المسيحية الشرقية القديمة، كما ينضم إلى هذا وذاك شيء من الغنوصية الشرقية، وذلك لأن محمداً قد أخذ بجميع ما وجده في اتصاله السطحي الناشيء عن رحلاته التجارية مهما كانت طبيعة هذا الذي وجده ثم أفاد من هذا دون أي تنظيم [٢].

والجواب عن هذه الشبهة: التي يقول فيها أن بعض عناصر القرآن وصلت إلى الرسول ﷺ عن طريق التقليد والروايات المحرفة وعن ابتداعات المسيحية الشرقية، نقول لهذا المستشرق: متى كان القرآن موافقاً لتقاليد النصارى وغيرهم وهو الذي يعلن الحرب على هذه التقاليد والروايات التي تعتمد على التثليث والصلب وما إليهما، فكيف تكون عناصر القرآن. قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ [٣].

وقال تعالى في ذم اليهود والنصارى على افترائهم الكذب على عيسى وأمه: ﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم

---

(١) سورة الإخلاص.

(٢) العقيدة والشريعة، جولد تسيهر، ص١٨.

(٣) سورة المائدة، آية ٧٣.

رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيما﴾ [١].

فالمراد بقوله (وبكفرهم) هو إنكارهم قدرة الله تعالى، ﴿وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾، نسبتهم إياها إلى الزنا وإنما صار هذا الطعن بهتانا عظيما لأنه ظهر عند ولادة عيسى عليه السلام من الكرامات والمعجزات ما دل على براءتها من كل عيب.

وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وهذا يدل على كفر عظيم منهم لأنهم قالوا فعلنا ذلك، وهذا يدل على أنهم كانوا راغبين في قتله مجتهدين في ذلك، فلا شك أن هذا القدر كفر عظيم [٢].

فهل القرآن يرضى أن يأخذ تلك الروايات عن اليهود والنصارى وهو يعلن حرباً شعواء على أصحابها.

الشبهة الثانية في العقيدة: تناقض العقيدة:

يقول المستشرق جولد تسيهر (Goldziher): «ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقيدياً متجانساً وخالياً من التناقضات، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطراً، إلا آثار عامة نجد فيها إذا بحثنا في تفاصيلها أحياناً تعاليم متناقضة، ورسالة النبي الدينية تنعكس في روحه بألوان مختلفة باختلاف الاستعدادات السائدة في نفسه، إذا كان لزاماً على علم الكلام المنسق أن يتولى منذ أول الأمر حل الصعوبات النظرية الناشئة عن مثل هذه التناقضات [٣].

ويؤكد هذا المبدأ المستشرق ولهوزن (Wellhausen) حيث يقول: «يبرز في القرآن شأن القدرة الإلهية تارة، وشأن العدل الإلهي تارة أخرى، وذلك بحسب ما كان يحس به

---

(١) سورة النساء، آية ١٥٥-١٥٨.

(٢) التفسير الكبير، الإمام محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، ج٦/١٠٠، دار الفكر.

(٣) العقيدة والشريعة، جولد تسيهر، ص٦٨.

النبي ﷺ دون مراعاة للتوازن بين الطرفين ولا شعر محمد ﷺ بما في ذلك من تناقض، لأنه لم يكن فيلسوفاً ولا واضعاً لمذهب نظري في العقائد»[(١)].

وكذلك المستشرق تور أندريه (Tor Andraue) حيث يقول: «إن أفكار محمد غير متجانسة وغير منسجمة ومضطربة أشد الاضطراب»[(٢)].

وقد ردد هذا الرأي كل من المستشرق دي بوير (De Boer) حيث يقول: «قَبِل الرعيل الأول من المؤمنين ما في القرآن من تناقض وهو الذي نعلله نحن بتقلب الظروف التي عاش فيها النبي ﷺ وباختلاف أحواله النفسية»[(٣)].

وكذلك المستشرق نيكلسون (Nicholson)، وشاخت (Schacht)، وسنوك هورخنية (Hurgronje Snouk)، ومكدونالد (Macdonald)[(٤)].

الرد على هذه الشبهة:

قوله: «من العسير أن نستخلص من القرآن مذهباً عقيدياً متجانساً» هذا كلام باطل من وجوه:

أولاً: العقيدة وتصحيحها من أهم ما عني به القرآن.

التوحيد في الإسلام هو كل الإسلام، والقرآن كله يدور حول التوحيد، فآيات القرآن إما إخبار عن الله وصفاته، وخلقه وأفعاله، وتدبيره، وإما أمر ونهي، وهما من لوازم ربوبيته وقيوميته على خلقه، وإما بيان للثواب بأنواعه، وهو جزاء من أطاعه واتبع رسله الذين أرسلهم بشريعته القائمة على توحيده في الألوهية والربوبية، وإما بيان للعقاب بأنواعه وهو جزاء المخالفين لشرعه، وإما إخبار عن أحوال المكذبين الماضين وهو بيان لمن خرج عن

---

(١) الدولة العربية وسقوطها، يوليوس ولهوزن، الترجمة العربية: عبد الهادي أبو ريده، ص٢٠.

(٢) المستشرقون والإسلام، عرفان عبد الحميد، ص١٩، المكتب الإسلامي.

(٣) نفس المرجع، ص٢٠.

(٤) نفس المرجع، ص٢٠-٢١.

مقتضى توحيده وعبادته[1].

فالتوحيد هو لبّ الإسلام وأساسه، ومن هنا نجد أن الدعوة الإسلامية في مكة بدأت بعرض العقيدة الدينية، والدعوة إليها وبيان محاسنها ومميزاتها، وتثبيتها في النفوس والقلوب، وركزت الدعوة على الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله وباليوم الآخر. قال تعالى في معرض الدعوة إلى الوحدانية: ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾[2].

أما المعبودات الأخرى فكلها لا تنفع ولا تضر، ولا تملك لنفسها شيئاً، فضلاً عن أن تملك لغيرها أي شيء،، وعبادتها لا تصلح نفساً، ولا تطهر روحاً، ولا تشرح صدراً، وإنما تغري بالفوضى والجهالة وتدفع إلى ارتكاب المنكرات، ففي مجال الاستدلال على وجوده تعالى، يقول: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت﴾[3].

وفي مجال ذكر صفاته تعالى، يقول: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾[4].

وذكر للاستدلال على عدم قدرة آلهتهم على صنع أي شيء: ﴿والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون، وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾[5].

---

(١) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٢٣، ط٣، جمعية الأماني، بغداد.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) سورة الغاشية، آية١٧-٢٠.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٥٥.

(٥) سورة الأعراف، آية ١٩٧.

وفي مجال الاستدلال على وقوع الحياة الآخرة: ﴿لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة، أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه، بلى قادرين على أن نسوي بنانه، بل يريد الإنسان ليفجر أمامه، يسأل أيان يوم القيامة، فإذا برق البصر، وخسف القمر، وجمع الشمس والقمر، يقول الإنسان يومئذ أين المفر، كلا لا وزر، إلى ربك يومئذ المستقر، يُنبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾(١).

وفي مجال الاستدلال على البعث، يقول تعالى: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه، قال من يحي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾(٢)، وهكذا لا تكاد سورة من سور القرآن في مكة تخلو من الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، واقامة الأدلة على وجوده ووحدانيته، وتقبيح الإيمان بغيره من هذه الآلهة الأخرى، ومهاجمة العقائد المناوئة كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها، وكذلك الإيمان باليوم الآخر وإقامة الأدلة على ضرورة وقوعه وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

ثانياً: استفاضت الآيات الواردة في التوحيد، ووصف الله بما ينبغي له، وتنزيهه عما لا يليق به.

قال الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾(٣).

إن مخالفة الذات الإلهية لغيرها من المحدثات ظاهرة، والبداهة تقضي بأن بين المخلوق والخالق أمدا بعيدا، وأن الخالق لا يشبه شيئاً من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته.

يقول تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى﴾(٤). ويقول تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى

---

(١) سورة القيامة، آية ١-١٣.

(٢) سورة يس، آية ٧٧-٧٩.

(٣) سورة الشورى، آية ١١.

(٤) سورة النحل، آية ٦٠.

الله والله هو الغني الحميد، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد، وما ذلك على الله بعزيز﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا، لقد أحصاهم وعدهم عدا، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾[2].

فهذا مذهب العقيدة في القرآن موحداً ومتجانساً وخالياً من التناقضات ولكن الحقد أعمى قلوب هؤلاء فأبوا إلا الطعن في دين الله.

ثالثاً: لعل الكاتب أشار هنا إلى ما وقع فيه المتأخرون من خلافات في بعض المسائل الكلامية ككون الصفة عين الذات أو غير الذات، وهذه المسائل لم يتعبد الله المسلمين بها، وكانوا في غنى عنها وعن الخوض فيها بما عندهم من صحيح العقائد.

- فعقيدة المسلمين في الإله واحدة.
- وعقيدتهم بالأنبياء واحدة.
- وعقيدتهم باليوم الآخر وما فيه واحدة.

فأي تناقض هذا يريده هذا المستشرق مع أنه يعلم أن الأصول عند المسلمين لا خلاف فيها مطلقاً.

رابعاً: إن الخلافات التي حصلت بين المسلمين في بعض المسائل كان السبب في إثارتها ظهور الفرق الكلامية، عندما اختلط المسلمون بأمم ذوي ثقافات مضطربة غير مستقرة على دعائم قوية من العقل والدين، وقد كان قدماء العلماء ينهون عن هذه الأبحاث حفظا على الحنفية السمحة التي لا تعقيد فيها ولا اختلاف. روي أن الإمام مالك بن أنس سئل عن قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾[3] كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول[4].

---

(١) سورة فاطر، آية ١٥-١٦.

(٢) سورة مريم، آية ٩٣-٩٥.

(٣) سورة الأعراف، آية ٥٤.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، حققها جماعة من العلماء، ص٣١٢، ط٤، ١٣٩١.

وقد حبذ العلماء المتأخرون البحث في هذه الأمور لدفع الضلالات الناجمة منها، لا لتكميل البناء الكلامي.

الشبهة الثالثة في العقيدة: التوحيد مذهب عسير الفهم:

يقول القسيس زويمر (Zwewmer): «إن المسلمين مهما يكونوا موحدين فإن تعريفهم لإلههم يختلف عن تعريف المسيحيين لأن إله المسلمين ليس إله قداسة ومحبة» .

ويقول جولد تسيهر (Goldziher): «من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه في العقيدة موحدا متجانساً خاليا من المتناقضات، فالتوحيد مذهب ينطوي على النقائض العسيرة الفهم، أما التثليث فمذهب واضح في فهم الألوهية» [(١)].

أليس هذا شيئاً عجيباً، التوحيد مذهب عسير الفهم، والتثليث مذهب واضح في فهم الألوهية، وإله المسلمين ليس إله قداسة ومحبة. وللرد على هذه الشبهة، نقول:

أولاً: أن المسلمين لا يؤمنون بإله خاص بهم، كما فعلت اليهودية والنصرانية عندما قالت الأولى بأن إلههم (يهوا) خاص بهم، ولا كما قالت النصارى بأن مسيحهم إله أو ابن إله، قال الله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما، يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير، وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ [(٢)].

ثانياً: إن المؤمنين يؤمنون بإله واحد رب السموات والأرض وما فيهن، قال الله تعالى في

---

(١) العقيدة والشريعة، جولد تسيهر، ص٧٨-٧٩؛ مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، ص٤، ط٢، ١٤٠٣- ١٩٨٣، دار إقرأ، بيروت.

(٢) سورة المائدة، آية ١٧-١٨.

بيـان هذه الحـقـيـقـة: ﴿إن إلهكم لواحـد، رب السمـوات والأرض ومـا بينهمـا ورب المشارق﴾ [(١)]. وقال تعـالى: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، لا إله إلا هو يحي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ [(٢)].

وما يقوله المستشرقون في هذا الصدد كذب وافتراء لا مثيل له. وأما قوله (فالتوحيد مذهب ينطوي على النقائض العسيرة الفهم، والتثليث مذهب واضح في فهم الألوهية).

وللرد عليه نقول إن عقيدة الإسلام واضحة مقبولة، فالعقل دائماً يبحث عن الترابط والوحدة وراء التنوع والكثرة، ويريد أن يرجع الأشياء دوماً إلى سبب واحد.

إن عقيدة التوحيد لا تحوي ما حوته النصرانية من الغموض وتعقيد التثليث، وإنما هي عقيدة الفطرة، فهي تلفت الأنظار والقلوب والعقول إلى ملكوت السموات والأرض وتقيم الأدلة على وجود الإله، وعلى وحدانيته وكماله، وهي عقيدة تتصف بوسطيتها، لا تنكر ما وراء الطبيعة، ولا تقول إن المادة هي كل شيء في الوجود. بل تقول أن لهذا الكون إلها يتصف بكل كمال.

وهي عقيدة تمتاز بوسطيتها بين التقليد الأعمى والنظر الجامح، فهي لا تقول ﴿إنـا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ [(٣)] ولا تنادي بالنظر الجامح الذي يتطلع إلى معرفة كنه الإله وحقيقة ذاته، بل هي وسط تدعو إلى وراثة العقائد عن الآباء ولا تغالي في النظر، بل هي وسط لا إفراط في عـقـيـدة الإسـلام ولا تفريط، إن القـرآن الكريـم قـد أرشدنا إلى الله وهدانا إلى معرفته بآثاره الدالة على صفاته، وكمال جماله وجلاله وتنزهه عن المماثلة لخلقه.

وأما عقائد النصرانية وغيرها فـهي تملك شعارات مؤداها إن التأمل معيب، وإن الدين

---

(١) سورة الصافات، آية ٤-٥.

(٢) سورة الدخان، آية ٧-٨.

(٣) سورة الزخرف، آية ٢٢.

تقليد أعمى، وأن النظر والتفكير والعلم والبرهان ليست من وسائل الإيمان ولا من مستلزماته، ومن هذه المبادىء (إغمض عينك ثم اتبعني) وقولهم (آمن ثم اعلم) أو كما قال فيلسوف مسيحي (أؤمن بهذا لأنه محال) [1].

ومن هنا نجد أن عقيدة النصارى تقوم على الإيمان بإله مكون من ثلاثة أقانيم (الأب، والابن، وروح القدس) وهذه الثلاثة أقانيم ظواهر لحقيقة واحدة، واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد:

١- فالأب لاهوت وهو الخالق.

٢- والابن جمع بين اللاهوت والناسوت وهو الفادي.

٣- والروح القدس لاهوت محض وهو المظهر المنبثق من الأب.

والناظر إلى هذه الثلاثة يجدها منفصلة، ولكنهم يقولون إنهم إله واحد، يقولون إنهم ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة، فنقول إن هذا أمر معقد وغامض لا يتمشى مع العقل ولا يخضع للمنطق السليم، ومن هنا نجد أن النصارى يقولون إن هذه العقيدة فوق العقل [2].

وبعد هذا نقول أن على هذا المستشرق أن يراجع عقله ليصدر الحكم على عقيدة الإسلام، وعلى عقيدة النصارى وليعلم أن عقيدة النصارى في الإله بنيت على المذهب الفلسفي الذي نادت به مدرسة الإسكندرية التي كان يتزعمها أفلوطين (Aphloten) في القرن الثالث الميلادي، وإليه تنسب الأفلوطينية الحديثة، وكانت آراؤها في العقيدة الإلهية ترتكز على الثالوث المكون من الله، والعقل، والروح [3].

يقول السيد محمود أبو الفيض: «إن الاضطهاد الذي لاقاه المسيحيون في عهدهم الأول دفعهم إلى الهجرة، فرحل بعضهم إلى الإسكندرية حيث أخذوا من مدرستها، ورحل

---

(١) راجع ما كتبه الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه الإيمان والحياة، ص٤٧ وما بعدها.

(٢) النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي، ص٢٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٧.

البعض إلى روما فأخذوا عن الوثنية الرومانية، ومن هذين المعينين جاءت المسيحية الحديثة»[1].

ويؤكد المستشرق جيبون (Gibon) صفاء العقيدة الإسلامية ووضوحها فيقول: «عقيدة محمد خالصة ليس فيها لبس ولا إيهام، والقرآن شاهد عدل وبرهان قاطع على وحدانية الله سبحانه. لقد هجر نبي الإسلام عبادة الأصنام والبشر، سواء أكانوا من النجوم أو من الكواكب السيارة أم غير ذلك.

وبناء على القاعدة العلمية الصحيحة وهي: أن كل قابل للتلاشي لا بد أن يبيد ويفنى، وكل مولود لا بد أن يموت، وكل بازغ لا بد له من أفول، فلقد كانت لمحمد حماسة حكيمة اعترف بمبدع هذا الكون وعبده على عقيدة أنه أبدي غير محدود، بلا صورة ولا مكان ولا ولد ولا شبيه، يعلم خفايا الأفكار وأسرار القلوب، وجوده من نفسه، وصفاته، وعلمه، وكماله من نفسه.

وهذه الحقائق السامية مبنية على وجه معقول لغاية الأحكام في تراجم القرآن، فكل من يؤمن بالله إيماناً علميا فلسفيا قادر على أن يشارك المحمديين في اعتقادهم المعقول»[2].

ويقرر المستشرق جوستاف لوبون (G. Lebon) في كتابه حضارة العرب وضوح العقيدة الإسلامية وغموض غيرها فيقول: «وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض، وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام، والإسلام وإدراكه سهل خال مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم غالباً من المتناقضات والغوامض ولا شيء أكثر وضوحاً، وأقل غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد، وبمساواة جميع الناس أمام الله[3].

---

(١) الدين والفلسفة والعلم، محمود أبو الفيض المنوفي، ص١٣١، دار الكتب الحديثة، مصر.

(٢) محمد رسول الإسلام، محمد فهمي عبد الوهاب، ص٣٢.

(٣) حضارة العرب، جوستاف لوبون، ص١٢٤، ط٣، ١٣٧٥-١٩٥٦، مصر؛ راجع ما جاء في كتاب الإسلام الدين الفطري الأبدي، بشر الطرزي، ج٢، ص٢٢٧ وص ٢٢٩، حيث نقل أقوال المستشرقين في بساطة العقيدة الإسلامية.

الشبهة الرابعة حول العقيدة:

يقول المستشرق المسيو أندريه هرفيه (.Andraua H): «إن عقائد الإسلام جامدة تتحكم في كل ناحية من نواحي حياة المسلم اليومية» [(١)].

وللرد على هذه الشبهة، نقول:

أولاً: إن هذا المستشرق يناقض نفسه بنفسه، فقد جاء في كلامه ما يلي: «إننا في الواقع لا نعرف حتى اليوم أسباب التوسع السريع في فتوحات العرب، ولم نفهم كيف تدهورت امبراطورية الخلفاء وتمزقت أوصالها، والأسباب التي أدت إلى هذا التدهور.

نعم لا نعرف كيف أصابها الشلل والموت بسبب العقائد الدينية الصلبة التي تتحكم في كل ناحية من نواحي حياة المسلم اليومية وكل مظهر من مظاهر نشاطه»».

فهو يعترف بأنه لم يعرف أسباب التوسع السريع في فتوحات العرب ولم يعرف أسباب تدهور امبراطورية الخلفاء، ونحن إلى هنا لا نجد وجها لمؤاخذته وكيف نؤاخذ من يعترف بجهله أموراً معينة، ولكنه عاد فقال: «نعم، لا نعرف كيف أصابها الشلل والموت بسبب العقائد الدينية الصلبة التي تتحكم في كل ناحية من نواحي حياة المسلم اليومية وكل مظهر من مظاهر نشاطه».

فكيف نوفق بين اعترافه بجهله أسباب النهوض والتدهور للامبراطورية الإسلامية في أول عباراته، وبين تأكيده بأن تلك الأسباب أوجدتها العقائد الإسلامية الجامدة.

ثانياً: اعتراف هذا المستشرق بأن العرب كانت لهم فتوحات واسعة وسريعة، وهنا نوجه له سؤالاً: كيف تمت للعرب هذه الفتوحات وهم تحت سلطان هذه العقيدة الجامدة التي تصيب أصحابها بالموت والشلل.

والتاريخ أكبر شاهد على ذلك فالدولة الأموية امتدت على مساحات واسعة، وكذلك الدولة العباسية التي خلفت الدولة الأموية كانت مملكتها تمتد من أقصى المشرق عند كاشغر إلى السوس الأقصى على شاطىء بحر الظلمات، وطولها على ما ذكره أبو عبدالله

---

(١) مجلة الأزهر، ج٩، مج ٦، سنة ١٩٥٤، ص٦٠٥.

محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري في كتابه الموسوم بـ «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» (٢٦٠٠) فرسخ، وتمتد عرضاً من شاطىء بحر قزوين إلى أواخر بلاد النوبة، وهي منقسمة إلى أقسام كبرى، وكل قسم يشتمل على ولايات[(١)] .

ثالثاً: اعتراف هذا المستشرق بأن العرب أسسوا امبراطورية واسعة وعظيمة فكيف أمكن حفظ هذه الامبراطورية، وهم يدينون بعقائد جامدة توجب على الآخذين بها الموت والشلل إن بناء هذه الامبراطورية الواسعة يحتاج إلى قواعد وأصول تقوم عليها، وحوافظ تحفظها، فكيف ساغ للعرب ذلك وهم مصابون بالموت والشلل؟

وأما قوله: «إن العقائد الإسلامية تتحكم في كل ناحية من نواحي حياة المسلم اليومية، وكل مظهر من مظاهر نشاطه».

فنقول لهذا المستشرق: «إن هذا لا يعتبر عيباً في العقيدة الإسلامية، لأن هذا الوصف ينطبق على علوم كثيرة كعلم الأخلاق، ودستور الآداب، فليت هذا المستشرق بين لنا ما هي تلك العقائد الجامدة في الإسلام، وهل العقيدة الجامدة تستطيع جمع الناس وتأسيس دولة واسعة كالتي وجدت في عهد الخلافة الإسلامية.

رابعاً: نقول لهذا المستشرق أن اجتماع القبائل المتناحرة وقيامها على حالة أمة شديدة التمسك بدينها، شديدة التماسك بمجتمعها متناسية كل ما كان في الجاهلية، لا يمكن أن يكون ذلك نتيجة دعوة ساذجة وعقيدة جامدة، أو بدافع أهواء طائشة، بدليل أن أمثال هذه الانقلابات في تاريخ المجتمعات لم تتم إلا بعد حدوث تطور عظيم في نفسيات الأفراد اقتضته أمور جسام وتولت بناء الوحدات الاجتماعية أصول ومبادىء كان مثلها بين الأفراد والجماعات مثل الملاط بين الأحجار إذا أريد تحويلها إلى قصور مشيدة، وفوق

---

(١) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، ص٣٢ وما بعدها، في وصف مملكة الإسلام؛ ويراجع نفس الكتاب، الدولة الأموية في وصف المملكة الإسلامية وحدودها؛ وتراجع مجلة الأزهر، ج٩، مج ٦، سنة ١٩٥٤، ص ٦٠٥ وما بعدها في الرد على هذا المستشرق.

هذا فإن هذا التحويل يحتاج لمدبر خبير بأصول البناء، وأسرار تماسكه حتى لا ينهار على نفسه من أي ارتجاج يصيبه.

فهل بعد ذلك يقبل قول هذا المستشرق أن تعاليم الإسلام جامدة تتحكم في نواحي الحياة، ولا تزال به حتى تصيبه بالشلل والموت.

وهل قيام دولة الإسلام العظمى التي امتدت إلى حدود الصين شرقاً، وإلى فرنسا غرباً عبر ثلاث قارات، واستقبلتها الأمم والشعوب بالفرح والابتهاج، لأنها حررتها من عبودية الإنسان للإنسان، ومن عبودية العقل للوثنية.

وهل الانسياح في الأرض والقيام بالفتوحات الإسلامية التي لا عهد للعالم بمثلها ثمرة عقيدة جامدة؟

وهل دخول مئات الملايين في الإسلام، ووصوله إلى بقاع متعددة من العالم، والتغلب بدون دعوة على جميع الملل المنافسة له، ذات الدعاة الذين ينفقون عشرات الملايين من الجنيهات كل سنة. هل كل هذا نتيجة عقيدة جامدة؟ [١]

الشبهة الخامسة حول العقيدة: يقول المستشرق بودلي (Bodley) في كتابه (الرسول: حياة محمد): «وما الجنة والنار إلا تجسيم ما رآه محمد من نعيم خارج بلاد العرب في أثناء رحلاته، مع احتمال استعارة أفكار الأب «أفرام» وما الجحيم إلا تجسيم مشاق الصحراء المحرقة الماحلة التي تحيط بمكة» [٢] .

إن هذا المستشرق يصف الرسول ﷺ بالتضليل والكذب وأن الجنة والنار فكرة ابتدعها محمد ﷺ ليحبّب الناس في ديانته، وكأنه يريد أن يقول «إن الآخرة خرافة، وإن المؤمنين به قوم مضللون».

---

(١) انظر ما جاء في كتاب محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه، فهمي عبد الوهاب؛ وكتاب الإسلام الدين الفطري الأبدي، المبشر الطرزي، فقد أورد عدداً كبيراً من أقوال المستشرقين في هذا المجال مما يرد على هذا المستشرق.

(٢) الإسلام والمستشرقون، محمد الدسوقي، ص٤٦، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

وللرد على هذه الشبهة، نقول: أما الشطر الأول وهو اتهام الرسول ﷺ بالتضليل والكذب، فهذا أمر لا يقوله عاقل للأسباب التالية:

أولاً: الأنبياء معصومون من اقتراف الذنوب والوقوع في المعاصي، لأن الله طهرهم، وألزمهم كلمة التقوى، وحفظهم من ارتكاب الذنوب صغائرها وكبائرها، وقد تولى الله سبحانه تأييدهم وإعدادهم، وتهذيبهم وتربيتهم، حتى كانوا أهلاً لما اصطفاهم الله له، قال الله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا، وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وكانوا لنا عابدين﴾[1] .

وقال تعالى في حقهم: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[2] ، وقال أيضاً: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات، ويدعوننا رغبا ورهبا وكانو لنا خاشعين﴾[3] ، إن اتصاف الأنبياء بالكذب أو الصفات القبيحة يُضعف الثقة بهم، والاعتماد على أخبارهم، وحينئذ تضيع الحكمة من رسالاتهم والله أعدهم ليتلقوا من الملائكة الأطهار، وحي الله وأوامره وشرائعه ليبلغوا ذلك إلى عباده كما قال سبحانه: ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾[4] [5] .

ثانياً: يجب صدق الأنبياء، ويستحيل كذبهم، فيما يبلغون عن الله تعالى، والدليل على ذلك، أنهم لو كذبوا في ذلك للزم الكذب في خبره تعالى، لأن الله تعالى صدق رسله بتأييدهم بالمعجزات، فإن المعجزة التي يظهرها الله تعالى على يدي نبيه منزلة قول الله تعالى للمرسل إليهم «إن رسولي صادق في قوله بدليل تأييدي له بالمعجزة التي لا يقدر عليها

---

(١) سورة الأنبياء، آية ٧٢.

(٢) سورة الأنعام، آية ٩٠.

(٣) سورة الأنبياء، آية ٩٠.

(٤) سورة ص، آية ٤٧.

(٥) عقيدة المسلم وما يتصل بها، عبد الحميد السائح، ص٢١٦، ط٢، ١٤٠٤، منشورات وزارة الأوقاف.

أحد سواي» (١).

ولو كان الرسل كاذبين لكان الكذب منصباً على المعجزة أيضاً (أي على ما يعتبر خبرا عن الله تعالى بتصديق رسله) ولكن الكذب في خبر الله تعالى محال فكذب الرسل فيما يبلغون عن الله تعالى محال، فثبت صدقهم فيما يبلغونه عنه تعالى واستحال كذبهم في ذلك (٢). قال تعالى: ﴿وصدق الله ورسوله﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ (٤)، أي لو نسب إلينا قولا لم نقله لسلبنا عنه القوة وانتقمنا منه بالحق.

ثالثاً: التاريخ يؤيد صدق النبي ﷺ: لقد سجل التاريخ صدق النبي ﷺ منذ أن وعي إلى أن قبضه الله تعالى إليه، فما عرفت عليه كذبة قط في حياته كلها صلى الله تعالى عليه وسلم، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام مبعوث بمكارم الأخلاق، والصدق منها، والنبي ﷺ يقول: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٥).

ولقد كان من الأسباب التي دعت خديجة للزواج به ما سمعته عنه من الأمانة والصدق، حتى سماه قومه الأمين (٦).

قال ابن إسحق: «وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعل لهم من مالها، وكانت قريش قوماً تجاراً،

---

(١) تبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب، ص١٣٩، ط٤، ١٣٩٩، دار البحوث.

(٢) نفس المرجع، ص١٤٠؛ كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ج٢، ص٨٦، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني.

(٣) سورة الأخزاب، آية ٢٢.

(٤) سورة الحاقة، آية ٤٤-٤٧.

(٥) سيدنا محمد رسول الله ﷺ، عبدالله سراج الدين، ص١٣٠، رواه مالك في الموطأ، ط٣، ١٤٠٢/ ١٩٨٢، جمعية التعليم الشرعي، حلب.

(٦) نور اليقين، الخضري، ص٢٣، ط٣، ١٤٠٣، مؤسسة علوم القرآن.

فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وحسن أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام [(١)] .

وهنا نقول لهذا المستشرق إذا كان رسول الله ﷺ لم يعهد عليه الكذب في أيام الجاهلية والتاريخ يؤيد ذلك، فكيف به يكذب في الإسلام وهو يحارب الكذب علماً بأن الكذب لم يكن من أخلاق كبراء العرب، فإن الحرية التي كانت لهم بمقتضى قيامهم في بلاد لا يغلب عليها ظالم يتحكم في عقولهم ونفوسهم وألسنتهم وتفكيرهم، ولم يكن عندهم الملق الذي يجعلهم يدهنون في القول رجاء خير يتبعونه، وإنه حيث يحكم الملك العضوض، وتسيطر أهواء الحكام توجد صفتان متلازمتان، أحدهما النفاق، وثانيتهما: الكذب، لأن النفاق في ذاته كذب، والكذب لازمة من لوازمه، ولذا آثر عن النبي ﷺ أنه قال: «من علامات المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» [(٢)] .

ولم يظهر في العرب نفاق أو كذب إلا ما كان يصاقب حواضر البلاد التي يحكمها ملوك وأمراء كالملوك أو حكام مستبدون بشكل عام، كأراضي العرب التي كانت تجاور النعمان، أو الغساسنة في الشام، فإنه يجوز أن يكون فيها النفاق والكذب والملق، ووراءهما خيانة الأمانات [(٣)] .

شهادة الأعداء بصدقه:

تروي لنا كتب السير أن أبا سفيان، وقد كان زعيم الشرك في الوقت الذي جرى فيه حديث بينه وبين هرقل ملك الروم عن النبي ﷺ وقد وجه هرقل عدداً من الأسئلة إلى أبا سفيان، وهو من ألد أعداء محمد ﷺ في ذلك الوقت.

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي، ص٣٣٧، الطبعة المحققة سنة ١٣٨٩، ط ١٤٠٥، ١٩٨٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، جلد١، جزء ٢، ص٤٦، الطبعة المصرية، المطابع الأزهرية؛ كتاب الإيمان، باب خصال المنافق.

(٣) خاتم النبيين، الإمام محمد أبو زهرة، ج١/٢٢٣، دار الفكر.

فسأله عن نسبه، فأجابه أنه من أوسطنا نسباً، وعمّن يتبعونه، وعن أسئلة كثيرة تتعلق بأخلاق النبي ﷺ، ،منها: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا، فقال هرقل: ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسأله هرقل: بم يأمر؟ فقال أبو سفيان: يقول، اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، وينهي عمّا كان يعبد آباؤنا، ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة [1]. فهذه شهادة عدو من أعداء رسول الله ﷺ بصدقه.

شهادة أصدقائه:

عندما نزل الوحي على النبي ﷺ لأول مرة في غار حراء وطلب منه أن يقرأ فغطه ثلاثا ثم قال له: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق ... الخ. فزع الرسول ﷺ وخاف على نفسه، ورجع إلى بيته ترتعد فرائصه وقال زملوني زملوني، لقد خشيت على نفسي.

وسألت خديجة عن السبب فأخبرها، وكانت عاقلة فاضلة سمعت بالنبوة والأنبياء والملائكة، وكانت تزور ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر وقرأ الكتب، وكانت عالمة بأخلاق رسول الله ﷺ فعند ذلك طمأنته وقالت له بعد أن خاف على نفسه من الجن، كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتصدق الحديث، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق [2].

ثم تنطلق خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ومعها النبي ﷺ وتخبره القصة، فيقول له ورقة: «والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى،

---

(١) نور اليقين، محمد الخضري، ص ٢٠٠-٢٠١، نسخة محققة، ورواه البخاري في باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٢) صحيح البخاري، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (نحوه)؛ وانظر طبقات ابن سعد، ج١/١٩٥.

وأن قومك سيكذبونك ويؤذونك ويخرجونك ويقاتلونك[1] . فرحم الله ورقة فقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ، حيث وجهت السهام في هذا العصر والعصور السالفة إلى تكذيب رسول الله ﷺ.

خامسا: شهادة القرآن له بالصدق:

قال تعالى: ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله﴾ [2] .

سادساً: بعض ما قاله علماء الإسلام:

يقول الماوردي: «ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة، ومن لزم الصدق في صغره، كان له في الكبر ألزم، ومن عصم منه (يعني الكذب) في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم وحسبك بهذا دفعاً لجاحد ورداً لمعاند» [3].

١- يقول الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل (Carlyle Th.) رداً على تهمة الكذب التي يوجهها المستشرقون والمبشرون للإسلام ونبي الإسلام «من العار أن يصغي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين أن دين الإسلام كذب، وإن محمداً لم يكن على حق لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي، ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة؟ أو خديعة مخادع.

هل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيع أن يخلق دينا ويتعهده بالنشر بهذه الصورة؟ إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذي يبني بيتا دعائمه هذه

---

(١) سيرة ابن هشام، ج١/٢٣٨؛ صحيح البخاري، باب بدء الوحي.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٢٢.

(٣) أعلام النبوة، الماوردي، ص٢١٢، ط٢، ١٤٠١، ١٩٨١، دار الكتب العلمية، بيروت.

القرون العديدة، وتسكنه هذه الملايين العديدة من الناس؟ وعلى ذلك من الخطأ أن نعد محمداً رجلاً كاذبا متصفا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع... وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق، وما كلمته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[(١)] .

ثم نقول لأولئك المستشرقين: ما المراد بالكذب؟ كل كذاب يكذب فإنما يحاول أن يحقق بكذبه لنفسه نفعاً لم يكن موجوداً قبل أن يكذب، فما النفع الذي حققه سيدنا محمد ﷺ حتى يدعوه إلى الكذب على الله، إنه عاش فقيراً يأكل القديد ويلبس المرقع، وكانت النار لا توقد في بيوته الشهر والشهرين، فلماذا كذب إذن؟

٢- ويقول الكونت هنري دي كاستري (K. H. De Kastry) الفرنسي وأحد حكام الجزائر السابقين في كتابه (الإسلام تأثرات ومباحثات): «إن أول مسألة دار البحث فيها -أي بينه وبين علماء فرنسا- إنما هي صدق النبي محمد في رسالته، وقد قلنا أن ذلك الصدق متفق عليه بين المستشرقين والمتكلمين في وجه التقريب، ومعلوم أنه لا ارتباط بين هذه المسألة وبين كون القرآن كتابا منزلاً من عند الله، ولسنا نحتاج في إثبات صدق محمد إلى أكثر من إثبات أنه مقتنع بصحة رسالته وحقيقة نبوته»[(٢)] .

٣- ويقول جوني أوركس (Johny Oryks) الأديب الإنجليزي ما نصه: «لم نعلم مما جاءنا من التاريخ الصحيح أن محمداً نبي الإسلام تسربل بأي رذيلة مدة حياته»[(٣)].

---

(١) محمد المثل الأعلى، توماس كارليل، ص١٢-١٣، ط٢، ترجمة محمد السباعي، المكتبة الأهلية، بيروت؛ الإسلام بين الإنصاف والجحود، محمد عبد الغني حسن، ص١٢٩؛ الإسلام الدين الفطري الأبدي، مبشر الطرزي، فإنه أورد عددا من شهادة المستشرقين في هذا المجال.

(٢) محمد رسول الله في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه، محمد فهمي عبد الوهاب، ص٢٧، دار أبو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.

(٣) نفس المرجع، ص٥٦.

٤- ويقول الفيلسوف الفرنسي الكبير لامارتين (Lamarten) الذي شغل مناصب سياسية كثيرة وأصبح رئيساً للحكومة المؤقتة بعد ثورة فبراير، يقول: «أترون أن محمداً كان أخا خداع وتدليس وصاحب باطل ومين؟

وإني أقول: كلا بعدما وعينا تاريخه ودرسنا حياته إن الخداع والتدليس والباطل والمين، كل ذلك من نفاق العقيدة، وليس للنفاق قوة العقيدة، وليس للكذب قوة الصدق، وإذا كانت قوة الصعود والمرمى في علم الطبيعة والحركات الآلية هي المقياس الصحيح لقوة المصدر الذي تنفذ منه الرمية، وتظهر في الأفق منه القذيفة، فإن العمل والفعل الذي يحدثه المحدث في علم التاريخ وسجل الخلود وكتاب الإنسانية، هو المقياس الصحيح لمقدار الوحي وقوة القلب والوجدان، والفكرة السامية العالية التي تنفذ إلى مكان بعيد وتبقى زمناً طويلاً، وتمشي في الحياة رخية، وهي لا ريب فكرة قوة صدرت عن وجدان قوي، ولكي تكون تلك الفكرة قوية ينبغي أن يكون ظاهرها وباطنها الإخلاص، وعملها الأكبر الحق والصدق، وتروح معقولة يقبلها اللب ويعتمدها الذهن [(١)].

وأما قوله: «بأن الجنة والنار فكرة ابتدعها محمد ﷺ ليحبّب الناس في ديانته»، أي أنه يقول بأن اليوم الآخر خرافة.

فللرد على هذه الشبهة نقول لهذا المستشرق لا بد لك أن تعلم أموراً منها:

أولاً: اتفاق الأديان السماوية على إثبات اليوم الآخر وما فيه فإن كنت من اليهودية فاليهودية تتكلم عن الجنة والنار في توراتها وإليك نصوصها.

جاء في التوراة عند التكلم عن بداية الخلق التصريح باسم الجنة «وغرس الرب الإله جنة عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جعله، وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر، وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة» [(٢)].

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٢٩-٣٠.

(٢) سفر التكوين ٢/٨-١١.

وفي نفس الإصحاح يقول: «وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً» [١] . كما ورد ذكر الجنة ورد ذكر النار في التوراة، ولفظها في التوراة (شول واشي) قال علماء اليهود: ومعنى اللفظين جهنم [٢] .

وذكر الشوكاني أنه جاء في التوراة ما لفظة: «وإن الله خلق خلقاً، وتفتح الأرض فاها فينزلون إلى الثرى، هؤلاء القوم الذين عصوا الله وقال أحجب رحمتي عنهم وأريهم عاقبتهم، وكما أنهم كادوني بغير إله، وأغضبوني بغروراتهم، كذلك أني أكيدهم، لأن النار تتقدح من غضبي، وتتوقد إلى أسفال الثرى فتأكل الأرض ونباتها حتى تستطلع أساسات الجبال، كذلك أزيد عليهم شرورا وسهامي أفرقها فيهم» [٣] .

وجاء في سفر دانيال، الإصحاح الثاني عشر: «كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي» [٤] . والحياة الأبدية لا تكون في الدنيا وإنما تكون في الاخرة.

وجاء في مزامير داود: «لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي، جسدي أيضاً يسكن مطمئناً، لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، لن تدع تقيك يرى فساداً» [٥] . وجاء أيضاً في مزامير داود: «لأنه قد شبعت من المصائب نفسي وحياتي إلى الهاوية دنت حُسبت مثل المنحدرين إلى الجب صرت كرجل لا قوة له» [٦] . وإن كنت من النصارى فالأناجيل تتحدث عن اليوم

---

(١) سفر التكوين ٢/١٥-١٧.

(٢) ارشادات الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي الشوكاني، ص٢٧-٢٨، تحقيق إبراهيم إبراهيم هلال، ط ١٣٩٥.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨، نقلاً عن التوراة. لم أعثر على هذا النص في التوراة.

(٤) سفر دانيال، الإصحاح الثاني عشر/ ٢-٣.

(٥) المزامير، ١٦/٩-١١.

(٦) المزامير، ٨٨/٣-٥.

الاخر وما فيه من جنة ونار.

جاء في إنجيل متى ما يلي: «من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم»[1]. وفي نفس الإصحاح جاء: «فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم، وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم»[2]. وجاء في الإصحاح الثالث عشر من نفس الإنجيل: «هكذا يكون في انقضاء العالم، يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار، ويطرحونهم في أتون النار، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»[3]. وفي الإصحاح الخامس والعشرين منه يقول: «ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته»[4].

وأما إنجيل مرقص فهو أيضاً يتحدث عن اليوم الآخر: «وان أعثرتك يدك فاقطعها، خير لك أن تدخل الحياة أقطع، من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم إلى النار التي لا تطفأ»[5].

وأما إنجيل لوقا فقد تحدث أيضاً عن النار: «ومات الغني أيضاً ودفن، فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه»[6]. وفي نفس الإنجيل ذكر الزنادقة وهم الذين يقولون ليست قيامه هكذا في الإصحاح العشرين منه وفيه أيضاً ما لفظه، فأما أن الموتى يقومون فقد أنبأ بذلك موسى»[7]. وفي الإصحاح الثالث

---

(١) متى ٥/٢٢.

(٢) متى ٥/٢٧-٣٠.

(٣) متى ١٣/٤٩-٥٠.

(٤) متى ٢٥/٤١-٤٢.

(٥) مرقص ٩/٤٣-٤٤؛ وانظر الفقرات ٤٥ و ٤٦-٥٠ من نفس الإنجيل والإصحاح

(٦) إنجيل لوقا ١٦/٢٢-٢٤.

(٧) لوقا ٢٠/٣٨.

والعشرين من إنجيل لوقا، ورد عن المسيح أنه قال للمصلوب الذي آمن به «إنك تكون معي في الفردوس»[(١)].

وقد جاء في إنجيل يوحنا ما يثبت ذلك «لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة»[(٢)].

وبعد هذا السرد لهذه النصوص نورد بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن اليوم الآخر: قال الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون وهو يحذر قومه من يوم القيامة: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد، يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد﴾[(٣)]. وقال الله تعالى: ﴿أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وإنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾[(٤)].

فالله لم يخلق الإنسان من غير هدف عال، ولا غاية سامية لأن ذلك يتنافى مع حكمته العليا، لقد خلق الله الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السموات والأرض، فهل يعقل أن يكون ذلك بدون غاية ولا هدف، فإن ذلك عبث يتنزه الله عنه، بل إن الإنسان هو خليفة الله في الأرض كلف بالقيام بواجبات هذه الخلافة وهو مسؤول عنها أمام الله يوم القيامة.

وقد اهتم القرآن بتقرير الإيمان باليوم الآخر، فربطه بالإيمان بالله ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر﴾[(٥)]، وقد ورد ذكر هذا اليوم في غالب سور القرآن الكريم، وقد

---

(١) انظر ارشاد الثقات، الشوكاني، ص٣٢.

(٢) يوحنا ٥/٢٨-٣٠.

(٣) سورة غافر، آية ٣٢-٣٣.

(٤) سورة المؤمنون، آية ١١٥-١١٦.

(٥) سورة البقرة، من الآية١٧٧.

سماه الله بأسماء متعددة فهو يوم البعث، ويوم القيامة، والساعة، والآخرة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الفتح، ويوم التلاق، ويوم الجمع والتغابن، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التناد ... الخ [١].

وأما سبب اهتمام القرآن بهذا اليوم فيرجع إلى أسباب منها:

١- إنكار المشركين له، قال تعالى: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ [٢].

٢- فساد عقيدة اليهود والنصارى في هذا اليوم، فالنصارى يعتمدون فيه على وجود الفادي المخلص، الذي يفدي الناس بنفسه، ويخلصهم من عقوبة الخطايا. واليهود لا يكادون يذكرون هذا اليوم في كتبهم، واعتقادهم في هذا اليوم فاسد، قال تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده، أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [٣] [٤].

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: «وقد خلت الكتب الإسرائيلية من ذكر البعث واليوم الآخر، فالأرض السفلى أو الجب أو شيول هي الهاوية التي تأوي إليها الأيتام بعد الموت، ولا نجاة منها لميت، وإن الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد» [٥].

فهل بعد هذه النصوص يصدق هذا المستشرق في قوله أن الجنة والنار فكرة ابتدعها محمد ﷺ ليحبّب الناس في ديانته أنه كلام لا أساس له من الصحة، لأن فكرة اليوم الآخر متأصلة في نفوس الأمم السابقة.

---

(١) العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص٢٦٢ وما بعدها، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) سورة الجاثية، آية ٤.

(٣) سورة البقرة، آية ٨٠.

(٤) العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص٢٦٤ وما بعدها.

(٥) الله، عباس محمود العقاد، ص١٣٠، الموسوعة، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

الشبهة السادسة حول العقيدة:

يقول المستشرق الإيطالي ليون كاتياني (Caetani Lenoe): «إن جيوش العرب التي حملت الحق والنور والعدالة والسماحة إلى مستعمرات قيصر وكسرى، لم تخرج ببواعث عقيدة حارة، وإيمان رفيع لا لا. لقد كان العرب جياعاً في جزيرتهم فخرجوا يطلبون الأكل، خرجوا إثر قحط حل ببلادهم [1].

يزعم هذا المستشرق أن دوافع الجهاد في الإسلام ليس نشر العقيدة وإنما هو طلبا للقوت. نقول لهذا المستشرق أن هذا الكلام باطل لما يلي:

١- إن دعوة الإسلام دعوة عالمية للناس جميعاً وقد ثبت ذلك في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [2]. والعالمين جمع معرف بأل، وهو من صيغ العموم، يدخل تحته كل ما خلق الله إلا ما أخرجه دليل.

وقال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [3]. ولفظ الناس: اسم جمع لإنسان على غير لفظه، واللام الداخلة عليه للجنس وهي هنا تخلفها كل، فهي لشمول أفراد الجنس (الاستغراق الحقيق).

والآيات في هذا المجال كثيرة، وكذلك الأحاديث النبوية تدل على ذلك، وقد صرح النبي عليه الصلاة والسلام بعالمية دعوته عندما جهر بها لأول مرة، فقال بعد حمد الله: «إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً» [4].

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة، محمد الغزالي، ص٥٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

(٣) سورة الأعراف، آية ١٥٨.

(٤) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٢/٦١، دار صادر، بيروت، ط/١٣٨٥.

كما أننا نجد أن نهج الصحابة من بعد رسول الله ﷺ يدل على عالمية هذه الدعوة، وعلى السير على ما سار عليه الرسول ﷺ، عندما كان يعرض دعوته على الناس جميعاً، القاصي والداني، وعندما أرسل الرسل لإبلاغ ملوك الأرض بدعوته، فدعاهم بها إلى الله تعالى، وعندما سير الجيوش إلى أطراف الجزيرة وإلى خارجها من أجل الدعوة إلى الله تعالى، وكذلك سار الصحابة من بعده.

وقد كان القتال في الإسلام وسيلة لتأمين الدعوة، وإزالة العقبات من طريقها، حتى يدخل من يريد الدخول إليها وهو مطمئن آمن.

إن التاريخ يحدثنا أن قادة الفتح الإسلامي كانوا يخيرون أصحاب البلاد المفتوحة من أمور ثلاث، إما قبول دعوة الإسلام فإن قبلوا كفوا عنهم، وصينت أموالهم وذراريهم، فإن أبوا طولبوا بالجزية، فإن أبوا كان القتال، إذاً كانت دعوة الإسلام تسبق القتال، ولو كان الهدف القوت والطعام لما قبلوا بديلاً عن ذلك.

٢- نقول لهذا المستشرق: إن استقرار العقيدة في النفس الإنسانية يجعلها عزيزة فلا تذل، وتقف أمام قوى الأرض لا ترهب سلطاناً، ولا تذل أمام صولة الملك، وإغراء المال، إنها العقيدة الصحيحة، ترفع صاحبها من أوحال الأرض، ومستنقع الطين، فيقف على ربوة سامية ينظر إلى الأرض من علو مع التواضع، وبالعزة مع المحبة والتضامن دون استطالة، ولا بغي على الناس يود لو يرفعهم إلى هذا المستوى الذي رفعه الله إليه [١].

وإذا عدنا إلى التاريخ وجدنا أمثلة صادقة تلقم هذا المستشرق حجرا صلبا فلا يستطيع أن يفغر فاه بعد. ذكر الحافظ ابن كثير في بدايته: عما حصل قبل معركة القادسية عندما بعث رستم إلى سعد بن أبي وقاص يطلب منه رجلا عاقلا يكلمه، فبعث إليه في اليوم الأول المغيرة بن شعبة، فلما قدم عليه رستم يقول له: إنكم جيراننا، وكنا نحسن إليكم، ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا، فقال له المغيرة: ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، ثم عرض عليه

---

(١) العقيدة وأثرها في بناء الجيل، عبدالله عزام، ص٣٤، مكتبة الرسالة الحديثة، ط٣، عمان.

الإسلام، وبين له أركانه، ولكنه لم يستجب لأمر الله.

ثم أرسل سعد لمفاوضته جندياً آخر من جنود الإسلام بطلبه وهو ربعي بن عامر، فدخل على رستم بثياب صفيقة وسيف وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكباً حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل عنها، وربطها ببعض الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. عندئذ قال رستم ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله، فقال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، ثم طلب منه رستم أن يؤخروا القتال حتى ينظروا في الأمر، وطلب منه المهلة فأعلمه ربعي بحكم الإسلام أن العدو لا يؤخر أكثر من ثلاث، هكذا سن النبي ﷺ.وفي اليوم الثاني أرسل له حذيفة بن محصن فتكلم نحو كلام ربعي، وفي اليوم الثالث طلب من المسلمين من يفاوضه فأرسل إليه سعد بن المغيرة بن شعبه فدعاه إلى الله تعالى ولكنه رفض الانقياد لحكم الله وأخيراً أراد رستم أن يتزلف للمسلمين بالهدايا، فقال للمغيرة: «قد أمرت لكم بكسوة، ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركب وتنصرفون عنا.

فقال المغيرة: أبعد أن أوهنا ملككم، وضعفنا عزكم، ولنا مدة نحو بلادكم، ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون، وستصيرون لنا عبيداً على رغمكم، فلما قال ذلك استشاط غضباً [(١)].

فبعد هذه الحادثة التاريخية نقول لهذا المستشرق أن قولكم بأن العرب كانوا جياعاً في جزيرتهم فخرجوا يطلبون الأكل، هذا قول باطل تؤيد بطلانه حقائق التاريخ التي تثبت أن العرب رفضوا الدنيا وما فيها، وأرادوا الآخرة وما فيها، والأدلة على ذلك كثيرة.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٩/٧ وما بعدها، مكتبة المعارف، بيروت.

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من النبوة

وقف المستشرقون من النبوة موقف المعاند فاعترفوا بنبوة أنبياء بني إسرائيل وأنكروا نبوة محمد ﷺ.

يقول الأستاذ شوقي أبو خليل: «المستشرقون ينظرون إلى نبوة محمد نظرة عادية مجردة من الصوت الإلهي، وما ذلك إلا من قبيل التعصب الديني المبني على عداء سياسي، إنهم ينكرون أن يكون محمد ذا نبوة صحيحة، بينما هم يقرون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بني إسرائيل[١].

يقول المستشرق الإنجليزي مرجليوث: «عيون النبي أتت إليه بالأخبار وجاءته بالحوادث بسرعة مذهلة، فليست نبوءات محمد معجزات دالة مثبتة لنبوته[٢].

تتلخص هذه الشبهة بما يلي:

١- عدم الاعتراف بنبوة محمد بن عبدالله ﷺ.

٢- يترتب على إنكار النبوة إنكار الوحي والرسالة.

وللرد على هذه الشبهة نقول: إن علامات النبوة الصادقة هي عقيدة تحتاج إليها الأمة، والعقيدة أسباب تتمهد لظهور النبوة، والعقيدة تحتاج إلى رجل يضطلع بأمانتها في أوانها، وقد تجمعت هذه العلامات فخلق الله محمداً بن عبدالله ليكون رسولاً مبشراً بدين، وقد اجتمعت به صفات النبوة، وإليك الأدلة على ذلك:

١- شهادة الكتب السابقة له على نبوته وتبشير الأنبياء السابقين بها.

٢- إثبات القرآن لنبوة محمد ﷺ.

---

(١) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص١٧، ط٤/١٤٠٠هـ.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٠، نقلاً عن:

Margoliouth, Mohammad the Rise of Islam, P. 368.

٣- إثبات السنة النبوية لنبوة محمد ﷺ.

٤- أخلاقه تدل على نبوته.

٥- الأدلة العقلية على نبوته.

٦- الأدلة العلمية على نبوته.

٧- شهادة بعض المستشرقين على نبوته [(١)].

وفيما يلي شرح موجز لهذه النقاط:

أولاً: شهادة الكتب السابقة له على نبوته:

لقد توفرت المؤهلات العقلية والشرعية الدينية لمحمد ﷺ وهي كافية للإيمان بنبوته، وطلباً للمزيد نورد بعض ما جاء في الكتب السابقة من شهادات دالة على نبوته وتبشير الأنبياء به.

جاء في سفر التثنية ما يلي: «أقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي، وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم

---

(١) راجع ما جاء في كتب السيرة النبوية:

١- سيرة ابن هشام، ج١/٢١١ ، ٢١٢ و ٢٣٢.

٢- نور اليقين، الخضري، ص٣٠-٣١.

٣- مختصر سيرة الرسول ﷺ، محمد بن عبد الوهاب، ص٤٩، العربية للطباعة والنشر، بيروت.

٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، الجزء الأول.

٥- سيدنا محمد رسول الله ﷺ، عبدالله سراج الدين.

٦- الخصائص الكبرى، للسيوطي، الجزء الأول والثاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

يتكلم به الرب، فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه»[(١)].

وقد ذكر اليهود أن هذه البشارة ليوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام والحقيقة أنها ليست ليوشع بن نون لأنه ليس كموسى وليس من بني أخوانهم أي بني إسماعيل[(٢)].

مع أن اليهود كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً آخراً غير المسيح فإنهم أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له: أنت إيلياء؟ فقال: لا، فقالوا: أنت المسيح، فقال: لا، فقالوا: أنت النبي، فقال: لا، فقالوا: ما بالك إذا تعمد؟ إذا كنت ليس إيلياء ولا المسيح ولا النبي[(٣)].

فهذه العبارات تدل على أن التوراة تبشر بإيلياء والمسيح، ونبي لم يأت حتى زمن المسيح، وتشير التوراة إلى أن صفة هذا النبي مثل صفة موسى.

كما أن التوراة أخبرتنا عن صفات النبي الصادق والكاذب، فالنبي الصادق يخبر بما سيأتي، ثم يتحقق هذا الاخبار، وها هو نبينا عليه الصلاة والسلام قد أخبر بأمور كثيرة كلها وقعت وهذا يدل على صدق نبوته، وأما الأناجيل فقد بشرت أيضاً بنبوة محمد ﷺ جاء في إنجيل يوحنا ما يلي: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد»[(٤)].

فقوله يمكث معكم إلى الأبد، هو بقاء دينه، وكتابه، وسنته، لأن كتابه محفوظ بحفظ الله له، وباقي ببقاء هذه الحياة، وهذا معنى إلى الأبد. وجاء أيضاً في نفس الإنجيل: «لكني أقول لكم إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطيئة وعلى بر، وعلى دينونة، أما على خطية فلأنهم

---

(١) سفر التثنية، إصحاح ١٨/١٨-٢٢.

(٢) نور اليقين، الخضيري، ص ٣٠-٣١، النسخة المحققة.

(٣) إنجيل يوحنا، أصحاح ١/٢١-٢٦ بتصرف.

(٤) إنجيل يوحنا، أصحاح ١٤/١٥-١٦.

لا يؤمنون بي، وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا تروني أيضاً، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين»[1].

والعبارة تشير إلى أنه لو لم يرفع عيسى عليه السلام لما بعث محمد عليه السلام. إذ أن بعثة النبي ﷺ كانت على فترة من الرسل كما أشار القرآن بذلك، قال الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾[2]. فهذه شهادات من التوراة والإنجيل واضحة لمحمد ﷺ تشهد بنبوته ورسالته.

وقد جاء أيضاً في التوراة: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران ومعه ألوف الأطهار»[3]. وهذا النص يشير إلى أن الله ناجى موسى وأوحى إليه بسيناء، وأرسل عيسى عليه السلام وأوحى إليه بساعير، وهي من أرض الجبل بالقدس، وبعث محمداً ﷺ بدعوة التوحيد مستعلنا بها من بطاح مكة، التي تقع بين جبال فاران كجبل أبي قيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها.

ثانياً: شهادات القرآن على نبوة محمد ﷺ:

بعد أن أوردنا بعض الشهادات من الكتب السابقة للقرآن على صدق نبوة محمد ﷺ نتبع ذلك بشهادة القرآن الذي يعتبر حارساً أميناً على ما تقدمه من كتب.

قال الله تعالى: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه، والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا﴾[4].

---

(١) إنجيل يوحنا، اصحاح ١٦/٧-١١.

(٢) سورة المائدة، آية ١٩.

(٣) سفر التثنية، اصحاح ٣٣/٢-٣.

(٤) سورة النساء، آية ١٦٦.

١- قال الله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ [(١)]. هذا الرسول مكتوبا باسمه ونعوته الشريفة، بحيث لا يشكون أنه هو، ولذلك عدل عن أن يقال يجدون نعته أو وصفه مكتوباً عندهم، والظرف (عندهم) لزيادة التقرير وأن شأنه ﷺ حاضر عندهم لا يغيب عنهم [(٢)].

٢- وقال تعالى أيضاً: ﴿إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ [(٣)]. فهذه شهادة إخبار من الله تعالى بنبوة محمد ﷺ، وهناك نوع آخر من الشهادات وهو شهادة المعجزات الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام، وأعظم معجزة هو كتاب الله الذي أنزله على نبيه، وجعله معجزة خالدة على مر الدهور والأيام، فهو دال على صدق نبوته.

٣- نهج القرآن في إثبات الوحي: نهج القرآن طريقتين لإثبات الوحي:

الأولى: مخاطبة أهل الكتاب: حيث أنهم آمنوا برسول سابق، فإذا كان الخصم مؤمناً برسول قبل محمد ﷺ فيلزمه أن يثبت الوحي لمن آمن به من رسل، فما يقوله هناك في إثبات حادثة الوحي يحتج به عليه هنا، وهذا ما نرد به على اليهود والنصارى، وما أظن هذا المستشرق إلا يهودياً أو نصرانياً، وقد أقام الله الحجة على اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم، وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون، يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ [(٤)].

فإذا كان الوحي وقع لأنبياء بني إسرائيل والخصم يؤمن بهم فلا غرابة في وقوعه

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٧.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج٩/٢٢٧، ط٢، دار المعرفة، بيروت.

(٣) سورة آل عمران، آية ٦٨.

(٤) سورة آل عمران، آية ٦٩-٧٠.

لمحمد ﷺ. قال تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب وهارون وسليمان، وآتينا داود زبورا﴾ [١] .

لما كان موقف أهل الكتاب من أنبياء الله مضطربا يدعون الإيمان ببعضهم، ويصرحون بالكفر ببعض، وهذا هو عين الكفر، لذلك نجد أن الله بيّن أن الوحي جنس واحد، وأنهم لو كان إيمانهم بمن يدعون الإيمان بهم من الرسل السابقين صحيحاً مبنيا على الفهم والبصيرة لما كفروا بمحمد ﷺ، وقد بدأ الله بنوح لأنه أقدم نبي مرسل ثم خص بعض النبيين الذين جاؤوا من بعد نوح بالذكر لشهرتهم وعلو مقامهم عند أهل الكتاب [٢] .

الطريق الثاني: خطاب الملحدين والوثنيين وما شابههم:

أ- وقد سلك القرآن مع هؤلاء بأن يدعوهم أولا إلى الإيمان بالله وحده، لأن الإيمان بالله هو الأساس الأول في المناظرة بيننا وبينهم، ويقيم لهم الحجج والأدلة على وجوده، والأدلة على وجود الله كثيرة منها:

أ- دليل السببية.

ب- دليل الفطرة.

ج- دليل التاريخ.

د- دليل الرسالات.

هـ- دليل الموجودات في العالم العلوي والسفلي [٣] .

ولله در من قال: وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد.

---

(١) سورة النساء، آية ١٦٣.

(٢) تفسير المنار، ج٦/٦٨، ط٢، دار المعرفة، بيروت.

(٣) العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص٣٨ وما بعدها؛ الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، ص ٢١ وما بعدها.

يقول بعض الملاحدة: «أعطوني الإيمان بالله أسلم لكم بكل ما تقولون في الرسل والرسالات»[1] . ثم إننا نقول لهذا الملحد أن العجز عن معرفة حقيقة الأشياء لا ينفي وجودها لأن قصور العقل عن إدراك حقيقة النفس لا ينفي وجودها، وعجز العقل عن إدراك كنه الذرة لا ينفي أن هناك ذرات تتكون منها المادة، ومثل ذلك الذات الإلهية إذا عجز الإنسان عن إدراك حقيقتها فليس معنى ذلك أنها غير موجودة.

ب- النظر في ظواهر الطبيعة وما فيها من أدلة عقلية على إمكان الوحي الإلهي إلى الرسل دون وساطة مادية مباشرة، فقد أثبت العلم وجود مغيبات كثيرة لا يدركها الإنسان، فمن هذه الموجودات التي لا يدركها الإنسان الروح، والتيار الكهربائي نرى آثاره ولا نحسه، وكذلك الأمواج الكهرطيسية الموجودة في الفضاء تحمل الأصوات من بلد إلى آخر فتلتقطها أجهزة التلفاز، إن هذه الموجودات المتعددة تعرف عليها الإنسان في عصر العلم والتقدم، وهنا ترد تساؤلات: هل هذه الموجودات كانت معدومة قبل أن يعرفها الإنسان؟ وهل الإنسان القديم مصيبا لو أنكر وجودها لإنه لم يبصرها بأم عينه، على الرغم من توفرها في أنحاء الكون من قديم الزمان، وهل يجوز للإنسان المعاصر أن ينكر وجود كل ما لم ير؟ وهل وصل العلم إلى معرفة كل شيء في الوجود؟

إن العلم عرف القليل وما زال الكثير خافياً على الناس، قال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[2]، وقال: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾[3]، وقال تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾[4] .

إن الإنسان الذي عرف تلك الحقائق العلمية في الكون وانتفع بها ينبغي أن يكون أكثر تفهماً وتقبلاً لحادثة الوحي. وأقوى إيماناً برسالات الرسل، الذين يبلغون رسالات ربهم،

---

(١) موقف العقل والعلم، شيخ الإسلام مصطفى صبري، ص٣.

(٢) سورة الإسراء، آية ٨٥.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٥٥.

(٤) سرة يونس، آية ٣٩.

إن العلم جعل الإنسان يؤمن بوجود هذه المخلوقات التي لا يراها.

فإذا وصل الإنسان ذلك، فإن الله خالق الإنسان الذي منحه العقل والتفكير والقوة، خالق السموات والأرض، والمتصرف بالكون بما يشاء، قادر -بكل يقين- على أن يوصل العلم والحق بوسيلة لا ترى بالأعين إلى بعض خلقه وهم الرسل. ومن رأى ذلك مستحيلاً فقد عمي قلبه وضاع عقله، إذ لم يقدر البون الشاسع بين ضعف المخلوق وجهله، وبين قوة الخالق وسعة علمه [(١)]. وقد أثبت القرآن ذلك. قال تعالى: ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون، إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين﴾ [(٢)].

فالله تعالى ما أقسم بهذا إلا لحكمة يحتاج إليها المقام، ولا بد من مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه. وقد لفت الله العقول البشرية السليمة للتفكير في خلق السموات والأرض ليتوصلوا إلى حقائق الأمور، فقال تعالى: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾ [(٣)].

ج- العقول السليمة تثبت النبوة:

ونسوق هذا الدليل العقلي الواضح لصاحب الفطرة السليمة، وهو ما حصل بين أبي سفيان وهرقل عظيم الروم، عندما أرسل النبي ﷺ الرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الله تعالى فكان هرقل عظيم الروم من بين هؤلاء المدعوين، فلما جاء كتاب النبي ﷺ أراد هرقل أن يتثبت في أمر النبي ﷺ، وبحث عمن يستخبره في شأنه وصادف وجود أبي سفيان في (غزة) فأحضر إليه، وكان أبو سفيان في تجارة.

عند ذلك وجه هرقل إلى أبي سفيان استفسارات تدل على رجاحة عقله، وكثرة تجاربه

---

(١) نبوة محمد ﷺ، حسن ضياء الدين محمد عتر، ص ١٧٣، دار النصر، ط١، ١٣٩٣.

(٢) سورة الحاقة، آية ٣٨- ٤٣.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٩١.

في الحياة، ومعرفته في الأديان وخصائص الأنبياء وسيرهم، وموقف الأمم منهم، وسنة الله في أمرهم.

وصدقه أبو سفيان فيما أخبره -وهذا هو شأن العرب الأوائل- كان الواحد منهم يستحي أن يؤثر عليه الكذب، ونستمع الآن إلى الحوار الذي دار بينهما:

هرقل: كيف نسبه فيكم؟

أبو سفيان: هو فينا ذو نسب.

هرقل: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

أبو سفيان: لا.

هرقل: فهل كان من آبائه من ملك.

أبو سفيان: لا.

هرقل: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟

أبو سفيان: بل ضعفاؤهم.

هرقل: أيزيدون أم ينقصون؟

أبو سفيان: بل يزيدون.

هرقل: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

أبو سفيان: لا.

هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

أبو سفيان: لا.

هرقل: فهل يغدر؟

أبو سفيان: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها؟

قال: ولم تمكني كلمة أدحل فيها شيئا غير هذه الكلمة.

هرقل: فهل قاتلتموه؟

أبو سفيان: نعم.

هرقل: فكيف كان قتالكم إياه؟

أبو سفيان: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

هرقل: ماذا يأمركم؟

أبو سفيان: يقول اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان قل له: سألتك عن نسبك فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت: أن لا، قلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتس بقول قيل قبله.

وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت: أن لا، فقلت: فلو كان من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت: أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت: أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني اعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقائه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه [(١)].

فهذا النقاش الذي دار بين هرقل وأبو سفيان زعيم الشرك قرر فيه هرقل بفكره الثاقب

---

(١) صحيح البخاري بشرح السندي، ج١/٨-٩، دار إحياء الكتب العربية.

مجموعة من الدلائل العقلية على نبوة محمد ﷺ، لذلك قال لدحية الكلبي والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، وإنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته [1].

د- ثبوت الوحي عن طريق الحوادث الدالة عليه: ونسوق بعضها:

١- عندما أرسل النبي ﷺ كتابه إلى كسرى أبرويز يدعوه إلى الإسلام، قام كسرى فمزقه، وقال: يكتب إليّ هذا وهو عبدي، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: مزق الله ملكه [2].

وأمر كسرى حاكمه على اليمن باذان بإحضاره، فأرسل بابويه يقول: إن ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فأخبره رسول الله ﷺ بأن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله [3].

وهنا نسأل هذا المستشرق وأمثاله من الذي أخبر النبي ﷺ عن مقتل كسرى، عن هذه المسافات البعيدة مع عدم وجود وسائل العلم الممكنة لذلك، إنه الوحي من عند الله أخبره بما حصل.

٢- بعد وقعة بدر كان من الأسرى وهب بن عمير الجمحي، وكان أبوه عمير شيطاناً من شياطين قريش، جلس يوماً بعد انتهاء الحرب مع صفوان بن أمية يتذاكران مصاب قريش في بدر، فقال عمير: والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الفقر بعدي، كنت آتي محمداً فأقتله، فإن ابني أسير في أيديهم، فقال صفوان: دينك علي، وعيالك مع عيالي، ثم حمل سيفه وتوجه نحو المدينة من أجل قتل الرسول ﷺ، وبينما هو يطوف في شوارع المدينة رآه عمر، فقال: هذا الكلب عدو الله ما جاء إلا بشرّ، ثم أخبر

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج١/٣٦ وما بعدها، الطبعة المصرية؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج٤/٢٦٧.

(٢) صحيح البخاري بشرح السندي، ج٣/٩٠، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٤/٢٦٩-٢٧٠، دار الفكر؛ فقه السيرة، محمد الغزالي، ص٣٣٨-٣٨٩؛ سيرة ابن هشام، ج١/٦٩.

النبي ﷺ بذلك، فقال: أدخله علي، فلما دخل على النبي ﷺ، قال: أطلقه يا عمر، أدن يا عمير، فدنا وقال: أنعمو صباحاً، فقال عليه الصلاة والسلام: قد أبدلنا الله تحية خيراً من تحيتك وهي السلام، ثم قال: ما جاء بك يا عمير؟ قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه، قال الرسول ﷺ: فما بال السيف. قال عمير: قبّحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً، قال ﷺ: اصدقني ما الذي جئت له؟ قال: ما جئت إلا لذلك، قال ﷺ: كلا بل قعدت أنت وصفوان في الحجر وقلتما كيت وكيت، فأسلم عمير. وقال: كنا نكذبك بما تأتي به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فقال ﷺ: فقهوا أخاكم في دينه وأقرؤوه القرآن واطلقوا أسيره[(١)].

وهنا أيضاً نسأل هذا المستشرق الذي ينكر النبوة، من الذي أخبر النبي ﷺ بهذا الاجتماع وما دار فيه من تخطيط لقتل النبي ﷺ، إنه الوحي من عند الله، والحوادث في هذا المجال كثيرة وكلها مشاهدة على صدق نبوة النبي ﷺ، والمعجزات التي حصلت على يديه هي أكبر الأدلة على صدق نبوته.

ثم بعد ذلك نقول لهذا المستشرق إنك تزعم أن عيون النبي ﷺ تأتيه بالأخبار في مثل هذه الحوادث، فهل يمكن أن تذكر لنا اسماً واحداً فقط من العيون التي كانت تجلب الأخبار له ﷺ.

هـ- القرآن يذكر نقيض صفات الرسول ﷺ ويبين أن ادعاء النبوة زوراً إنما ينسجم مع تلك الأوصاف المنتكسة. قال تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾[(٢)].

يقول الرازي في تفسيره: «اعلم أن الله تعالى أعاد الشبهة المتقدمة وأجاب عنها من وجهين:

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري، ص١٣٠، النسخة المحققة.

(٢) سورة الشعراء، آية ٢٢١- ٢٢٣.

الأول: قوله تنزل على كل أفاك أثيم وذلك هو الذي قررناه فيما تقدم أن الكفار يدعون إلى طاعة الشيطان، ومحمداً ﷺ كان يدعو إلى لعن الشيطان والبراءة عنه.

الثاني: قوله: يلقون السمع وأكثرهم كاذبون، والمراد أنهم يقيسون حال النبي ﷺ على حال سائر الكهنة فكأنه قيل لهم إن كان الأمر على ما ذكرتم فكما أن الغالب على سائر الكهنة فيجب أن يكون حال الرسول ﷺ كذلك أيضاً، فلما لم يظهر في أخبار الرسول ﷺ عن المغيبات إلا الصدق علمنا أن حاله بخلاف حال الكهنة [(١)].

وبعد هذا نقول: إن الآية ترد على ما كان يزعمه المشركون من كون النبي ﷺ من جملة من يلقي إليه الشيطان السمع من الكهنة ببيان أن الأغلب على الكهنة الكذب، ولم يظهر من أحوال محمد ﷺ إلا الصدق فكيف يكون كما زعموا، ثم إن هؤلاء الكهنة يعظمون الشيطان، وهذا النبي المرسل من عند الله برسالته إلى الناس يذمهم ويلعنهم ويأمر بالتعوذ منهم [(٢)].

ثالثاً: الأدلة من السنة والوحي وشهادة الصحابة بذلك:

إن الوحي كان ينزل على رسول الله ﷺ وكان يصاحب نزوله دلائل حسية، يشعر بها من شاهدها خلال حدوثها، فها هي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تروي لنا أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن كيفية إثبات الوحي إليه، فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول.

قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا [(٣)].

---

(١) التفسير الكبير، الرازي، ج١٢/١٧٤، جزء ٢٤، ط٢، ١٤٠٣، ١٩٨٣.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ج٤/١٢٠، الطبعة المصرية.

(٣) صحيح البخاري بشرح السندي، باب كيف كان بدء الوحي، ج١/٦.

وها هو ورقة بن نوفل الذي كان يكتب الكتاب العبراني، والذي اطلع على النصرانية عندما أخبرته خديجة عما نزل على النبي ﷺ بحراء، عند ذلك قال لها ورقة: هذا الناموس الأكبر الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم. قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلاّ عودي [(١)]. فها هو ورقة يشهد بأن ما نزل على رسول الله ﷺ هو الناموس الذي نزل الله على موسى، فمن امن بموسى وعيسى فليؤمن بمحمد وما نزل عليه.

إن هذه الظواهر تثبت يقينا أن الوحي إلى محمد ﷺ أمر مستقيم لا اعتلال معه، إجباري لا اختيار له فيه، وأنه تلقين من الله العزيز الحكيم.

رابعاً: أخلاقه تدل على نبوته:

إن توفر الأخلاق في نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، والفضائل برهان ساصع على صدقه في نبوته ورسالته، فهو الذي جمع بين الصبر ولين الجانب والرحمة والشجاعة والخشوع والعبادة والترفع عن الأهواء الشخصية، ورعاية الأيتام، والعطف على الأرامل والفقراء، وقد بين الماوردي أن ذلك من دلائل نبوة. فقال: «فإن قيل فليست فضائله دليلا على نبوته ولم يسمع بنبي احتج بها على أمته، ولا عول عليها في قبول رسالته، لأنه قد يشارك فيها، حتى يأتي بمعجز يخرق العادة فيعلم بالمعجز أنه نبي لا بالفضل.

قيل: الفضل من إماراتها وإن لم يكن من معجزاتها، ولأن تكامل الفضل معوز، فصار كالمعجز، ولأن من كمال الفضل اجتناب الكذب، وليس من كذب في ادعاء النبوة بكامل الفضل، فصار كمال الفضل موجباً للصدق، والصدق موجباً لقبول القول، فجاز أن يكون من دلائل الرسل» [(٢)].

وقد جمع النبي ﷺ الكمال في أخلاقه، ولم يتفق ذلك لأحد من الخلق غير أهل العصمة

---

(١) صحيح البخاري بشرح السندي، باب كيف كان بدء الوحي.

(٢) أعلام النبوة، الماوردي، ص٢٠٢، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

من الله تعالى، وقد شهد[1] له عدي بن حاتم وهو على نصرانيته بالنبوة، بينما كان عدي في أحد شوارع المدينة لقيه النبي ﷺ، فقال: من الرجل؟ قال: عدي بن حاتم، فأخذه النبي ﷺ إلى بيته، وبينما هما يمشيان إذ لقيت رسول الله ﷺ امرأة عجوز فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، فقال عدي: والله ما هو بملك. ثم دخل عدي مع رسول الله ﷺ إلى بيته، فناوله وسادة محشوة ليفاً، وقال له: اجلس عليها، وجلس هو على الأرض. ثم دعاه إلى الإسلام، وقال له عليه السلام: إنما يمنعك من الدخول في الدين ما ترى، تقول إنما اتبعه ضعفة الناس، ومن لا قدرة لهم، وقد رمتهم العرب مع حاجاتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه.

ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، أتعرف الحيرة؟ قال: لم أرها، وقد سمعت بها، قال: فوالله ليتمن هذا الأمر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، فأسلم عدي رضي الله عنه، وعاش حتى رأى كل ذلك [1].

إذا وقفنا مع هذا النص وجدنا فيه عدداً من الأدلة على نبوته عليه الصلاة والسلام. نوجزها في نقاط:

١- أخلاقه دلت على نبوته حيث وقف مع المرأة حتى قضى لها حاجتها، فلو كان من ملوك الدنيا لما فعل ذلك.

٢- ما حصل في بيته عليه الصلاة والسلام حيث قدم لضيفه وسادة الليف وجلس هو على الأرض.

٣- إخباره عن بعض المغيبات، وقد تحققت كلها فيما بعد:

أ- إخباره عن كثرة المال حتى لا يوجد أحد يقبله، وقد حصل ذلك في عهد عمر بن

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٤/٥٨٠، النسخة المحققة، ج١/٢، ١٣٧٥، ١٩٥٥؛ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري، ص٢٥٠، الطبعة المحققة، ط٣.

الخطاب رضي الله عنه، وذلك عندما بعث عامله معاذ بن جبل إلى اليمن فجمع الصدقات، فأرسلها إلى عمر، فراجعه عمر في ذلك، وقال له ما بعثتك جابياً ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها على فقرائهم. فقال معاذ: ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحداً يأخذه مني، وفي العام الثاني راجعه كذلك فرد عليه بما رده في العام الأول، وفي العام الثالث بعث معاذ إليه بالصدقات كلها، فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل، فقال معاذ: ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئاً، لقد اغتنى الناس، لم يعد بينهم فقير [1].

وهكذا حصل أيضاً في عهد عمر بن عبد العزيز [2].

ب- حصول الفتوحات الإسلامية وانتشار الأمن في الأرض، وقد حصل ذلك.

ج- سقوط دولة الفرس في يد المسلمين، وقد حصل ذلك فمن الذي أعلم الرسول ﷺ بهذه الأمور الغيبية؟ إنه الوحي.

خامساً: الأدلة العلمية على نبوته عليه السلام:

من الأدلة العلمية على نبوة محمد ﷺ أن رسالته قامت على قواعد العلم والعقل، في ثبوتها وفي موضوعها، لأن البشر قد بدأوا يدخلون بها في سن الرشد، والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم العقلي مع هذا الخضوع، بل هو من موانعه.

وقد جعل الله حجة نبوة خاتم النبيين عين موضوع رسالته، وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وبعلومه، وبإعجازه اللفظي والمعنوي وبإنباء الغيب الماضية والحاضرة والآتية فيه، ليربي البشر على الترقي في هذا الاستقلال إلى ما هم مستعدون له من الكمال [3].

---

(١) الأموال، أبي عبيد القاسم بن سلام، ص٥٢٨، ط٣، ١٣٩٥، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) نفس المرجع، ص٢٣٤، ط٣.

(٣) الوحي الإسلامي، محمد رشيد رضا، ص٨٢، ط٨، المكتب الإسلامي.

وبهذا يمكن القول أن نبوة محمد ﷺ قد ثبتت بنفسها أي بالبرهان العلمي والعقلي الذي لا شك فيه، لا بالآيات والعجائب الكونية.

سادساً: شهادات المستشرقين على نبوته:

لقد صرح علماء الغرب الذين نشأوا في النصرانية وأحاطوا بها علماء وخبرا، ثم عرفوا الإسلام معرفة صحيحة ولو غير تامة صرحوا بنبوة محمد ﷺ.

يقول المستشرق ادوار مونتيه مدرس اللغات الشرقية في مدرسة جنيف في مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن: «كان محمد نبياً صادقاً كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنتين فيه، كما كانتا متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه، فتحدث فيه كما كانت تحدث فيهم ذلك الإلهام النفسي، وهذا التضاعف في الشخصية، اللذين يحدثان في العقل البشري المرائي والتجليات والوحي والأحوال الروحية التي من بابها» (١).

فهذا العالم الأوروبي صاحب الفكر النير يقول: إن كل ما ثبت لأنبياء بني إسرائيل فهو ثابت لمحمد ﷺ، إلا أننا نقول أن المسلم يعتقد أن جميع خصائص النبوة في محمد ﷺ هي أكمل شكلاً وموضوعاً وأوضح رواية وأبعد عن الشبهات.

وأما المستشرق بودلي (Bodley) فقد درس سيرة الرسول ﷺ فعرف دلالتها خير عرفان، فقال: «كانت حياته بسيطة كحياة السيد المسيح، فكان طعامه الثريد والتمر واللبن، وكان يتناول أحياناً حساء ضأن وخضر وربما شرب بعض العسل، وكان غالبا ما يقتصر على التمر واللبن، وأياً كان الطعام فقد كان يتناوله على حصير فوق الأرض، وكانت ثيابه بسيطة كطعامه، فكان يرتدي فوق جسمه مباشرة قميصاً له أكمام من الصوف الخشن والقطن وفوقه بردة، وكان في يده أن تساق له الدنيا جميعاً لو أرادها، ولكنه كان يكتفي من كل شيء بالكفاف، وقد أصغر في عينيه الحياة لأنه كان أكبر من كل

---

(١) المرجع السابق، ص٥٩، ط٨.

ما في الحياة، هذه البساطة لا تحتاج إلى أدنى دليل على أن صاحبها ليس إلا من عند الله»[1]. ويقول اللورد هدلي (Hedley): «والأنبياء والرسل قوم اصطفاهم الله واختارهم وفضلهم على الناس وبعثهم إليهم مبشرين ومنذرين كما يقول القرآن الكريم ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ وقد تحققت بعد طول البحث والاستقراء أن محمداً نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام لم يكن مدعياً ولا دجالاً كما يدعيه خصومه ولكنه كان رسولاً نبياً جاء برسالة إلهية صادقة لا ريب فيها هدى للمتقين أوحى الله بها وكلفه بتأديتها فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراة ومكملة لكتاب المسيح عليه السلام»[2].

وأخيراً نقول أن كل من تحرر فكره من رباط الهوى وأغلال العصبية الجامحة واستغل تفكيره في السيرة الفاضلة لنبيه لا بد أن يقرر أن محمداً ﷺ مثله كمثل اخوانه المرسلين، وأنه تلقى رسالة السماء وأمر بتبليغها للناس جميعاً.

وأما من لم يتحرر فكره من رباط الهوى، وأغلال العصبية فقد عز عليه أن يعترف بنبوة محمد ﷺ فاندفع إلى الأساطير الواهية يصل منها ما انقطع، ويزيد فيها ما نقص ثم يقيم دليله الخادع على هذا الوهن المتهافت من اختلاف الرواة، وأكاذيب المغرضين، فمن كان هذا طبعه من المستشرقين لا يكتب عن سيرة الرسول ﷺ إلا ليتحدث عن أسطورة الغرانيق، وزواج محمد بزينب، وتعدد زوجات نبي الإسلام وما شابه ذلك.

وإذا كان هذا الصنف من المستشرقين لا يعترف بنبوة محمد ﷺ فمحال أن ينصف نبياً يكذبه ويحارب مبادئه.

وقد يتصنع بعض المستشرقين الإنصاف الكاذب، فيزعم أنه لا يكذب محمدا في حقيقة نفسه، ولكنه يؤكد أنه كان مخدوعاً واهماً يعتقد أنه نبي وهو غير نبي -ومثال هذا

---

(١) محمد رسول الله هكذا بشرت الأناجيل، الاستاذ بشري زخاري ميخائيل، ص٥٢-٥٣، ط مصر.

(٢) محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتّابه، محمد فهمي عبد الوهاب، ص٣٦.

الصنف- المستشرق وشنجتون أرفنج (Irving W.) أن الطفل الصغير يعلم أن الواهم المخدوع لا يقيم للإنسانية أعدل نظام وأكمله، ولا يؤلف قولباً، ولا يجمع أمة مشتتة ولا ينتقل من حرب ظافرة إلى أختها، ولا يتكلم عن حقائق غيبية بلسان عربي مبين.

ولكن أرفنج (Irving W.) ينبهر بآثار محمد ﷺ وقوة رسالته، ثم يرجع إلى عصبيته الدينية فيحاول التفسير الملائم لأغراضه غير مبال بما يقع فيه من تناقض أثيم، ولو كان هؤلاء يقولون باستحالة النبوة أصلاً لوجد لهم بعض العذر فيما يفترون، ولكن كيف يؤمنون بنبوة عيسى وموسى ويكفرون بنبوة محمد والسبيل في النبوات الثلاث هي السبيل.

وبدافع الحقد على صاحب الرسالة يتجاهل العالم منهم معارفه ومعلوماته ليصوغ فرية كاذبة تشين الرسول ﷺ [(١)].

ويؤكد المستشرق سنكس (Snks) بأن محمدا ﷺ يتلقى القرآن من الملأ الأعلى، فيقول: «وقد كان محمد نبي الإسلام يؤكد بأنه يتلقى معارفه من الملأ الأعلى وقد أجمع معاصروه على الاعتراف بأن معارفه الخاصة أصغر من أن تجعله يدرك ويكتب هذه التعاليم الحكيمة المشحون بها هذا القرآن، تلك التعاليم التي رقّت عقول الملايين من الناس، ولا تزال ترقي شعوباً متأخرة، وذلك بإشرابها الحقائق الكبرى الضرورية للذات البشرية من الوجهة الدينية والاجتماعية والخلقية، ولن تمضي سنوات قليلة حتى تصبح أفريقيا كلها دائنة للإسلام دين محمد عليه السلام [(٢)].

---

(١) خطر المستشرقين، محمد رجب البيومي، مجلة الأهر، مجلد٢٨، ص٤٦٠.

(٢) محمد رسول الإسلام، محمد فهمي عبد الوهاب، ص٤١.

المبحث الثالث

موقف المستشرقين من مصدر القرآن

لقد سعى المستشرقون إلى الطعن في كتاب الله تعالى فهم يزعمون بأن الإسلام نسيج مشوه استمده الرسول ﷺ من المصادر اليهودية والمسيحية والزرادشتية.

وهم بزعمهم هذا يعملون على تحقيق هدفاً من أهدافهم، وهو أن القرآن موضوع، وليس وحياً من عند الله، وإنما هو مرآة لأفق خاص من الحياة، هو أفق من تلكم العقائد المنتشرة وقتئذ في رقعة الجزيرة العربية لا سواها.

ونورد فيما يلي عدداً من أقوال المستشرقين التي تمثل هذه الظاهرة السالفة، ثم نقوم بإيجاز الشبهات بنقاط ونعمل على الرد عليها.

١- أ- ردد المستشرق الإنجليزي جب (Gibb) أستاذ الدراسات العربية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة في كتابه (المذهب المحمدي).

ب- وكذلك ردد المستشرق سنكلير تسدل هذا القول في كتابه (مصادر الإسلام) فهم يقولون ما يلي: «إن شرائع الإسلام تأسست من شرائع الأديان المعاصرة له، والمنتشرة وقتئذ في الشرق، ألا وهي: اليهودية، والمسيحية، والهندية، والصابئة، والفارسية، والجاهلية» وفيما يلي نموذجاً لافتراءاتهم لكي يطلع المسلم على مخططات أعداء الإسلام.

لقد زعموا أن الإسلام أخذ من الجاهلية: صلاة الجمعة، وصوم عاشوراء، وتطييب البيت الحرام، وحظ الذكر في الميراث مثل حظ الأنثيين، والتكبير، والأشهر الحرم، والحج، والعمرة، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوضوء، والاغتسال، والختان، وتقليم الأظافر.

وأخذ من الصابئة: الصلوات الخمس، والصلاة على الميت، وصيام شهر رمضان، والقبلة، وتعظيم مكة، وتحريم الميتة، ولحم الخنزير، وتحريم الزواج من القرابات.

وأخذ من الهندية والفارسية: قصة المعراج، والجنة، والحور، والولدان، والصراط.

وأخذ من اليهودية: قصة قابيل وهابيل، وقصة إبراهيم، وقصة ملكة سبأ، وقصة يوسف

وأخذ من النصرانية: قصة أهل الكهف، وقصة مريم العذراء، وقصة طفولة يسوع [١]

وقد ردد هذه الشبهة طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي الذي ألفه من أجل أن يحقق هدفا واحدا وهو أن الشعر الجاهلي لا يمثل حياة العرب قبل ظهور الإسلام، ثم يخرج بعد ذلك بنتيجة، فيقول: (فالقرآن الكريم أصدق مرآة للعصر الجاهلي) ويستطرد فيقول: (أرأيت أن التماس الحياة العربية الجاهلية في القرآن أنفع وأجدى من التماسها في هذا الشعر العقيم الذي يسمونه الشعر الجاهلي؟ أرأيت أن هذا النحو من البحث يغير كل التغيير ما تعودنا أن نعرف من أمر الجاهليين [٢].

وهو بهذا الكلام يريد أن يحقق هدفاً من أهداف الاستشراق وهو أن القرآن موضوع وليس وحياً من عند الله، وإنما هو مرآة لأفق خاص من الحياة، هو أفق من تلكم العقائد المنتشرة وقتئذ في رقعة الجزيرة العربية لا سواها.

وأمام هذه الافتراءات الخطيرة ضد الإسلام يقول الله سبحانه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [٣].

ويقول عن الرسول الكريم وعن الأمة التي بعث فيها: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [٤].

ويقول عن القرآن: ﴿إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين﴾ [٥].

---

(١) الاستشراق والتبشير، إبراهيم خليل أحمد، ص٦٧ وما بعدها، مكتبة الوعي العربي.

(٢) في الشعر الجاهلي، طه حسين، ص٢٢ و ٢٣.

(٣) سورة الحجر، آية ٩.

(٤) سورة الجمعة، آية ٢-٤.

(٥) سورة الحاقة، آية ٤٠-٤٣.

ويقول في شأن إعجاز القرآن والتحدي به: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [(١)].

وحذرهم نتيجة الانحراف والضلال، فقال: ﴿فإن لم تفعلوا، ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ [(٢)].

يقول ابن خلدون: «ويدلك على هذا كله أن القرآن من بين الكتب الإلهية إنما تلقاه نبينا صلوات الله عليه، متلو كما هو بكلماته وتراكيبه خلافاً للتوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية، فإن الأنبياء يتلقونها في حالة الوحي معاني ويعبرون عنها بعد رجوعهم إلى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم، ولذلك لم يكن فيها إعجاز» [(٣)].

ويقول المستشرق تورواندريه (Troandraua): «لا شك أن الأصول الكبرى للإسلام مستقاة من الديانتين اليهودية والمسيحية، وهذه حقيقة لا يحتاج إثباتها إلى جهد كبير» [(٤)].

ويقول المستشرق برنارد لويس (Bernard Lewis): روايته -أي الرسول ﷺ- لقصص الكتاب المقدس توحي بأن معرفته به كانت عن طريق غير مباشر، وربما كانت عن طريق التجار والرحالة اليهود والنصارى الذين كانت أخبارهم متأثرة بالمؤثرات المدراشية، وكتب الأساطير اليهودية [(٥)].

ويقول المستشرق أندرسون (Anderson): «ليس من شك في أن محمداً اقتبس أفكاره من مصادر التلمود، وكتب الأساطير اليهودية والمصادر المسيحية» [(٦)].

---

(١) سورة البقرة، آية ٤٣.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٤.

(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ص٣٦٦؛ مقدمة ابن خلدون، ص٣٦٧، طبعة سنة ١٩٣٠.

(٤) المستشرق والإسلام، عرفان عبد الحميد، ص٢٣، نقلاً عن كتاب:
Andrane, Toy. Op. Cit., pp. 10-26.

(٥) العرب في التاريخ، لويس برنارد، ص٥٠.

(٦) المستشرق والإسلام، عرفان عبد الحميد، ص٢٤، نقلاً عن كتاب:
Anderson J.n.D. The World Relijions (London) 1950. The Article on Islam, pp. 7-8, 54, 56, 58, 59.

ويقول المستشرق بروكلمان (Brockelmmann): «وليس من شك في أن معرفته -أي الرسول ﷺ- بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية إلى أبعد الحدود، وحافلة بالأخطاء، وقد يكون مديناً ببعض هذه الأخطاء للأساطير اليهودية التي يحفل بها القصص التلمودي، ولكنه مدين بذلك ديناً أكبر للمعلمين المسيحيين الذين عرفوه بإنجيل الطفولة، وبحديث أهل الكهف السبعة، وحديث الإسكندر وغيرها من الموضوعات التي تتوافر في كتب العصر الوسيط[(١)].

ويقول في مكان اخر: «وبينما كان محمد -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه يصلون مرتين في اليوم في مكة، وثلاث مرات في المدينة كاليهود، فقد جعلت الطقوس المتأخرة المتأثرة بالفرس عدد الصلوات المفروضة في اليوم خمساً»[(٢)].

ويقول في مكان آخر: «جعل -أي الرسول ﷺ- يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار السبت اليهودي، وأنه شرع صوم العاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم على غرار الصوم اليهودي في يوم الكفارة وبينما كان المؤمنون في مكة لا يصلون إلا مرتين في اليوم أدخل في المدينة على غرار اليهودية أيضاً صلاة ثالثة عند الظهر»[(٣)].

٥- ويقول المستشرق ترتون (Tritton): «الصوم أول ما شرع كان تقليداً لما عند اليهود، ثم بدل وغير وصار أشبه بصوم النصارى مع شيء من التغاير». ويقول أيضاً: «إن فكرة صلاة الجمعة اقتبسها الرسول من الزاردشتية»[(٤)].

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان كارل، ج١/٤٣، ط٣، بيروت؛ المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، ص٧٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ج١/٨٧، ط٣.

(٣) المرجع نفسه، ج١/٥٢، ٥٣، ط٣.

(٤) المستشرقون والإسلام، عرفان عبد الحميد، ص٢٥، نقلاً عن كتاب:

Tritton, A.S. Islam, Belief and Practices London 1957, PP. 18-19.

٦- وأما جولد تسيهر (Goldziher) فقد لخص هذه المفتريات بكلمات فقال: «تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها والتي تأثر بها تأثيراً عميقاً»[(١)].

إن التدقيق في هذه الشبهة يجعل الباحث يدرك أنها ترديداً لما ورد على لسان مشركي مكة ولكن أعداء الإسلام ألبسوها ثوباً جديداً فقد جاء على لسان مشركي مكة: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين﴾[(٢)].

يقول الرازي في تفسير هذه الآية: «إعلم أن المراد من هذه الآية حكاية شبهة أخرى من شبهات منكري نبوة محمد ﷺ، وذلك لأنهم كانوا يقولون أن محمداً إنما يذكر هذه القصص، وهذه الكلمات لأنه يستفيدها من إنسان آخر ويتعلمها منه، واختلفوا في هذا البشر الذي نسب المشركون النبي ﷺ منه. وقيل: هو عبد لبني عامر بن لؤي يقال له يعيش، وكان يقرأ الكتب.

وقيل: عداس غلام عتبة بن ربيعة.

وقيل: عبد لنبي الحضرمي صاحب كتب، وكان اسمه جبرا، وكانت قريش تقول عبد بني الحضرمي يعلم خديجة، وخديجة تعلم محمداً.

وقيل: كان بمكة نصراني أعجمي اللسان اسمه بلعام ويقال له أبو ميسرة يتكلم بالرومية.

وقيل: سلمان الفارسي وبالجملة فلا فائدة في تعديد هذه الأسماء والحاصل أن القوم اتهموه بأنه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم أنه يظهرها من نفسه، ويزعم أنه إنما عرفها بالوحي وهو كاذب فيه[(٣)].

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر، ص١٣.

(٢) سورة النحل، آية ١٠٣.

(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج١١٩/١٠، دار الفكر.

٧- (القرآن من عند محمد) وقد اشترك في هذه الشبهة كل من المستشرق يوليوس فلهاوزن (Wellhausen Y.)[١] . والمستشرق بروز (Proz) أستاذ الفقه الإنجيلي بجامعة بيل. والمستشرق درمنجهم (Dermenghem)[٢] . والمستشرق غوستاف لوبون (G. Lebon)[٣].

٨- ويقول المستشرق نلسون (Nilson) من غير أن يجزم به، لأنه عالم ببطلان ما يقول وتفاهة ما يزعم: «إنه يخالجني الشك في أن القرآن من تأليف محمد أي أنه فيض من نفسه، لا غيث من السماء، وإنه من قبيل قريحة الشاعر لا أنه وحي من السماء، وأن خيل لمحمد أنه وحي لأنه أفصح العرب كما يقولون»[٤] .

٩- وقد ذهب بعض المستشرقين إلى القول بأن النبي استقى مادة القرآن ولا سيما قصصه من الأحبار والرهبان الذين كان يلقاهم أو يتصل بهم في مكة.

ومن هؤلاء المستشرق جولد تسيهر، والمستشرق بلاشير[٥] ، والمستشرق جون نوس أستاذ الفلسفة بكلية فرانكلين ومارشال الأمريكية في مؤلفه أديان الإسلام: «إن الإسلام يزهو ويفاخر بأن القرآن يكمل أنصاف الحقائق التي جاءت بها الأديان السابقة، مع أن كل من له دراية بالأديان العالمية يدرك لأول وهلة عند قراءة القرآن أن محمداً نقل كثيراً من تعاليم الأديان الأخرى، ومع أنه اعتمد كثيراً على التقاليد الموسوية والمسيحية في تصوير العلاقة بين الإنسان وربه في التاريخ، وكذلك نقل عن السابائيين والزوروستانين، إلا أنه أسبغ على الله ربه ثوباً من الخلق العربي والشخصية العربية»[٦] .

---

(١) تاريخ الدولة العربية، يوليوس فلهاوزن، ص١٠، مطبعة الجامعة السورية/ ١٣٧٦.

(٢) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص١٩.

(٣) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص١١١.

(٤) البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان، سعدي ياسين، ص٨٦، المكتب الإسلامي.

(٥) الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندي، ص٣٣٨.

(٦) نظرية الإيحاء بين المستشرقين والمسلمين، صلاح الدين عبد الوهاب، مجلة الأزهر، جلد ٣٤/ ١٠٦٠-١٠٦١، جزء ٩ و ١٠/ ١٣٨٢، ذو القعدة، ذو الحجة.

ويرى هذا الرأي أيضاً الاستاذ أبراهام كاتش (Epraham C.) أستاذ الحضارة والثقافة العبرية بجامعة نيويورك فيضع مؤلفاً كاملاً لموضوع المصادر اليهودية للقرآن أسماه (اليهودية في الإسلام) إذ يقول في مقدمته: «إن محمداً لم يكن يقصد في أول الأمر الدعوة إلى الإسلام كدين جديد، إذ اعتبر نفسه الأمين الشرعي على الكتاب المنزل من عند الله (Scriptyra) لتأكيد الكتب السماوية القديمة، ولهذا السبب لم يجد في أول الأمر فارقا بين اليهودية والمسيحية، واعتقد أن اليهود والمسيحيين سيرحبون به حتى إذا ما تحقق له أنهم لن يعضدوه، ولن يساندوه تقدم بالإسلام كدين جديد»[(١)].

أدلة المستشرقين على بشرية القرآن:

ونوجز فيما يلي أدلة المستشرقين على بشرية القرآن:

١- القصص القرآني ترديد لما جاء في العهد القديم والجديد وهذا دليل النقل في نظرهم.

٢- يمتاز أسلوب القرآن بالتكرار والحشو والتخيل: يقول المستشرق فون جروثيوم (Fon Jrothyom) الأسالذ بجامعة كاليفورنيا: «بأن محمداً في القرآن لم يصل إلى مرتبة أفلاطون لأنه في كثير من المراجع أسلوبه مجرد فقرات غير متصلة خالية من الترابط المنطقي»[(٢)].

٣- إن القرآن لا يقف عند حد التعارض في كثير من الأصول العقائدية مع الكتب السماوية السابقة، بل يتعدى ذلك إلى التصادم بينه وبين الفلسفة وما يقتضيه العقل الطبيعي، وهو في كثير من المواضع غريب يصطدم في غرابته مع القارىء الغربي الذي ألف الكتابات المنطقية.

٤- تضمن القرآن لبعض السور باسم النحل، العنكبوت، والدخان، وهي أسماء لا تصلح في نظرهم لأن تكون موضوعاً لوحي إلهي.

---

(١) نظرية الإيحاء بين المستشرقين والمسلمين، صلاح الدين عبد الوهاب، ١٠٦١/٣٤.

(٢) مجلة الأزهر، العدد التاسع والعاشر لسنة ١٣٨٢، نظرية الإيحاء بين المستشرقين والمسلمين، صلاح الدين عبد الوهاب، نقلاً عن فون جرثيوم/ إسلام العصور الوسطى، ص٨٠، ط٢.

٥- إن طريقة تبويب آياته تدل على أنه من صنع البشر، وتبويبه غير منطقي يصعب معه تبين كيفية ترتيب آياته أصلاً [(١)].

١٠- جاء في كتاب شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة زيغريد هونكة (Zjred Honkh) في ص (١١): «أن اللغة مطواعة في ألفاظها، وأن قصيدة الشنفرى [(٢)] تعطينا الصورة الواضحة عن قوة التصوير بلغة الصحراء حيث كانت الضباع والذئاب رفيقة هذا الإنسان وقد برهنت على ما زعمته في قصيدة مطلعها:

أديم مطال الجوع حتى أميته   وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل

ثم قالت: انظر كيف استطاع نثر محمد الذي أتى مبشراً فسيطر على ذلك الإنسان الشاعر ودخل إلى أعماقه، واستشهدت على ذلك بسورة التكوير ﴿إذا الشمس كورت﴾ معبرة بذلك أن القرآن من نثر محمد عليه الصلاة والسلام ثم قاسته بكلام ذلك العربي صاحب القصيدة الصعلوك [(٣)].

١١- ادعى بعض المستشرقين بأن القرآن الكريم حرف بعد وفاة الرسول ﷺ، ومن هؤلاء المستشرق بول كازانوفا (P. Casanova) ألف رسالة سماها «محمد ونهاية العالم»، وغايته من تأليفها محاولة إثبات أن القرآن قد أضيف إليه بعد وفاة النبي ما دعت إليه الحاجة في نظري أبي بكر وعمر، مثل الآيات التي صرحت بأن الساعة من الأمور التي استأثر الله بعلمها، بعد أن لم يتحقق ما أخبر به النبي من أنها ستقوم عندما تنتهي مهمته، وقد يكون ذلك في حياته أو على أثر موته مباشرة [(٤)].

وكذلك المستشرق جولد تسيهر (Goldziher) ونولدكه (Noldeke) [(٥)]، وجاء في كتاب الوحي الجديد:

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) هو ثابت بن أوس الأزدي شاعر الصعاليك.

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ص٥١١ وما بعدها، ط٢، ١٩٦٩.

(٤) نظرات استشراقية، محمد غلاب، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

(٥) الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندي، ص٣٣٨.

أولاً: إنه من المستحيل أن يكون القرآن الحالي حاوياً لجميع ما أنزل بل إنه من المؤكد تاريخياً أنه قد ذهب منه جانب ليس بقليل.

ثانياً: من المستحيل إقامة البرهان على أنه طبق ما نطقت به شفتا محمد تماما، بل إنه في آيات عديدة منه اختلافات مدهشة ولا يعرف إلا الله ما هو النص الصحيح.

١٢- جاء على لسان المستشرق ويلز (Willz): «وقد أملى محمد كتابا من الأوامر والقصص اسمه القرآن، زاعماً أنه أوحى به إليه من عند الله، وإذا نظرنا إلى هذا القرآن من الناحية الأدبية والفلسفية كان غير جدير بنسبته إلى الإله» (١).

وقد عقد المستشرق بودلي (Bodley) في كتابه «الرسول حياة محمد» فصلاً تحدث فيه عن أسس العقيدة الإسلامية، وقد استهل حديثه بمقدمة توحي إلى القارىء بأن الكاتب يؤمن بسلامة العقيدة الإسلامية، فهو ينفي عن الرسول الكذب والادعاء، والنقل من كتب السابقين، ثم يعرج بعد ذلك بطريقة فنية إلى التصريح بأن دعوة محمد فيها من اليهودية والمسيحية والوثنية، وأن كل مبادىء الإسلام قد جاءت صدى للبيئة التي عاش فيها الرسول ،فالزكاة في نظر بودلي (Bodley) غير واجبة وقد فرضها محمد رأفة بالضعفاء الذين شاهدهم يعذبون في أودية مكة» (٢).

١٤- ظن كثير من المستشرقين أن هذه الفترات التي يغيب فيها الرسول ﷺ عن العالم ليكون بكليته مستغرقاً في الملأ الأعلى، إنما هي فترات مرضية أو هي الصرع، يقول المستشرق نولدكه (Noldeke): «إن سبب الوحي النازل على النبي ﷺ والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع» (٣).

١٥- يقول المستشرق جورج سيل (G. Sale) في مقدمته عن ترجمة القرآن، إما أن

---

(١) مجلة الأزهر، جلد ١٠/٣٠٨.

(٢) الإسلام والمستشرقون، محمد الدسوقي، ص٤٦.

(٣) أضواء على الاستشراق، محمد عبد الفتاح عليان، ص٧٩.

محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له، فأمر لا يقبل الجدل وإن كان من المرجح أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة[1].

١٦- وقد ألف المستشرق أتشارد (Atshard) كتاب مقدمة القرآن وهو يقول فيه: «أن الرسول قد استفاد من الكتاب المقدس كثيراً مما جاء في القرآن، وبخاصة القصص، فالجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها، قد استمده من مصادر يهودية ومسيحية، وإن كان بعض قصص العقاب، كقصص عاد وثمود، مستمد من مصادر عربية، وأنه لما هاجر إلى المدينة حصل على أوسع فرصة للاستمداد من الكتاب المقدس، فقد كان على اتصال بالجاليات اليهودية التي كانت دون شك تضم ربانيين ومثقفين، وهناك دلائل على أنه انتفع بهذه الفرصة فحصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل» [2]. إلى غير ذلك من الأكاذيب التي قالها المستشرقون ولا سند لها إلا التعصب الأعمى ولو تجرد هؤلاء من تعصبهم لتفتحت قلوبهم للحق، ولندموا على عمرهم الضائع في التقليد الأعمى.

ونجد المستشرق الإنجليزي ريتشارد بل (R. Bell)، وهو من رجال الدين قد صرف سنين كثيرة في دراسة القرآن وتاريخه دراسة وافية متوالية، وأول كتبه عنه أكد فيه العلاقات المسيحية بالنبي [3].

وكذلك المستشرق المجري بيرنات هيللر (Bernat Heller) يتخصص تقريباً في جزء من قصص القرآن، فينشر بحثاً في مجلة الفصول بعنوان:

١- قصة أهل الكهف عام ١٩٠٧.

٢- عناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية/ ١٩٢٨.

---

(١) التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبي ﷺ، محمد عزت إسماعيل، ص٤٦، المكتبة العصرية.

(٢) نفس المرجع، ص٤٧.

(٣) نفس المرجع، ص ٧٥.

٣- قصص القرآن، عالم الإسلام/ ١٩٣٤ [1].

مناقشة الشبهات والرد عليها:

يمكن تلخيص الشبهات المتقدمة بالنقاط التالية:

١- القرآن من صنع محمد وليس من عند الله.

٢- أن النبي ﷺ استقى مادة القرآن ولا سيما قصصه من الأحبار والرهبان الذين كان يلقاهم أو يتصل بهم، أي أن مصادر القرآن من الديانة اليهودية والنصرانية.

٣- القرآن لحقه التحريف بعد موت محمد ﷺ.

٤- اجهاد النبي ﷺ في حالة الوحي بأن هذا الاجهاد نوبات من الصرع حيث يفقد وعيه ويسيل منه العرق وتعتريه التشنجات وتخرج منه الرغوة، فإذا أفاق ذكر أنه أوحى إليه، وتلا على أتباعه ما يزعم أنه وحي من الله.

مناقشة الشبهة الأولى: القرآن من صنع محمد:

إن عددا كبيراً من المستشرقين يقول ببشرية القرآن، وإنه من صنع محمد ﷺ وتأليفه، وأنه تأثر بالبيئة التي عاش فيها.

وإذا كان الأمر كذلك في نظرهم فلا بد لهم من أن يبحثوا عن المصادر التي أخذ منها محمد معلوماته، إذ لا يمكنهم الادعاء بأن ما في القرآن من أفكار وتشريع، وإعجاز هي من عند النبي ﷺ ومن تلقاء نفسه. قالوا أن ﷺ تأثر في البيئة التي عاش فيها بأشخاص.

وإذا أردنا أن نبحث هذا الموضوع بالعقل والموضوعية فيمكننا أن نضع لمصدر القرآن ثلاث احتمالات:

الأول: أن القرآن من صنع محمد ﷺ.

الثاني: أنه من صنع العرب.

الثالث: أنه من صنع مصدر آخر مجهول سنبحث عنه [2].

---

(١) المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي، ص٧٤.

(٢) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص٢٠، ط١٤، ١٤٠٠، دار الفكر، ١٩٨٠.

أما الأمر الأول: أن القرآن من صنع محمد، فيمكن نفنيد هذه الاحتمال بما يلي:

أولاً: نصوص القرآن تدل على أنه وحي من عند الله: من تتبع النصوص القرآنية في مواطن متعددة، وجد أنها تشير إلى أن القرآن من عند الله وليس من عند محمد ﷺ ذلك النبي الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة، ولم يدع في يوم من الأيام أن القرآن من عنده، وإنما أخبر بأنه كتاب الله تعالى أنزله إليه بواسطة جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند العرش مكين، مطاع ثم أمين﴾ (١) فجبريل عليه السلام هو الذي تلقاه عن ربه فكان واسطة بين الله وبين النبي محمد عليه الصلاة والسلام ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ (٢).

ونجد أن الآيات القرآنية تصرح بأنه لا علاقة لمحمد ﷺ بانزال القرآن بل هو عبد مأمور تخاطبه الذات الإلهية، قال الله تعالى: ﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما اتبع ما يوحى إلي من ربي﴾ (٣) ، أي إذا لم تأتهم أيها الرسول بآية قرآنية طلبوها منك، وتراخى الوحي بإنزالها، قالوا لولا ألفتها من تلقاء نفسك، قل إنما اتبع ما يوحى إلي من ربي من غير أن يكون لي دخل في ذلك أصلاً.

وقال سبحانه: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآنٍ غير هذا أو بدله، قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون﴾ (٤) . أي إني عاجز عن الإتيان بآية من الآيات الكونية، وما أنا من المفترين على الله، إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي وما علي إلا البلاغ

---

(١) سورة التكوير، آية١٩-٢١.

(٢) سورة النجم، آية ٤.

(٣) سورة الأعراف، آية ٢٠٣.

(٤) سورة يونس، آية ١٥-١٦.

المبين [1]، ويقول لهم أيضاً: أنا أعيش بينكم فهل جربتم علي هذه الأمور المعجزة؟ إنني لا أدعي ذلك، ولكني أنقله عن الله.

وقال تعالى أيضا: ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به، ومن هؤلاء من يؤمن به، وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ [2]. فالكتاب منزل من عند الله وليس من عند محمد، وكيف يكون محمد هو صاحب الكتاب ثم ينسبه إلى الله، لو كان الأمر كما يدعي الكافرون من الناس لنسبه محمد إلى نفسه، فازداد به عظمة وارتفاعاً، وهو الصادق الذي شهد له الأعداء بذلك، وهو الحكم العدل الذي يقبله الأعداء لحل الخصومات، وهو النبي الأمي الذي لم يخط كتابا من قبل. ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ [3]. ولكن ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ [4].

والذي يطالع الآيات الواردة في هذا المجال وهي كثيرة يخرج منها بأمرين هامين:

الأول: دلالة ضمائر المتكلم في الآيات على أن القرآن من عند الله وليس من عند محمد ﷺ لأن الأفعال المسندة إلى الله لا يمكن ولا يعقل أن تصدر إلا من الله سبحانه وتعالى في أي موطن من مواطن الإسناد.

الثاني: تبرؤ الرسول ﷺ من نسبة أي شيء إلى نفسه من كتاب الله تعالى، وأنه كان يرجع إلى ربه في كل آية منه.

ثانياً: اختلاف الأسلوب القرآني عن أسلوب السنة:

لقد بلغ القرآن الكريم الذروة في الفصاحة والبلاغة، وقد عجز فصحاء العرب عن

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج٩/٥٥١.

(٢) سورة العنكبوت، آية ٤٧-٤٨.

(٣) سورة العنكبوت، آية ٤٨.

(٤) سورة العنكبوت، آية ٤٩.

مجاراته، مع علو كعبهم، ورسوخ قدمهم في أساليب اللغة وفنونها. فالقرآن له أسلوب متميز يختلف عن الشعر والنثر وقد شهد بذلك أعداء القرآن.

يقول طه حسين: «إن الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام: شعر، ونثر، وقرآن» (١)، فهو يرى أن أسلوب القرآن يسير طريقاً خاصاً به، لا هو بالشعر، ولا هو بالنثر ولكنه قرآن، فهو لا يخضع لقواعد النثر ولا لقواعد الشعر، ولكن له خاصية به، تحسها في تركيب ألفاظه لو أراد إنسان أن يقارن بين القرآن والحديث، لرأى الفرق واضحاً، والتغاير ظاهراً بينهما في أسلوب التعبير، وفي الموضوعات، فحديث النبي ﷺ تظهر فيه المحادثة والتفهيم والتعليم والخطابة في صورها ومعناها المألوف عند العرب، بخلاف أسلوب القرآن الذي لا يعرف له شبيه في أساليب العرب (٢).

فإذا كان المستشرقون يقولون أن محمداً يأتي بكلام فمرة يقول أنه قرآن، ومرة يقول أنه حديث قدسي، ومرة يقول أنه حديث نبوي، وصنعوا من ذلك مصدر تشكيك، وقالوا أنه حين يروق له أن يقول: ذاك حديث قدسي، وحين كان يروق له أن يقول ذاك حديث نبوي يقول: ذاك حديث نبوي (٣).

يقول الشيخ محمد متولي شعراوي: «إن الذي أخذ تموه لتجعلوه ضد نبي الإسلام هو في صالح نبي الإسلام وعادة يترك الله بعض الحق عند الأحمق، ليدل على حمقه».

هاتوا لنا في عالم الإنس إنساناً له موهبة أن يقول، وما دامت له موهبة أن يقول، فسجلوا له مميزات أسلوبه، ثم اسألوه أن يغير الأسلوب إلى أسلوب آخر، ثم سجلوا له الأسلوب الآخر، ثم قولوا له نريد أسلوباً ثالثاً، فإنه لا يستطيع أن يبرأ من أسلوبه الأول

---

(١) بحث جديد عن القرآن، محمد صبيح، ص١٠٣، ط٦، مطابع الفاني، مصر.

(٢) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص٢٠.

(٣) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولي شعراوي، ص٣٨، مكتبة التراث الإسلامي، مصر.

أبداً، وذلك لأن الأسلوب هو الطريقة اللازمة للشخص في أداء المعنى، وما دامت له طريقة في أداء المعنى فإن الأداء سيأخذ تشخيصاً لا يمكن أن يبرئ صاحبه نفسه منه.

فإذا ما جئنا بأسلوب قرآني وأسلوب حديث قدسي، وأسلوب حديث نبوي، فسنجد أساليب ثلاثة لا يمتزج فيها أسلوب بأسلوب بل لكل أسلوب خواصه ومميزاته وطبائعه، فهل يستطيع بشر أن يجعل لموهبته الأساسية ثلاثة أساليب بحيث يقول: أنا الآن سأتكلم بأسلوب قرآن، ثم يقول: أنا سأتكلم بأسلوب حديث قدسي، ثم يقول: أنا الآن سأتكلم بأسلوب حديث نبوي، إن هذا لا يمكن في طاقة البشر إذن كما هو: القرآن يوحيه الله له.

والحديث القدسي يوحيه الله له، ولكن الفارق أن القرآن يأتي من الله وحياً معجزاً متحدى به ومتعبداً بتلاوته، والحديث القدسي يأتي وحياً من الله، ولكنه ليس معجزاً ولا متحدى به ولا متعبداً بتلاوته[1].

ثالثاً: أن النبي ﷺ الذي اتهمه المستشرقون بوضع القرآن أمي لا يقرأ ولا يكتب. قال الله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك أذاً لارتاب المبطلون﴾[2].

وهكذا يتتبع القرآن الكريم مواضع شبهاتهم حتى الساذج الطفولي منها، فرسول الله ﷺ عاش بينهم زمناً طويلاً من حياته، لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاءهم بهذا الكتاب العجيب الذي يعجز القارئين الكاتبين، ولربما تكون لهم شبهة لو أنه كان قارئاً كاتباً، فما شبهتهم وهذا ماضيه بينهم.

وحتى لو فرضنا أن رسول الله ﷺ كان قارئاً كاتباً ما جاز لهم أن يشكوا، فهذا القرآن بذاته يشهد على أنه ليس من صنع البشر، فهو أكبر جدا من طاقة البشر، ومعرفة البشر . فهل يعقل أن أمياً لا يقرأ ولا يكتب يأتي بهذا الإعجاز التشريعي المتكامل دون تناقض الذي أقر به الصديق والعدو.

---

(١) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولي شعراوي، ص٣٨.

(٢) سورة العنكبوت، آية ٤٨.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥/٢٧٤٦، دار الشروق.

وهل يعقل أن أميا لا يقرأ ولا يكتب يأتي بهذا الإعجاز اللغوي الفريد الغريب، وهل يعقل أن أميا لا يقرأ ولا يكتب يأتي بهذا الإعجاز العلمي الذي بهر عقول العلماء. إن هذا الكتاب ينطق ﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [١].

رابعاً: شواهد أخرى تدل على أن القرآن ليس من صنع محمد ﷺ ورغم أن الحقيقة واضحة وفيما ذُكر دلالة وكفاية إلا أننا نزيد الموضوع بتلك الأحداث القرآنية التي تدل على أن القرآن من عند الله.

أولاً: كان رسول الله ﷺ يُسأل عن أمور كثيرة ولا يجيب عليها حتى ينزل عليه الوحي من الله، فلو كان القرآن من صنع محمد كما زعم أعداء الإسلام، لكان الجواب حاضراً لكل سؤال في وقته، وكم نزل به من الخطوب وهو صابر لا يتكلم حتى ينزل الله عليه الوحي، من ذلك سؤال قريش له عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، وعن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وعن الروح ما هي، وكانت قريش قد أرسلت رجلين إلى أحبار اليهود يسألونهم عن هذا الرسول، لأنهم أهل كتاب، فقالوا لهما سلوه عن هذه الأسئلة، فإذا أخبركم بها فاتبعوه فهو نبي وإلا فهو رجل كاذب.

فسألوا الرسول عن ذلك، فقال: أخبركم بما سألتم عنه غداً ولم يستثن فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ -فيما يذكرون- خمس عشرة ليلة لا يوحي الله إليه في ذلك شيئاً، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها ولا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحزن الرسول ﷺ على تأخر الوحي، وشق عليه ذلك، ثم بعد ذلك نزل عليه جبريل بسورة الكهف فيها معاتبة إياه على حزنه عليهم، وجوابه عن الأسئلة التي سألوه عنها [٢].

نقف أمام هذه الحادثة، أسئلة تطرح على رسول الله ﷺ من قريش، فلو كان الأمر

---

(١) سورة فصلت، آية ٤٢.

(٢) سيرة ابن هشام، ج١/٣٠٢، تعليق محمد خليل هراس.

يتعلق به وحده، ويعلم الجواب لاعطاهم في الحال جواب كل سؤال، لكن أنى له ذلك والأمر ليس بيده [1].

ويعد قريشاً بالإجابة على هذه الأسئلة في اليوم الثاني، ويتأخر الوحي عنه وتمر الأيام، وتخوض قريش في الحديث، ويضيق صدر الرسول ﷺ بذلك، وهو الذي يرجو هداية هؤلاء القوم، ويبقى الأمر كذلك حتى تمر خمس عشرة ليلة، وهو على حاله، ثم بعد ذلك ينزل عليه جبريل بالوحي من عند الله مجيباً على أسئلة قريش في سورة الكهف. أفلا يدل ذلك على أن القرآن من عند الله، وليس من عند محمد ﷺ.

ثانياً: وردت آيات كثيرة في كتاب الله عاتب الله فيها نبيه عليه الصلاة والسلام على بعض أمور حدثت منه، فلو كان القرآن من عنده لما أعلن عن هذه الآيات، ولسكت عنها، وستر على نفسه، ولكنها سجلت كغيرها قرآنا يتلى إلى قيام الساعة، وذلك مثل:

١- الآيات الخاصة بأسرى بدر ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ [2] [3].

٢- الآيات الخاصة بزواج النبي ﷺ من السيدة زينب بنت جحش ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه، وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ [4].

تقول أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها: «لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية»، أي قصة طلاق زيد لزوجته زينب وزواج النبي ﷺ بها، لكيلا يسيء فهمها

---

(١) خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين حسن، ص٤٧، ط١، المنار، الأردن.

(٢) سورة الأنفال، آية ٦٧-٦٨.

(٣) النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، ص٢٤ وما بعدها، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٣٩٠، ١٩٧٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية ٣٧؛ وراجع النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، ص٢٥.

الجهلاء وضعاف العقول، لكن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك [1]. وكذل الآيات الخاصة بعبدالله ابن أم مكتوم.

يقول الشيخ محمد عبدالله دراز: «أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه معبرة عن ندمه ووخزة ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه، أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه، واستبقاء لحرمة آرائه؟ بلى إن هذا القرآن لو كان يفيض عن وجدانه لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم من ذلك الوجدان. ولو كان كاتماً شيئاً لكتم أمثال هذه الآيات، ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه [2] ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [3].

خامسا: شهادة المستشرقين: أورد بعض شهادات المستشرقين التي تتعلق بهذا الموضوع لا من باب الحاجة إليها وإنما من باب وشهد شاهد من أهلها.

يقول المستشرق الدكتور شبس: «يعتقد بعض العلماء أن القرآن كلام محمد وهذا هو الخطأ المحض فالقرآن هو كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محمد، وليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهدي به الناس من الظلمات إلى النور، وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي بهذه الحقيقة، لا تعجبوا فإني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكمة، وتلك البلاغة التي لم أر مثلها قط، فجملة واحدة تغني عن مؤلفات» [4].

---

(١) الرسالة المحمدية، سليمان الندوي، ص١٢١، ط٣، المكتب الإسلامي.

(٢) النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، ص٢٥، دار القلم، الكويت.

(٣) سورة المائدة، آية ٦٧.

(٤) سيرة سيد المرسلين، محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني، ص١٨-١٩، دار نهضة مصر.

ويقول المستشـــرق لوبلوا: «إن القرآن هو الكتاب الرباني الذي ليس فيه أي تغير يذكر»[1].

ويقول أحد أفاضل علماء الإنجليز في محاضرة عن الإسلام ألقاها سنة ١٣٨٥ في كنيسة البرستيان «إذا كان في عالم الإلهام أمر يدعى وحيا، وكان للوحي وجود كامل، فلن يشك في أن القرآن كتاب منزل»[2].

وتقول الدكتورة لورا فيشيا فاغليري (L. Veccia Vaglieri) أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة في جامعة نابولي بإيطاليا: «فإلى الكتاب العزيز الذي لم يحرفه قط لا أصدقاؤه، ولا أعداؤه، لا المثقفون، ولا الأميون، ذلك الكتاب الذي يبليه الزمان، والذي لا يزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلى الرسول الأمي البسيط آخر الأنبياء حملة الشرائع إلى هذا المصدر الصافي دون غيره سوف يرجع المسلمون حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب»[3].

وتقول أيضا: «كيف يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد، وهو العربي الأمي الذي لم ينظم طول حياته غير بيتين من الشعر لا ينم منهما عن أدنى موهبة شعرية، وعلى الرغم أن محمداً دعا خصوم الإسلام إلى أن يأتوا بكتاب مثل كتابه أو على الأقل مثل سورة، وعلى الرغم من أن أصحاب البلاغة والبيان الساحر كانوا غير قلائل في بلاد العرب، فإن أحدا لم يتمكن من أن يأتي بأي أثر يضاهي القرآن»[4].

هذه شهادات بعض علماء الغرب المنصفين الذين درسوا القرآن واطلعوا على تعاليمه فشهدوا شهادة الحق.

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبدالله دراز، ص٤٠، ط٢، ١٣٩٢، دار القلم، الكويت.

(٢) الدين والعلم، أحمد عزت باشا، ص١٥٥، ط١٣٦٩، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٣) محمد عبقري مصلح أم نبي مرسل، محمد شيخاني، ص٢٢٣-٢٢٤، ط١، ١٣٩٢.

(٤) كيف نحيا بالقرآن، نبيه زكريا عبد ربه، ص١٧، ط١، ١٤٠٣.

سادساً: إعجاز القرآن يدل على أنه من عند الله:

عرّف الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الإعجاز بقوله: «ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان، واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه» [١]. ولما كانت وجوه الإعجاز متعددة فإننا نذكر بعضها:

أ- الإعجاز البياني. ب- الإعجاز العلمي.

ج- الإعجاز التشريعي.

سابعاً: اشتمال القرآن على أخبار الأمم السابقة:

تعرض القرآن فذكر أخبار الأمم السابقة، وأحوالها وما أصابها، وذكر أحوال الرسل السابقين وموقف أقوامهم منهم وما أصابهم، وقد وافقت هذه الأخبار الصادقة التي وردت في كتب اليهود والنصارى التي سبقت القرآن، علماً بأن الرسول الذي أنزل عليه القرآن كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، من أمة أميّة أيضاً فمن أين جاء بهذه الأخبار والمعلومات التاريخية عن الأنبياء والأمم السابقة.

إن الإنسان العاقل يجزم بأن هذا الكتاب هو وحي من الله أنزله على رسوله ليكون للعالمين نذيرا، وصدق الله إذ يقول: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ [٢]. وبين الله تعالى أن هذه الأخبار وحي من الله تعالى، أخبر بها نبيه، قال تعالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ [٣].

ثامناً: اشتمال القرآن على أخبار تقع في المستقبل:

وقد تحقق وعد الله بوقوعها كما أخبر القرآن، فمن تلك الإشارات قوله تعالى: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص١٣٩، ط٩.

(٢) سورة العنكبوت، آية ٤٨.

(٣) سورة آل عمران، آية ٤٤.

تخافون﴾ [1]، وقد حصل ذلك في عمرة القضية.

- إخبار الله تعالى عن حفظ كتابه، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [2].

وهذا هو القرآن قد مضى على نزوله أربعة عشر قرنا وهو محفوظ من العبث الذي لحق الكتب السابقة، ومصون من كل خلل أو قصور عن متطلبات الحياة، وحاجات المجتمع، وهذا يدل على صدق تحقيق ما أخبر الله تعالى به.

تاسعاً: سلامة القرآن من التناقض والاختلاف والتفاوت مع كبر حجمه، واشتماله على علوم كثيرة، فلو كان من عند غير الله لحصل التناقض والاختلاف وصدق الله إذ يقول: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [3].

التدبر هو النظر في أدبار الأمور وعواقبها، وتدبر الكلام هو النظر والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي إليها، وعاقبة العامل به والمخالف له. والمعنى جهل هؤلاء حقيقة الرسالة، وكنه هذه الهداية. أفلا يتدبرون القرآن الذي يدل على حقيقتها، وعاقبة المؤمنين بها والجاحدين لها، فيعرفوا أنه الحق من ربهم، وأنه أنذر به الكافرين والمنافقين، وإن العذاب واقع بهم، لأنه كما صدق فيما أخبر به عما يبيتون في أنفسهم، وما يثنون عليه صدورهم، ويطوون عليه سرائرهم، يصدق كذلك فيما يخبر به من سوء مصيرهم إنهم لو تدبروا القرآن حق التدبر لعلموا أنه من عند الله، ولو كان من عند محمد لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً لعدم استطاعته واستطاعة أي مخلوق أن يأتي بمثل هذا القرآن، في تصوير الحق بصورته، وفي حكايته عن الماضي الذي لم يشاهده محمد ﷺ وفي أخباره عن المستقبل ... إلخ [4].

---

(١) سورة الفتح، آية ٢٧.

(٢) سورة الحجر، آية ٩.

(٣) سورة النساء، آية ٨٢.

(٤) تفسير المنار، ج٥/٢٨٧-٢٨٨؛ ظلال القرآن، سيد قطب، ج٢/٧٢١، دار الشروق؛ فتح القدير، الشوكاني، ج١/٤٩١، مصطفى البابي الحلبي.

الاحتمال الثاني: القرآن من صنع العرب:

أ- ما فطر عليه العرب: فطر العرب على حب البلاغة والأدب والشعر والخطابة، فأقاموا المواسم لذلك، ونصبوا الأسواق، ونظموا الأشعار والخطب، حتى أصبح الكلام طوع أمرهم، والبلاغة ملك قيادهم، قد حدوا فنونها، واستنبطوا عيونها، ودخلوا كل باب من أبوابها، وبلغوا من الفصاحة قمتها، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان، وقالوا في الخطير والحقير، وتفننوا في الغث والسمين، وتساجلوا في النظم والنثر.

وما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ بهرت بلاغته عقولهم، وظهرت فصاحته على كل كلامهم، فعقدوا المحاولات والمشاورات والمؤتمرات والافتراءات لمضاهاته، فما كان منهم إلا أن خضعوا لسلطانه، واعترفوا بأنه ليس من نوع ما ألفوا، ولا من جنس ما عرفوا، ولا هو في طوق واستطاعة أحد منهم، وصدرت منهم اعترافات بعجزهم عن مجاراته، وبأن معاداتهم كانت من باب العناد والمكابرة.

١- اعتراف الوليد بن المغيرة: سمع الوليد بن المغيرة قول الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ [(١)]. فقال الوليد: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق [(٢)]، وإن فرعه لجناة، وما يقول هذا بشر وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأنه تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته [(٣)].

---

(١) سورة النحل، آية ٩٠.

(٢) العذق بالفتح، النخلة، يشبه بالنخلة التي ثبت أصلها وطاب فرعها إذا جنى، سيرة ابن هشام، ج١/ ٢٧٠.

(٣) سيرة ابن هشام، ج١/ ٢٧٠، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ج١/ ٢٦٢، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة الفارابي.

٢- وسمع أعرابي رجلاً يقرأ قول الله تعالى ﴿فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا﴾ [١] فقال أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا [٢].

ب- القرآن آية باقية ومعجزة خالدة، لا يؤثر فيه مر السنين، ولا يقلل من شأنه توالي الدهور إلى قيام الساعة.

وأما معجزات الرسل فكانت آنية انقضت بانقضاء وقتها، ولم يبق إلا خبرها وأما القرآن فقد ظل آياته باهرة، ومعجزاته ظاهرة حفظ من التغيير والتبديل، ومن أراد ذلك فضحه الله تعالى، وقد مضى على نزوله أكثر من أربعة عشر قرناً وما زال غضا طرياً معجزاً كما أنزله الله تعالى.

تحدي القرآن للعرب: تحدى القرآن قوماً تباهى بالفصاحة والبلاغة والأدب والشعر والخطابة، فبذّهم وسبقهم في مضمار تنافسهم، فكيف يكون القرآن من عند العرب والتحدي قائم باق لهم، قال الله تعالى: ﴿أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ [٣]. تحدى الله بالقرآن أمة العرب، بل كافة الخلق، فقالوا هذا القرآن من عند محمد اختلقه وافتراه فبين الله تعالى أن كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة، ثم قال: ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ أي كانوا صادقين في قولهم تقوله وافتراه فليأتوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من القرآن فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاءوا بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله.

قال الله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [٤]. ولما عجزوا عن الاتيان بمثله تحداهم

---

(١) سورة يوسف، آية ٨٠.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ج١/٢٦٢.

(٣) سورة الطور، آية ٣٣-٣٤.

(٤) سورة الإسراء، آية ٨٨.

بالاتيان بعشر سور، فقال تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ [(١)] .

ولما عجزوا أيضاً عن الاتيان بعشر سور طالبهم بإتيان بسورة فعجزوا، قال الله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ [(٢)]، ولما عجزوا في المرة الثالثة سجل عليهم القرآن هذه الهزيمة وأعلن فلج القرآن بالإعجاز في هذا الميدان. قال الله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [(٣)] .

يقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: «إن هذا التحدي الذي امتاز به القرآن، فتح عيون الناس جميعاً ولفتهم بقوة إليه، لا فرق بين أوليائه وأعدائه، أما أولياؤه ومتبعوه، فقرؤوه من هذه الناحية، ليفحموا به أعداءهم ويؤيدوا بإعجازه دينهم ونبيهم، وأما أعداؤه فاقتفوا أثره وتتبعوه أملاً في أن يجدوا فيه مغمزاً، ويأخذوا عليه مطعناً، فلا جرم كان هذا التحدي من الدواعي التي توافرت على نقل القرآن وتواتره وجريانه على كل لسان» [(٤)] .

ثم يقول الرافعي: «فمن ثم لم يقم للعرب قائمة بعد أن أعجزهم القرآن من جهة الفصاحة التي هي أكبر أمرهم، ومن جهة الكلام الذي هو سيد عملهم [(٥)] ، ثم قال: وحكمة هذا التحدي وذكره في القرآن إنما هي أن يشهد التاريخ في كل عصر بعجز العرب عنه

---

(١) سورة هود، آية ١٢-١٤.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣-٢٤.

(٣) سورة الإسراء، آية ٨٨.

(٤) مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج١/٣١٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

(٥) إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، ص٢١٨، ط٣.

وهم الخطباء اللد -أي الخصم الشديد- الفصحاء اللسن، حتى لا يجيء بعد ذلك فيما يجيء من الزمن مولد -عربي غير محض- أو أعجمي كاذب، أو منافق، أو ذو غفلة، فيزعم أن العرب كانوا قادرين على مثله وأنه غير معجز»[1].

إن القرآن لن يكون من عند العرب لإعجازه وتحديه لهم، لإعجازه في أسلوبه الذي خالف أساليب العرب، وحسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة، ولن يكون من كلام العرب لما اشتمل عليه من الأخبار بالمغيبات، وما لم يكن، ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر، ولن يكون من كلام العرب لم أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة، والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي ﷺ على وجهه ويأتي به على نصه فيغترف العالم بذلك بصحته وصدقه.

هزيمة قريش: لو كان القرآن من عند العرب لاستجابوا للتحدي القائم، لقد ظل النبي ﷺ يقرعهم أشد تقريع، ويوبخهم غاية التوبيخ، ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم، ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والاغراء والافتراء، فقالوا:

﴿إن هذا إلا قول البشر﴾[2]. ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر﴾[3]. ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزورا﴾[4]. ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾[5].

---

(١) إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، ص٢٢، ط٣.

(٢) سورة المدثر، آية ٢٥.

(٣) سورة المدثر، آية ٢٤.

(٤) سورة الفرقان، آية ٤.

(٥) سورة الفرقان، آية ٥.

ورضوا بالدنيئة، فقالوا: ﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون﴾[(١)]. ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعون إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾[(٢)]. ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾[(٣)].

وادعوا بأنهم قادرون على الاتيان بمثله، والحقيقة أنهم عاجزون عن ذلك وقال تعالى على لسانهم: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾[(٤)]، وقال تعالى لهم: ﴿ولن تفعلوا﴾ فما فعلوا ولا قدروا، ومن حاول من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجمهم وسلبهم ما ألفوه من فصيح كلامهم[(٥)].

تقول المستشرقة لوريا فيشيا فاغليري (Luria Fishia Fagiery) في كتابها «دفاع عن الإسلام»: «إن القرآن لا يعقل أن ينبثق عن غير الذات الإلهية التي وسع علمها على كل شيء في السماء والأرض، ولا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي، هذه الحقيقة هي أن نص القرآن ظل صافياً غير محرف طوال القرون التي ترامت بين تنزيله وحتى يومنا هذا، وأن نصه قد يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف بإذن الله ما دام الكون»[(٦)].

ويقول المستشرق ديزيريه بلانشيه (Dyzyryh Blansyh) في كتابه دراسات في التاريخ الديني: «ولقد أوتي محمد كتابا، تحدى به البشر جميعاً أن يأتوا بسورة مثله، فقعد بهم العجز، وشملتهم الخيبة، وبهتوا أمام ذلك الإحراج القوي الذي أغلق في وجههم كل باب»[(٧)].

---

(١) سورة البقرة، آية ٨٨.
(٢) سورة فصلت، آية ٥.
(٣) سورة فصلت، آية ٢٦.
(٤) سورة الأنفال، آية ٣١.
(٥) الشفا، القاضي عياض، ج١/٢٦١.
(٦) كيف نحيا بالقرآن، نبيه زكريا عبد ربه، ص١٨، ط١، ١٤٠٣، نقلا عن كتاب دفاع عن الإسلام.
(٧) المرجع السابق، ص١٧.

الاحتمال الثالث: أن يكون القرآن من مصدر آخر، يقول الله تعالى في حق القرآن: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربيا لعلكم تعقلون﴾ [1]. وقال تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ [2].

أنزل الله القرآن عربياً لأن لغة العرب أفصح اللغات وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدى انزاله في أشرف شهور السنة، وهو رمضان فكمل من جميع الوجوه [3].

فإذا كان العرب وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة، وأصحاب اللغة، وقفوا عاجزين أمامه حين تحداهم، فهل يعقل أن يكون القرآن من صنع بشر غيرهم؟ هل يعقل أن يكون القرآن من صنع الفرس؟ أو من صنع الروم؟ أو من صنع الأحباش؟ أو من صنع أي أمة من الأمم؟؟

إذا كان القرآن ليس من عند العرب، ولا من عند غيرهم، فمن أين هو إذن؟ هل هو من عند البشر وقد عجز أفصحهم عن الاتيان بسورة من مثله، وهو بلسانهم. نضع هذا السؤال أمام أصحاب العقول السليمة ليحكموا...

١- موقف المستشرقين:

قال أعداء الإسلام، ومنهم المستشرق غوستاف لوبون (G. Lebon) في كتابه حضارة العرب: «إن محمدا سافر مع عمه إلى سورية مرة وتعرف في بصرى براهب نسطوري في دير نصراني، وتلقى منه علم التوراة» [4].

---

(١) سورة يوسف، آية ٢.

(٢) سورة فصلت، آية ٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٢/٤٦٦، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

(٤) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص١٠٢، ط٣، ١٣٧٥، ١٩٥٦، دار إحياء الكتب العربية.

وقد نقل هذا القول المستشرق نورمان دنيال (Norman Dnyal) عميد كلية الملكة بجامعة اكسفورد في كتابه (الإسلام والغرب).

ويقول المستشرق الفرنسي درمنجم (Mermenghem): «وكان محمد ﷺ قد عرف الله وعرف العقيدة بالله عند نصارى سورية أو مكة»[1].

ويقول المستشرق مونتكمري واط (Montgomery Watt): إن خديجة كانت ابنة عم رجل يدعى ورقة بن نوفل بن أسد، وهو رجل متدين اعتنق أخيراً المسيحية غالباً وبالتأكيد فإن خديجة قد وقعت تحت تأثيره، ويمكن أن يكون محمد قد أخذ شيئاً من حماسة فكرته.

ثم قال: ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد لسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة، ولا شك أن المقطع القرآني حين ردده محمد يجب أن يكون قد ذكره بما هو مدين به لورقة»[2].

ويقول المستشرق جورج سيل (G. Sale): «إما أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيس له، فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح أن المعونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة»[3].

ويقول المستشرق درمنجم الفرنسي (Dermenghem): «أما عن سلمان الفارسي فقد استفاد من اليهودية والمسيحية والفارسية وأنه كان ذا نفوذ حتى استطاع أن يتدخل في حرب بين المسلمين وقريش وهما أكبر المجتمعات العربية في ذلك الوقت».

ومعنى كلام هذا المستشرق: إن نفوذ سلمان الفارسي يسوغ له أن يؤثر في أفكار محمد ﷺ ثم بين هذا المستشرق بأن المسيحية كانت تحيط بالجزيرة العربية من كل

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، شكيب أرسلان، ص٥٤، ط٤، ١٣٩٣، دار الفكر، بيروت.

(٢) التبشير والاستشراق، محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، ص٤٦، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية.

(٣) وحي الله، حسن ضياء الدين محمد عتر، ص٥٤، بحث مقدم لمؤتمر السيرة الرابع.

جوانبها في مصر والحبشة واليمن، وكانت بين بعض القبائل العربية من غسان وتغلب وبني كلب، وكانت القوافل العربية تمر بسكان هذه التخوم، وتعرف منها معلومات عن المسيحية، وكانت مكة مركز تجارة رابحة، وكان بها مسيحيون، منهم جبير بن مطعم الرومي، ورفيقه بيسار الرومي، وكان محمد ﷺ يكثر الجلوس لديهما، وكان الشاعر الثقفي أمية بن أبي الصلت يذكر في أشعاره قصص الأنبياء السابقين، وكان يرجو أن يكون النبي ﷺ الذي جاء ذكره في الكتب المقدسة.

وبجانب هؤلاء المسيحيين، كان هناك الحنفاء الذين درسوا المسيحية وأخذوا عنها بعضاً وتركوا البعض الآخر، كذلك كانت الزردشتية معروفة، كما كانت هناك الوثنية التي عليها الجاهلون، وقد اتصل محمد ﷺ بهؤلاء، وسمعت منهم أذنه المرهفة، ووعى قلبه الذكي عن هذه الديانات كثيرا، ثم كان اختلاؤه بنفسه وعمله في الصحراء مما زاده رفاهة حس، ودقة تأمل، وشغل محمد ﷺ نفسه بالبحث عن دين يخلو من متناقضات هذه الأديان كلها فلجأ إلى غار حراء يفكر ويتأمل حتى هداه تفكيره إلى مبدأ التوحيد المطلق[1].

وقد علق الدكتور عبد الجليل شلبي على رأي هذا المستشرق، فقال: «إذا نحن جارينا درمنجم (Dermenghem) في هذه الفكرة نجد أن محمداً ﷺ كان رجلاً مثقفاً، استطاع أن ينخل هذه الأديان، وأن يستخرج منها هذا الدين الذي جاء به، ولا تأتي الموازنة بين الأديان واختيار الجانب الأفضل فيها إلا لمن له دراسة عميقة وإلمام شامل بهذه الأديان وفلسفاتها، فأنى لمحمد ﷺ هذا كله»[2].

ثم يقول: «وليس هناك أي مصدر تاريخي يشير إلى أن الموالي الذين كانوا بمكة أو بضواحيها كانوا يقومون بأعمال تبشيرية قبيل ظهور الإسلام، كما أن قريشاً لم تكن

---

(١) صور استشراقية، عبد الجليل شلبي، ص٣٨-٤٨ وما بعدها، الكتاب الأول، ط١٣٩٨، مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) المرجع السابق، ص٤١.

لتسمح لهم بمثل هذا العمل، ولقد رأيناها تشن حملات تعذيب عنيفة على الذين دخلوا في الإسلام من الموالي، ولم يسلم من أذاها كبار المسلمين السابقين هذا فضلاً عن أن الطائف ظلت على وثنيتها حتى العام الهجري التاسع على الرغم من أشعار أمية بن الصلت، ومن الثابت أنهم حين رضوا بالدخول في الإسلام حينذاك طلبوا من النبي ﷺ ألا يهدم صنمهم اللات، وأنهم قتلوا سيدهم عروة بن مسعود حين حاول هدم هذا الصنم [١].

ويمكن القول بعد الاطلاع على رأي المستشرقين أن اسم الكاهن الذي زعموا أنه كان يملي أو يعطي قصص القرآن للنبي ﷺ كان يختلف دائماً باختلاف مرجع ومصدر هذه الشبهة أو الإشاعة المفتراة فإن كان المرجع مسيحياً فالراهب هو سرجيوس أو بحيرا وفي مرات أخرى هو ورقة بن نوفل».

وإذا كان المرجع يهودياً فصاحب القرآن حاخام إسرائيلي مجهول الاسم. ولا ندري لماذا، كما جاء في رواية بيدرو دي الفونسو (Bedro de Alfonso) الذي ينتهي في أصله ونسبه إلى بني إسرائيل [٢]. وإذا كان المصدر عربياً فصاحب القرآن الشاعر أمية بن الصلت. وللرد على هذه الشبهات نوجزها بما يلي، حسب مراحل الدعوة الإسلامية:

أ- المرحلة الأولى: العهد المكي:

١- دعوى أخذ القرآن عن ورقة بن نوفل.

٢- دعوى أخذ القرآن عن الراهب بحيرا.

٣- دعوى أخذ القرآن عن جبير بن مطعم الرومي وبيسار الرومي.

٤- دعوى أخذ القرآن عن الشاعر أمية بن أبي الصلت.

ب- المرحلة المدنية:

١- دعوى أخذ القرآن عن اليهود والنصارى (أهل الكتاب بصفة عامة).

---

(١) المرجع السابق، ص٤٥ وما بعدها.

(٢) ما يقال عن الإسلام، عباس محمود العقاد، ص٤٦٢، الموسوعة، ط١، دار الكتاب اللبناني.

ردود على شبهاتهم:

١- دعوى أخذ القرآن عن ورقة بن نوفل:

ولبيان الرد على هذه الشبهة نوضح بعض المسائل:

أ- من هو ورقة بن نوفل.

ب- المدة التي عاشها، وهل أدرك الدعوة الإسلامية أم لا؟

ج- لقاء النبي ﷺ به.

د- موقف ورقة من رؤيا النبي ﷺ يدل على ربانية الوحي.

هـ- موقف قريش من هذا الحادث يدل على بطلان هذه الفرية.

أ- ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي عم خديجة رضي الله عنها، زوج النبي عليه الصلاة والسلام، كان من الحنفاء الذين كرهوا عبادة الأوثان، وطلب الدين في الآفاق وقرأ الكتب[1] .

وقد اختار النصرانية، إذ كان يعرف العبرانية، فدرسها منها، ودرس التوراة، فعلم الديانتين من الينابيع الأصلية، ويظهر أنه علمها ديانة توحيد، لا ديانة تثليث.

ولقد بلغ علم الرجل بالعبرية أنه كان يكتب بها، ويقرأ ويدرس، فكان على علم بالبشارات التي جاءت في التوراة والإنجيل بالنبي عليه الصلاة والسلام، وهي تبشر برسول اسمه أحمد.

وقد بلغ من الشيخوخة فنضج فكره، وكف بصره[2] . وتشير الروايات الصحيحة إلي أنه مات قبل الدعوة الإسلامية، فقد جاء في صحيح البخاري في الحديث الطويل في باب بدء الوحي: «فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي ابن عم خديجة، وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم

---

(١) الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج١٠/٣٠٥ وما بعدها، مطبعة نهضة مصر.

(٢) سيرة ابن هشام، ج١/٢٢٢ وما بعدها؛ خاتم النبيين، محمد أبو زهرة، ج١/٣١٠.

اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: ياابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أومخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وأن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي [1].

ذكر ابن حجر بأن ورقة خرج هو وزيد بن عمرو بن نفيل لما كرها عبادة الأوثان إلى الشام وغيرها يسألون عن الدين، فأما ورقة فأعجبه دين النصرانية فتنصر، وكان لقي من بقي من الرهبان على دين عيسى ولم يبدل ولهذا أخبر بشأن النبي ﷺ والبشارة به إلى غير ذلك مما أفسده أهل التبديل [2] . ونستفيد من حديث البخاري أموراً:

١- إثبات الوحي لرسول الله ﷺ.

٢- شهادة ورقة بذلك وهو من أهل الكتاب.

٣- موت ورقة قبل بدء الدعوة الإسلامية.

٤- إثبات لقاء بسيط بين النبي ﷺ وبين ورقة وأن هذا اللقاء تم في زمن متأخر بعد نزول الوحي إليه في المرة الأولى، وقد أجمعت المصادر على ذلك، لكن الخلاف حصل هل زارت خديجة ورقة لوحدها أم زارته بصحبة النبي ﷺ.

نصرانية ورقة:

الذي يتابع ما كتب المحدثون وأصحاب السير والتاريخ عن حياة ورقة بن نوفل لا يجد رواية واحدة تشير إلى أنه كان داعية إلى النصرانية، ورواية البخاري هي من أوثق المصادر التاريخية، وكذلك رواية ابن اسحاق، وابن هشام، كلها تشير إلى أن نصرانية ورقة كانت قاصرة على نفسه، ولم تكن عنده الدوافع التعليمية والقدرة على الدعوة والتفرغ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج١/٢٨-٣٠.

(٢) المرجع السابق، ج١/٢٨.

لها . ولو تحقق ذلك لعمل على إيجاد مدرسة للقيام بهذا الواجب ولكان لها دوراً عظيماً في التاريخ مع الوثنية والجاهلية، ولو وجدت لوصلت أخبارها إلى العالم.

إن ورقة عندما سمع الخبر من محمد ﷺ وقف متأملاً مستطلعاً، ولو كان معلماً لفرح بأن غرسه قد أثمر لكنه أعلن بصراحة بأن وصف النبي ﷺ لملك الوحي مطابق لما عنده من صفات ملك الوحي الذي أنزله الله على موسى، لذلك قال له: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً [(١)] .

ب- المدة التي عاشها، وهل أدرك الدعوة الإسلامية أم لا:

أشار البخاري في صحيحه إلى أن ورقة لم يتعلق بشيء من الأمور حتى مات «ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي» [(٢)] . فالتعبير بلفظ ثم لم ينشب، يفيد أنه لم يتعلق بأمر من الأمور حتى مات، ولفظة ينشب يعبر بها العرب عن السرعة والعجلة [(٣)] . وهي تفيد أيضاً أنه لم ينل ما يتمناه من إدراك زمن تبليغ الرسالة لينصر النبي ﷺ وجاء في رواية ابن إسحاق: فيما كان يلقاه بلال بعد أسامة قال: وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد.

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك، وهو يقول: أحد أحد، فيقول أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن

---

(١) فتح الباري، ج١/٢٨، الطبعة المصرية.

(٢) المرجع السابق، ج١/٣٠.

(٣) مختار الصحاح، الرازي، ص٦٥٩، كلمة نشب؛ لسان العرب، ابن منظور، ج١/٧٥٦، كلمة نشب.

خلف، ومن يصنع ذلك به من بني جمح، فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنّانا [1] [2].

الذي ينظر في رواية البخاري يجد أنها تبين أن ورقة مات بعد نزول الوحي على رسول الله ﷺ مباشرة، ومعنى ذلك أنه لم يدرك الدعوة الإسلامية، ولم يعاصر النبي ﷺ في دعوته. وأما رواية ابن إسحاق فتشير بأنه أدرك الدعوة الإسلامية وشاهد بعينيه تعذيب الصحابة من قبل كفار قريش ومنهم بلال بن رباح.

فإن قيل هذه روايات متعارضة أجيب بأن لا نسلم للمعارضة فإن شرط التعارض المساواة، وما روي في السيرة لا يقاوم الذي في الصحيح، ولئن سلمنا فلعل الراوي لما في الصحيح لم يحفظ لورقة بعد ذلك شيئا من الأمور، فلذلك جعل هذه القصة انتهاء أمره بالنسبة إلى ما علمه منه لا بالنسبة إلى ما في نفس الأمر [3].

وبعد ذكر هذه الأدلة على موت ورقة بن نوفل نقول لأولئك المستشرقين، ها هو ورقة قد مات في وقت مبكر، فمن أين لمحمد -بعده- تلك العلوم المتعددة التي جاءت في كتاب الله يتلو بعضها بعضا على مدار ثلاث وعشرين سنة علماً بأن وفاة هذا الرجل بعد نزول الوحي ثابتة في أعظم وثيقة تاريخية، وهو صحيح البخاري.

ثم نقول لهم : إن رواية الحديث تشير إلى أن ورقة كان شيخاً كبيراً قد عمي، فماذا يرجى ممن تقدم سنه وعمي بصره، علماً بأن جميع الروايات التي وردت في السنن والسير تشير إلى أن ورقة كان يشعر بدنو أجله، ففي البخاري يقول: «يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً، إذ يخرجك قومك».

---

(١) أي لأجعلن قبره موضع حنان: أي عطف ورحمة فأتمسح به متبركاً كما يتمسح بقبور الصالحين.

(٢) سيرة ابن هشام، ج١/٣١٨.

(٣) عمدة القارىء شرح صحيح البخاري، الععيني، ج١/٦٨، ط١٣٩٢، مصطفى البابي الحلبي؛ فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج١/٣٠.

وأما الرواية التي تشير إلى أن ورقة عاش بعد البعثة نحو ثلاث سنين، فلو أخذنا بهذه الرواية، فإننا نقول لهؤلاء الطاعنين بأن الدعوة الإسلامية كانت في طور السرية التامة، فما هي العلوم التي يمكن أن يقدمها هذا الرجل لدعوة الإسلام، التي كان ينزل كتابها منجماً حسب الحوادث، وظل كذلك حتى التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى. فعدم معاصرة ورقة للحوادث التي أوردها القرآن يدحض دحضا قاطعا هذه الفرية.

إن الكذب والافتراء والتحريف في الدين ليس من شيم المسلمين وإنما هو من شيم الأمم الأخرى، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك.

ج- لقاء النبي ﷺ بورقة:

أفادت الروايات التاريخية الصحيحة أن اللقاء بين النبي ﷺ وورقة بن نوفل تم بعد نزول الوحي عليه، وهذا يدل على أن ورقة لا علاقة له بالوحي ولا تأثير لآرائه في حصوله قبل هذا اللقاء على الأقل. وإذا كان الأمر كذلك فهذا يثبت صدق النبي ﷺ فيما جاء به عن ربه، وإن ورقة لا علاقة له به، لذا نبه المستشرق واط الباحثين الغربيين أن لا يستدلوا بهذه الرواية ذاتها، فإنها لا تخدم مآربهم وأغراضهم فمن الأفضل لهم -في نظر الكتاب- الحياد الموضوعي.

إن الاستدلال بافتراض محض، اختلاق لا أصل له في التاريخ إطلاقاً لذلك أرشدهم بقوله: «ولهذا فمن الأفضل الافتراض بأن محمداً كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة بن نوفل منذ وقت مبكر، وتعلم أشياء كثيرة»[1].

نقول لهذا المستشرق أين الحياد الموضوعي في كتابك؟ وأين البحث الحيادي، وما هو وجه الأفضلية في التزوير، إن العاقل لا يرى لها وجها إلا التعنت في إعظام شأن النصرانية المشوهة.

ثم نقول لهذا المستشرق: لو كان هنالك سابق بين رسول الله ﷺ وبين ورقة بن نوفل لهرع النبي ﷺ إليه بعد هذا الحادث مباشرة، ولكن الروايات التاريخية الصحيحة تشير

(١) وحي الله، حسن ضياء الدين، ص٦٣.

بأن خديجة هي صاحبة الفكرة. وقد زعم هذا المستشرق بأن خديجة وقعت تحت تأثير ورقة وهذا زعم باطل لا دليل عليه، فالروايات التاريخية تشير إلى أنه لم يكن بين خديجة وورقة زيارة. جاء في طبقات ابن سعد: «ثم انطلقت خديجة إلى ورقة بن نوفل، وهي أول مرة أتته فأخبرته ما أخبرها به رسول الله ﷺ. فقال ورقة: والله أن ابن عمك لصادق، وإن هذا لبدء نبوة، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر»[1].

فلو كان ورقة أستاذاً لمحمد ﷺ لذهب إليه قبل أن يرجع إلى بيته، ولكن حقائق التاريخ تثبت عدم الصلة بينهما.

د- موقف ورقة يدل على ربانية الوحي:

الذي يقرأ ما ورد في صحيح البخاري بشأن هذا الحادث وما ورد في الكتب التاريخية والسير يخرج بالنقاط التالية:

١- موقف ورقة من الخبر موقف استفهام واستطلاع، وهنا نسأل أولئك المستشرقين، فنقول لهم أين التعليم الذي علمه ورقة للنبي ﷺ ولقنه إياه.

٢- أن ورقة أخبر رسول الله ﷺ بأن قومه سيكافئونه على هذه الدعوة بالإخراج من البلاد، وبالعداء المستمر بينهما، لأن ذلك سنة الله في خلقه، ما بعث الله نبياً إلا عاداه قومه، وهذا تصريح من ورقة بأن الدعوة الإسلامية دعوة ربانية.

٣- عدم ادعاء النبوة من قبل ورقة، ولم يطلب منصباً جديداً بهذه الدعوة، فلو كان هو مصدر معارف محمد ﷺ فهل يقف موقف التابع المصدق المناصر؟[2].

هـ- موقف قريش من هذا الحادث:

إن المتتبع لتاريخ الدعوة الإسلامية يجد أن قريشاً ما تركت وسيلة من وسائل الحرب والطعن في الرسالة الجديدة إلا وسلكتها، فهي التي رمت رسول الدعوة بالجنون والسحر والكهانة، وهي التي زعمت أنه يتلقى الوحي عن فتى رومي يعمل في مكة.

---

(١) طبقات ابن سعد، ج١/١٩٥، طبعة بيروت، دار صادر.

(٢) وحي الله، حسن ضياء الدين، ص٥٩.

قال الله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ [1]، وقال الله تعالى: ﴿فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون﴾ [2]، وقال تعالى أيضاً: ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ [3]. وهنا نقول لو كان لورقة أي تأثير على محمد هل يمكن أن تسكت قريش على ذلك، وهي التي تتربص الدوائر بمحمد ودينه الجديد. ولكن قريشاً لم تورد شيئاً من هذا القبيل فهذا يدل على عدمه أصلاً، وعلى أن القول به باطل. فلو توهموا أدنى احتمال للقاء مع ورقة والتلقي منه لما فوتوا تلك التهمة الباطلة لتبرير موقفهم وكيف يدعونها إلى توهم أشد منها ضعفاً وهو الأخذ عن قين رومي جاهل [4].

يقول القاضي عبد الجبار في بيان هذه الحقيقة: «ونحن وإن لم نكن في زمانه ﷺ فقد علمنا أنه ما قرأ هذه الكتب ولا اكتتبها ولا اختلف إلى أهلها ولا اختلفوا إليه، ولا تلقى ذلك عن أحد من الناس، لأنه ما من أحد يطلب فناً من الفنون إلا وله في ذلك تارات وطبقات، فأول ذلك أن يكون طالباً أو سائلاً عمن عنده هذا الأدب وهذا الفن من العلم والأدب، ثم يختلف إلى أهله ويصحبهم فيكون تارة مبتدئاً، ثم متوسطاً، ثم ماهراً متقدماً، وكل هذه الأحوال معروفة معلومة لأهل زمانه، لا يجوز أن يذهب عليهم، ولا يجوز أن يخفي ولا يكتم عن أحد كائناً من كان» [5].

وبعد سرد هذه الحقائق المتقدمة نقول:

١- إن ظهور تلك العلوم الإلهية المعجزة على محمد ﷺ وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب تثبت يقيناً أن القرآن من عند الله وليس لأحد من البشر به علاقة، قال الله تعالى: ﴿وما كنت

---

(١) سورة النحل، آية ١٠٣.

(٢) سورة الذاريات، آية ٣٩.

(٣) سورة الذاريات، آية ٥٢.

(٤) وحي الله، حسن ضياء الدين، ص٦٦.

(٥) تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ص٨٧، الدار العربية، بيروت.

تتلو من قبله من كـتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتـاب المبطلون، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾[1] .

٢- أن هـذه العلوم جـاءت للنبي ﷺ دفعـة واحدة ولم تمر في مـراتب وأطوار على عادة العلماء والمفكرين، وقد جاءت معجزة وهذا أيضاً يدل على أنها خارجة عن قدرة البشر.

٣- عـدم شـروع النبي ﷺ في مثل هذه المسـائل قبل النبوة، مع عدم البحث عنها، وعدم ذكرها، يدل ذلك على نبوته وأن ما أنزل عليه وحي من عند الله.

يقول الرازي: « إنه عليه السلام كان قبل إظهار دعوى الرسالة والنبوة ما كان يشرع في هذه المسائل، وما كان يبحث عنها، وما جرى على لسانه قط حديث النبوة والرسالة، والذي يدل على صـحـة قـولنا أنه لو اتفق له شـروع في هـذه المطالب والمـبـاحث قـبل إظهـار ادعـاء الرسالة والنبوة لقالت الكفار له: إنك أفنيت عمرك في التدبر والتأمل وتحصيل هذه الكلمات حتى قدرت الآن على إظهارها، ولما لم يذكر هذا الكلام أحد من الأعداء مع شـدة حرصـهم على الطعن فيه وفي نبوتـه، علمنا أنه عليه السلام مـا كان شـارعا قبل إظهار النبوة في شيء من هذه العلوم، ومـعلوم أن من انقـضـى من عـمـره أربعـون سنة ولم يخض في شـيء من هـذه المطالب العلمـية، ثم إنه خـاض فـيهـا دفـعـة واحـدة وأتى بكلام عـجـز الأولون والآخـرون عن معارضته فصريح العقل يشهد بأن هذا لا يكون إلا على سبيل الوحي والتنزيل[2] .

ثانياً: دعوى الأخذ من الراهب بحيرا:

تدور هـذه الشـبـهـة والتي أثارهـا المـسـتـشـرق أمـيل درمنغـام(Dermenghem) والمستشرق مونتيه على أن محمداً قد لقي بحيرا الراهب في مدينة بصرى بالشام، وقالوا أنه كان نسطورياً مع آريوس (Aryos) في التوحيد، وينكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث، وأن مـحـمـداً لا بد أن يكون علم منه عقيدته، وقـالوا في بحيرا أيضـاً أنه كان عـالمـاً فلكيـاً

---

(١) سورة العنكبوت، آية ٤٨-٤٩.

(٢) الأربعين في أصول الدين، الفخر الرازي، ص٣١١-٣١٢؛ أصول الدين، الفخر الرازي، ص١٠٠، دار الكتاب العربي.

منجماً وحاسباً ساحراً. وإنه كان يعتقد أن الله ظهر له وأنبأه بأن سيكون هادياً لآل إسماعيل إلى الدين المسيحي. كذلك قالوا أن بحيرا كان معلماً لمحمد ومصاحباً له بعد رسالته، وأن محمداً ما حرم الخمر إلا لأنه قتل أستاذه بحيرا وهو سكران (١).

الهدف من الشبهة والتي قبلها، وما كان على شاكلتها:

إن مقصد من كتب هذه الشبهة وأمثالها هو إثبات عدم صحة النبوة المحمدية لا غير، وقد اخترعوا هذه الأكاذيب على أمل إدخال الريب والشبهات في نبوة محمد ﷺ وفي نزول الوحي عليه.

مناقشة الشبهة

إذا أردنا أن نناقش هذه الشبهة فلا بد من بحث النقاط التالية:

١- من هو الراهب بحيرا.

٢- متى لقيه النبي ﷺ وكم كان عمره.

٣- ما هو موقف قريش من هذه الحادثة.

٤- موقف بعض المستشرقين منها.

١- بحيرا: بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصوراً، وقيل ممدوداً.

هو جرجس، بكسر الجيم

وقيل أنه كان نصرانياً من عبد القيس، وهذا ما رجحه ابن إسحاق. يقال بأنه سمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف: ألا أن خير أهل الأرض ثلاثة: بحيرا، ورباب الشنى، والثالث: المنتظر، فكان الثالث رسول الله ﷺ (٢).

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج١١/١٦٩؛ الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص٩٥.

(٢) الإصابة، ابن حجر، ح١/١٢٩؛ سيرة ابن هشام، ج١/١٨٠؛ الروض النف، السهيلي، ج١/٢٠٥، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية.

وقد جاء في سيرة ابن هشام بأن هذا الراهب كان يقيم ببصرى من أرض الشام في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة على مدار الدهر راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر [١].

٢- متى لقيه النبي ﷺ وكم كان عمره:

أ- لما تم له عليه الصلاة والسلام من العمر اثنا عشرة سنة، وقيل تسع سنين [٢]، سافر عمه أبو طالب إلى الشام في ركب للتجارة فأخذه معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، مروا على راهب هناك يقال له بحيرا، وكان عليماً بالإنجيل خبيراً بشؤون النصرانية، وهناك أبصر بحيرا النبي ﷺ فجعل يتأمله ويكلمه، ثم التفت إلى أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ فقال: ابني (وكان أبو طالب يدعوه بابنه لشدة محبته له وشفقته عليه)، فقال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام حياً. فقال: هو ابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به. قال بحيرا: صدقت فارجع به إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه هنا ليبلغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به أبو طالب عائداً إلى مكة [٣].

وتعليقاً على هذه الرحلة نقول إن النبي ﷺ لم يخرج في هذه الرحلة لدراسة دين أو فلسفة، ومن كان عمره تسعا أو اثنتي عشرة سنة فماذا يدرس وماذا يحصل من العلم في جلسة زمنها قصير، إنه إنسان أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يتكلم لغة غير العربية، ثم إنه في هذه الرحلة لم يلق من يتحدث معه في المسائل الدينية.

لقد ذكرت كتب السير والتاريخ بعض الخوارق لرسول الله ﷺ في رحلته، وذكرت أنه

---

(١) سيرة ابن هشام، ج١/١٨٠-١٨١.

(٢) المرجع السابق، ج١/١٨٠ الهامش؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج٢/٢٢٩؛ الروض الانف، السهيلي، ج١/٢٠٦، ط١.

(٣) سيرة ابن هشام، ج١/١٨٠ وما بعدها باختصار.

التقى بالراهب بحيرا الذي تفرس فيه ورأى معالم النبوة في وجهه وبين كتفيه، فلما سأل أبو طالب عنه: ما هذا الغلام منك؟ قال ابني. قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حياً. قال أبو طالب: فإنه ابن أخي مات أبوه وأمه حبلى به. قال: صدقت، ارجع به إلى بلدك واحذر عليه اليهود.

ثم نقول لأولئك الطاعنين: إن هذه القصة لم تخلف بعدها أثراً، فلا محمد عليه الصلاة والسلام تشوق للنبوة أو استعد لها من أجل كلام الراهب. ولا أصحاب القافلة تذاكروا هذا الحديث أو نقلوه إلى أهل مكة، لقد طويت الأخبار كأن لم تحدث، فلو أن قريشا علمت أن محمداً ﷺ أخذ شيئاً مما جاء به عن هذا الراهب، هل يمكن أن تسكت عنه، وهي الحريصة على أن تمسك عليه هفوة واحدة من أجل الطعن فيما جاء به.

ب- ولما بلغ من العمر خمساً وعشرين عاماً سافر مرة أخرى إلى بلاد الشام في تجارة لخديجة رضي الله عنها، وذلك لما بلغها عن رسول الله ﷺ ما يتحلى به من صدق الحديث، وعظم الأمانة، وكرم الأخلاق، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب[1] من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي[2].

بعد ذكر هاتين الرحلتين اللتين قام بهما الرسول ﷺ في سن طفولته وشبابه إلى قرية بصرى ببلاد الشام، ولم يتجاوزها إلى داخل البلاد.

فإن منكري نبوة محمد ﷺ يرددون ما قاله أخوانهم سابقا مما أشار إليه القرآن

---

(١) كان اسم هذا الراهب نسطورا وليس هو بحيرا المتقدم ذكره، سيرة ابن هشام، ج١/١٨٨.

(٢) سيرة ابن هشام، ج١/١٨٨، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الكريم: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ [(١)].

لقد جاء المستشرقون وتلقفوا هذه الشبهة، وقالوا بأن محمداً أخذ القرآن عن ورقة بن نوفل، ومنهم من قال أخذ القرآن عن بحيرى الراهب في رحلته إلى بلاد الشام. فنقول لهم:

١- القرآن إنما كان معجزاً لما فيه من الفصاحة العائدة إلى اللفظ، فهو معجز بلفظه كما هو معجز بمعناه، فإن زعمتم أن بحيرى يعلمه معناه، فكيف يعلمه هذا النظم الذي أعجز جميع أهل الدنيا.

٢- إن هؤلاء المستشرقين أعداء لرسول الله ﷺ وهم لا يؤمنون برسالته. ومتى كان الأمر كذلك فإن شهادتهم لا تقبل وهي ضرب من الهذيان.

٣- إن أمر التعليم لا يتأتى في جلسة واحدة ولا يتم في الخفية، بل التعليم إنما يتم إذا اختلف المعلم إلى المتعلم أزمنة متطاولة ومدداً متباعدة، ولو كان الأمر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق أن محمداً عليه السلام يتعلم العلوم عن ورقة أو عن بحيرى أو عن غيرهما.

٤- إن العلوم الموجودة في القرآن متعددة وكثيرة وتعلمها لا يتأتى إلا إذا كان المعلم في غاية الفضل والتحقيق، فلو حصل فيهم إنسان بلغ في التعليم والتحقق إلى هذا الحد لكان مشاراً إليه بالأصابع في التحقيق والتدقيق، فكيف يمكن تحصيل هذه العلوم من عند ورقة الذي كان منعزلاً على نفسه، أو من عند بحيرى الذي أقام في صومعته، أو من بيسار الرومي، أو جبير ابن مطعم، أو من عند فلان وفلان.

إن الطعن في نبوة رسول الله ﷺ بمثل هذا الكلام الركيك السخيف لهو دليل راجح على قوة حجة رسول الله ﷺ حيث عجز الخصوم عن مجاراته فلجأوا إلى الطعن في نبوته [(٢)].

٥- لقد جاءت روايات المستشرقين مختلفة، فمرة يقولون يعلمه القرآن ورقة، ومرة

---

(١) سورة النحل، آية ١٠٣.

(٢) انظر تفسير الرازي، ج١٠/١٢٠-١٢١، ط٢، ١٤٠٣، ١٩٨٣، دار الفكر.

أخرى بحيرى، وثالثة جبير بن مطعم، ورابعة بيسار، وخامسة سلمان... الخ، واختلاف الروايات يدل على أن التهمة لم يتفق عليها أصحابها ولم تكن محكمة.

٦- بينت روايات السيرة أن عمر النبي ﷺ كان في المرة الأولى تسعاً، أو اثنتي عشرة سنة، فهل يعقل أن طفلاً في جلسة بسيطة يعي ويستوعب ما يمليه عليه بحيرى، علماً بأن هذه المقابلة كانت بحضور جميع أفراد القافلة، وفي الرحلة الثانية كان له من العمر خمساً وعشرين عاماً ومعه ميسرة يرافقه في سفره، ولم يتكلم بشيء إلا ما شاهده من عناية الله بمحمد، ولم يجتمع في هذه الرحلة مع راهب، فلماذا يعمل أعداء الله على إنكار معجزة الله لنبيه من أجل حقد دفين في نفوسهم على الإسلام ورسوله وكتابه، ثم نقول لهم لماذا خص هذا الراهب محمداً بالذات وأعطاه هذا التشريع، ولم يعطه لأهله وولده وأصحابه، أو يدعيه لنفسه. لماذا يعطي هذه الشهرة لمحمد ﷺ؟ أليس بحيرى أولى بذلك من محمد؟؟

٧- إن بحيرى وورقة وأضرابهم لم يعاصروا التسلسل الزمني للأحداث التي وردت في كتاب الله، فأين ورقة أو بحيرى من سؤال يوجه للنبي ﷺ من يهود المدينة، أو من كفار قريش، ثم يأتي الجواب في حينه، فهذا أمر ينفي ما يزعمه أعداء الإسلام من أن القرآن من عند هؤلاء، فلو كان جزء منه عندهم لكانت الحوادث التي جرت بعدهم تخالف في الأسلوب الحوادث الأولى.

٨- إن بحيرى راهب نصراني، وورقة رجل نصراني، وآيات القرآن تخالف النصارى في أمور كثيرة، في نظرتهم إلى المسيح، فهل يعقل أن يقول ورقة أو بحيرى؟؟

ونوجه سؤالاً إلى أولئك المستشرقين الذين يجادلون في مصدر القرآن ويرون أنه مأخوذ عن بحيرى النصراني وغيره من البشر ما المانع أن يكون مصدر القرآن من عند الله كما كان مصدر التوراة والإنجيل من عند الله. ثم ما المانع أن يكون هذا الكتاب هو خاتم الكتب الذي أقام الاتصال بين السماء والأرض على مدى تاريخ البشرية.

لماذا تحرمون على الإسلام ما تبيحونه لأنفسكم؟! لا أرى جواباً لذلك غير التعصب

الذميم والكراهية. «لقد جاء القرآن الكريم بما هو أعلى وأوسع وأكمل من كل المعلومات التي كانت لدى بحيرى الراهب نسطور ولدى كل النصارى واليهود في شتى بقاع العالم، دع الأعراب الذين كان يمر بهم النبي ﷺ بالطريق إلى الشام أو حضرهم.

لقد جاء القرآن مصدقاً لكتب أهل الكتاب من حيث كونها في الأصل من وحي الله إلى موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم، ونزل أيضاً مهيمناً عليها، أي رقيباً وحاكماً. قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ (١).

شهادة بعض المستشرقين ببطلان هذه الفرية:

إذا كان غالب رجال الاستشراق قد ملأ الحقد قلوبهم على الإسلام وأهله، فإن هناك طائفة حاولت الإنصاف في بعض الأمور، وها هو المستشرق كارادفو (Karadfo) تعرض إلى خرافة الراهب بحيرى التي يزعم بعض المستشرقين أنه هو الذي كان علم محمداً العقيدة، وهو الذي ألّف القرآن، وقال إن هذه الأسطورة موجودة، وإنها مكتوبة بالعربي، وقد نشرت عنها فصلاً في مجلة (الشرق المسيحي)، وإن هذه الخرافة ليس فيها شيء يستحق الاعتبار، ولكنه لا يزال في سورية قسيسون من الفئة التابعة لرومة يعتقدون بأن بحيرا كان معلماً لمحمد، وأنه هو الذي لقنه القرآن (٢).

ثم نقول: كيف لا تكون هذه القصة خرافة، حيث أنها تجعل راهباً أعجمياً ينطق بمثل القرآن الذي عجز البلغاء والفصحاء والشعراء عن مجاراته ووقفوا حائرين أمام إعجازه.

إنها قصة وصفها أصحاب دائرة المعارف الإسلامية -وهم غير مسلمين ولا مدافعين

---

(١) سورة المائدة، آية ٤٨.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، ج١/ ٤٠، ط٤/ ١٣٩٣، دار الفكر، بيروت.

عن الإسلام- بأن مقصد من كتبوها هو إثبات عدم صحة النبوة المحمدية لا غير [١].

ومن المستشرقين الذين حملوا على هذه الخرافات التي نشرها بعض إخوانهم ضد رسول الإسلام، المستشرق الإنجليزي كارليل (Karlyl) وقد شدد النكير على المطاعن الأثيمة التي نشرها رجال الكنيسة وألصقوها بأذهان الأوروبيين في حق الرسول العربي الكريم [٢].

وأخيراً نسوق ما قاله الدكتور محمد عبدالله دراز في الرد على هؤلاء الحاقدين على الإسلام وكتابه، حيث يقيم عليهم الحجة بأن قريشاً وهم أعرف الناس بمحمد، وأحرص الناس على إبطال دعوته، لكنهم لم يقولوا بهذا القول، ولم يوجهوا إليه هذه الفرية.

هؤلاء قوم محمد ﷺ وهم كانوا أحرص الناس على خصومته وأدرى الناس بأسفاره ورحلاته، وأحصاهم لحركاته وسكناته، قد عجزوا كما ترى أن يعقدوا صلة علمية بينه وبين أهل العلم في عصره، فما للملحدين اليوم وقد مضى نيف وثلاثة عشر قرنا انقضت منها سوق الحوادث، وجفت الأقلام، وطويت الصحف، لا يزالون يبحثون عن تلك الصلة في قمامات التاريخ، وفي الناحية التي أنف قومه أن ينبشوها [٣].

كتب المستشرق هوارت (Hoart) بالجريدة الآسيوية عدد يوليو/ أغسطس سنة ١٩٠٤ بعنوان: مصدر جديد للقرآن، حيث قال في آخر هذا البحث: «لا تسمح النصوص العربية التي عثر عليها ونشرت وبحثت منذ ذلك الوقت بأن نرى في الدور المسند إلى هذا الراهب السوري إلا مجرد قصة من نسج الخيال [٤].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، ج١/٤١.

(٢) المرجع نفسه، ج١/٤٢.

(٣) النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، ص٦٦، ط٢، ١٣٩٠، ١٩٧٠، دار القلم، الكويت.

(٤) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبدالله دراز، ص١٣٤، دار القلم، الكويت.

٣- دعوى أخذ القرآن عن جبير بن مطعم ورفيقه بيسار: إن هذه الدعوى باطلة من وجوه:

إن جبير بن مطعم ورفيقه بيسار الرومي لم يكونا عربيين وفي لسانهما لكنة، فمن ذا الذي علم محمداً ﷺ هذا القرآن الذي تحدى به الجن والإنس، ومنهم أهل الفصاحة من العرب، فعجزوا عن الإتيان بسورة من مثله؟ إن هذا القرآن ليشير إلى أنه وحي من الله.

يقولون إنه كان يوجد في ضواحي مكة بعض أفراد من المغامرين الرومان أو الزنوج الأحباش، بائعون للنبيذ، أو كادحون يقطنون الأحياء المنزوية. ويقولون أيضاً أن الإنجيل درس في الحانات لعقليات خام [١].

وهنا نقول: هل كان التقاء محمد بالأفكار الدينية في أماكن الحانات والخمارات وغيرها من الأماكن القذرة، إن هذا الكلام باطل من وجوه:

الأول: التاريخ يحدثنا عن شواغل النبي ﷺ وأحواله بكل صراحة، فهو تارة يرعى الغنم، وتارة يخرج في التجارة، وتارة يعيش في المجتمع العام مع زعماء قريش.

ثم إن التاريخ يؤكد لنا نزاهة النبي ﷺ وترفعه عن هذه الأماكن القذرة، وقبيح العادات، فهل يعقل أن يتردد النبي ﷺ إلى هذه البيئة الهابطة.

الثاني: إن هذا الصنف الذي أشار إليه المستشرقون من سقط الناس، فهم يجهلون دينهم، فكيف بهم يعلمون غيرهم [٢]، علماً بأن لغتهم الأجنبية تقف حاجزاً طبيعياً أمام النبي ﷺ.

ويقول د. الدراز أيضا: لقد وجدوا أنفسهم مضطرين أن يلتمسوا شخصاً يتحقق فيه شرطان:

أحدهما: أن يكون من سكان مكة نفسها لتروج عنهم دعوى أنه يلاقيه ويملي عليه بكرة وأصيلا.

وثانيهما: أن يكون من غير جلدتهم وملتهم ليمكن أن يقال إن عنده علم ما لم يعلموا، وقد التمسوا هذه الأوصاف فوجدوها. أتدري أين وجدوها؟..... في حداد رومي.

---

(١) المرجع السابق، ص١٣٤، نقلاً عن مقال هوارت، ص١٣١.

نعم، وجدوا في مكة غلاماً تعرفه الحوانيت والأسواق، ولا تعرفه تلك العلوم في قليل ولا كثير، غير أنه لم يكن أمياً ولا وثنياً مثلهم، بل كان نصرانياً يقرأ ويكتب، فكان من أجل ذلك خليقاً في زعمهم أن يكون أستاذاً لمحمد، وبالتالي أستاذاً لعلماء اليهود والنصارى والعالم أجمعين، ولئن سألتهم هل كان ذلك الغلام فارغاً لدراسة الكتب وتمحيص أصيلها من دخيلها ورد متشابهها إلى محكمها، وهل كان مزوداً في عقله ولسانه بوسائل الفهم والتفهيم، لعرفت أنه كان حداداً منهمكاً في مطرقته وسندانه، وأنه كان عامي الفؤاد لا يعلم الكتاب إلا أماني، أعجمي اللسان، لا تعدوا قراءته أن تكون رطانة لا يعرفها محمد ولا أحد من قومه، لكن ذلك كله لم يكن ليحول بينه وبين لقب الأستاذية الذي منحوه إياه على رغم أنف الحاسدين [1].

نقول أن أعداء الإسلام في فريتهم هذه خرجوا عن وقار العقل فصار مثلهم كمثل الذي يقول «إن العلم يستقى من الجهل، وإن الإنسان يتعلم كلامه من الببغاء» ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ [2].

والحقيقة أن أعداء الإسلام قد زادوا القرآن بهذا الاتهام قوة إلى قوته، ذلك أنهم حين خرجوا يلتمسون واحداً من البشر يمكن أن ينسب إليه هذا العلم المحمدي لم يستطيعوا أن يقترضوا له مصدراً تعليمياً خارج حدود قريته، بل كان آخر جهد بذلوه من حيلتهم وآخر سهم رموه من كنانتهم أن جاءوا من بين ظهرانيهم بغلام رومي، فياليت شعري لو كان لهذا الرومي خليقاً أن يكون مرجعاً علمياً كما أرادوا أن يصفوه، فما الذي منعهم أن يأخذوا عنه كما أخذ صاحبهم؟ وبذلك كانوا يستريحون من عنائه ويداوونه من جنس دائه، بل ما منع ذلك الغلام أن يبدي للعام صفحته فينال في التاريخ شرف الأستاذية، أو يتولى بنفسه تلك القيادة العمالية؟ [3].

---

(١) النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، ص١٦٤، ط٢، ١٣٩٠، ١٩٧٠.

(٢) سورة النحل، آية ١٠٣.

(٣) النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، ص٦٥، ط٢، ١٣٩٠، ١٩٧٠.

٤- دعوى أخذ القرآن عن الشاعر أمية بن أبي الصلت:

إن مسألة تأثير القرآن بالمصادر العربية الخالصة مسألة اعتنى بها المستشرقون، فقد كان هؤلاء يرون أن القرآن تأثر باليهودية والنصرانية، ومذاهب أخرى كانت منتشرة في عرض البلاد العربية وطولها، وفي البلاد المجاورة.

ولكنهم رأوا أن يضيفوا إلى هذه المصادر مصدراً عربياً خالصاً، والتمسوا هذا المصدر من شعراء العرب الجاهليين، لا سيما الذين كانوا يتحتفون منهم، وقد زعم المستشرق كليمان هوار (C. Huart) في فصل نشرته المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤ بأنه قد ظفر من ذلك بشيء قيم، واستكشف مصدراً جديداً من مصادر القرآن، هذا الشيء القيم، وهذا المصدر الجديد هو شعر أمية بن أبي صلت، وقد أطال هوار في البحث وقارن بين هذا الشعر الذي ينسب إلى أمية بن أبي الصلت، وبين آيات من القرآن وانتهى من هذه المقارنة إلى نتيجتين:

الأولى: أن هذا الشعر الذي ينسب لأمية بن أبي الصلت صحيح لأن هناك فروقاً بين ما جاء فيه، وما جاء في القرآن من تفصيل بعض القصص ولو كان منحولاً لكانت المطابقة تامة بينه وبين القرآن، وإذا كان هذا الشعر صحيحاً، فيجب في رأي المستشرق هوار أن يكون النبي ﷺ قد استعان به قليلاً أو كثيراً في نظم القرآن.

الثانية: أن صحة هذا الشعر، واستعانة النبي به في نظم القرآن قد حملت المسلمين على محاربة شعر أمية بن أبي الصلت، ومحوه ليستأثر القرآن بالجدة، وليصح أن النبي قد انفرد بتلقي الوحي من السماء[(١)].

وقد تلقف هذه الشبهة أحد تلاميذ المستشرقين وهو الأستاذ طه حسين، فقال بعد ذكر هذه الشبهة: «ليس يعنيني أن يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية أو لا يكون وأنا لا أتعرض للوحي وما يتصل به، ولا للصلة بين القرآن، وما كان يتحدث به اليهود والنصارى، بل كل ذلك لا يعنيني الآن»[(٢)].

---

(١) في الشعر الجاهلي، طه حسين، ص٨١-٨٢؛ الأدب الجاهلي، طه حسين، ص١٤٢.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٨٣؛ الأدب الجاهلي، ص١٤٣.

من أجل الرد على هذه التهمة الباطلة التي يزعم أصحابها أن النبي ﷺ تأثر بشعر أمية فإننا سنفترض افتراضين رددهما المستشرقون ومن نحى نحوهم، فإذا أجبنا عليهما زال الإشكال:

الأول: أن يكون الرسول ﷺ أخذ أفكاره عن أمية.

الثاني: أن يكون الرسول ﷺ وأمية أخذا من مصدر واحد.

أما الافتراض الأول فيظهر بطلانه بما يلي:

١- إن أمية كان شاعراً ولم يدع في يوم من الأيام أنه يوحى إليه، ولم ينقل ذلك عنه، بل إنه كان يسمع غيره في جزيرة العرب يقول بأن نبياً سيبعث هذا زمانه، فكان يتمنى أن يكون ذلك النبي وعندما ظهرت النبوة في قريش، وقام بالدعوة محمد بن عبدالله ﷺ أدركه الحسد، وزين له الشيطان سوء عمله، فصده عن السبيل فلم يسلم، وبالغ في العداء للمسلمين ورثى قتلى بدر من المشركين [١].

بينما في المقابل نجد أن النبي عليه الصلاة والسلام أعلن من أول يوم نزل عليه الوحي أنه رسول من عند الله إلى الناس كافة، وأنه لم يتلقى علمه من البشر، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً» [٢].

ثم قام وتحدى الناس بالقرآن وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن الاتيان بمثله، أو بعشر سور، أو بسورة، فلو أن قريشاً سمعوا أن محمداً أخذ القرآن عن أمية، واقتبس شعره فماذا يكون موقفهم منه. إنهم سيعلنون للدنيا قاطبة بأن محمداً قد سرق من أمية وأخذ عنه أفكاره التي يدعى الأصالة فيها.

٢- إن أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي عاش في الطائف واتصف بالدهاء، وكثرة الأسفار في البلاد [٣] والطمع في النبوة [٤]. ما كان يسكت ويصمت لو أنه وجد أن أفكاره

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ج١/١٣٦، طبعة طهران، سنة ١٩٧٠؛ الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، ج٤/١٢٢-١٢٣، مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٢/٦١، دار صادر، بيروت.

(٣) الجيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج٢/٣٢٠، مصطفى البابي الحلبي؛ الأغاني، ج٤/١٢٣.

(٤) الأغاني، ج٣/١٢٢، مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

أخذها محمد ﷺ ووضعها في القرآن. كما أنه لا يغيب عن الذهن أن أمية عاصر النبي ﷺوسمع القرآن منه كما سمع غيره، فلو كان القرآن ترديداً لأفكاره لأعلن ذلك للدنيا كاملة ولكن كل ذلك لم يكن.

٣- القرآن الكريم تحدى به النبي ﷺ قريشاً والدنيا بكاملها، فعجزوا فهل شعر أمية يتحدى به، بل ما مستوى شعر أمية من شعر غيره من الشعراء الجاهليين والإسلاميين في صدر الإسلام، ولقد رأيناهم حين طبقوا الشعراء جعلوا امرئ القيس وزهيراً والنابغة والأعشى في طبقة [١]، فهل جعل أهل هذا الفن شعر أمية من طبقة هؤلاء الشعراء؟ لا فقد جعلوا هؤلاء الشعراء في الطبقة الأولى، وجعلوا أمية في الطبقة العاشرة والأخيرة [٢]، وحتى لو جعلوه من طبقتهم، ألا يمكن معارضة شعره؟ فإن لهم أكفاء ونظراء يمكن أن يقولوا مثل شعرهم، أو ما هو أحسن.

يقول أحمد حسن الزيات عن شعر أمية: «أكثره قلق اللفظ، سخيف النسج، نابي القافية [٣]، فإذا كانت هذه هي صفة شعر أمية فكيف يمكن أن يوازن بالقرآن الكريم الذي عجز العرب عن معارضته وهم فرسان البلاغة؟ وكيف يكون القرآن من صنع محمد ﷺ اقتبس أفكاره من شعر أمية الذي اتصف بالركاكة، وضعف الأسلوب، مما تقدم يظهر لنا فساد الافتراض الأول ويبقى الافتراض الثاني (وهو أخذ محمد وأمية من مصدر آخر). إن هذا الافتراض فاسد من وجوه:

الأول: لو أن النبي ﷺ أخذ من المصدر الذي أخذ منه أمية شعره، فإن أمية لن يسكت على ذلك، وإنما سيعمل على كشف هذا الأمر للناس جميعاً.

الثاني: لو أن محمداً ﷺ أخذ من المصدر الذي أخذ منه أمية فإن قريشاً أيضاً لن تسكت

---

(١) ثلاث رسائل في الإعجاز، الرسالة الشافية، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ص١٣٣، ط/٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.

(٢) طبقات الشعراء، ابن سلام الجمحي، ص٧٢، دار الفكر للجميع.

(٣) تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص٧٦-٧٧، ط٢١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

على ذلك، ولاتخذت ذلك حجة على الرسول ﷺ، فإنهم كانوا يوردون عليه ما هو أضعف وأسخف من هذه الشبهة، كما أن هناك فارقاً بين النبي ﷺ وبين أمية، فالنبي ﷺ أمي لم يطلع على كتب اليهود والنصارى، ولم يخرج خارج الجزيرة إلا إلى بصرى الشام، بينما نجد أمية يتصف بالقراءة والكتابة والاطلاع على كتب اليهود والنصارى وكثرة الأسفار (١).

فإذا ثبتت هذه الأمور بطل الاحتمال الثاني، وثبت أن القرآن كلام الله لا صلة بينه وبين شعر أمية.

أقوال بعض العلماء في الرد على المستشرقين القائلين بأن محمداً جمع أفكاره الدينية من بعض الشعراء

يقول محمد عبدالله دراز: «ونلاحظ أولا أن القرآن يوضح لنا أن الرسول لم يكن يألف الشعر بوجه عام، بحيث اعتبره القرآن بالنسبة للرسول لهواً لا يليق بشخصه ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ (٢).

ونمر على هذه النقطة بسرعة، ونتساءل عن هذا التعليم الذي يمكن أن يخرج من هذا النوع من الأدب؟ وهنا نجد اتجاهين في الأدب الجاهلي:

الأول: وهو أن بعض الشعراء، مثل الأعشى، كان يهتم بوصف التقاليد والطقوس الكنسية، وهو ما لا نجد له أثراً في القرآن، بل لقد كان اهتمام هؤلاء الشعراء ينصب أكثر على شرب الخمر، الذي سيوجه إليه القرآن ضربته القاضية بدلاً من تحبيذه، فالقرآن لا ينتمي إذن إلى هذه الفئة.

أما النوع الثاني من الشعر: فقد كان يكاد يتخصص تماماً في الأفكار الدينية، وقصائد أمية بن أبي الصلت أصلح نموذج لهذا النوع حيث نقابل موضوعين أساسين هما: وصف الحياة الأخروية، وقصص الديانات القديمة، وفي بعض المواضع بنفس عبارات القرآن، فلماذا لا نرى هنا النموذج الذي أخذ عنه محمد؟ وإذا حالف التوفيق محاولة إثبات هذه

---

(١) الأغاني، ج٤/١٢٣، ط، مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

(٢) سورة يس، آية ٦٩.

العلاقة، سيكون ذلك أهم اكتشاف علمي، يخفف عنا عبء التفسيرات الغيبية ولو جزئياً، وستكون نظرة الكتّاب الذين اعتبروا شعر أمية الحلقة بين القرآن والتوراة نظرة صائبة.

ولكي نتمسك بهذه الحجة لا شك أن أول شرط يطلب إثباته أو طرحه، هو صحة الشعر موضوع البحث، ولكننا لا ننوي أن نثير أي خلاف على هذه النقطة، فإذا كان هناك بعض جامعي الشعر، مثل حماد وخلف الأحمر، قد اشتبه في أنهم لفقوا بعض الأشعار ونسبوها إلى القدماء بعد أن خلطوها بشعر هؤلاء، فإن تعميم هذا العمل المشبوه، بحيث يشكل كل الشعر العربي أو الجاهلي على الأقل، يتضمن نوعاً من المبالغة.

إلا أنه لا يكفي ذلك أن يكون صحيحاً لكي يمكن اعتباره مصدراً للنص المشابه له، وإنما يجب أن يكون سابقاً له في التاريخ، ولكن قضية أسبقية شعر أمية بالنسبة لآيات القرآن قضية مستحيلة الحل، لأن محمداً وأمية قد عاصر كل منهما الاخر. وهما أيضاً من نفس العمر تقريباً، فضلاً عن أن أمية عاش واستمر في قرض الشعر طوال ما يقرب من ثماني سنوات بعد نزول آخر آية من سور القرآن المكية التي يوجد تشابه بينها وبين شعر أمية، بحيث يكون من التعسف الادعاء بأن هذا الشعر كان سابقاً للقرآن من حيث التاريخ.

ونضيف أن أمية لم يدع الأصالة ولا الإلهام، بل أنه كثيراً ما عبر عن خيبة أمله وأسفه في هذا الشأن، مما يحملنا على الاعتقاد بأنه قد اندفع إلى التقليد بروح المنافسة وعلى عكس ذلك لقد أعلن محمد ﷺ على مسمع من جميع معاصريه بأنه لم يتلق علمه من بشر، ولنأخذ في اعتبارنا موقف خصوم النبي في هذا الموضوع. فلقد كانوا دائماً على يقظة لأقل ثغرة ليوجهوا من خلالها ضربتهم، ويحولوها إلى سخرية واستهزاء، ألم يكن من الأيسر لهم أن يضعوا يده على مسروقاته المفضوحة من شعر أمية الذي لم يكن قد جف مداده، بدلاً من أن يوجهوا حججهم في كل اتجاه، وأن يلجأوا إلى كل افتراض، وصل إلى حد وصم الرسول بالجنون لتفسير ظاهرة القرآن العجيبة [(١)].

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبدالله دراز، ص١٤٢-١٤٤، دار القلم، الكويت.

ثم يخلص إلى نتيجة مهمة فيقول: ومن هذا نخلص -إن لم يكن بتأكيد- فعلى الأقل باحتمال كبير بأن القرآن هو الذي كان أساس الانتاج الأدبي في عصر نزوله، كما كان يقيناً أساسه في العصور التالية، ولا يضير فن الشعر في شيء أن نشكك في أصالة مصادره، بعكس ما قد يحدث إذا قلنا نفس الشيء عن مذهب ديني لأن الشاعر لا يركز اهتمامه في الحقيقة التي يعلنها، بقدر ما يركز في جمال القالب الذي يقدمها فيه، بغض النظر عن المصدر الذي يبحث فيه عن خاماته سواء في حكمة القدماء أو المعاصرين في وقائع تجاربه أو في الرأي العام، في أي شعور أو خيال، مهما كانت درجة هبوطه، ولقد أثبت نقد شعر أمية بصفة خاصة، أنه يرجع إلى عدة مصادر مختلفة -وهذا ما لاحظه هوارت- فعندما يتكلم الشاعر عن وصف الجنة يستخدم عبارات القرآن، وعندما يقص التاريخ الديني يلجأ أحياناً إلى الأسطورة الشعبية، وإلى ما يشبه الأساطير الميثولوجية (أو أساطير الإلهية اليونانية) حيث يتمثل الشخص أحياناً في صورة إنسان، وأحياناً في صورة حيوان أو نبات (١).

وأما بهجة عبد الغفور، فقد قسم شعر أمية إلى قسمين:

أ- قسم يظهر عليه أثر الحنيفة والكتب المقدسة كالتوراة والإنجيل.

ب- وقسم يظهر عليه أثر القرآن.

ثم يقول بعد هذا التقسيم:

أما القسم الأول فأنا أميل إلى أن يكون له، كما يظهر من لغته وأسلوبه ومعانيه.

وأما القسم الثاني: فأنا أميل إلى أن يكون منحولاً عليه وهذا واضح أيضاً من ركاكة لغته وضعف صياغته وأسلوبه المستمد من القرآن (٢).

ومن المفارقات العجيبة هنا أن المستشرقين وأتباعهم -الذين يزعمون أن النبي ﷺ

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٤.

(٢) أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، دراسة وتحقيق بهجة عبد الغفور، ص١٢٦-١٢٧، مطبعة العاني، بغداد.

قد تأثر بأمية بن أبي الصلت- يعملون على إثبات تلك الصلة بينهما دون دليل عقلي أو سند تاريخي يدل على ذلك من حياة الرسول ﷺ [(١)].

لماذا يستكثرون على أمية أن ينظم بعض القصص التي قرأها من التوراة والإنجيل، وهو باعترافهم قد جالس الراهبات، ولبس المسوح، وقرأ الكتب القديمة، وتجول في البلدان.

ادعاء بعض المستشرقين أن أمية اشترك مع النبي في ثقافة واحدة:

أنكر المستشرق الألماني فريدرك سولتهيس (Frydrk Solthys) الذي جمع شعر أمية وطبع ديوانه سنة ١٩١٠، رأي كليمان هوار (Hoar) في قوله: «أن محمد استعان بشعر أمية بن أبي الصلت، ولكنه يرى أنهما اشتركا في ثقافة واحدة، ونقلا عن مصدر واحد، ويرفض هذا المستشرق عقيدة والمسلمين في أمية ومحمد ﷺ وعدم اتصال القرآن على هذا بأساطير أدبية قديمة، ويزعم أن نشأة القرآن من طريق الوحي، كما يعتقد المسلمون من الأساطير التي تعد من الغرابة بمكان» [(٢)].

يقول محمد هاشم عطية في الرد على هذه الشبهة: «ومن العجب أن يكون ذلك البحث العقيم مذهباً لغير واحد من علماء الأجانب، وأنت ترى لجمعياتهم العلمية وجهودهم الغزيرة من الأثر على العلم والأدب وسائر نتائج العقول البشرية ما لا يجهل، لأن من المعلوم أن القصص في القرآن، وإن وجد منه شيء في الشعر أو كان متفقاً مع ما وردت به شرائع المتقدمين، إنما يجيء دائماً على نمط يخالف مذاهب المؤرخين في توخيهم لسرد الحوادث كما هي من غير محاولة لزيادة أو نقص، فهو يرمي إلى اتخاذ الماضي وسيلة إلى العبرة وطريقاً إلى تقرير قواعد النظام والتنبيه إلى مواطن الانتفاع بأدق

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة من المستشرقين، ج٢/ ٦٦٠-٦٦٢، انتشارات جيهان، طهران.

(٢) الأدب العربي وتاريخه في العصر الحديث، محمد هاشم عطية، ص٣٥٢، مطبعة الحلبي، ١٩٣٦.

أساليب الاجتماع» [1].

ثم يستشهد هاشم عطية بقصة إبراهيم وسليمان عليهما السلام وبلقيس، ليبين أن الغاية من نظم هذه القصص في القرآن الكريم لم يكن تأليف تاريخ ولا حكاية حال كما يفعل شعراء القصص وكتّاب الأساطير، وإنما الغرض هو إثارة العقول إلى النظر في حقائق الأديان وتوجيه الفكر إلى نشأة العقيدة، والتأمل في كيفية تطورها في الأجيال الماضية، والإشارة إلى تألية الإنسان القديم لكثير من الظواهر الكونية، بسبب ما كانت تثيره في نفسه من القلق والرعب حتى يتبين له من تغيرها وطروء الفساد عليها عدم استحقاقها للعبادة، وهو مسلك المنطق السليم في بلاغة الاستدلال وإلزام الحجة، ويتكرر القصص ليتكرر معه ما يتصل به من العظة وليحكي من جديد ناحية أخرى من الحكمة مع الرقي إلى الإحسان والخروج عن طوق البشر بوجوه الإعجاز ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [2] [3].

ثم يقول: فكيف يسوغ بعد هذا أن يقرن أمية إلى محمد ﷺ، أم كيف يوضع شعره مع كتاب الله؟ ولقد كنّا في غنى عن الاستدلال على فساد هذا الوهم لولا أن بعض الذين يزعمون الولاية على الأدب من أهل زماننا يقلدون أولئك المتعصبين في هذه السخافات من غير نظر كأنهم لا يعلمون عن نشأة الإسلام شيئاً، ولا يعرفون عن صاحب الدعوة قليلاً ولا كثيراً، وكأنهم لا يشعرون بآثار الثقافة الإسلامية في مدنية العالم الحديث، وكأن الأوروبيين لم يصيخوا إلى خطباء العرب على منابر قرطبة وإشبيلية، وكأنهم لم يفسحوا الطريق لحضارة الإسلام تجتاح ما كان يطبق آفاقهم في عصورهم المظلمة من الجهالات،

---

(١) المرجع السابق، ص٣٥٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٥٣.

(٣) سورة النساء، آية ٨٢.

وأين الذين استجابوا لأمية بن أبي الصلت أو لسواه، وهو لم يخل حتى من عقوق بنيه، وقد شكا ذلك في شعره، والله لقد جعل لمحمد رسوله من صفاء الروحانية وقوة النفس ما كان به يحوّل طبائع الناس، ويبدل ما في جبلاتهم من الإباء إلى الطاعة، ومن البغض إلى المحبة، ومن الكفر إلى الإيمان، حتى بلغ بأتباعه أنهم كانوا يحبونه أكثر من محبتهم لأنفسهم وأبنائهم، ولقد عذبوا في سبيله وأوذوا وقاتلوا وقتلوا، وأخرجوا من ديارهم، ولم يزدهم ذلك إلا استمساكاً به وإيماناً بشريعته ومضياً إلى الجهاد معه حتى بلغ الكتاب أجله [(١)].

ثم تأتي دائرة المعارف المسماة بالإسلامية وتؤكد هذه الفرية بأن أمية ومحمداً ﷺ، قد أخذا من مصدر واحد هو تأثير البيئة التي عاشا بها، بعد أن تستبعد احتمال تأثير القرآن بشعر أمية كما يزعم المستشرق هوار (Hoar).

تقول دائرة المعارف: والآراء الدينية في كلام أمية مطابقة لما جاء في القرآن إلى حد كبير، ويكاد الاتفاق يقع كلمة كلمة في كثير من الأقوال، ولهذا أثيرت بالطبع مسألة اعتماد أحد القولين على الآخر.

أما القول بأن محمداً قد اقتبس شيئاً من قصائد أمية فهو زعم بعيد الاحتمال، لأن أمية كان على معرفة أوسع بالأساطير التي نحن بصددها، كما كانت أساطيره تختلف في تفصيلاتها عما ورد بالقرآن، وإن كان هذا غير مستحيل من الوجهة التاريخية، فقد ورد في أحد الروايات أن أمية كان أول من اقتبس من كتاب الله يمكن أن نعلل متشابهة قصائد أمية لما جاء في القرآن بحقيقة لا تحتمل شكاً، هي أنه في أيام البعثة المحمدية وقبلها بقليل من الزمان، انتشرت نزعات فكرية شبيهة بآراء الحنيفية واستهوت الكثيرين من أهل الحضر، وخصوصاً في مكة والطائف، وكانت تغذيها وتنشطها تفاسير اليهود والتوراة، وأساطير المسيحيين، مما كان معروفاً ومتداولاً في تلك البقاع وجنوبي الجزيرة من جهات متفرقة منعزلة، ويعلل لنا هذا ما يعرض من اختلاف بين ما جاء في القرآن، وما

---

(١) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، محمد هاشم عطية، ص٣٥٥-٣٥٦.

ورد في أشعار أمية، ومحمد وأمية وغيرهما من الرجال المتدينين كزيد بن عمرو وورقة وسلمة اقتبسوا جميعاً من مصدر واحد سواء أكانت مدونة أم مروية [١].

وقد عقب الأستاذ محمد عرفة على كلام دائرة المعارف بقوله: لدينا دليل عظيم الخطر على أن النبي ﷺ لم يقتبس من أمية بن أبي الصلت ولا غيره، ما أوتي به من القرآن الكريم، ولم يكن شعر أمية ولا غيره مصدراً من مصادره، ذلك الدليل هو أن النبي أتى بالقرآن وفيه من أخبار الأولين ما لم يكونوا يعلمون، وفيه من المواعظ والنذر ما لا عهد لهم به، وقد تحداهم وجعله دليلاً على أنه من عند الله، وقد اجتهد المخالفون المعاصرون للتنزيل أن يجدوا للقرآن مصدراً فلم يفلحوا، وقد جعلوا من مصادره رجلاً أعجمياً كان بمكة، قال الله مبيناً قيلهم، ومفنداً ما زعموا: ﴿إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ [٢].

فلو كانت مشابهة بين شعر أمية والقرآن لجعله المشركون مصدراً من مصادره، أو على الأقل لقالوا أن الأخبار التي تذكرها وتقول: ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾ [٣].

وقد ذكرها أمية بن أبي الصلت في شعره، ولكنهم لم يجعلوها مصدراً من مصادره، ولم يقولوا له شيئاً مما ذكرناه، فهذا يدلنا على أنه لم تكن مشابهة بين شعر أمية والقرآن المجيد، وهذا الدليل يخرج بنا إلى نتيجة أخرى وهي أن الأشعار المنسوبة إلى أمية في أخبار القرون الأولى وما سابق ذلك ليست له بل نحله الرواة إياها، وإنك تقف على ذلك إذا قرأتها، فستدرك فيها الصنعة وسترى فيها ضعف المولدين ولا ترى فيها قوة الجاهلين [٤].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢/ ٦٦٠-٦٦٢، مجموعة مستشرقين.

(٢) سورة النحل، آية ١٠٣.

(٣) سورة هود، آية ٤٩.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢/ ٦٦٠-٦٦٢.

وبعد سرد ما أورده محمد عرفة من رد على المستشرقين أود أن أورد بعض الأمثلة على قوله: إن النبي ﷺ آتى بالقرآن وفيه من أخبار الأولين ما لم يكونوا يعلمون، فهذه دعوى صحيحة والبينة عليها: أن التوراة والإنجيل لم يتحدثا عن أمور كثيرة ذكرها القرآن الكريم من أنباء التاريخ، فالمحاورة بين الله والملائكة عن آدم وسجود الملائكة وامتناع إبليس، وتخلف ابن نوح عن ركوب السفينة، ومناشدته إياه أن يركب وعتاب الله لنوح حين قال: ﴿أنه ليس من أهلك إنه عمل غير صُالح فلا تسألني ما ليس لك به علم﴾ [(١)] .

ومحاورة إبراهيم لأبيه آزر، وذهابه مع إسماعيل ولده إلى مكة، وبناء البيت بواد غير ذي زرع، وحديث مؤمن آل فرعون في قصة موسى، وصنع داود للدروع السابغة، وقصة داود وسليمان إذ يحكمان في الحرث، وقد نفشت فيه غنم القوم، وتسخير الجبال والطير لداود، والجن والريح والطير لسليمان، وقصة الهدهد، وسبأ والصرح الممرد من القوارير، والجسد الملقى على كرسي سليمان، ومائدة عيسى، كل ذلك لم يأت في التوراة والإنجيل، فمن أين علمه محمد ﷺ -إن كان مصدره ثقافة أهل الكتاب- بل إن قصتي عاد وثمود لم تأتيا في التوراة والإنجيل، وقد قامت الأدلة الأثرية بالأحقاف على وجودهما السحيق، فمن أين عرفهما الرسول، وتحدث عنهما بما صدقته الآثار الماثلة بعد أربعة عشر قرناً من الزمان [(٢)].

العهد الملكي

٥- دعوى أخذ القرآن عن اليهود والنصارى -أهل الكتاب بصفة عامة:

إن دعوى استمداد الرسول ﷺ معارفه عن أهل الكتاب فرية قديمة نطق بها المعاصرون للرسول ﷺ. وقد ذكر القرآن ذلك، قال الله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون

---

(١) سورة هود، آية ٤٦.

(٢) الموقف الأدبي من الشعر الجاهلي، محمد البيومي، ص١٧٨-١٧٩، راجع تفسير المنار، ج١١/١٩٠.

إنما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين﴾[1] .

وقد ألبسها المستشرقون ثوباً جديداً لتنطلي على أبناء الإسلام المخدوعين بالحضارة الغربية، ونسوق فيما يلي بعض النقاط التي تبين زيف هذه الفرية:

١- لقد رد القرآن على هذه الفرية في مواطن متعددة فقال: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين، وإنه لفي زبر الأولين، أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾[2] . فالآية تشير إلى أن الله أنزل القرآن على نبيه بواسطة وحيه، بلسان عربي فصيح كامل شامل ليكون نبياً واضحاً ظاهراً قاطعاً للعذر مقيماً للحجة دليلاً على المحجة[3] . وإذا كان القرآن عربياً أنزل من عند الله فهذا يدل على أنه لا علاقة له بأهل الكتاب.

٢- إن النبي ﷺ ما جاء لينقض، وإنما جاء ليتمم، فقد جاء بعقيدة التوحيد، وهذه العقيدة ليست بدعا بل هي إتمام لمسيرة خيرة بدأت منذ بداية الخلق وقد وصف القرآن هذه المسيرة بقوله: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، ان اتبع إلا ما يوحى إلي، وما أنا إلا نذير مبين، قل أرأيتم إن كان من عند غير الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[4] .

فالنبي ﷺ من جنس الرسل وهو معروف لدى الأمم، وقد تقدم له نظراء وأمثال، فهو معتاد في الأدميين، وإن كان قليلاً منهم وقد جاء محمد بجنس ما جاءوا، واستدل على صدقه فيهم بأعظم مما استدلوا به من دلائل ومعجزات، فهو أحق بالتسليم له بالنبوة، وإذا سلم له بالنبوة، وجب التسليم بأن كتابه من عند الله، وإذا سلم بأن القرآن من عند الله

---

(١) سورة النحل، آية ١٠٣.

(٢) سورة الشعراء، آية ١٩٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٣/٣٤٧.

(٤) سورة الأحقاف، آية ٩-١٠.

بطلت دعوى المستشرقين بأنه استمد كتابه من مصادر أهل الكتاب، فالتوراة والإنجيل والقرآن مصدرها واحد، لأن منبع هذه الديانات كلها واحد، ولو جاء القرآن بعقيدة مخالفة لقالوا كيف يكون مصدر الديانات كلها هو الله، وقد جاءت عقيدة الإسلام بعقيدة تختلف عن هذه العقائد.

٣- إن قول المستشرقين إن محمداً استمد معارفه من اليهودية والنصرانية يفهم منه أنه كان تلميذا يجلس إلى رهبان النصارى، وأحبار اليهود من بني قينقاع وبني النضير، وبني قريظة، ويأخذ عنهم العلم، وهنا نتساءل: كيف يكون هؤلاء أساتذة له والقرآن يهاجمهم في مواضع متعددة من آياته. فالقرآن نزل مصدقاً لكتب أهل الكتاب من حيث كونها في الأصل من وحي الله إلى موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم، نزل أيضاً مهيمناً عليها، أي رقيباً وحاكماً. قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ [١].

ومما حكم على أهلها من اليهود والنصارى أنهم أوتوا نصيباً من الكتاب. قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ [٢]، وقال أيضاً: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾ [٣]. ونسوا نصيباً أو حظاً آخر منه وأنهم حرفوا وغيروا وبدلوا، قال تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم جعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه، ونسوا حظاً مما ذكروا به، ولا تزال تطلّع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة

---

(١) سورة المائدة، آية ٤٨.

(٢) سورة النساء، آية ٤٤.

(٣) سورة النساء، آية ٥١.

والبغضاء إلى يوم القيامة، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ [1]، وبين كثيراً من المسائل الكبرى مما خالفوا واختلفوا فيه من العقائد والأحكام والأخبار، ومثل هذه الأحكام العليا عليهم لا يمكن أن تكون مستمدة من أفراد من اليهود والنصارى [2]. هذا بالإضافة إلى انحدارهم الأخلاقي والثقافي والعقلي فكيف يكون هؤلاء في موضع التربية والتوجيه للرسول ﷺ الذي جاء بأسمى القيم وأكمل الشرائع.

وفيما يلي بعض الآيات القرآنية التي تنص على أهل الكتاب شنيع أعمالهم، قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله، وأنتم تشهدون﴾ [3]. ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ [4]، ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [5]، ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً﴾ [6].

والآيات التي وردت في هذا المجال كثيرة، فهي تبين زيف أهل الكتاب وباطلهم، وبعد هذا نقول: هل يعقل أن يكون النبي ﷺ قد وصف كتبهم بالتحريف وعلمائهم بكتمان العلم، ثم ينقل عنهم بعض ما جاء في كتبهم من أخبار وقصص وتشريع، فالقرآن جاء حارساً أميناً على كتبهم يصحح ما حرّف منها، ويكشف ما أدخل إليها.

يقول الدكتور عرفان عبد الحميد: «وإنما وددت الإشارة إلى أن دعوى الاستمداد

---

(١) سورة المائدة، آية ١٣-١٤.

(٢) تفسير المنار، ج١١/١٨٩.

(٣) سورة البقرة، آية ٧٠.

(٤) سورة البقرة، آية ٧١.

(٥) سورة البقرة، آية ٧٥.

(٦) سورة النساء، آية ١٥٧.

والأخذ من مصادر أجنبية زعم باطل حتى في صورته الشكلية الظاهرة، ذلك أن طبيعة المسألة تقضي -عادة- أن يضفي المقلد الآخذ أسباب الكمال ومعاني الأصالة، وسمات الحق على المصدر الذي استقى منه أصول فكره وعلمه، وإن ينزل صاحبه منزلة العدل في الحكم. والنزاهة في الرأي، والسداد في الفكر والعقيدة.

أما إذا وجدنا الأمر معكوساً فإن المنطق السليم يحتم خلاف ذلك إذ كيف يجوز لعاقل أن يتصور النبي ﷺ تلميذاً لأحبار اليهود، ورهبان النصارى، يشكل قرآنه -نعوذ بالله- ويلفق عقيدته من توراتهم وإنجيلهم وسائر مصادرهم، وهو يرى القرآن الكريم يصدر في انتقاده لهذه المصادر عن موقف قوي صريح هو موقف الحاكم المتمكن من الأمر، المتهم لأرباب تلك المصادر، المنتقد لما جاء فيها، وهكذا فإن القرآن الكريم إذ يستعرض آراء اليهود ومعتقدات النصارى لا يصدر عن موقف ضعيف متخاذل وهو ما يتصف به المقلد للغير، بل يتبين الحق في هذه العقائد من باطلها، ويحمل وزر الباطل على أهله.

إنه يتهم اليهود بالتحريف والتبديل: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ [1]، وبالافتراء وزور القول : ﴿يفترون على الله الكذب﴾ [2]. والقرآن إذ يستعرض عقيدة المسيح عليه السلام، بالله يبعده عن لوثة التثليث ويعتبر ذلك مسخاً لحقيقة ما بشر به، وتلفيقاً من الرأي نسب إليه: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ [3].

وإذا كان هذا شأن القرآن الكريم من تلك المصادر التي زعم مشركو قريش أسلاف

(١) سورة النساء، آية ٤٥.

(٢) سورة المائدة، آية ١٠٦.

(٣) سورة المائدة، آية ١١٩.

المستشرقين من يهود ونصارى الغرب فليس لعاقل سديد الرأي أن يورد لهذا الزعم الباطل[1] .

٤- لو أن أهل الكتاب شكوا مجرد الشك في أن محمداً ﷺ أخذ من أفكارهم وتأثر بكتبهم لسارعوا إلى القبائل العربية وغيرها، ليقولوا لهم إن محمداً أخذ أفكارنا واقتبس من كتابنا، ولكن هذا الشيء لم يحصل فهذا يدل على زيف هذه التهمة.

٥- إن المشابهة التي حصلت بين ما ورد في القرآن وما ورد في التوراة والإنجيل لا تدل بالضرورة على الاقتباس، ومع ذلك ورغم التشابه الضئيل القائم بين تعاليم الإسلام واليهودية والمسيحية، فإن هناك اختلافات جوهرية منها في الصورة والشكل، ومنها في المحتوى والغاية بين العبادات في الدين الإسلامي وبينها في المسيحية أو اليهودية، وهذا التشابه النسبي يفسر -وهو المعقول من وجهة النظر الدينية- بوحدة المصدر الإلهي الذي نبعت منه هذه التعاليم السماوية [2].

عندما سمع النجاشي آيات القرآن يتلوها على مسمعه جعفر بن أبي طالب هتف قائلاً: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، والله ما زاد عيسى على ما تقولون، وكانت القسس والرهبان كلما سمعت آية يتلوها جعفر انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى [3].

موقف علماء الإسلام من هذه الدعوى:

يقول الدكتور محمد عبدالله دراز: لنستعرض أولاً الموقف عموماً بالنسبة لروح القرآن من اليهود، ويمكننا أن نرجع إلى الفترة السابقة على الهجرة، لكي نرى ما إذا كان القرآن

---

(١) المستشرقون والإسلام، عرفان عبد الحميد، ص٢٧، المكتب الإسلامي.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦.

(٣) أسباب النزول، الواحدي، ص١٣٦، دار الكتب العلمية، بيروت؛ السيرة النبوية والآثار المحمدية، أحمد زيني دحلان، ص١٣١، ج٢، دار المعرفة، بيروت.

يعتبر المجتمع الجديد مثلا صادقا للفضيلة المنزلة من عند الله، وبالتالي جديراً بالإتباع والتآسي.

من الغريب أن نلاحظ هذا التعارض الصارخ بين موقف القرآن الدائم من المجتمع اليهودي، وموقفه من المجتمع المسيحي، فعندما يتكلم عن المسيحيين بصفة خاصة، نجده إذا لم يثني عليهم، فعلى الأقل يوجه إليهم بعض اللوم في لهجة مخففة نسبياً، ولكن الأمر ليس كذلك عندما يتحدث إلى اليهود في ذلك العصر، أو إلى أهل الكتاب عموماً فهم -في نظر القرآن- أناس لا يتبعون ما أنزل إليهم، وإنما يتبعون إلهام الشياطين، وعندما ألمح إلى ما أوقعه يهود اليمن في الماضي من تعذيب المسيحيين بنار الأخدود انضم القرآن إلى صف المسيحيين واعتبر هذه الجريمة تآمراً مع سبق الإصرار على الإيمان الحق [١].

وعندما انتقل القرآن إلى المدينة بعد ذلك احتفظ بموقفه وعدد ادانتهم فالذين تلقوا التوراة وحفظوا نصوصها لا يراعونها بإخلاص ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ [٢].

وهم يتعاملون بالربا ويلجأون إلى حيل مختلفة لأكل أموال الناس بالباطل ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ [٣].

واعتمادا على بعض الأماني والأوهام، يستبيحون الرشوة والكذب ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ [٤].

ويعتقدون أنه ليس عليهم حساب بشأن الطوائف الأخرى، ولا التزام بالعدل ﴿ومن أهل

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبدالله دراز، ص ١٥٠.

(٢) سورة الجمعة، آية ٥.

(٣) سورة النساء، آية ١٦١.

(٤) سورة البقرة، آية ٧٩.

الكتــاب من إن تأمنه بقنطارا يوده إليك ومــنهم من أن تأمنه بدينار لا يوده إليك إلا مــا دمت عليه قــائما﴾ ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأمــيين سبـيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾[1] في معاملاتهم معهم.

ثم يقول بعد الاستعراض لموقف القرآن من المجتمع اليهودي والمجتمع النصراني، أليس من الغريب أن نفترض أن هذا الشعب الذي يقف القرآن منه هذا الموقف، ويحكم عليه هذا الحكم الصارم، يمكن أن يكون نموذجاً يحتذى به محمد ومصدرا لتعاليمه[2].

وبعد ذكر هذه النقاط يظهر زيف هذه التهمة وبطلانها.

---

(١) سورة آل عمران، آية ٧٥.

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبدالله دراز، ص١٥١.

الفصل الثاني
المستشرقون وتاريخ القرآن
المبحث الأول
دعوى المستشرقين بأن القرآن قد حُرّف

بعد آن أوردنا مزاعم المستشرقين في التشكيك في مصدر القرآن نأتي الآن للحديث عن نقطة أخرى تسير في اتجاه التشكيك نفسه ولكنها في هذه المرة تشكك في صحة النص القرآني، وكأنهم بذلك يريدون أن يردوا على القرآن بالسلاح نفسه، حيث ان القرآن قرر تحريف التوراة والانجيل.

والمعروف ان أعداء الاسلام سلكوا منهج الطعن في القرآن الكريم، لأنهم يعلمون أنه أصل الدين، فالتشكيك فيه أضعاف للدين، وصرف للمسلمين عن الطريق الذي لا عوج فيه ولا أمت.

ومعظم هذه المطاعن مبنية على روايات ضعيفة ومختلقة اشتملت عليها بعض الكتب الاسلامية، وقد تلقف المستشرقون هذه الشبه وتلك الروايات الباطلة، فأضافوا اليها ما شاطت لهم نفوسهم الحاقدة على الاسلام والمسلمين أن يصيغوه مما هو من بنات الخيال والاوهام ومن صنع الاحقاد فزعموا أن القرآن قد حرف وأنه قد ضاع بعضه ونُسي.

لقد ألف المستشرق الالماني نولدكه كتابا سماه (تاريخ القرآن) فوضع فصلا في كتابه عنوانه (الوحي الذي أنزل على محمد ولم يحفظ في القرآن) [(١)].

وأما دائرة المعارف الاسلامية فقد ذكرت تحت مادة (قرآن) " إنه لا شك أن هناك فقرات من القرآن ضاعت) [(٢)] وفي دائرة المعارف البريطانية في مادة قرآن يذكر المادة

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، ص٢٨٥، ط٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨٥.

أن القرآن غير كامل الأجزاء"[١].

وقد أورد صاحب حاضر العالم الاسلامي رأي المستشرق القرنس درمنغهم (Dra-minghm) فقال: "الا أن درمنغهم يعتقد ما يعتقده غيره من الأوروبيين من أن القرآن كسائر الكتب المنزلة لم يحرف الا بعد نزوله بكثير وإنهم حملوا الناس على نسخة واحدة من المصحف واحرقوا ما عداها وإن كثير من الآيات لم يقع فيها الترتيب اللازم، وأنه لا يعلم بالتمام هل أدخل في القرآن شيء من الحديث النبوي الذي قاله الرسول من نفسه لا على انه وحي، وروي أن جعفر قال: إنه كان في القرآن اسماء سبعة رجال من قريش فلم يبق منها الا اسم أبي لهب ثم أن الشيعة يتهمون أهل السنة بأنهم حذفوا من القرآن كل ما كان فيه من الآيات الموافقة لعلي.

ثم أنهى هذا المستشرق كلامه في هذا الموضوع قائلاً: انه لا يقدر أن يجزم في هذه المسألة، وأنه على وجه الاجمال يرى المصحف الحاضر صحيحاً لا شائبة فيه الا ما يتعلق بترتيب الآيات والسور، ولكنه لا يرى الاحاديث النبوية كلها صحيحة، ويجزم بأن قسماً كبيراً منها موضوع، وهذا يوافقه فيه كثير من المسلمين[٢].

وقد ذكر الاستاذ محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد عنوانا (المستشرقون والمقررات الدينية) ذكر فيه أن مباحث هؤلاء المستشرقون تدل على أن القرآن ليس وثيقة تاريخية لا محل لريبة فيها، وأنه حرف بعد وفاة النبي وفي صدر الاسلام واضيفت اليه اثناء ذلك آيات لاغراض دينية أو سياسية[٣].

وقد كتب المستشرق الفرنسي بول كازانوفا رسالة عنوانها (محمد ونهاية العالم) وغاية مؤلفها منها- فيما يظهر- هي محاولة إثبات أن القرآن قد اضيف اليه بعد وفاة النبي ما

---

(١) نفس المرجع، ص٢٨٥.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد الأمريكي، ج١/٩٧.

(٣) حياة محمد، محمد حسنين هيكل، ص٢٩-٣٠، ط١٣.

دعت اليه الحاجة في نظري ابي بكر وعمر مثل الآيات التي صرحت بأن الساعة من الأمور التي استأثر الله بعلمها، بعد أن لم يتحقق ما أخبر به النبي من أنها ستقوم عندما تنتهي مهمته، وقد يكون ذلك في حياته أو على أثر موته مباشرة [(١)].

وقد حاول هذا المستشرق التدليل على صحة هذه الفكرة بأدلة ضعيفة واهية أجهد نفسه في تقويتها، ودعمها بكل ما أوتي من علم ومقدرة على الجدل وأوجز فيما يلي براهينه الواهية.

١- زعمه أن صلة البعث بصوت النبي كصلته بالموت العام.

٢- شكه في آيتي (انك ميت) (أفان مات او قتل).

٣- زعمه ان المقصود بقول القرآن (بعض الذي نعدهم) هو الساعة.

٤- ادعاؤه أن هذه الآيات كان نصها اولا (سنريك بعض الذي نعدهم، ثم قلبت الى صورة التشكيك (فأما نرينك ...الخ) وقد علل لهذا الزعم بأن الله اعظم من أن يجهل المصير فيتحدث بلسان الشك.

٥- زعمه أنه وردت في القرآن آيات صريحة في وجوب شهود النبي الساعة كقول القرآن مثلا "واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب".

٦- زعمه ان كلمة (اليقين) المذكورة في القرآن (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) معناها الساعة [(٢)].

يقول كازانوفا (Casanova. P): إني أؤكد أن مذهب محمد الحقيقي ان لم يكن قد زيف فهو على الاقل ستر بأكبر العنايات، وأن الأسباب البسيطة التي سأشرحها فيما بعد هي التي حطت أبا بكر اولا ثم عثمان من بعده على أن يمدا أيديهما الى النص المقدس وهذا التغير قد حدث بمهارة بلغت حدا جعل الحصول على القرآن الاصلي يشبه أن يكون مستحيلا [(٣)].

---

(١) نظرات استشراقية في الإسلام، محمد غلاب، ص٨٧، دار الكاتب العربي.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٩٢.

وجاء في مجلة الازهر المجلد/ ٨ رد شبهات على القرآن الكريم/ محمد فريد وجدي ما يلي [1].

جاء في كتاب (الوحي الجديد) لأحد دعاة بعض الملل قوله في صفحة (٤٤)

أولا: إنه من المستحيل أن يكون القرآن الحالي حاويا لجميع ما أنزل بل انه من المؤكد تاريخيا أنه قد ذهب منه جانب ليس بقليل.

ثانياً: من المستحيل اقامة البرهان على أنه طبق ما نطقت به شفتا محمد تماما بل انه في آيات عديدة منه اختلافات مدهشة ولا يعرف الا الله ما هو النص الصحيح. انتهى.

ثم يقول في صفحة ٤٥ من نفس الكتاب: " إننا نعلم تماما بشهادة زيد بن ثابت التي لا ريب فيها، أنه لم تدون جميع السور والآيات التي سمعت من فم محمد، بل ان كثيرا منها حفظ في صدور الناس ومرت سنون عديدة قبل أن أمر زيد بتدوينها، نقلا عن ذاكرة اولئك القراء فكيف تأمن على الحقيقة من ذاكرتهم".

وقال في صفحة (٤٧): " أن ابن مسعود هذا (وقد نعته بأنه أعلم الناس بالقرآن) لم يكن ليعتبر نسخة عثمان صحيحة، وأنه رفض أن يسلمه نسخته ليحرقها، وأنه أشار على أهل العراق ليكتموا نسخهم قائلا: يا أهل العراق اكتموا المصاحف التي عندكم وعلقوها) وأنه حذف السورة الاولى (أي الفاتحة) والسورتين الاخيرتين من نسخته بحجة أن تلك السور من كتاب الله".

وقال في ص ٤٧: "إن ملايين المسلمين في بلاد العجم يعزون كلا الزيادة والنقص الى عثمان ويقولون أنه حذف كثيرا من الآيات في مدح علي فضلا عن سورة كاملة تركها تدعي سورة النوريين، وقد طبعناها تذييلا لهذا الكتاب ونحن لا نثبت صحة هذه السورة، فقد نقول ان امرأ كهذا يبعث على الريبة ويبين ضعف الحجة المشهورة: ﴿فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ ولا يخفى أن عليا كابن مسعود

---

(١) مجلة الأزهر، ج٨/ ٤١١ وما بعدها؛ رد شبهات على القرآن الكريم، محمد فريد وجدي.

أبى أن يسلم نسخته الى عثمان لينقحها بحجة أنها كانت كاملة".

وقال في صفحة ٤٨: "جاء أن عمر كان يقبل كل آية بشهادة شاهدين فكان من الممكن أن ترفض آية صحيحة اذا شهد بها شاهد واحد، وأن تقبل آية محرّفة اذا شهد بصحتها شاهدان.

وقال أيضا في صفحة (٤٨): (جاء عن مسلم أن أبا موسى الاشعري قال مرة لخمسمائة من القراء في البصرة إننا كنا نقرأ سورة بطول السهم وحده، أما الآن فقد نسيتها ما عدا بعض الايات".

وقال أيضا في صفحة (٤٩): وقال أيضا جلال الدين السيوطي (حدثنا ابن ابي مريم عن ابي لهيعة بن الاسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمن النبي ﷺ مائتي آية فلما كتب عثمان المصحف لم يقرر منها الا ما هو الآن (وهي الان سبع وسبعون آية).

وقال ابن جيش قال أبي بن كعب كم تعد سورة الاحزاب، قال اثنتين وسبعين آية او ثلاثا وسبعين آية، قال كانت تعد وسورة البقرة". وأخرج البخاري في تاريخه من حذيفة قال: قرآنا سورة الاحزاب على النبي فنسيت منها سبعين آية ما وجدتها".

"وروى جلال الدين أن عبيدا كان يقول حدثنا ابراهيم عن أيوب عن نافع قال: لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدري ماكله، فقد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر".

ومن مالك أن أول سورة براءة سقط مع البسملة فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها.

وقال ايضا مسلم: إن الآية بخصوص الرجم كانت قبلا في القرآن وكان عمر مقتنعا بصحتها حتى أقسم بالله أنه إنما منع عن تدوينها خشية الاتهام.

ثم يقول كاتب الرسالة بعد ذلك: فترى مما تقدم أنه طرأ على القرآن كثيراً من الحذف،

وبعبارة أخرى أن كلمة الله قد اعتراها النقص. انتهى كلامه[1] .

وأما المستشرق الانجليزي أرثر جفري (Jeffery,A) فقد عمل على نشر كتاب المصاحف لابن ابي داود، ولم ينشره كما وجده، بل تصرف فيه تصرفا معيبا يتنافى مع امانة العلماء، فعمد الى بعض الروايات الظاهر ضعفها وترجم لها (بباب كذا) مثل (باب ما غير الحجاج في مصحف سيدنا عثمان) ولم توجد هذه التراجم في النسخة المخطوطة.

ولم يقف عند هذا الحد بل وضع مقدمة مملوءة بالغمز والطعن على القرآن ووضع ملحقا انجليزيا للكتاب ملأه بنصوص تخالف القرآن الكريم تمام المخالفة، وزعم أن هذه النصوص كانت في مصاحف بعض الصحابة فانقسم الكتاب الذي طبعه الدكتور أرثر جفري (Jeffery.A) بذلك الى ثلاثة أقسام:

١- مقدمة الدكتور جفري (Jeffery.A).

٢- كتاب المصاحف لابن أبي داود.

٣- الملحق الانجليزي / للدكتور جفري (Jeffery.A)[2] .

وقد ركز هذا المستشرق على حث المسلمين على أن يبحثوا عن تطورات قرآنهم، وتطورت قراءاته، من اجل أن يعلموا أن القرآن الذي يقرؤنه الآن مغاير لما كان يقرأه أصحاب رسول الله.

وقد أورد المستشرق جفري في ملحقه الانجليزي[3] . آيات وسور مخالفة للقرآن الكريم أدعى أنه نقلها من كتب التفسير والقراءات دون أن يبين لنا كتابا معينا حتى يمكن الرجوع اليه وفيما يلي نموذجا لما كتبه والحقه في سورة البينة كذبا وزورا "رسول الله

---

(١) راجع رد شبهات على القرآن الكريم، محمد فريد وجدي، المجلد الثامن، مجلة الأزهر.

(٢) كتاب المصاحف، ابن أبي داود، تحقيق الدكتور جفري، مكتبة المثنى، بغداد.

(٣) المرجع السابق، الملحق الإنجليزي، الدكتور جفري، ص١٧٩، مكتبة المثنى، بغداد.

اليهم يتلو صحفا مطهرة، وفيها كتب قيمة، ورأيت اليهودية والنصرانية إن أقوم الدين الحنيفية مسلمة غير مشركة ومن يعمل صالحا فلن يكفره".

قال الدكتور جفري مبتدئا مقدمته: نتقدم بهذا الكتاب، يعني كتاب المصاحف- للقراء على أمل أن يكون أساسا لبحث جديد في تاريخ تطور قراءات القرآن [(١)] .

وجاء في مقدمة الدكتور جفري أيضا: (نشر في أيامنا هذه علماء الشرق كثيرا مما يتعلق بتفسير القرآن واعجازه وأحكامه ولكنهم الى الآن لم يبينوا لنا ما يستفاد منه التطور في قراءاته ولا ندري على التحقيق لماذا كفوا عن الحديث في عصر له نزعة خاصة في التنقيب والتحوير ونجاح بعض الكتاب فيها) [(٢)]

اذا حاولنا تحليل هذه العبارة وجدنا أنها تحمل أمورا منها:-

١- أن علماء المسلمين ألفوا كثيرا في تفسير القرآن وبلاغته واعجازه.

٢- أنهم لم يبحثوا عن التطور في القرآن وقراءاته.

٣- أن الدكتور جفري حيران في السبب الذي من أجله اغفلوا هذا البحث.

٤- أن الدكتور جفري يصرخ علينا بأن الكتب القديمة (التوراة والانجيل) حصل فيها تغيير وتبديل.

٥- يؤخذ من عبارته أنه يحث المسلمين على البحث وراء تطور القرآن ليعلموا ما حصل فيه من التفسير والتبديل ايضاً كما علم ذلك من الكتب المقدسة السابقة.

بعد ايراد عدد من أقوال المستشرقين نقوم بالرد على شبهاتهم بشكل عام ثم نتبع ذلك بمناقشة بعض الاراء ولا بد من ذكر الدواعي التي تدفع لتعريف الكتب السماوية، وهل ينطبق ذلك على القرآن.

الدواعي التي تدفع لتحريف الكتب السماوية

. اذا وقع التحريف في كتاب سماوي فلا يمكن أن يكون ذلك الا بواحد من أربعة أسباب

---

(١) المرجع السابق، ص٣، المقدمة، ط١، ١٩٣٦-/ ١٣٥٥، المطبعة الرحمانية، مصر.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٣.

أو بأكثر من سبب منها وهي:

أولا: ضياع أصل الكتاب.

ثانيـــا: غلو في الدين يحصل على تأليه صاحب الدعوة، أو رفع درجة أسرته واصحابه وحفظة دينه الى ما فوق مستوى الناس، ومنحهم حقوقا وامتيازات ليتمكنوا بها من تسخير النفوس لاراداتهم.

ثالثـــا: النص على حصر السلطان الروحي في طائفة معينة، أو تحديد شكل الحكومة وجعلها ثيوقراطية تحت تصرف رجال الدين.

رابعـــا: تعمد إفساد الدين بالنقص من كتابه والزيادة عليه، بحيث يفض ذلك الى زهد النفوس فيه [(١)].

هذه هي الدواعي التي تحمل على تعريف للكتب السماوية، وكلها ممتنعة بالنسبة للقرآن.

أما امتناع السبب الأول من أسباب التحريف:

أولا: إن اصل القرآن كان مكتوبا ومحفوظا في دار النبي ﷺ عن زيد بن ثابت قال (كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع[(٢)] فقد كان الرسول ﷺ اذا نزلت آية دعا بعض من كان يكتب فيأمره بكتابتها ويقول (ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا [(٣)].

ثانياً: حفظ الصحابة للقرآن في صدورهم هذا بالاضافة الى ما في السطور.

ثالثا: وما اتبعه الصحابة في جمع القرآن من دقة متناهية، حيث أتوا بالمخطوطات وقابلها

---

(١) مجلة الأزهر، المجلد الثامن، ص٤٠٦، رد شبهات على القرآن الكريم.

(٢) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج١/٢٠٨، تحقيق محمد أبو الفضل، وأخرجه الحاكم في المستدرك بسند على شرط الشيخين.

(٣) الاتقان، السيوطي، ج١/٢١٥ و ٢١٦.

كتّاب القرآن على ما هو في صدورهم يقول زيد (فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت اخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم أجدها مع غيره ﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم﴾ [١] حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عنة حفصة بنت عمر [٢].

وقد وصف الحارث المحاسبي الجمع الذي حصل في عهد أبي بكر فقال: "كتابة القرآن ليست بمحدثة، فأنه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا في الرقاع والاكتاف والعسب، فانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعة، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت مبعثرة في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرا فجمعها جامع، وربطها في خيط حتى لا يضيع منها شيء" [٣].

وبهذا الجمع الذي تم في عهد الخليفة الآول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حقق الله حفظ القرآن وجمع كلمة المسلمين على الهدى، وأصبحت هذه الصحف هي الصورة الصادقة للقرآن الكريم.

بينما اذا نظرنا الى الكتب السماوية السابقة التوراة والانجيل فاننا نجد أن يد العابثين قد وصلت اليهما:

فالتوراة تعرضت لأحداث تاريخية أدت الى ضياعها، وحرقها وتجديدها، وأن التجديد الذي تم لها كان على انقاض المعلومات المحفوظة التي اصابتها فتن الحروب، والتي بقيت عالقة في الأذهان، وبقايا بعض الاوراق من غير تحفظ ولا تدقيق ولا ضبط للمعلومات.

جاء في دائرة المعارف البريطانية: (إن التوراة ليست كتابا واحدا، ولكنها تتكون من مجموعة من الكتب استغرق تأليفها قرونا عديدة) [٤].

وذكرت دائرة معارف لاروس ما يلي: "العلم العصري ولا سيما النقد الالماني، قد أثبت بعد تجارب مستفيضة في الآثار القديمة، والتاريخ وعلم اللغات، أن التوراة لم يكتبها

---

(١) سورة التوبة، آية ١٢٨-١٢٩.

(٢) الاتقان، السيوطي، ج١/٢٠٣. والعسب: جريد النخل، واللخاق: حجر رقيق.

(٣) البرهان، الزركشي، ج١/٥٢، ط/ ١٣٩١/ ١٩٧٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

(٤) أخذت عن مذكرة في اليهودية، الشيخ محمد أبو فرحة، ص١٢، نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية.

موسى وأنها عمل أحبار لم يُذكر اسمهم عليها ألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية، سمعوها قبل أهل بابل، بل ذهب بعض العلماء الى أن هذه الاسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الاسرائيلية، ولكنها تحتوي فقط على اشارات ورموز وحكايات[1]. وبناء على هذه الشهادات فان التوراة الحالية ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى وهذا مما يدل على أن التحريف قد اصابها.

وأما الانجيل فقد أصابه ما أصاب التوراة قال الله تعالى: ﴿ومن الذين قالوا أنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة﴾[2].

فالاية تشير الى أن الله تعالى أخذ العهد على الذين سموا أنفسهم نصارى من أهل الكتاب وهم الذين اتبعوا المسيح حسب زعمهم فنقضوا العهد ونسوا نصيبا مما ذكرهم به المسيح كما فعل من سبقهم من اليهود بالتوراة.

وقد جاء في رسالة بولس (Pols) لأهل غلاطية ما يشير الى هذا التحريف حيث يقول: "إني اتعجب أنكم تنتقلون سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر، ليس هو آخر غير أنه قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا أنجيل المسيح[3].

فهذه الشهادة من بولس (pols) تشير الى وجود أيد خبيثة كانت تعمل في الخفاء منذ القرن الأول المسيحي، ويعملون على دعوة المسيحيين الى انجيل غيره بالتحويل أي التحريف كما في الترجمة القديمة.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ج٢/٧٠٢، مادة توراة، نقلاً عن دائرة معارف لاروس؛ المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ص٢٢، دار الاعتصام.

(٢) سورة المائدة، آية ١٤.

(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية، ١/٦.

وبعد هذا العرض فانّا معاشر المسلمين نرى أن كل ما أوحى الى الرسول مما أمر بتلاوته يجب أن يكون ماثلا في المصحف، ولدينا الدليل القاطع على أن كل ما أوحاه الله دُوّن وحُفظ سليما من كل تحريف الى يومنا هذا، على أسلوب من التدقيق والضبط لا يعقل أن يكون ابلغ منه في عالم النقل الصحيح.

واما امتناع السبب الثاني- وهو الغلو في الدين، فلا يحتاج الى دليل لأن نصوص الاسلام تنطق صراحة بالنهي عن الغلو في الدين.

قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ [(١)] وقد جاءت نصوص الكتاب قاطعة للغلو في ذات الرسول من أية ناحية من النواحي وقد وصفته بأنه عبد الله ورسوله. ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي﴾ [(٢)].

وأما امتناع السبب الثالث- وهو النص على حصر السلطان الروحي في طائفة معينة من الأمة، أو في جعل الحكومة أوتوقراطية تحت تصرف رجال الدين.

إن هذا السبب لا ظل له في الاسلام، فأحكام الاسلام مستمدة من شرع الله ودينه والرسول ﷺ يقول "أسمعوا واطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة" [(٣)]، فالاسلام لا يعترف بوجود طائفة في الأمة يجب أن تودع السلطان الروحي دون سائر الطوائف، بل ليس في الاسلام سلطان روحي الا الكتاب والسنة. واما امتناع السبب الرابع: وهو تعمد إفساد الدين بالنقص من كتابه والزيادة فيه.

فهذا أكثر امتناعا بالنسبة للقرآن الكريم، إن الصحابة الذين عملوا على جمع كتاب الله تعالى وتدوينه كلهم من المشهود لهم بالتقوى والصلاح فلا يعقل أن يصدر منهم تحريف للكتاب بقصد افساده وتزهيد الناس فيه.

ثم أن ما كتبوه عرضوه على أبي بكر وعمر وجميع كبار الصحابة، فأقروه وكلهم من

---

(١) سورة النساء، آية ١٧١.

(٢) سورة الكهف، آية ١١٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه كتاب الجهاد، باب ٣٩، ج٢/٩٥٥.

حفظة كتاب الله تعالى.

وأما مصحف عثمان الذي كتب ليوزع على الامصار، فان الصحابة تحروا أن يكون مطابقا لمصحف أبي بكر، وكان ذلك تحت رقابة اصحاب رسول الله ﷺ. ولم يظهر في ذلك العهد ما يخالف مصحف عثمان، وتولى الخلافة بعده علي بن أبي طالب فلم يحدث أقل تغيير فيه، ولو كان ينقص أو يزيد حرفا لما سكت عنه الذين اقاموا الثورة على عثمان.

الأدلة على بطلان التحريف:

من الكتاب:-

قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون﴾[1] ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾[2] فالقرآن محاط بالرعاية الالهية التي لم تتوفر لغيره من الكتب السماوية السابقة يقول الخازن في تفسير قوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الضمير في له يرجع الى الذكر يعني: وإنا للذكر الذي أنزلنا على محمد لحافظون ، يعني من الزيادة فيه والنقص منه، والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها، لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة[3] .

وقد اقتضت عناية الله أن يبقى القرآن بعيدا عن عبث العابثين وتلاعب المحرفين، فهو ليس كبقية الكتب، لم ينقل بالكتابة وحدها ولا بالحفظ وحده، وانما نقل بالحفظ والكتابة، بخلاف الكتب السابقة التي نقلت بالكتابة فقط، ولم يكفل الله بحفظها بل وكّلها الى حفظ الناس، والسر في كون القرآن الكريم وحده قد تعهد الله بحفظه دون الكتب السابقة، أن تلك الكتب جيء بها على التوقيت لا التأبيد، وأما القرآن الكريم فجيء به خاتما خالدا الى

---

(١) سورة الحجر، آية ٩.

(٢) سورة فصلت، آية ٤٢.

(٣) تفسير الخازن، علي بن محمد الشهير بالخازن، ج٤/٥٧، ط٢، ١٣٧٥، مصطفى البابي الحلبي.

يوم القيامة، مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة، زائدا عليها بما شاء الله زيادته، وكان ساداً مسدها ولم يكن شيء منها ليسده مسده، فقضى الله أن يبقى حجة الى قيام الساعة اذا قضى الله أمرا يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم [1].

٢- وأما السنة النبوية:

فقد بينت أن من خصائص هذه الامة حفظها للقرآن الكريم وقد جاء في الحديث.
"أنما بعثتك لأبتليك وابتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظا" [2].

فالحديث يشير إلى أن الكتاب الذين أنزل على محمد ﷺ محفوظ من الزوال والاندثار حتى يرث الله الارض ومن عليها، والكتاب الذي لا يغسله الماء هو الذي لا يصله التحريف والقرآن محله القلوب لا الصحف، وقد جاء في وصف هذه الامة (أناجيلهم في صدورهم)[3].

٣- موقف الرسول ﷺ من القرآن والصحابة من بعده ومن جاء بعدهم:-

أظهر النبي ﷺ وصحابته من بعده عناية فائقة بالقرآن، من أول يوم بدأ فيه نزوله، حيث بدأوا بحفظه في صدورهم، ولم يكتفوا بهذا الحفظ وإنما اضافوا اليه الكتابة من أجل شدة التوثيق والمحافظة عليه، ولأمر ما أسماه الله قرآنا، اشارة إلى كونه مقروا أو محفوظا في الصدور، ومجموعاً بها، وقد تم هذا الأمر حيث اجتمع الامران معا فكان محفوظا لدى رسول الله ﷺ ولدى اصحابه، كما كان مكتوبا على أدوات التسجيل التي كانت متوفرة في الصدر الأول ثم جمع المحفوظ والمكتوب في الرقاع أثناء خلافة أبي بكر ثم كتب في المصاحف أيام خلافة عثمان بن عفان بلغة قريش التي ما زالت متبعة في كتابته حتى يومنا هذا وستبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، ص١٣-١٤، ط٢، دار القلم، الكويت.

(٢) مسلم، ج٤/ ٢١٩٧؛ المسند ج٤/١٦٢.

(٣) دلائل النبوة، أبو نعيم، ج١/١٦؛ الخصائص الكبرى، السيوطي، ج١/٢٩، تحقيق محمد خليل هراس.

قد كان من أسباب حفظ القرآن عند رسول الله ﷺ وتثبيته في قلبه أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في رمضان من كل عام مرة واحدة، وقد عارضه إياه مرتين في العام الذين توفي فيه [(١)].

وقد عمل الصحابة على العناية بكتاب الله تعالى من بعد رسوله ﷺ فكان فيهم عدد كبير من القراء وحفظة كتاب الله تعالى، ثم جاء التابعون من بعدهم فحافظوا على القرآن، وحفظوا آياته وقد بلغ عدد الحفظة منهم الآلاف المؤلفة، وهكذا سار الأمر في حفظ القرآن، كل طبقة تلقت من التي قبلها، وكل جماعة تأخذ من الجماعة التي سبقتها حتى وصل الينا في أيامنا هذه نقيا صافيا كما أنزله رب العزة والجلال على عبده ورسوله محمد ﷺ.

٤- شهادة التاريخ:

إن التاريخ يقدم لنا شهادة صادقة على عدم تحريف كتاب الله حيث أن التاريخ يسجل مراحل التوثيق التي مر بها تاريخ النص القرآني.

في العهد النبوي: حيث تم التدوين على يد كتبة متخصصين في الكتابة العربية وقد تميزت هذه الكتابة بالدقة والمراجعة والاتقان يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه :

(كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ، وكان يشتد نفسه، ويعرق عرقا شديدا مثل الجمان، ثم يسري فاكتب وهو يصلي علي، فما أفرغ حتى يثقل فاذا فرغت قال: اقرأ فاقروءه فاذا كان فيه سقط أقامه) [(٢)].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد نهي عن كتابة الحديث مع القرآن حرصا منه ﷺ على حفظ كتاب الله فقال (لا تكتبوا عني شيئا الا القرآن فمن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه) [(٣)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج٩/٤٣، السلفية.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ج٥/١٥٧، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

(٣) سنن الدارمي، أبو محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي، باب من لم ير كتابة الحديث، ج١/١١٩، ط١٣٤٩، مطبعة الاعتدال، دمشق.

وقد وجه هذا النهي أنظار الصحابة وعقولهم الى كتاب الله تعالى ودفعهم الى تمكينه في أذهانهم خوفا من نسيانه، والى جانب ذلك ورد الحث من الرسول ﷺ على حفظ كتاب الله وقراءته قال عليه الصلاة والسلام (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[(١)] . والأحاديث في هذا المجال كثيرة ومتعددة.

وأما في العهد الراشدي:

فالتاريخ يحدثنا عن العمل الجليل الذي قام به الصديق عندما بلغه مقتل أهل اليمامة من القراء حيث أشار عليه عمر بجمع القرآن فشرح الله صدره لرأي عمر.

فكلف زيد بن حارثة أن يعمل على جمع القرآن، فقام بهذه المهمة خير قيام حيث جمع القرآن في صحف واحدة من الأدوات التي كان سجل عليها في عهد رسول الله ﷺ، وعرضوه على ما في صدور الرجال الثقات لا عرضة الكذب، أو على زيادة أو نقصان، حتى إنهم كانوا لا يقبلون من أحد آية الا بشهادة قد تحققوا منها أو يقين وثقوا من صاحبه ولذلك اطمأنت النفوس وثلجت القلوب، واقتنعت العقول بأن هذا القرآن كما أنزل، وما يروى خلاف ذلك لا يكترث به.

يقول السيوطي: "أن زيدا كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوبا، حتى يشهد به من تلقّاه سماعاً، مع كون زيدا، كان يحفظ فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط والاتقان[(٢)] . وقد أدت هذه القيود الى حفظ كتاب الله من كل تحريف وتبديل.

وأما على عهد عثمان: فعندما تفرق الصحابة في الامصار، وحمل كل واحد معه القراءات التي يحفظها وأخذ يعلمها أهل البلاد التي استقر بها، فنتج عن ذلك اختلاف في القراءات بين أهل تلك البلاد.

روى البخاري في صحيحه عن ابن شهاب عن أنس بن مالك، حدثه أن حذيفة بن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج٩/٧٤، السلفية. كتاب فضائل القرآن.

(٢) الاتقان، السيوطي، ج١/٢٠٥، تحقيق محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية ١.

اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان، مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، ادرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى[(١)] .

وقد تعاظم الخليفة أن يقع الخلاف بين الناس في المدينة فقال: "أنتم عندي تختلفون وتلحنون فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد فيه اختلافاً وأكثر لحناً [(٢)] .

ثم قال: اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما [(٣)] فلما اجتمع الناس ذاكرهم في اختلاف الناس في القراءة، وأشار عليهم بجمع القرآن في مصحف واحد.

ثم أرسل إلى حفصة أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك، فأرسلت بها إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف... ثم أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أن يحرق [(٤)] .

وما زال هذا المصحف يتناقله المسلمون جيلا بعد جيل حتى يومنا الحاضر، وسيبقى محفوظا بحفظ الله تعالى له إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون﴾[(٥)] .

هذه هي الأدوار التي مر بها القرآن وقد أشاد العلماء إلى عمل الصحابة في القرآن.

قال أبو بكر الباقلاني: "الذي نذهب اليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله، وأمر باثبات رسمه، ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله- هو الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، كتاب فضائل القرآن، ج٩/١١ السلفية.

(٢) الاتقان، السيوطي، ج١/٢٠٩، النسخة المحققة.

(٣) نفس المرجع السابق، ج١/٢٠٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ج١٩/١ السلفية؛ الاتقان، السيوطي، ج١/٢٠٨-٢٠٩.

(٥) سورة الحجر، آية ٩.

عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه شيء، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله ورتبه من آي السور، ولم يقدم من ذلك مؤخر ولا أخر من ذلك مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب آي كل سوره ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءة وذات التلاوة(١) .

وقد أشار البغوي في شرح السنة إلى عمل الصحابة في القرآن فقال: "الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين، القرآن الذي أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا أن نقصوا منه شيئا خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ، من غير أن قدموا شيئا أو أخروا ووضعوا له ترتيباً، لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه، ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبريل اياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية، أن هذه الإية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة(٢) .

ومما يسجله التاريخ من مظاهر حفظ القرآن على يد السلف الصالح، ما قاموا به من ضبط حركات الآيات وتنقيط الكلمات، وكان القيام بهذا العمل بسبب فساد الألسن في اللغة، ووقوع اللحن في القراءة نتيجة الاختلاط والمصاهرة بين العرب والعجم وغيرهم، بعد اتساع الدولة الاسلامية، وتولد الأولاد منهم.

حدث ذات مرة أن سمع أبو الأسود الدؤلي قارئا يقرأ قول الله تعالى ﴿وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ بكسر

---

(١) الاتقان، السيوطي، ج١/٢١٥؛ الانتصار لنقل القرآن، القاضي محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، ص٥٩، تحقيق محمد زغلول سلام، دار بورسعيد للطباعة.

(٢) الاتقان، ج١/٢١٦.

اللام في (رسوله) على أن اللفظ مجرور، فأزعجه ذلك، وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ثم عرض الأمر على زياد..... والي البصرة فطلب منه زياد أن يضع للناس علامات تدل على الحركات والسكنات، فأجابه الاسود إلى ذلك، فجعل للفتحة من فوق العرف، والكسرة نقطة أسفله، وللضمة نقطة بين الحرف والذي قبله، وللتنويين نقطتين [١].

٥- شهادة علماء الغرب بحفظ القرآن من التحريف

اسوق من بعض شهادات الغربيين المنصفين لا لحاجتها ولكن من باب وشهد شاهد من أهله، والحق ما شهدت به الاعداء.

يقول أحد الغربيين الذين اعتنقوا الاسلام: " هل يتأتى لجميع فلاسفة العالم أن يثبتوا غلطة واحدة في القرآن، ولو ارتكنوا على كل ما في أيديهم من علوم عصرية لا يتأتى لهم ذلك، والعلوم كل يوم في تبديل وتغيير، وفي كل لحظة تظهر معاني باهرة لآيات قرآنية، ما كنا لنفهم معناها الا بعد تقدم العلوم [٢].

ويقول أحد أفاضل علماء الانجليز في محاضرة عن الاسلام القاها سنة ١٣٨٥ في كنيسة البرستيان (اذا كان في عالم الإلهام أمرا يدعى وحيا، وكان للوحي وجود كامل، فلن يشك في أن القرآن كتاب منزل [٣].

ويقول المستشرق لوبلوا (Lopelo) "أن القرآن هو الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس فيه أي تغير يذكر" [٤].

ويقول المستشرق وليم موير (Muir- William)

"أن المصحف الذي جمعه عثمان، قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل الينا بدون أي

---

(١) تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، خالد عبد الرحمن العك، ص١١٣ وما بعدها.

(٢) البرهان من القرآن، محمد أحمد مهدي، ص٣٠، منشورات حمد، بيروت، ١٣٨٥.

(٣) الدين والعلم، المشير أحمد عزت باشا، ص١٥٥، ط/١٣٩٦، مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

(٤) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبدالله دراز، ص٤٠.

تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة، بحيث لم يطرأ عليه أي تغير يذكر، بل نستطيع أن نقول أنه لم يطرأ عليه أي تغير على الاطلاق، في النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الاسلامية الواسعة، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الاسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الاجماعي لنفس النص المنزل الموجود معنا، والذي يرجع إلى الخليفة المنكوب عثمان الذي مات مقتولا (١).

وتقول المستشرقة الايطالية لورافيشيا فاغليرى (Lorafeshy Faglyra) استاذه اللغة العربية وتاريخ الحضارة في جامعة نابولي بايطاليا: "فإلى الكتاب العزيز الذي لم يحرفه قط لا اصدقاؤه ولا أعداؤه لا المثقفون ولا الأميون، ذلك الكتاب الذي لا يبليه الزمان، والذي لا يزال الى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلى الرسول الأمي البسيط آخر الانبياء حمله الشرائع- الى هذا المصدر الصافي دون غيره، سوف يرجع المسلمون حتى اذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب (٢).

والنتيجة التي نتوصل اليها:

١- القرآن حافظ عليه المسلمون بعد موت نبيهم واتبعوا في ذلك أدق الطرق لحفظه، فجاء هذا القرآن كما كان في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام.

٢- أن الجمع الذي حصل في عهد الصديق أبي بكر عبارة عن نقل القرآن جميعه، وكتابته في مكان وهو المصحف، مرتب الآيات والسورة، مقتصرا منه على ما ثبتت قرآنيته بطريق التواتر، وكان الغرض منه الاحتياط والمبالغة في حفظ هذا الكتاب خوفاً عليه أو على شيء منه بموت حملته وحفاظه.

٣- لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في نفس جمع القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمع

---

(١) المرجع السابق، ص٤٠.

(٢) هل محمد عبقري أم نبي مرسل، محمد شيخاني، ص٢٢٣-٢٢٤، ط١/ ١٣٩٢/١٩٧٢.

المسلمين على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ والغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة، بهذا صرح القاضي أبو بكر الباقلاني (١).

٤- أن أعداء الاسلام المنصفين يشهدون بحفظ هذا الكتاب من كل تغيير وتبديل وتحريف.

٥- إن جمع القرآن تم خلال سنتين أو ثلاث سنين بعد وفاة محمد ﷺ، وفي هذه الفترة كانت هناك طائفة من أصحاب النبي ﷺ يحفظون الوحي كله عن ظهر قلب، وقد جاء في البخاري أن أنس بن مالك رضي الله عنه سئل عمن جمع القران في عهد النبي ﷺ فقال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد (٢).

وقد كان هناك عدد من الصحابة غير هؤلاء يحفظون القرآن ذكر أبو عبيد القراء من المهاجرين- الخلفاء الاربعة، وطلحة، وسعداً وابن مسعود، وحذيفة وسالماً، وأبا هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة. ومن النساء: عائشة وحفصة، وأم سلمة.... الخ (٣).

ومن هؤلاء جميعا تكونت حلقة اتصال بين ما تلا محمد من الوحي يوم تلاه وبين ما جمعه زيد، فالمسلمون لم يكونوا صادقي القصد في جمع القرآن كله في مصحف واحد فحسب بل كانت لديهم كذلك كل الوسائل التي تكفل تحقيق هذا الغرض وتكفل تحقيق ما اجتمع في كتاب الذي وضع بين أيديهم بعد جمعه من دقة وكمال (٤).

---

(١) من علوم القرآن، عبد الفتاح القاضي، ص٥٥، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج١٠/٤٢٩، الطبعة المصرية.

(٣) نفس المرجع، ج١٠/٤٢٧.

(٤) حياة محمد، محمد حسنين هيكل، ص٣٧، ط١٣، ١٩٦٨، مكتبة النهضة المصرية.

٦- مما يدل على دقة القرآن وكماله، هذه الصحف التي كانت بحوزة الصحابة والتي كثر عددهم، وأطلع الناس عليها، ونحن نعلم أن ما جمعه زيد قد تداوله الناس وتلوه بعد جمعه مباشرة، وقد اشتمل هذا الجمع على ما في هذه الصحف، لذلك حل محلها باقرار الناس جميعاً في ذلك العصر، ولم يذكر أحد أن الجامعين أغفلوا شيئا مما في هذه الصحف، أو أن شيئا مما كان موجودا من هذه اختلف عما حواه المصحف الذي جمع، ولو أن شيئا ذلك كان موجودا من هذه اختلف عما حواه المصحف الذي جمع، ولو أن شيئا من ذلك كان، للوحظ بلا ريب، ولدون في هذه المساند القديمة التي احتوت أدق أعمال الرسول ﷺ وأقواله، والتي لم تغفل منها حتى ما كان قليل الخطر.

مناقشة بعض مزاعم المستشرقين:-

يقول بعض المستشرقين: "إن عبارة ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾[1] التي وردت في الآية السادسة من سورة الصف، انما اضيفت بعد وفاة النبي لالتماس الدليل على نبوة محمد ورسالته من الكتب المقدسة السابقة للقرآن[2].

نقول لهؤلاء المستشرقين لو كان هدفكم خدمة العلم لما لجئتم لمثل هذا الدليل القائم عندكم على أن التوراة والانجيل كتابان مقدسان بالفعل، لأنكم لو أردتم العلم الصحيح لسويتم بين القرآن والكتب المقدسة التي سبقته، فإما أن تعتبروه مقدسا مثلها، فذكره الكتب المقدسة التي عرفها الناس قبله طبيعي لا مجال لرفضه.

وأما أن تعتبروا هذه الكتب المقدسة كما تعتبروا القرآن وتقولوا في شأنها، كما تقولوا في شأنه، فيصدر القرار منكم بأن أصحابها وضعوها لأغراض دينية أو سياسية خاصة، ولو أنكم قلتم بهذا القول لقضى المنطق بفساد قولكم بتحريف القرآن لاغراض سياسية أو دينية، فما كان للمسلمين أن يلتمسوا الحجة من هذه الكتب بعد أن أطمأن ملكهم، ودانت لهم الامبراطورية المسيحية، كما دان لهم غيرها من أهل الأرض،

---

(١) سورة الصف، آية ٦.

(٢) حياة محمد، محمد حسنين هيكل، ص٣٠، ط١٣، مكتبة النهضة المصرية.

وبعد أن دخل المسيحيون في الاسلام أفواجاً بل أمما كامله، هذا ما يقتضيه البحث العلمي النزيه.

أما اعتبار التوراة والانجيل مقدسين، ونفي هذه الصفة عن القرآن فأمر لا يسوقه العلم. وأما القول بتحريفه التماساً للحجة من التوراة والانجيل فهراء، لا يقره التاريخ ولا يرضاه المنطق (١).

مناقشة مزاعم المستشرق - كازانوفا (Casanova) صاحب كتاب محمد ونهاية العالم في فرية تحريف القرآن:

أولاً: زعمه أن صلة البعث بموت النبي كصلته بالموت العام.

أستدل على قوله بما يلي:

١- ﴿أنك ميت وأنهم ميتون، ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ (٢).

٢- وبقوله تعالى: ﴿أفآن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ (٣).

فقد أدعى هذا المستشرق أن البعث ورد في القرآن متصلا بموت النبي اتصاله بالموت العام، وغايته من هذه الفرية اثبات أن البعث سيبدأ بعد وفاة النبي مباشرة.

أن المتأمل في هاتين الآيتين لا يجد فيهما دليلا على دعواه، علماً بأن هذا المستشرق يزعم أن هاتين الآيتين من وضع أبو بكر الصديق.

فالآية الأولى تصرح ببعد زمن الاختصام عن زمن الموت بدليل التعبير (بثم) ولو كان لهذا المستشرق معرفة باللغة العربية لما قال ذلك.

والآية الثانية:

لا شأن لها بنهاية العالم ولا باتصال موت النبي ﷺ بالبعث. أو بانفصاله عنه، وإنما

---

(١) نفس المرجع، ص٣٠-٣١.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٤٤.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٤٤.

هي وردت لتأنيب المقاتلين الذين تزعزعت نفوسهم حين أذاع أبو سفيان أن النبي قد قتل.

وأما قوله بأن هاتين الآيتين من وضع أبي بكر الصديق فنقول لهذا المستشرق:

١- أن قولك هذا يناقض ما جئت به في مقدمة كتابك، حيث ذكرت بأن النبي ﷺ كان أعظم أهل عصره، وأطهرهم نفسا واقواهم عبقرية

قبل الدخول الى أعماق المسألة أحرص على أن أعلن أنني أطرح باديء ذي بدء كل نظرية تميل الى الارتياب في اخلاص محمد! إن كل تاريخ هذا النبي يبرهن على أنه واقعي جدي محمود، ينبغي الوفاق على أن النبي كان رجلا ذا ذكاء عظيم....الخ.

ثم يعترف بأن النبي ﷺ هو الذي أطلق على أبي بكر اسم الصدّيق. فاذا كان النبي ﷺ أطلق اسم الصديق على رجل يقوم بالتزوير والتضليل فهذا برهان إما على الغباوة، وإما على النفاق، وأنت أثبت له العبقرية والاخلاص وطهارة النفس وسمو الأخلاق، وهذا يتنافى مع التزوير والتحريف.

٢- إن أبا بكر الصديق وجد في عصر الصحابة الذين سمعوا القرآن من النبي ﷺ وحفظوه في صدورهم وسطورهم فلو أن التزييف حصل من أبي بكر فهل يمكن أن ينطلي ذلك على باقي الصحابة، أم أنهم اشتركوا في التزوير مع أبي بكر، فاذا كان الأمر الأول: فهذا يخالف الواقع حيث أن الصحابة رضوان الله عليهم كان فيهم العباقرة الأفذاذ الذين شهد لهم الصديق والعدو كأمثال عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير....الخ.

واذا كان الأمر الثاني: فهذا يخالفه شهادة الله لهم حيث يقول: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الغفور العظيم﴾[1].

وهل يرضى الله على من يعمل على تزوير كتابه، ويدخله الجنة أن هذا لا يرضاه العقل السليم.

---

(١) سورة التوبة، آية ١٠٠.

٣- ثم نقول لهذا المستشرق لو أن التزوير حصل من أبي بكر كما تدعي ألم يكن للاسلام خصوم، فلو أن هذا الأمر حصل لاطلع الناس عليه ولما سكت خصوم الاسلام على ذلك ، وهم الحريصون على أن يجدوا ثغرة ليطعنوا بها في كتاب الله ، وكل ذلك لم يحصل فهذا يدل على بطلان قولك . فالله أنزل كتابه وتولى حفظه من كل تحريف وتبديل ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [١] ولكنه الحقد الدفين في نفوس القوم نحو كتاب الله أبو الا أن يظهروه.

٤- نقول لهذا المستشرق اذا كان أبو بكر قد وضع هاتين الآيتين فمن الذي وضع الآيات المتعددة التي وردت في كتاب الله وتنص على أن الساعة سر قد استأثر الله بعلمه، وأن موت النبي ﷺ سيكون حدثا بسيطا ضمن أحداث الكون العام ، كما كان موت من سبقوه من الانبياء ، وأن الحياة ستظل من بعده وقتاً لا يعلم مقداره الا الله ، وأن الساعة سيكون لها علامات وان الذين سيشهدونها أقل الناس ايمانا؟ وهل وضع ابو بكر جميع هذه الآيات ولم يتنبه اليه أحد ؟

٥- ادعى هذا المستشرق أن قول الله تعالى : ﴿واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ [٢]. كانت في الاصل (سنريك بعض الذي نعدهم)، وكذلك قوله تعالى ﴿واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ [٣]. وقوله: ﴿فاصبر ان وعد الله حق ، فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون﴾ [٤].

ثم يقول في حق هذه النصوص : أفليس من المعقول أن هذه الآيات مدت اليها يد

---

(١) سورة الحجر، آية ٩.

(٢) سورة يونس، آية ٤٦.

(٣) سورة الرعد، آية ٤٠.

(٤) سورة غافر، آية ٧٧.

التبديل، وأنها كانت قبل التبديل مثلا سنريك بعض الذي نعدهم ، أي أنها كانت نصا صريحا في شهود النبي ﷺ الساعة ، ثم رأى أصحابه أن الساعة لم تقم وضعوا صورة الشك في هذه الآيات موضع صورة اليقين وجعلوها (وأما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك) غير أن هذا التحوير الذي أوقعوه في الآيات السالفة لم يكن من السهل عليهم اجراوءه في بعض الآيات الاخرى لتأليفها كلا متماسكاً أوله بآخره تماسكا محكما الى حد أنه لو وضعت فيه صورة التردد لانقلب هذا الشكل المنسجم مشوها مضحكا [(١)] .

ان ادعاء هذا المستشرق بأن هذه قد حرفت من قبل الصحابة ادعاء باطل لا دليل له عليه الا الله اعظم من أن يجهل المصير فيعبر بعبارة الارتياب ، فالله يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة ، ولا يعزب عنه شئ في الارض ولا في السماء.

مناقشة أقوال صاحب كتاب الوحي الجديد

اولا : انه من المستحيل أن يكون القرآن الحالي حاويا لجميع ما أنزل، بل إنه من المؤكد تاريخياً أنه قد ذهب منه جانب ليس بقليل.

والرد على هذه التهمة : نقول إن معاشر المسلمين يعترفون بأن القرآن الكريم لا يشمل جميع ما أنزله الله على نبيه ولكنه يشمل جميع ما سمح بأن ينقل في المصاحف ويتلى تعبدا .

وقد أشار النبي ﷺ الى أن هناك آيات كثيرة من القرآن قد نسخت ، فنصوص الكتاب والسنة دالة على جواز ذلك ووقوعه .

قال الله تعالى : ﴿واذا بدلنا آية مكان آية﴾ [(٢)] .

وقال أيضا : ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها﴾ [(٣)] .

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال عمر رضي الله عنه : أقروءنا ابيٌ وأقضانا، وإنا

---

(١) نظرات استشراقية، محمد غلاب، ص١٠٦.

(٢) سورة النحل، آية ١٠١.

(٣) سورة البقرة، آية ١٠٦.

لندع من قول أبيّ وذاك أن أبيا يقول لا أدع شيئا سمعته من رسول الله ﷺ ، وقد قال الله عز وجل (ما ننسخ من آية أو ننسها) [١].

واذا كان الأمر كذلك فما فائدة قول هذا المستشرق ما أظنه الا أراد تشكيك المسلمين في كتابهم .

ثانيا : واما قوله : من المستحيل اقامة البرهان على أنه طبق ما نطقت به شفتا محمد تماما بل انه في آيات عديدة منه اختلافات مدهشه ولا يعرف الا الله ما هو النص الصحيح . فسنعمل على مناقشة هذه الشبهة عند التعرض لموقف المستشرقين من القراءات القرآنية .

ثالثا : واما قوله (اننا نعلم تماما بشهادة زيد بن ثابت التي لا ريب فيها أنه لم تدون جميع السور ، والآيات التي سمعت من فم محمد ، بل ان كثيرا منها حفظ في صدور الناس ، ومرت سنون عديدة قبل أن أمر زيد بتدوينها نقلا عن ذاكرة القراء ، فكيف تأمن على الحقيقة من ذاكرتهم) [٢] .

وللرد على هذه التهمة نقول :

١- ان القرآن الكريم تم تدوينه في عهد الرسول ﷺ كما سمع من فمه ، حيث كان حريصا على حفظ ما ينزل عليه حرصا جعله يسابق الملَك ، ويعجل بتلاوة ما أنزل عليه قبل أن يفرغ ويحرك به لسانه وشفتيه [٣] حتى نزل عليه قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه﴾ [٤].

جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما (ان علينا أن نبينه بلسانك

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٩/٢٣٣-٢٣٤، الطبعة المصرية.

(٢) الوحي الجديد، ص٤٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٠/٣٠٨؛ تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٤/٢٠٩.

(٤) سورة القيامة، آية ١٦-١٩.

قال : وكان اذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله)[١] .

وكان ﷺ يخاف أن ينسى من القرآن شيئا ، حتى تعهد الله له بعدم نسيان شيء منه وذلك بقوله سبحانه ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾[٢] أي لا تتعب نفسك ولا تعجل بالقراءة إنك لا تنسى[٣] ، وجاء في صفوة التفاسير: سنقرئك يا محمد هذا القرآن العظيم فتحفظه في صدرك ولا تنساه[٤] .

وكان ﷺ اذا ما انتهى الوحي تلا الآيات التي أنزلت عليه وأمر كتبة بكتابتها بين يديه فيكتبونها وكانوا يخضعون لتعاليم الرسول ﷺ حيث يقوم بإرشادهم الى وضع كل آية أو سورة في موضعها من كتاب الله ، والنبي يعمل بما يرشده به جبريل عليه السلام ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قلت لعثمان بن عفان ، ما حملكم أن عمدتم الى الانفال وهي من المثاني[٥] والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطرا . بسم الله الرحمن الرحيم – ووضعتموها في السبع الطوال ؟

قال عثمان : كان رسول الله مما يأتي عليه الزمان وهي تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان اذا أنزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هوءلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكذا ، واذا أنزلت عليه الآية فيقول ضعوا هوءلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكذا ، واذا أنزلت عليه الآية فيقول ضعوا هذه الاية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . .[٦]

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج١٠/٣١٠.

(٢) سورة الأعلى، آية ٦.

(٣) تفسير الجلالين، سورة الأعلى، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ٨٠٣، دار المعرفة، بيروت.

(٤) صفوة التفاسير، الصابوني، ج٣/٥٤٩، دار القرآن، بيروت.

(٥) المثاني: هي السور التي تقل آياتها عن المئتين وتزيد على المفصل، سنن الترمذي، ج٥/٢٧٢ الهامش.

(٦) الترمذي، كتاب التفسير، باب ١٠، ج٥/٢٧٢، ط٢، تحقيق إبراهيم عطوة.

ولقد كان كتبة القرآن على رتبة عالية من الامانة والثقة كما تميزت كتابة القرآن بالدقة والمراجعة والاتقان ، وقد حفظ القرآن عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم منهم الخلفاء الاربعة وابي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وابو موسى الاشعري ، وأبو الدرداء[1] ، وغيرهم كثير ، وقد جعل العلماء حفظ القرآن من فروض الكفاية على المسلمين وكذلك تعليمه ، وممن قال بذلك أبو العباس الجرجاني في كتابه الشافي في فروع الشافعية[2] .

قال الجويني : والمعنى فيه الا ينقطع عدد التواتر فيه ، مولا يتطرق اليه التبديل والتحريف ، فان قام بذلك قوم سقط الاثم عن الباقين ، فان لم يكن في البلد والقرية من يتلو القرآن أثموا بأسرهم ، ولو كان هناك جماعة يصلحون لتعليمه ، وطلب من بعضهم وامتنع لم يأثم في الاصح كما قاله النووي[3] .

وبعد أن التحق النبي ﷺ بالرفيق الاعلى لم تمض الا بضعة أشهر حتى دعا ابو بكر القراء ، وعلى رأسهم زيد بن ثابت وأمرهم أن يدونوا القرآن في مصحف ودفع اليهم تلك المخطوطات ليرجعوا اليها ان اختلفوا في شيء[4] .

هذه شهادة أمة برمتها ، فكيف يقول كاتب الرسالة إن القرآن لم يكتب كله على عهد النبي ﷺ ؟ وما معنى قوله : مرت سنون كثيرة قبل أن أمر زيد بن ثابت بكتابته ، علماً بأن التاريخ الصحيح يثبت بأنه لم تمض عليه غير بضعة اشهر ، ومدة خلافة ابي بكر الذي دون القرآن في عهده سنتان واشهرا ، فاين هذه السنين التي يذكرها هذا الكاتب ؟

---

(١) معرفة القراء الكبار، الذهبي، ج١/٢٩، تحقيق محمد سعيد جاد الحق.

(٢) البرهان، الزركشي، ج١/٤٥٦، نقلاً عن كتاب الشافي، للجرجاني.

(٣) البرهان، الزركشي، ج١/٤٥٦؛ التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، ص١٩.

(٤) الاتقان، ج١/٢٠٣ النسخة المحققة.

رابعا : واما قوله : إن ابن مسعود هذا (وقد نعته بأنه أعلم الناس بالقرآن) لم يكن ليعتبر نسخة عثمان صحيحة ، وأنه رفض أن يسلمه نسخته ليحرقها ، وأنه أشار على أهل العراق ليكتموا نسخهم قائلا : يا أهل العراق اكتموا المصاحف التي عندكم وغلقوها ، وانه حذف السورة الاولى (اي الفاتحة) والسورتين الاخيرتين من نسخته بحجة أن تلك السور ليست من كتاب الله) .

نقول لصاحب هذه الرسالة : ما هي المصلحة التي يحققها هؤلاء الصحابة من زيادة ثلاث سور في كتاب الله ليست منه ، وهل يعقل أن يعمد هوءلاء الى وضع فاتحة الكتاب وأن يذيلوه بسورتين صغيرتين ، في أمة تتعبد بتلاوة ذلك الكتاب ، وفيهم الحفظة له ، وفيهم من شهد التنزيل ؟

ان هذا أمر لا يقره العقل ، لو كانت الزيادة آية في سورة طويلة ، أو كلمة في آية لهان الخطب على العقل ، ولكن يقول : ثلاث سور في أظهر مكان من كتاب الله – في أوله وآخره– وهذا أمر لا يقره عاقل .

ثم نقول لمدعي التحريف : لو كان الأمر كما تقول لأثار ذلك صخب الناس وغضبهم ، ولكن كل ذلك لم يحصل ، فدل ذلك على بطلان هذه التهمة . ثم إنك تقول : ان ابن مسعود من أعلم الناس بالقرآن ، فكيف به يسكت على هذه الزيادة ان كان خاف من عثمان في أيام خلافته ، فقد مضى عهد عثمان ، وجاء من بعده عهد علي ، ولم يذكر ابن مسعود من ذلك ، وتتابعت الاجيال من بعده وكل ذلك لم يحصل .

شهادة العلماء على بطلان هذه الفرية :

قال الامام النووي : " اجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منها شيئا كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس تصحيح"[(١)] .

وقال ابن حزم "هذا كذب على ابن مسعود وموضوع وإنما صح عنه قراءة عاصم عن

---

(١) شرح المهذب، النووي، ج٦/٩٦؛ المجموع، النووي، ج٣/٣٣٢.

زرّ عنه وفيها المعوذتان والفاتحة"[1].

وقال القاضي ابو بكر : "لم يصح عنه أنها ليست من القرآن ولا حفظ عنه ، وانما حكها وأسقطها من مصحفه انكارا لكتابتها ، لاجحدا لكونهما قرآنا ، لأنهت كانت السنة عنده ، أن لا يكتب في المصحف الا ما أمر النبي ﷺ فيه ، ولم يجده كتب ذلك ولا أمر به"[2].

وروى عقبة بن عامر الجهني قال : كنت أقود ناقة رسول الله ﷺ في السفر فقال : يا عقبة الا اعلمك خير سورتين قرئتا ؟ فعلمني (قل اعوذ برب الفلق) (وقل اعوذ بربّ الناس)[3]. وهذا الخبر ينصّ على أنها قرآن منزل.

ويقول ابن قتيبة : "واما أسقاط الفاتحة من مصحفه - اي ابن مسعود - فليس لظنه انها ليست من القرآن معاذ الله ، ولكنه ذهب الى أن القرآن انما كتب وجمع بين لوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان"[4].

ومعنى ذلك أنه يرى أن الشك والنسيان والزيادة والنقصان مأمونة في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد لاجل الصلاة .

وقد جاء في سنن ابي داود: قال رسول الله ﷺ (الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب ، والسبع المثاني)[5].

وفي صحيح البخاري : عن ابي سعيد بن المعلى عليه السلام قال : قال لي رسول الله ﷺ (لاعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد فأخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج قلت له ألم تقل لاعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال : الحمد لله

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، ص٢٨٨.

(٢) الانتصار لنقل القرآن، أبو بكر الباقلاني، ص٩٠ وما بعدها بتصرف.

(٣) المرجع السابق، ص٩١.

(٤) مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص٤٩، ط٣/١٤٠١/١٩٨١.

(٥) عون المعبود، شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، ج٤/٣٣٠، باب فاتحة الكتاب.

رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته) [1].

وفي صحيح مسلم : عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ "الم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ، قل اعوذ برب الفلق ، وقل اعوذ برب الناس" [2].

فهذه الآثار النبوية تدل دلالة قاطعة على أن هذه السور التي بُدئ القرآن بها وختم هي من كتاب الله تعالى ، ثم يقول لهذا المستشرق ان رواية ابن مسعود رواية أحادية فهي لا تعارض القطعي الثابت بالتواتر الذي رواه جمع يحيل العقل تواطأهم على الكذب ، إنّ ظن ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن لا يطعن في قرآنيتهما .

قال ابن قتيبة : "ظنّ ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن لأنه رأى النبي يعوذبهما الحسن والحسين فأقام على ظنه ، ولا نقول أنه أصاب في ذلك ، واخطأ المهاجرون والانصار" [3] .

واما زعمه بأنه أشار على أهل العراق ليكتموا نسخهم :-

فنسأله ، وهل أجاب أهل العراق طلب ابن مسعود ، وادا كانوا تجابوا هذا الطلب فأين النسخ التي احتفظوا بها ، وهي تخالف مصحف عثمان ، علما بأن التاريخ الصحيح يثبت عدم وجود نسخة تخالف نسخة عثمان .

والتاريخ يؤكد بأن أهل العراق عندما ثاروا على عثمان ذكروا عيوبا جمة ليس منها أنه عمد الى تحريف القرآن ، وكانت هذه الحجة كافية لصرف القلوب عنه .

واذا صح أن ابن مسعود كتب لأهل العراق أن احتفظوا بمصاحفكم ، فلم لم يفاتح أهل المدينة في هذا الأمر ، وهو يعيش معهم ، ومنهم كبار الصحابة .

واذا كان أخبرهم بهذا الامر ، فهل يتفق أن يجمعوا كلهم على رفض قوله ، وهل يعقل

---

(١) فتح الباري في شرح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٩/٢٢٤، باب ما جاء في فاتحة الكتاب.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج٦/٩٦، باب فضل قراءة المعوذتين.

(٣) مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص٤٣، ط٣/١٤٠١/١٩٨١ .

أن لا يكون فيهم واحد يعرف ما يعرف هو من أن الفاتحة والمعوذتين ليست من القرآن فيشاركه رأيه؟ كل ذلك لم يكن وهذا يدل على بطلان هذا القول لأن العقل لا يصدق أن مراد التحريف يعمد الى أول الكتاب وآخره فيزيد فيه ، وهو يعلم أن المسلمين الاوائل كان شغلهم الشاغل القرآن [(١)] . حقا ان هذا القول لمضحك .

٥- واما قوله (ان ملايين المسلمين في بلاد العجم يعزون كلا الزيادة والنقص الى عثمان، ويقولون انه حذف كثيرا من الآيات في مدح علي ، فضلا عن سورة كاملة تركها تدعى سورة النورين ، ونحن لا نثبت صحة هذه السورة فقط ، نقول ان أمرا كهذا يبعث على الريبة ويبين ضعف الحجة المشهورة (فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) ولا يخفى ان عليا كابن مسعود أبى أن يسلم نسخته الى عثمان لينقحها بحجة أنها كانت كاملة" [(٢)] .

ان هذه الشبهة باطلة من وجوه :-

أولاً: ادعى الكاتب أن ملايين من المسلمين في بلاد العجم يعزون إلى عثمان أنه حرّف القرآن، وهذا ادعاء باطل لأن أهل العالم الإسلامي سنة وشيعة ينزهون القرآن عن التحريف الا بعض الغلاة منهم.

قال الطبرسي: وهو من علماء الشيعة في مجمع البيان أما الزيادة في القرآن فمجمع على بطلانها، وأما النقصان فيه فروى عن قوم من أصحابنا، وقوم من حشوية العامة والصحيح خلافه [(٣)] .

ثانياً: ادعى أن في القرآن سورة كانت موجودة، فعمل عثمان على حذفها وقال انه طبعها بذيل رسالته، فيكفي للرد عليه أنه يشك هو نفسه في أنها من القرآن، وما صدر منه هذا الشك الا لأنه يعلم أن أحدا من شيعته وضعها للتشكيك في القرآن وفيما يلي نموذجا من

---

(١) مجلة الأزهر، جلد ٨/٤١٣-٤١٤.

(٢) المرجع نفسه، ج٨/٤٢٥.

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، ص٢٩١، ط٢.

هذه السورة ليطلع القارئ على ركاكتها وضعف معناها وبعدها عن القرآن.

"يا أيها الذين آمنوا بالنورين انزلهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب عظيم، نوران بعضهما من بعض وأنا لسميع عليم، أن الذين يوفون بعهد الله ورسوله في آيات لهم جنات نعيم والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدوا الرسول عليه يقذفون في الجحيم".

هذا نموذج من التلفيقات المضحكة، ولو كان التحدي بالقرآن من هذا الضرب لاستطاع غلمان المدارس أن يأتوا بسورة مثل هذه السورة بل بسور مثله.

٦- وأما قوله: "أن عمر كان يقبل كل آية بشهادة شاهدين فكان من الممكن أن ترفض آية صحيحة اذا شهد بها شاهد واحد، وأن تقبل آية محرّفة اذا شهد بصحتها شاهدان".

هذا القول باطل: لأن القرآن ثبت بطريق التواتر فقد رواه جمع عن جمع تمنع العادة تواطأهم على الكذب فقد وجد عدد كبير من الصحابة يحفظ القرآن ومن بينهم الخلفاء الأربعة، وكذلك كان محفوظاً في الصحف، فقد اجتمع له حفظ الصدور والسطور، واذا كان الأمر كذلك فما شأن عمر في كتابة القرآن وأخذه.. مناقشو المستشرق الانجليزي الدكتور آرثر جفري (Jeffery) الذي يقول بقرآنيو القرآن- أي أنه هو القرآن أو ليس القرآن.

أولاً: قوله بتطور القرآن:

استحالة هذا القول لما يلي:-

١- القرآن كلام الله أحكمت أياته وفصلت من لدن حكيم خبير وكلام الله يستحيل أن يلحقه تطور، فالقرآن محال أن يلحقه تطور. قال الله تعالى ﴿آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[(١)]. ويقول الله تعالى: ﴿آلر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾[(٢)].

أي نظمت آياته نظما محكما، لا يلحقه تناقض ولا خلل.

---

(١) سورة هود، آية ١.

(٢) سورة يونس، آية ١.

٢- أن من مقتضيات التطور ومقوماته اعتبار الظروف والملابسات التي تؤثر في الشيء فتنقله من طور إلى طور، ومن حال إلى حال، وهذا غير معقول بالنسبة للقرآن بحال.

فالقرآن أنزل على العرب الذين من صفاتهم التمسك والمحافظة على لغتهم، وقد آمنوا بالقرآن إيمانا قاطعا، وحافظوا عليه لأنهم وجدوا فيه ما بهر عقولهم من الفصاحة والبلاغة (وهم فرسان هذا الميدان) وكذلك حافظ عليه من جاء بعدهم، ومن كان هذا حاله فلا يعقل أن يقدم أو يؤخر أو يزيد أو ينقص في كتاب الله حتى يلحقه التطور كما تقول.

ونورد دليلاً يبين شدة محافظة العرب على لفظ القرآن الكريم ونظمه، روي عن عمر بن عامر الأنصاري أن سيدنا عمر بن الخطاب قرأ قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان﴾ [(١)]. فقال زيد بن ثابت: (والذين اتبعوهم) بزيادة الواو.

فقال عمر: أتوني بأبي بن كعب، فسأله عن ذلك فقال أبي: (والذين اتبعوهم) فجعل كل واحد يشير إلى أنف صاحبه بإصبعه.

فقال أبي: والله أقرأنيها رسول الله ﷺ وانت تبيع الحنطة.

فقال عمر: اذا فتابع أبيا [(٢)].

فهذا دليل واضح يبين أن القوم كانوا يهتمون بحفظ نصوص الآيات بحيث أن زيادة حرف واو أو نقصها أمر مهتم به، مع إنه لا يغير المعنى كثيرا؟

٣- من الثابت أن القرآن الكريم وصل الينا عن طريق التواتر المفيد للعلم الضروري، وهذا يفيد بداهة أن القرآن لم يلحقه تطور ولن يلحقه.

أليس هو الكتاب الذي تحدى الله به البشر فعجزوا عن الاتيان بمثله أليس هو الكتاب الذي تحدى الله به البشر فعجزوا عن الاتيان بمثله أو بعشر سور أو سورة واحدة، فكيف

---

(١) سورة التوبة، آية ١٠٠.

(٢) تاريخ القرآن، الزنجاني، ص٣٦، ط٣، تقديم الأستاذ أحمد أمين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

يلحقه التطور ثم أليس هو الكتاب الذي أحكم آياته، وهو المشرف على الحوادث الكونية، المقرر لأحكامها في كل زمان ومكان الضابط لأحوال الأمم الاجتماعية والعمرانية، المحقق لسعادتها الدنيوية والضرورية، ومن كانت هذه صفاته فكيف يلحقه التطور.

أن القرآن هو المسيطر والمهيمن على جميع التطورات التي وقعت وتقع في الكون وخذ مثالا على ذلك: قال الله تعالى مخبرا عن حال الكفار في عصر رسوله ﷺ بأنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ﴿أن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون﴾ (١).

وتبقى هذه الآية مقررة لحال الكفار الذين جاءوا من بعدهم حتى يومنا هذا.

فاذا كان الأمر كذلك فكيف بك تقول (نتقدم بهذا الكتاب- يعني كتاب المصاحف- للقراء على أمل أن يكون أساسا لبحث جديد في تاريخ تطور قراءات القرآن) أن علماء الاسلام يجمعون على أن التطور في القرآن مستحيلا عقلا وشرعا، أن هذا الأمر خطير لأنه يتعلق بأصل أصول الأسلام، وأي شيء أخطر من هذا التطور المشؤم الذي يوقع المسلمين في الشك والارتياب في كتابهم العزيز.

وأما قول هذا المستشرق: "نشر في أيامنا هذه علماء الشرق كثيرا مما يتعلق بتفسير القرآن واعجازه وأحكامه، ولكنهم إلى الآن لم يبينوا لنا ما يستفاد منه التطور في قراءاته، ولا ندري على التحقيق لماذا كفوا عن هذا البحث في عصر له نزعة خاصة في التنقيب عن تطور الكتب المقدسة القديمة وعما حصل لها من التغيير والتحوير ونجاح بعض الكتاب فيها" (٢).

أن قول هذا المستشرق بأن علماء الأسلام ألفوا كثيرا في تفسير القرآن وبلاغته واعجازه لا يريد منه مدح علماء الاسلام وانما يريد أن يعهد لما يعد ذلك وهو أنهم لم يبحثوا عن التطور في القرآن الكريم، فهو بهذا يعيب عليهم انصرافهم بكليتهم الى التأليف

---

(١) سورة الأنفال، آية ٣٦.

(٢) مقدمة كتاب المصاحف، آرثر جفري، ص٣، مقدمة الدكتور جفري.

في التفسير ونحوه وعدم التفاتهم إلى البحث عن التطور.

وأما قول هذا المستشرق بأن علماء الاسلام لم يبحثوا عن التطور في القرآن الكريم، فلأنهم يعتقدون أن القرآن لم يتطور لأن التطور من مقوماته ملاحظة الملابسات المحيطة به التي تنقله من طور إلى طور ومن حال إلى حال، وهو محال في القرآن، والامة بكاملها تجمع على أن القرآن الموجود حاليا نقل الينا بطريق التواتر وأنه هو نفس القرآن الذي نزل على محمد ﷺ وهذه الحقائق ثابتة بالنسبة للقرآن، واذا كان الأمر كذلك فلم يبحث علماء الأسلام عن التطور في القرآن؟

وأما ما ذكره بالنسبة لتحريف التوراة والانجيل، فان هذا الطعن لا يتعلق بالمسلمين، ونحن نؤمن بالأصل لهذه الكتب أنها من عند الله، والقرآن يشهد بأنها حرفت وغيرت كما أن هذا التاريخ يؤيد ذلك، وعلماء الشرق والغرب المنصفون يقدمون شهاداتهم بأن هذه الكتب لحقها التغيير والتبديل على يد اصحابها.

وأما القرآن فلم يجدوا للنقد اليه سبيلا، ولو وجدوا لنبهوا اليه، ولكن هذا المستشرق أراد من كلامه أن يجعل هذه المباحث المتعلقة بالتوراة والانجيل وبعلماء الكتابين توطئة وتمهيدا لاثبات التطور في القرآن الكريم، وهذا ما يدل عليه كلامه لأنه بدأ مقدمته بدعوى التطور في القرآن.

وقد حاول هذا المستشرق أن يستدل على كلامه بكتاب المصاحف لابن أبي داود حيث يقول (ونظرة قصيرة في كتاب المصاحف لابن أبي داود تمكننا من الوصول إلى أول مراتب هذا البحث)[١].

ولو أن هذا المستشرق قرأ هذا الكتاب قراءة العالم المتفحص الذي يريد حقائق العلم لما استدل بهذا الكتاب الذي ورد فيه ما يصلح دليلا على نقيض ما يزعمه.

قال عبد الله بن أبي داود: (لا نرى أن نقرأ القرآن الا لمصحف عثمان الذي اجتمع

---

(١) المصاحف، ابن أبي داود، مقدمة الدمتور جفري، ص١٠.

عليه أصحاب النبي ﷺ ، فان قرأ انسان بخلافه في الصلاة أمرته بالاعادة) [1].

أليس هذا اعترافاً صريحاً من ابن ابي داود لا يقبل التأويل . بأن القرآن هو الذي جمعه سيدنا عثمان واجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، وأن غيره من الروايات الأحادية ليست قرآناً ، وأن قرأ بها في الصلاة أمره ابن ابي داود نفسه بالاعادة . ثم بعد ذلك تستدل بكتاب ابن ابي داود وهو شاهد عليك .

مؤلفات المستشرقين في تاريخ القرآن

اهتم المستشرقون بتاريخ القرآن ، وقد ابتدأت دراستهم هذه من أوائل القرن التاسع عشر الى المنتصف الثاني من القرن العشرين وفيما يلي أسماء بعض المستشرقين الذين ألفوا في تاريخ القرآن واسماء مؤلفاتهم .

١- المستشرق الفرنسي بوتيه (POTYH) (١٨٠٠-١٨٨٣) فقد امضى طويلا في دراسة تاريخ القرآن وقد نشرت دراسته هذه في باريس سنة ١٨٤٠م .

٢- المستشرق الالماني جوستاف فايل (G FAYI) (١٨٠٨-١٨٨٩م) ألف رسالة عنوانها (مدخل تأريخي نقدي الى القرآن) .

٣- المستشرق الالماني نولدكه (NOLDEKE) (١٨٣٦-١٩٣٠) ألف كتابا أسماه (تاريخ القرآن) ووضع رسالة الدكتوراة وعنوانها (أصل وتركيب سور القرآن) .

٤- المستشرق الانجليزي ادوارس (EDWARS) كتب بحثا أسماه (التطور التاريخي للقرآن) .

٥-المستشرق المجرى جولدتسيهر (GOLDZIHER) عرض لتاريخ القرآن في مذاهب التفسير الاسلامي.

٦- المستشرق كارل بروكلمان (BEROCKLMMAN)عرض في كتاب تاريخ الأدب العربي في الفصل الثاني من الباب الثاني لتاريخ القرآن .

---

(١) المصاحف، ابن أبي داود، ص٥٣-٥٤، ط١.

٧- المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير (BLANCHERE R) ألف كتابا أسماه (القرآن) [١].

محاولة المستشرقين معارضة القرآن

قام المستشرق الاسباني اللاهوتي ريموندو مارتي (REMONDO MARTEY) الذي درس العربية واتقنها كتابة وقراءة بوضع سورة يعارض فيها القرآن ، وقد بقيت هذه المعارضة في مخطوط كتاب (VOCABULISTA IN ARABICO) ونشرها اسكيا بارلي (A PARLY) في نشرته لهذا الكتاب (ص XVI F) وترجمها الى الايطالية . وفيما يلي نص هذه السورة المزيفة :-

بسم الله الرحمن الغفور الرحيم

اعارض قرآن من آخر اسمه الدال واوله الميم بلسان فصيح عربي مبين ، لا يمنعني منه سيف ولا سكين ، اذ قال بلسان الالهام سيد المرسلين ، قل المعجزة لا شريك فيها لرب العالمين ، وفي الفصاحة يشترك كثير كثيرين ، يغلب احيانا الطالح الصالح ، والكافر المؤمنين ، فليست الفصاحة ولو في النهاية آية ولا معجزة اللهم الا عند الذين اوطاهم عشوة معلم مجنون حتى قالوا عنه خاتم الانبياء وسيد المرسلين ، مع أنه باقراره في سورة الاحقاف لم يدر قط ما يفعل به ولا بتباعه أجمعين كتعين قفل يا من اسمه رمند ولقبه مرتين آه لقوم يقبل الباطل والخرافات والترهات كانها اليقين ، وان كنتم في شك مما الهمنا اليه عبدنا يا معاشر المسلمين فأتوا بحل هذه الحجة وبمثل هذه السورة وادعوا لذلك اخوانكم من الجن انت كنتم مهتدين ، فان لم تقدروا ولن تقدروا فقد زهق الباطل واستقام اليقين والحمد والشكر لله أمين أمين [٢].

ويذكر ان هذا المستشرق ألف كتابا بعنوان (الخلاصة ضد القرآن) وللرد على هذا

---

(١) المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص٢١٤-٢١٥، دار العلم للملايين، بيروت.

المستشرق نقول ان الله عز وجل تحدى الانس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا وذلك أن رســول الله ﷺ لما أنزل عليه القرآن وقرأه على الناس قالوا تارة انه شاعر ، وتارة أخرى انه كاهن ، وآونة قالوا انما يعلمه بشر فتحداهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ انه ان كان الأمر كما تقولون فلتأتوا بمثله ، وكان التحدي على مراتب ثلاث .

المرتبة الاولى : أن يأتوا بمثل القرآن .

المرتبة الثانية : أن يأتوا بعشر سور .

المرتبة الثالثة : وهي اقصى درجات التحدي - وهي أن يأتوا بسورة من مثله .

وقد بلغ التحدي غايته في سورة البقرة حيث قال تعالى : ﴿وان كنتم في ريب مـما نزلنا على عـبـدنا فـأتوا بسـورة من مـثله وادعـوا شـهداءكـم من دون الله ان كنتم صادقين، فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا فـاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين﴾ (١) .

وقـد عـجـز هؤلاء عن مـعـارضـة القرآن وهم أرباب الفـصـاحـة والبـلاغـة فكيف بهذا المستشرق الذي لا يتقن العربية وبامثاله يتطاولون على كتاب الله لمعارضته، ان هذا يدل على الجهل والغرور الذي يفضح صاحبه .

رد مزاعم المستشرقين حول فرية الصرع

دلت مباحث المستشرقين على أن النبي ﷺ كان يصاب بالصرع ، وان أعراض هذا الداء كانت تظهر عليه ، اذ كان يغيب عن صوابه ، ويسيل منه العرق، وتعتريه التشنجات وتخرج من فمـه الرغوة ، حتى اذا أفاق من نوبته تلا على المؤمنين به مـا يزعم أنه وحي الله اليه ، في حين لم يكن هذا الوحي الا أثر من نوبات الصرع .

١- يقول المستشرق نولدكه(NOLDEKE) : " ان سبب الوحي النازل على محمد ﷺ والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع " (٢) .

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٤.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، ج١/٣٤؛ أضواء على الاستشراق، ص٧٩.

وقد عارضه المستشرق دي غويه فقال : DEGOYH "ان هذا الافتراض ليس صحيحا فحاسة الذاكرة عند المصابين بالصرع تكون معطلة ، على حين أن ذاكرة محمد ﷺ كانت غاية في الجودة كلما هبط عليه الوحي "[(١)].

٢- واما المستشرق شبرنجر فيقول : (SPRNGR) " انها ليست (نوبات صرع) وانما هي نوبات هستيرية اشتهرت باسم (شوتلاين)[(٢)].

وقد عارضه المستشرق سنوك هركورنيه (S. HEKRONYH) وقال : بأنهت يجب أن نقر بأن قيمة محمد ﷺ انما هي ما يميزه عن سائر الهستيريين[(٣)].

٣- ويقول المستشرق غوستاف لوبون (G. LEBON) " وقيل ان محمداً كان مصاب بالصراع، ولم أجد في تواريخ العرب ما يبيح القطع في هذا الرأي، وكل ما في الأمر هو ما رواه معاصرو محمد، وعائشة منهم، من أنه كان اذا نزل الوحي عليه اعتراه احتقان وجهي فغطيط فغشيان واذا عدوت هوس محمد، ككل مفتون وجدته حصيفا سليم الفكر[(٤)].

ثم يقول : ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح وذلك كأكثر مؤسسي الديانات[(٥)].

هذا غوستاف لوبون (G. LEBON) - الذي يقول عنه المغفلون انه من المستشرقين المنصفين المتعمقين في دراساتهم العربية والاسلامية فهو يصور قضية الوحي بصورة الهوس والصرع الذي يعتري المتهوس السليم الفكر أحيانا ، فما الفرق بين ادعاء هذا المستشرق وادعاء مشركي قريش عندما قالوا (انه لمجنون) ان هذا المستشرق قد

---

(١) المرجع السابق، ج١/٣٤.

(٢) المرجع نفسه، ج١/٣٤.

(٣) المرجع نفسه، ج١/٣٤.

(٤) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص١١٣-١١٤.

(٥) المرجع نفسه، ص١١٤.

صاغ هذه الفرية بصيغة علمية منمقة من أجل أن ينطلي ذلك على ضعاف العلم والبصيرة.

٤- واما المستشرق درمنغام (DERMENGHEM) فقد حبك اسطورة للناس توهمهم أن محمدا قد خارت - في الغار - قواه العقلية والعصبية والنفسية ، وسيطرت عليه الهواجس والخيالات والاوهام نحو من ستة أشهر - حسب زعمه - فأدخل ذلك في روعه أنه غدا أنه رسولا من الله [١].

أدلة بطلان هذه الفرية

أسوق فيما يلي بعض الشهادات على بطلان هذه الفرية : -

١- شهادة التاريخ :

الذي يقرأ كتب السير والتاريخ يجدها تقدم الأدلة الصحيحة القاطعة على حسن أخلاقه وتصرفاته ، فقد كان يتصف بالصبر والحلم ، وفساحة الصدر ، حتى إنه وسع الناس جميعا . كما اتصف بالشجاعة والثبات في المواطن التي يفر الابطال فيها وكان يقول (انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب) [٢] . ويقول هلموا إلي أيها الناس [٣].

يقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني : " أما مرض الهستريا الذي يصمونه ﷺ كذبا به فهو داء عصبي عضال ، اكثر اصاباته في النساء ، ومن اعراضه شذوذ في الخلق وضيق في التنفس ، واضطراب في الهضم ، وقد يصل بصاحبه الى شلل موضعي ثم الى تشنج ثم الى اغماء ، ثم الى هذيان مصحوب بحركة واضطراب في اليدين والرجلين ، وقفز من مكان الى مكان ، وقد يزعم المصاب أنه يرى أشباحاً تهدده ، واعداء تحاربه أو أنه يسمع اصواتاً تخاطبه على حين أنه لا وجود لشي من ذلك كله في الحين والواقع [٤] .

---

(١) وحي الله، حسن ضياء الدين محمد، ص٩٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٩/٩١.

(٣) سيرة ابن هشام، ج٤/٤٤٣.

(٤) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١/٨٢.

فهل يتفق ذلك مع ما هو معروف وثابت عن النبي ﷺ وهل يتفق هذا مع ما قام به النبي ﷺ من إعداد أمة أضحت خير أمة أخرجت للناس ، أم هل يصلح المصروع لحمل كتاب أعجز جميعا عن الاتيان بمثله يحتوي على الالهيات والنبوات والسمعيات ، وقوانين الاخلاق والآداب والمعاملات ، والعبادات وقد نظمها بدقة متناهية يعجز عنها البشر .

وهل المصروع يصلح لقيادة أمة؟ ولكن صدق من قال : -

وقد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

٢- **شهادة العلم على بطلان هذه الفرية** (الجنون والعبقرية لا يجتمعان) الثابت أن نوبة الصرع لا تترك عند من تصيبه أي ذكر لما مر به أثناءها ، بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاما ، ولا يذكر شيئا مما أصابه خلالها ، وذلك لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطيل ، هذه هي اعراض الصرع كما يثبتها العلم .

وهذه الاعراض لم تكن تصيب النبي ﷺ اثناء الوحي ، بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الاثناء تنبها لا عهد للناس به وكان يذكر ما يتلقاه عن الملك بدقة متناهية ثم يعيده على أصحابه ، ثم ان نزول الوحي لم يكن يقترن حتما بالغيبوبة الجسمية مع تنبه الادراك الروحي غاية التنبه ، بل كان كثيرا ما يحدث الوحي والنبي في تمام يقظته العادية وفي حالته الطبيعية (١) .

والدليل على ذلك أن سورة الفتح نزلت على النبي ﷺ وهو في طريقه بين مكة والمدينة بعد صلح الحديبية ، ثم تلاها على أصحابه (٢) . اذن العلم الصحيح ينفي هذه الفرية الباطلة .

---

(١) حياة محمد، محمد حسنين هيكل، ص٤٠ .

(٢) سيرة ابن هشام، ج٣/٣٢٠.

٣- شهادة الاعداء على بطلان هذه الفرية : -

لقد شهد الاعداء قبل الاصدقاء أن النبي ﷺ كان يتمتع بصحة بدنية قوية ، وقد وردت الروايات التي تدل على البطولة الجسمانية ومن ذلك أنه صارع ركانة بن عبد يزيد فصرعه، وكان ركانة هذا مصارعا ماهرا ، ما قدر أحد أن ياتي بجانبه الى الارض ، وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام عندما دعاه الى الله قال له ركانة : صارعني فان أنت غلبتني آمنت أنك رسول الله ، فصارعه الرسول فغلبه قال فذهب ركانة الى قومه فقال : يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم اهل الارض فوالله ما رأيت اسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع(١) .

وهنا نتساءل هل المصاب بالصرع يتمتع بهذه القوة الجسدية، وقد شهد المستشرق بودلي (PODLY) للنبي ﷺ في كتابه (الرسول: حياة محمد) رادا على هذا الزعم الباطل فقال : " لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي كان يتمتع بها محمد ﷺ، حتى قبل وفاته بأسبوع واحد ، وان كان من تنتابه حالات الصرع كان يعتبر مجنونا. ولو كان هناك ما يوصف بالعقل ورجاحته فهو محمد "(٢) .

٤- الآثار التي يتركها مرض الصرع في جسم الانسان المصاب : ان الانسان المصاب بمرض الصرع يصاب بآلام حادة في جميع اعضائه بعد نوبة الصرع ، وتظهر عليه آثار الحزن والكآبة وربما حاول الانتحار للتخلص مما هو فيه .

فلو كان ما يصيب النبي ﷺ عند الوحي صرعا لأسف لذلك وحزن لوقوعه ، ولسعد بانقطاع هده الحالة عنده ، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك. ففي الفترة التي انقطع فيها الوحي عن رسـول الله ﷺ حزن حزنا شديدا على ذلك فكان يخرج الى حراء واعالي الجبال عسى أن يجد الملك الذي نزل عليه بغار حراء ، وبقي على هذه الحال حتى عاد اليه الوحي(٣) .

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٣/٣٩٠.
(٢) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، ص١٠٤.
(٣) سيرة ابن هشام، ج١/٢٤١.

٥- شهادة الطب على كذب فرية الصرع

اثبت الطب أن نوبات الصرع تنتج عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ ، والدليل على ذلك أنه أمكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ في أثناء النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجي . وعلى أية صورة كانت هذه النوبات ، ومهما ضعفت حدة النوبات ولقد أثبت الطب الحديث أخيرا بعد الاستعانة بالاجهزة والرسم الكهربائي على أن هناك مظاهر عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية وذلك تبعا لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية وطريقة وسرعة انتشارها ، وأهم أنواع الصرع ما يسمى بالنوبات الصرعية النفسية ، وهو ما يشبه أن يكون النوع الذي افتراه الخصوم على الرسول بأنه مصاب به ، وفي هذه الحالة تمر بذهن المريض ذكريات أو احلام مرئية أو سمعية أو الاثنان معا ، وتسمى (بالهلاوس) وقد أثبت الطب أيضا أن الذكريات التي تمر بالمريض لا بد أن تكون قد عاش فيها المريض نفسه حتما ، اذ أن النوبة الصرعية ما هي الا تنبيه لصورة أو صوت مر بالانسان ثم احتفظ به في ثنايا المخ ، وقد أمكن طبيا أجراء التنبيه ، هذا بوساطة تيار كهربائي صناعي سلط على جزء خاص في المخ فشعر المريض بنفس (الهلاوس) التي تنتابه في اثناء نوبة الصرع ، وكلما تكررت نوبة الصرع تكررت نفس الذكريات أو (الهلاوس) فهذا مريض يسمع اغنية ، أو قطعة من شعر ، أو حديثا من أي نوع كان في نوبة صرعه ، ويتكرر سماعه لها في كل نوبة ، ولا بد أن يكون ما سمعه من النوبة قد سمعه يوما في طفولته أو شبابه أو قبل مرضه ، وكذلك اذا كانت النوبة تثير منظرا لا بد أن يكون قد مر عليه. وبتطبيق ما قرره الطب الحديث في حقائق الصرع على ما كان يعتري النبي ﷺ نجده يردد آيات لا يمكن اطلاقاً أن يكون قد سمعها من قبل في حياته، فهي آيات واردة على لسان الحق سبحانه منها. ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾[١] .

---

(١) سورة البقرة، آية ٣٤-٣٥.

وآيات كثيرة غيرها تحكي عن الجنة والنار ، وآيات تحكي عن العصور السالفة ، والمحاورات التي دارت بين أقوام عاشوا قبل الرسول بآلاف السنين . ولما كانت هذه الاحاديث والاحوال لم تمر بالرسول قطعا فهي لم تختزن بالتالي في المخ لتثيرها نوبات صرعيه فيتذكرها ، وبذلك يقرر الطب الحديث في أحدث اكتشافاته بالنسبة للصرع أن الرسول ﷺ لا يمكن أن يكون هناك ادنى شبهة في اصابته بالصرع اطلاقا ، وإن ما كان يعتريه انما هي حالة نفسية وجسدية لتلقى وحي الله سبحانه وتعالى ، وهذا الوحي الذي أخبره الله فيه عما مضى ، وعما يستقبل [1].

٧- اتهام النبي ﷺ بهذا المرض اتهام للانبياء جميعا الذين كانت لهم كتب أو صحف أو وحي بها من عند الله فهل يطيب لهؤلاء المقرين بالأديان أن يخربوا بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم ؟!!

فما رأيهم فيما جاء بالتوراة والانجيل من ايحاءات ونبوءات وهل يقولون في وحي نبي الله موسى وعيسى عليهما السلام ما يقولون في وحي نبينا محمد رسول الله ﷺ ؟ قال الله تعالى : ﴿انا اوحينا اليك كما أوحينا الى نوح ، والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم ، واسماعيل ، واسحق ، ويعقوب ، والاسباط وعيسى وأيوب ، ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾ [2].

ردود المستشرقين على من زعم هذه الفرية

الى هؤلاء الذين بلغ بهم التعسف مداه ، فظنوا أن هذه الفترات التي يغيب فيها الرسول ﷺ عن هذا العالم ليكون بكليته مستغرقا في الملأ الاعلى - انما هي فترات

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، ص١٠٦-١١٧، نقلاً عن مجلة منبر الإسلام، العدد٩، السنة١٩ رمضان سنة ١٣٨١هـ/١٩٦٤م.

(١) سورة النساء، آية ١٦٣-١٦٤.

مرضية – نسوق عددا من شهادات فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه المعتدلين الذين أنصفوا رسول الاسلام في بعض المواطن ودافعوا عنه في مجتمعهم الغربي ، ونحن اذ نسوق هذه الشهادات لا لحاجتها لكن لنبين لأولئك الحاقدين أن اخوانهم استعملوا عقولهم ودرسوا الاسلام دراسة علمية بعيدة عن التعصب الذميم ، فنطقت السنتهم بهذه الشهادات ، واعترفوا بحقائق العلم الذي يميز بين اعراض الصرع وأعراض الوحي .

١- يقول المستشرق درمنغهم (DRAMINGHM) : انه لم يبق ادنى شك في صدق محمد ، فان جميع حياته برغم بعض اغلاط قد اعترف هو بها تدل على كونه معتقدا بكليته بالرسالة التي عهد بها اليه وانه وجد من الواجب عليه أن يقوم بهذه الرسالة مهما آده من حملها ، وأن جميع ما ظهر من هذا الرجل من قوة ايجاد وتناهي عبقرية ، وحدة ذكاء ومواجهة تامة للحقائق وضبط نفس ، وشدة ارادة ، وحسن تدبير واتقان عمل ، وبالجملة جميع حياته تمنع من أن ينظر الى هذا الملهم الصافي الذهن كرجل مصاب بصرع " [(١)] .

وهذه اشارة الى ما يزعمه اعداء الاسلام من كون حركة الوحي التي كانت تحصل للنبي ﷺ ، انما هي من علة جسمانية فيه ، قال بعضهم انها مرض الصرع.

وقد صرح المستشرق الفرنسي ماسنيون (Massignon) الذي هو كاثوليكي النزعة بمثل ما صرح به المستشرق درمنغهم ، واما قول هذا المستشرق من أن للنبي ﷺ اغلاط كان هو يعترف بها ، فالمسلمون يقررون العصمة للانبياء صلوات الله عليهم جميعا وذلك في الامور الدينية .

٢- يقول المستشرق غويه (Coeje) "ان هذا الافتراض ليس بصحيح لأن الذاكرة عند المصابين بالصرع تكون معطلة والحال هي بالعكس عند محمد الذي كان يتذكر ما يسمعه ، في اثناء هذه النوبات [(٢)] .

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد الأمريكي، ج١/٩٤.

(٢) المرجع السابق، ج١/٣٤.

٣- يقول المستشرق ماكس مايرهوف (Meyerhof) في كتابه العالم الاسلامي : "اراد بعضهم أن يرى في محمد رجلا مصابا بمرض عصبي أو بداء الصرع ، ولكن تاريخ حياته من أوله الى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والادارة يناقض هذا القول"[(١)] .

٤- واما المستشرق غودافروا د مبومبين (Gaudefroy D.) والمستشرق بلاتونوف (Platonof) فقد وصلا من التدقيق والتمحيص الى حد كبير فهما يقولان في كتابهما (تاريخ العالم): "وغاية ما نقدر أن نجزم به هنا هو تبرئة محمد من الكذب ومن المرض وانما كان محمد رجلا ذا مواهب إلهية عليا ، وساد بها ابناء عصره ، وهي رباطة الجأش، وطهارة القلب ، وجاذبية الشمائل ، ونفوذ الكلمة ، وأنه كان عابدا عظيما ، وأنه نظير جميع العباد العظام ، وكان يجمع بين حرارة الاعتقاد بالرسالة التي هو مأمور بها من جانب الحق تعالى ، وبين ملكة الاعمال الدنيوية ومعرفة استخدام الوسائل اللازمة لنجاح تلك الرسالة"[(٢)] .

٥- ويقول المستشرق الكونت هنري دي كاستري: (H.De Castry) " ومن ذلك الحين – اي البعثة – أخذت شفتاه تنطلق بالفاظ بعضها أشد قوة وابعد مرمى من بعض ، والافكار تتدفق من فمه على الدوام الى أن يقف لسانه ولا يطيعه الصوت ، ولا يجد من الالفاظ ما يعبر به عن فكر قد ارتفع عن مدارك الانسان ، وسما عن أن يترجمه قلم أو لسان ، وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه بادية ، فظن بعضهم أن به جنة ، وهو رأي باطل ، لأنه بدأ رسالته بعد الاربعين ، ولم يشاهد عليه قبل ذلك أي اعتلال في الجسم أو اضطراب في القوة المادية ، وليس من الناس من قد عرف الناس جميعا أحواله في حياته كلها ، مثل

---

(١) المرجع السابق، ج١/٣٨.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، ج١/٣٨؛ الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، ص١٦٣، ط ١٣٨٧/١٩٥٩.

النبي ﷺ، فلقد وصل المحدثون عنه الى أنهم كانوا يعدون الشعر الابيض في لحيته ، ولو أنه كان مريضا لما أخفى مرضه ، لأن المرض في مثل تلك الاحوال يعتبر أمرا سماويا عند الشرقيين وليست حالة محمد ﷺ في انفعالاته وتأثراته بحالة ذي جنة ، بل كانت مثل التي قال نبي بني اسرائيل في وصفها : لقد شعرت بأن قلبي انكسر بين أضلعي وارتعشت مني العظام كالنشوان لما قام بي من الشعور عند سماع صوت الله واقواله المقدسة (١) .

(١) أوروبا والإسلام، عبد الحليم محمود، ص٣٣-٣٤، مطبعة دار الجهاد.

المبحث الثاني

دعـــوى تناقض القــــرآن

اهتم كثير من المستشرقين بدراسة القرآن الكريم من أجل أن ينفذوا إلى تحقيق مزاعمهم الباطلة، وتهمهم الخبيثة، ليصلوا أخيرا إلى الهدف الذي سعوا من أجله وهو خرق أسوار القرآن وادعاء أنه أصابه التحريف والتبديل، وانطلاقا من هذا المبدأ فقد صوروا القرآن بأنه كتاب متناقض يغاير بعضه بعضا، غير منسجم في أفكاره، وغير منتظم فيما يحويه، وكل ما فيه يخالف العقل، ويعوق الفكر.

ونورد أقوال بعض المستشرقين حول هذا الموضوع:-

يقول المستشرق توراندريه (Tor Andraua) : "أن أفكار محمد غير متجانسة، وغير منسجمة ومضطربة أشد الاضطراب" ويقول أيضا: "يبدو محمد في القرآن بصورة حالم ضال ينشد الحقيقة فيشكل آراءه ومثله استنادا إلى ما يتلقاه من تعليمات تصله اتفاقا من غير أن يقيمها على حقائق ثابتة وحية [(١)] .

ويقول المستشرق المجري اليهودي جولد تسيهر (Goldziher) : "ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقيديا موحدا، متجانسا وخاليا من التناقضات، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطرا، إلا آثار عامة نجد فيها اذا بحثنا في تفاصيلها أحيانا تعاليم متناقضة". ثم يستطرد ويقول: (كان وحي النبي حتى في حياته معرضا لحكم النقاد الذين كانوا يحاولون البحث عما فيه من نقص، وكان عدم الاستقرار والطابع المتناقض البادي في تعاليمه موقع ملاحظات ساخره)[(٢)] .

ويقول أيضا: "فلا يوجد كتاب تشريعي، اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب،

---

(١) المستشرقون والإسلام، عرفان عبد الجميد، ص١٩ نقلاً عن كتاب:

Andray, To, Op. Cit., P. 27.

(٢) العقيدة والشريعة، جولد تسيهر، ص٧٨-٧٩.

وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن [1].

ويقول المستشرق فلهاوزن (Wellhausen): "يبرز في القرآن شأن القدرة الالهية تارة، وشأن العدل الالهي تارة أخرى، وذلك بحسب ما كان يحس به النبي ﷺ دون مراعاة للتوازن بين الطرفين، ولا شعر محمد ﷺ بما في ذلك من تناقض لانه لم يكن فيلسوفا ولا واضعا لمذهب نظري في العقائد" [2].

ويقول المستشرق دي بوير (Boer, de). "قَبِل الرعيل الأول عن المؤمنين ما في القرآن من تناقض وهو الذي نعلله نحن بتقلب الظروف التي عاش فيها النبي ﷺ وباختلاف أحواله النفسية" [3]. وقد ردد هذا بالقول عدد من المستشرقين منهم [4].

نيكلسون في كتابه:

Nicholson, R.A. Aliterary. Mistory, of the arabs "cambridge 1962 P.223.

والمستشرق مكدونالد في كتابه:

Macdonald, D.B "The development of muslim the alogg. Jurisprudence and constitutional Theory " London (1903) . P. 127.

والمستشرق سنوك هورخنيه في كتابه: Snouk Hurgronje Selected Works, p.77.

ويقول المستشرق م.ر ، رحماتوف (M.R. Rhmatof) "كاتب اللجنة المركزية

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، المستشرق أجنتس حولدتسيهر، ص٤، ط٢، دار إقرأ.

(٢) الدولة العربية وسقوطها، يوليوس فلهاوزن، ص١٠، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة بتصرف.

(٣) تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بوير، ص٤٩، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة.

(٤) المستشرقون والإسلام، عرفان عبد الحميد، ص٢٠، المكتب الإسلامي.

للحزب الشيوعي في جمهورية طاجيكستان السوفياتية سابقا والسفير السابق للاتحاد السوفياتي بموريتانيا في كتابه (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن).

"القرآن كتاب مشوش يختلط فيه العالم الواقعي بعالم خيالي يتكون من أمور مستحيلة وخرافات باطلة، وليس فيه أي نظام للحياة، لا خاص ولا عام، وتلاوته متعبة جدا حتى بالنسبة للذي إنما يدفعه الفضول لقراءته"[1].

ويقول في موضع آخر: "وفوق ما يحتوي عليه القرآن من التكرار الكثير فان ما يقرب من (٣٠٠) آية قرآنية كلها يناقض بعضها بعضا، لكن اللاهوت الاسلامي فيه نظرية تسمى النسخ يمكن بها للمسلمين تسوية جميع الاختلافات الموجودة في القرآن.

والقرآن نفسه بتغيير بعض آياته تارة بالزيادة، وأخرى بالنقص كما تقول الآية (١٠٣) من السورة الثانية ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾[2].

والمستشرق شاخت في كتابه : (Schacht. J.the . alricle, ysyl, (E.L)

"أن المشركين قالوا: أترون إلى ما محمد يأمر اصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا يرجع عنه غدا ما هذا الا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضا فانزل الله تعالى ﴿واذا بدلنا آية مكان آية﴾[3]. وأنزل أيضا: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها﴾[4].

الرد على دعوى التناقض

القرآن كتاب الله سبحانه، محكم غاية الاحكام، ليس فيه شيء من التناقض، عرض

---

(١) الرد على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن، عبدالله كنون، ص١٢١، ط١/ ١٩٨٢.

(٢) نفس المرجع، ص١٢٤-١٢٥، الآية ١٠٦ من سورة البقرة، وليست ١٠٣، كما قال الكاتب.

(٣) سورة النحل، آية ١٠١.

(٤) التفسير الكبير، الرازي، ج٢/٢٤٤، دار الفكر؛ وانظر تفسير الكشاف، الزمخشري، في تفسير هذه الآية.

علينا اباطيل خصوم الدين ورد عليها، لأنه لو ترك القضايا تفد علينا من غيره لدخلت علينا بغير دليل على بطلانها. ونسوق فيما يلي أدلة بطلان هذه الدعوى:-

١- الأدلة من القرآن:

أ- قال الله تعالى في أول سورة يونس [ألر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ [١]. أي تلك الآيات البعيدة الشأو، الرفيعة الشأن التي تألفت منها هذه السورة، أو القرآن كله، هي آيات الكتاب الموصوف بالحكمة في معانيه، والإحكام في مبانيه. وقال تعالى في سورة هود ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ [٢]. وقال تعالى ﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ [٣].

وقد ذكر علماء التفسير رحمهم الله تعالى في تفسير هذه الآيات أن معنى ذلك أنه متقن الالفاظ والمعاني، مشتمل على الأحكام العادلة، والاخبار الصادقة، والشرائع المستقيمة وقد قال الله تعالى في حقه ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [٤].

أي لو كان من عند محمد بن عبد الله لا من عند الله الذي أرسله به لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا لعدم استطاعته واستطاعة أي مخلوق أن يأتي بمثل هذا القرآن في تصوير الحق بصورته كما هي لا يختلف ولا يتفاوت في شيء منها، لا في حكايته عن الماضي الذي لم يشاهده محمد ﷺ ولم يقف على تاريخه، ولا في إخباره عن الآتي في مسائل كثيرة وقعت كما انبأ بها، ولا في بيانه لخفايا الحاضر، حتى حديث الأنفس ومخبآت الضمائر كبيان

---

(١) سورة يونس، آية ١.

(٢) سورة هود، آية ١.

(٣) سورة لقمان، آية ١.

(٤) سورة النساء، آية ٨٢.

ما يبث المنافقون مخالفا لما تقوله للرسول ﷺ أو ما يقوله لها في حضرته [1].

ب- أن القرآن بيّن أصول العقائد، وقواعد الشرائع، وفلسفة الآداب والأخلاق وسياسة الشعوب والاقوام، مع اتفاق جميع الاصول وعدم الاختلاف والتفاوت في شيء من الفروع فهذا يدل على بطلان دعوى المستشرقين وتلاميذهم الذين يقولون بتناقض القرآن.

ج- لقد اشتمل القرآن على فنون القول، وألوان العبر في أنواع المخلوقات في الأرض والسموات، وفيها الكلام عن الخلق والتكوين، ووصف الكائنات بأنواعها، كالكواكب وبروجها ونظامها، والرياح والبحار والنبات والحيوان والجماد، وما فيها من الحكم والآيات، وكلامه في ذلك كله يؤيد بعضه بعضا لا شية فيه ولا اختلاف بين معانيه، أفلا يكفي ذلك للرد على هؤلاء الطاعنين الحاقدين على الإسلام وكتابه.

د- لقد اشتمل القرآن على سنن الاجتماع، ونواميس العمران، وطبائع الملل والاقوام، وأيراد الشواهد وضروب الامثال، وتكرار الواحدة بالعبارات البليغة المتشابهة، تنويعا للعبرة، وتلوينا للموعظة، مع تجاوب ذلك كله على الحق، وتواطئه على الصدق، وبراءته من الاختلاف والتناقض.

هـ- اشتمل القرآن على أخبار الآخرة وما فيها من الحساب على الأعمال والجزاء الوفاق، وكون ذلك موافقا لفطرة الانسان، وجاريا على سنة الله تعالى في تأثير الأعمال الاختيارية في الأرواح فالاتفاق والالتئام بين الآيات الكثيرة في هذا الباب، هو غاية الغايات عند أولي الحكمة وفصل الخطاب [2].

٢- عدم نقض العلم وتغير الزمان لقواعد القرآن:

نزل القرآن على النبي ﷺ منجما حسب الوقائع والأحوال وكان عند نزول الآية يأمر كتبة الوحي بكتابتها في موضعها، وكان هو أميا لا يقرأ ما وضع في الصحف، ولم تجر العادة بأن الذي يأتي من عند نفسه بالكلام الكثير في المناسبات والوقائع المختلفة يتذكر عند كل قول جميع ما سبق له في السنين الماضية، ويستحضره ليجعل الآخر موافقا

---

(١) تفسير المنار، ج٥/٢٨٨.

(٢) المرجع السابق، ج٥/٢٨٨.

للأول، ونحن نعلم أن آيات القرآن نزلن في مواطن متعددة في أوقات الشدة والرخاء، وعند الخصام والتنازع، ومن يجزم بأنه يستحيل على الانسان أن يتذكر جميع ما قاله في هذه الأحوال من قبل ليأتي بكلام يتفق معه ولا يختلف، وكان الصحابة يسمعون القرآن من رسـول الله ﷺ فيحفظونه في صدورهم ويسجلونه في صحفهم ولم يكن هناك مجال للتنقيح والتحرير ومع ذلك فقد جاء القرآن سالما من كل اختلاف ومرت السنين وتوالت القرون والاجيال، واتسعت دائرة العلم والمعرفة وتغيرت أحوال العمران، ولم تنقض كلمة من كلمات القرآن، لا في أحكام الشرع ولا في أحوال الناس، وشؤون الكون، ولا في غير ذلك من العلوم والفنون التي تناولها وتعرض لها.

لقد كتب ابن خلدون مقدمته في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع والعمران فكانت أفضل الكتب وأحكمها في عصر مؤلفها وبعد عصره بعدة عصور، ثم ارتقت العلوم وتغيرت أصول العمران فظهر الاختلاف والخطأ في كثير مما فيها.

كما أننا نشاهد في هذه الأيام بأن نوابغ العلماء يؤلفون الكتب ويعملون على تنقيحها ويطيلون التأمل بها، فلا تمر سنوات قليلة الا ويظهر لهم الخطأ والاختلاف فيما كتبوا، فلا يعيدون طباعته الا بعد التنقيح والتغيير.

وأما القرآن فقد نزل على رسول أمي في أمة أمية وقد مر على نزوله ما يزيد على أربعة عشر قرنا تغير فيها العمران البشري، ولم يظهر فيه أي اختلاف ولا تفاوت حقيقي يعتد به، وقد شهد بذلك اعداء الاسلام واصدقاؤه الا من طمس الله على بصيرته.

واليك ما يقوله جرنييه (Jarnyyh) المسلم الفرنسي الشهير: "لقد تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية التي درستها من صغري، وفهمتها جيدا، فوجدتها منطبقة كل الانطباق مع معارفنا الحديثة فأسلمت لأني تيقنت أن الاسلام أتى بالحق الصراح، من قبل ألف سنة، ولو أن كل صاحب فن من الفنون، أو علم من العلوم، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما يعلمه جيدا كما قارنت أنا، لأسلم دون

ريب، هذا أن كان عاقلا خاليا من الاغراض والاهواء[١] .

والقرآن كتاب كبير، وهو مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم فلو كان من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة لأن الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك، ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا أنه ليس من عند غير الله[٢] .

يقول المستشرق أميل درمنغام (A.Dermengheh) في كتابه حياة محمد :"كان محمد يعد نفسه وسيلة لتبليغ الوحي، وكان مبلغ حرصه أن يكون أمينا مصفيا أو سجلا صادقا للكلام المنزل، لكلام الله القديم، الذي هو أم الكتاب الكلام الذي تحفظه ملائكة كرام في السماء السابعة، وسواء أكان هناك فرق بين القرآن السماوي، والقرآن المحفوظ في صدور الناس أو المكتوب في صحف أو في عظام أو في رق، أم لم يكن، وسواء أكان هناك فرق بين الكلام الازلي والكلام الزمني أم لم يكن، نرى أن إدراكنا النسبي للمراحل الربانية في العالم أيسر من ادراك معاصري محمد العربي وعلماء المسلمين لها، فنحن نرى ملاءمة القرآن الوثيقة للأحوال، وأنه نزل يوما فيوما تبعا لمقتضيات سير الاسلام ومصالحه متناسخا، وإن لم يكن متناقضا، مقوما لأحكامه، مداريا فيها ضعف المسلمين، مجاريا لاعتراضاتهم، وعند النبي أن الرسالة فوق الرسول، وأن آية من القرآن أفضل من محمد وآله[٣].

٣- وعد الله بحفظ القرآن:

وعد الله رسوله بحفظ القرآن من كل تغيير وتبديل، ومن كل تناقض واختلاف، فهو لا يمحوه الماء، ولا يغيره الدهر، وهو كتاب حكيم، والحكيم بمعنى الحاكم- فعيل بمعنى

---

(١) البرهان من القرآن، محمد أحمد مهدي، ص٣٠، منشورات حمد، بيروت، ط ١٣٨٥.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، ج٥/٢٠٢، دار الفكر.

(٣) حياة محمد، أميل برمنغهام، ترجمة محمد عادل زعيتر. يراجع ما جاء به من شبهات في مواطن متعددة.

فاعل- كما قال كثير من العلماء ودليلهم قوله تعالى: ﴿وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس﴾ [(١)].

فالقرآن كالحاكم في الاعتقادات لتمييز حقها من باطلها، وفي الأفعال: لتمييز صوابها عن خطئها، وكالحاكم على أن محمدا صادق في دعوى النبوة،

وقال بعض العلماء: الحكيم بمعنى المحكم، والاحكام معناه المنع من الفساد، فيكون المراد منه أنه لا يمحوه الماء ولا تحرقه النار ولا تغيره الدهور، أو المراد منه براءته عن الكذب والتناقض.

وقال بعض العلماء: الحكيم الذي يفعل الحكمة والصواب ومن كانت هذه أوصافه فكيف يكون متناقضا، والانسان العاقل يدرك الفرق بين صنعة الله وصنعة الانسان ويظهر هذا في القرآن في جانب، التعبير اللفظي والاداء الفني كما أنه أشد وضوحا في جانب التفكير والتنظيم والتشريع فما من نظرية بشرية، وما من مذهب بشري، الا وهو يحمل الطابع البشري [(٢)].

٤- **ومما يدل على بطلان دعوى التناقض** أن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ وهو الكتاب الذي يقرأه كل يوم ملايين الناس من مختلف الاجناس والطبقات، مغتبطين بقراءته، ممسكين بحكمته وهو الكتاب الذي يؤثر في نفوس سامعيه، وقلوبهم، فيحول العداوة موالاة لله ولرسوله، والكفر ايمانا، وهذا التأثير لا يتوافر لكتاب متناقض، هذا هو عمر بن الخطاب، خرج يريد قتل رسول الله ﷺ فما أن سمع بعض الآيات القرآنية حتى أحيت قلبه بالايمان فأقبل على رسول الله ﷺ، وشهد شهادة الحق واصبح خليفة المسلمين الثاني بعد موت رسولهم [(٣)].

أن روعة بيان القرآن هي التي جعلت الوليد بن المغيرة يخاطب قريشا وهو منهم ومن

---

(١) سورة البقرة، آية ٢١٣.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ج١/٣٤٥ و ج٢/٤٢٢؛ التفسير الكبير، الرازي، ج٩/٥.

(٣) السيرة الحلبية، علي برهان الدين الحلبي، ج٢/١٢ وما بعدها.

ألد أعداء الدعوة الاسلامية بقوله "والله ما منكم أحد أعلم بالاشعار مني، أعرف رجزها وقصيدها والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من ذلك، وأن له لحلاوة وان عليه لطلاوة، وأن اعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق وأنه ليعلو ولا يعلى عليه، ما يقول هذا بشر" [(١)].

فلو كان القرآن متناقضا كما زعم هذا المستشرق وامثاله، فهل تظهر عليه روعة البيان، وجمال التناسق، وحلاوة الالفاظ، وبما أن هذه المحاسن قد ظهرت في القرآن فهذا دليل على بطلان دعواهم.

٥- **القرآن الكريم كتاب أمة عمل على ايجادها من العدم**، وعمل على ايجاد دولة لها، انتظمت مساحات واسعة من الأرض، ودانت لها بالطاعة أمم وشعوب متعددة، التفت حول القرآن فكانت من أسعد الأمم وارقاها، وأوسعها حضارة وعلما، فهل يصح أن تقوم هذه الأعمال الجليلة على أساس كتاب متناقض، ليس فيه أي نظام للحياة.

٦- **شهادة القرآن للقرآن، وشهادة السنة له:** لقد صح عن رسول ﷺ أنه كان يقول في خطبة أما بعد: فان أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى، هدي محمد ﷺ[(٢)]

فالرسول ﷺ يصف كتاب ربه بأنه خير الحديث، واذا كان القرآن هو أحسن الحديث فان ذلك يتنافى مع التناقض الذي هو طعن في كتاب الله، وفي تكذيب لرسول الله ﷺ كما أن في دعوى التناقض تكذيب لله عز وجل في وصفه لكتابه بأنه أحسن القصص قال الله تعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين أنا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وأن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ [(٣)].

وقال تعالى : ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾ [(٤)].

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، ص٦٧، ط١٣٩٠، دار الفكر العربي.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج١٧/٩، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٣) سورة يوسف، آية ١.

(٤) سورة الزمر، آية ٢٣.

فكيف يكون القرآن أحسن الحديث وأحسن القصص وهو متناقض علما بأن الله شهد له بالاحكام والاتقان ولكن كما قال الشاعر:

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

٧- إجماع العلماء على بطلان هذه الدعوى:

أجمع كل من لديه علم وانصاف وبصيرة باللغة العربية من علماء الاسلام وخصومه، أن كتاب الله في غاية الإحكام والاتقان، وأنه خير كتاب، وأنه لم ينزل كتاب أفضل منه لما اشتمل عليه من العلوم النافعة والأحكام العادلة والاخبار الصادقة، والشرائع القويمة، والاسلوب البليغ المقنع كما قال سبحانه ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا﴾[١].

أي صدقا في الاخبار، وعدلا في الشرائع والأحكام

آيات استدل بها المستشرقون على دعواهم

مختصر الشبهة والرد عليها:

أن أعداء الاسلام من المستشرقين وتلاميذهم يقولون أن القرآن الذي يرفعه المسلمون إلى مرتبة التقديس ليس من عند الاله لأن الإله لا يمكن أن يتضارب في أقواله وهذا القرآن متضارب في كثير من آياته، وقد أوردوا كثيرا من الآيات وادعوا أنها متناقضة وسنورد بعض الأمثلة على ذلك:

ذكر الشيخ محمد متولي شعراوي في كتابه شبهات وأباطيل خصوم الاسلام والرد عليها، أن أعداء الاسلام عدوا عشر آيات ظاهرها التضارب وعنونوها ب (سفر البرهان في متناقضات القرآن)[٢] نورد فيما يلي بعضها:

١- قول الله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[٣] . قالوا: ثم يسهو محمد أنه قال

---

(١) سورة الأنعام، آية ١١٥.

(٢) شبهات وأباطيل لخصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولي شعراوي، ص١١٨ وما بعدها، مكتبة التراث الإسلامي، مصر.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٦٤.

هذه الآية، فينطلق لسانه بآية أخرى تناقض هذه الآية وهي قوله: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة﴾[1] . فكيف لا تزر وازرة وزر أخرى ثم يحملوا أوزارهم يوم القيامة؟

سبب وقوعهم في هذه الأخطاء:

نقول أن سبب وقوع المستشرقين في مثل هذه الأخطاء هو جهلهم باللغة العربية، وعدم تمرسهم بفهم الاسلوب العربي أو أنهم فاهمون ولكن حقدهم على الاسلام دفعهم لمخاطبة ناشئة المسلمين بأسلوب يشككونهم به في دينهم من أجل صدهم عنه.

فالذي يفهم معنى الآيتين يجد أنه ليس بينهما تضارب فالآية الأولى تبين أن الدين الاسلامي دين ذاتي، بمعنى أن الانسان لا يعاقب الا على فعل فعله باختياره غير مكره عليه في زمن يكون التكليف غير موجود.

وأما الآية الثانية فهي تصور لنا بأن الوزر الذي يفعله الانسان قد يظهر أثره في غيره، فالذي يضل، يضل بذاته من غير أن يتعدى ضلاله الى الغير. ولكن حين يريد أن ينقل ضلاله الى الغير فان له عملين حينئذ:

الأول: أنه ضل في ذاته.

الثاني: أنه أضل غيره.

فحين يضل غيره فهذا عمل جديد، وهو حيئذ يحمل وزر ضلاله في ذاته، ووزر اضلاله لغيره، وهذا وزر مع وزره أنه ضلل الغير فهناك فرق بين وزر الضلال ووزر الاضلال[2] .

يقول الشيخ الشنقيطي: والجواب: أن هؤلاء ما حملوا الا أوزار أنفسهم لانهم تحملوا وزر الضلال ووزر الاضلال[3] .

وقد أكد الرسول ﷺ هذا المبدأ حيث يقول: "من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها، ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن سن سنة سيئة فعمل بها

---

(١) سورة النحل، آية ٢٥.

(٢) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليه، محمد متولى شعراوي، ص ١٢٠.

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد أمين الشنقيطي، ص١٧٢، مطبعة المدني.

كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا"[١].

٢- **يقول صاحب السفر:** أن القرآن يحض الناس على أن يعاملوا آباءهم معاملة سيئة وقاسية ويستدل بقوله تعالى: ﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم﴾[٢].

ثم يقول صاحب هذا السفر:ويؤخذ محمد بعد ذلك بعاطفة من حنان تجعله يسهو فيقول ثانيا: ﴿وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾[٣].

نقول: أن المستشرقين لجهلهم باللغة العربية لم يميزوا بين الود والمعروف، فالآيتان لم تردا على شيء واحد بل جاءت:

الأولى: في الود.

الثانية: في المعروف.

ولو أن الآيتين وردتا على شيء واحد لامكن أن يقال هناك تناقض.

فالود: معناه حب القلب.

والمعروف: بذل القالب.

فالمعروف يصنعه الانسان مع من يحب ومع من لا يحب وتبعات الود لا يصنعها الانسان الا مع من يحب، فالأب الكافر لا يحبه المؤمن بالقلب، ولكن يصنع له المعروف، لأن الابن مأمور بأن يكون صاحب معروف حتى على أعدائه[٤].

---

(١) رواة ابن ماجة، المقدمة، باب١٤، ج١/٧٤، الحديث ٢٠٣.

(٢) سورة المجادلة، آية ٢٢.

(٣) سورة لقمان، آية ١٥.

(٤) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، الشعراوي، ص١٢١.

يقول الشيخ الشنقيطي: ووجه الجمع بين الآيتين أن المصاحبة بالمعروف أهم من الموادة، لأن الانسان يمكنه إسداء المعروف لمن يوده ومن لا يوده، والنهي عن الاخص لا يستلزم النهي عن الأعم، فكأن الله حذر من المودة المشعرة بالمحبة، والموالاة بالباطل لجميع الكفار يدخل في ذلك الآباء وغيرهم، وأمر الانسان بأن لا يفعل لوالديه الا المعروف وفعل المعروف لا يستلزم المودة لأن المودة من افعال القلوب لا من أفعال الجوارح [١].

والأدلة على ذلك كثيرة:

١- منها أذنه ﷺ لأسماء بنت أبي بكر الصديق أن تصل أمها وهي كافرة. عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت قدمت: أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة افأصلها؟ قال: (نعم صلي أمك) [٢].

٢- وقالوا : أن قرآن محمد تعرض لقضية كونية، ما كان أغناه أن يتعرض لها لأنها ليست من مهمة الايمان، ولكن يشاء الله لن يوقعه فيها حتى يكون حجة عليه.

قالوا: إن القرآن يتكلم عن خلق السموات والأرض ويقول :"إن الله خلقهما في ستة أيام".

ثم يقولون إن هذه الآية فضحت محمدا وهي قوله تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين﴾ [٣].

ووضعوا تحت يومين خطين ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في أربعة آيام﴾ [٤].

ووضعوا تحت أربعة أيام خطوط ﴿ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ [٥]. ووضعوا

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، ص٢٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٤/٣٤٩.

(٣) سورة فصلت، آية ٩.

(٤) سورة فصلت، آية ١٠.

(٤) سورة فصلت، آية ١١-١٢.

تحتت اليومين خطين . وقالوا اقرءوا الخطوط تجدوها ثمانية أيام ، اذن محمد سها حتى قال : انها ثمانية أيام[1] .

والرد على هوءلاء نقول لهم أنتم لم تفهموا معطيات القرآن ، لأنه بلسان عربي مبين ، كل حرف فيه له معان ومن أوتي العربية فهم معانيها ، ووضع كل لفظ في موضعها المناسب.

الذي خلق الارض في يومين ، وجعل في الأرض رواسي من فوقها اي من فوق الارض ، وقدر فيها أقواتها ، أي أقوات الارض ، اذن ما يأتي في كلمة اربعة لمخلوق ليس ابتداء تتمة لشيء .

يقول الشيخ الشعراوي : الايام الاربعة لم تتكلم عن خلق جديد ، وإنما تكلمت عن اتمام شيء موجود ، فالله خلق الارض في يومين ، وجعل فيها رواسي ، وقدر فيها اقواتها في تمام اربعة أيام ، كما تقول سرت من القاهرة الى طنطا في ساعة والى الاسكندرية في ثلاث ساعات ، فهل يكون المعنى من طنطا الى الاسكندرية في ثلاث ساعات ؟ لا بل من القاهرة الى الاسكندرية في ثلاث ساعات .

إذن الآية دخل فيها اليومان الأولان في الاربعة اذن لا تحسب الاثنين مرتين . فعندنا الان اربعة أيام . بعد ذلك هناك يومان ، فالمجموع ستة ، فالتفقتت آيات الاجمال مع آيات التفصيل وانتهى الاشكال[2] .

هذه بعض الآيات التي أوردها اعداء الاسلام لإقامة الأدلة على تناقض القرآن وهي أدلة واهية لا تقوم على برهان .

مناقشة بعض أقوال المستشرقين في شبهة التناقض

مع المستشرق الشيوعي . ر ، رحماتوف الذي ادعى تناقض القرآنت في كتابه. هل يمكن الاعتقاد بالقرآن :-

---

(١) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، ص١٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٥.

١- زعمه أن القرآن متناقض وقد تقدم الرد على من قال بتناقض القرآن .

٢- قوله ان قراءة القرآن متعبة وأنه يحتوي على أمور مستحيلة وخرافات باطلة :

اذا كان هذا المستشرق يتهم القرآن بهذا الاتهام فاسمع ما يقوله المستشرق سيدني فيشر (c. rischer) استاذ التاريخ بجامعة أوهايو الامريكية : "ان القرآن صوت حي يروع فؤاد قارئه ، وانه يزيد روعة حين يتلى بصوت مسموع ، وهو كتاب تربية وتثقيف وأن الفضائل التي بحث عليها من أجمل الفضائل وأرحمها في موازين الاخلاق ، وتتجلى هداية هذا الكتاب في أوامره كما تتجلى في نواهية [(١)] .

وقال الكاتب الأوربي : الدين الحق الذي يساير المدينة هو الاسلام وحسبك القرآن وما فيه من نظريات علمية وقوانين وانظمة لربط المجتمع فهو كتاب علمي اجتماعي تهذيبي خلقي [(٢)] .

ان القرآن بناء متماسك قد بني على مقاصد كلية ، واقام لكل مقصد دليلا ، ولكل فصل برهان، وتناسق القرآن كتناسق الحجارة في البيان .

٣- وأما قوله : (وفوق ما يحتوي عليه القرآن من التكرار الكثير، فإن ما يقرب من (٣٠٠) ثلثمائة آية قرآنية كلها يناقض بعضها بعضا لكن اللاهوت الاسلامي فيه نظرية تسمى النسخ يمكن بها للمسلمين تسوية جميع الاختلافات الموجودة في القرآن. والقرآن نفسه يصرح بتغير بعض آياته تارة بالزيادة وأخرى بالنقص كما تقول الآية (١٠٣) من سورة البقرة "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها" [(٣)] .

وللرد عليه نقول : القران كتاب هداية ورشاد وهو كتاب دعوة واصلاح فاشتماله على

---

(١) الرد على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن، عبدالله كنون، ص١٢٤، ط١/١٩٨٢؛ هل محمد عبقري، مصلح، أم نبي مرسل، محمد شيخاتي، ص٢٢٨.

(٢) هل محمد عبقري مصلح أم نبي مرسل، محمد شيخاتي، ص٢٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص١٢٥.

التكرار محبب ومطلوب وهو من أساليب الدعوة الى الله . حيث أن التكرار يوءثر في النفوس البشرية . وصدق الشاعر اذ يقول :

أما ترى الحبل بتكراره   في الصخرة الصماء قد أثرا

وقد قيل : (الكلام اذا تكرر تقرر) وقد نبه الله تعالى على السبب الذي لأجله كرر الاقاصيص والانذار في القرآن بقوله :﴿وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا﴾[1] . أي كررنا فيه الانذار والوعيد كي يتقوا الكفر والمعاصي أو يحدث لهم موعظة في القلوب ينشأ عنها امتثال الأوامر واجتناب النواهي[2] .

فمن أين لرحماتوف (rhmatof) أن يدرك سر الاعجاز في تكرار بعض الآيات القرآنية ، وبينه وبين أسرار العربية سور من الجهل والالحاد والتعصب واما الدعوى التي تقدم بها وهي وجود ما يقرب من (٣٠٠) ثلاثمائة آية في القرآن يناقض بعضها بعضا فهي دعوى باطلة لا دليل عليها ، واذا كان صادقا في دعواه فأين هذه الآيات ، ولم لم يوردها حتى يطلع عليها الناس ، ولكن الرجل انما اوتى من جهله بلغة القرآن فهو لا يفهم معانيها .

ولو وجد هذا العدد لما سكت عليه علماء الالحاد ، ولكن الرجل يناقض نفسه عندما يقول ، والقرآن نفسه يصرح بتغير بعض آياته تارة بالزيادة وأخرى بالنقصان ، فهو يذكر أن نظرية النسخ في اللاهوت الاسلامي تمكّن المسلمين من تسوية خلافات القرآن .

ولكننا نقول ان هذا المستشرق وامثاله اذا كان لم يفهم مغزى تكرار بعض الآيات في القرآن وأساليبه المتنوعة ، كيف يفهم التناقض ويدرك الخلاف بين الآيات القرآنية ؟

أمثلة من الآيات التي استدلوا بها :

١- يقول هذا المستشرق : "لندرس بعمق تناقضات القرآن . . نقرأ في السورة الثانية

---

(١) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٢/٢٢٤؛ الآية ١١٣ من سورة طه.

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج٢/٢٤٩.

(سورة البقرة) الآية (٦١) "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" وهذا يعني أن القرآن يتسامح مع الاديان الآخرى كالمسيحية واليهودية ويضمن حتى للمسيحين سعادة الآخرة .

ومع ذلك فانه في الآية (١٧) من السورة الثالثة (آل عمران) يقول (إن الدين عند الله الاسلام) وفي الآية (٨٢) من نفس السورة (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين) .

وهكذا تجهل اليد اليمنى ما تفعل اليد اليسرى ، فمن جهة يسمح القرآن للناس أن يتدينوا بغيره من الأديان ومن جهة أخرى يرفض ذلك [(١)] .

يقول هذا المستشرق إن آية البقرة (٦١) تعارض الآيتين (١٧) و (٨٢) من سورة آل عمران ولبيان الحقيقة نوضح معنى الآيتين .

فالآية الاولى تبين : أن الله سبحانه أراد أن يبين أن حال هذه الملة الاسلامية ، وحال من قبلها من سائر الملل يرجع الى شيء واحد ، وهو أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا استحق ما ذكره الله من الأجر ، ومن فاته ذلك فاته الخير كله والأجر دقه وجله، والمراد بالايمان ها هنا هو ما بينه رسول الله ﷺ من قوله لما سأله جبريل عن الايمان فقال : "أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره" ولا يتصف بهذا الايمان الا من دخل في الملة الاسلامية ، فمن لم يؤمن بمحمد ﷺ ولا بالقرآن فليس بمؤمن ، ومن آمن بهما صار مسلما مؤمنا ، ولم يبق يهوديا ولا نصرانيا ولا مجوسيا [(٢)] .

فالآية اذا تقرر أن من آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء جميعا وعمل صالحا ، فان لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فالعبرة بحقيقة العقيدة ، فهذه الآية

---

(١) الرد على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن، عبدالله كنون، ص١٢٨-١٢٩.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ج١/٩٤، ط٢/١٩٦٤، مصطفى البابي الحلبي.

بمثابة بلاغ لأتباع هذه الديانات يدعوهم الى الايمان بالله وحده ، والتصديق باليوم الآخر والحساب وعمل الصالحات . وهذا هو ما جاء به النبي ﷺ :

أما اليهود الذين كفروا برسالة محمد ﷺ وقالوا عزير ابن الله .

والنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله ، وعبدوا أقانيم ثلاثة والصابئة عباد الكواكب . فالآية لا يدخل بها أحد من هذه الاصناف الا من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، وبعبارة أوضح أي دخل بالاسلام ، لأن الاسلام هو دين الله الخاتم للأديان فالله لا يقبل من أحد دينا غيره، فاذا عرفنا معنى هذه الآية فاي تعارض بينها وبين قوله تعالى : "ان الدين عند الله الاسلام" وقوله "ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه" .

فلو أن القرآن قال "ان الذين هادوا والنصارى والصابئين لهم أجرهم عند ربهم لصح ما فهمه هذا المستشرق ولكن القرآن وضع شرطا وهو قوله تعالى (من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) .

وعقب عليه بجواب مقرون بالفاء وهو قوله: (فلهم أجرهم عند ربهم) علم أن الجواب لمن توفر فيه هذا الشرط عند العلماء (ما يلزم من عدمه العدم) ففاقده لا اعتداد به ، وكذلك الطوائف الثلاثة لا دخل لهم في هذا الجزاء [١] .

ولا بد من التنبيه الى ما وقع فيه هذا المستشرق من خطأ في ارقام الآيات

- فالآية الاولى من سورة البقرة رقمها (٦٢) وليس (٦١) كما قال .
- والآية الثانية من سورة آل عمران رقمها (١٩) وليس (١٧) كما قال .
- والآية الثالثة من سورة آل عمران رقمها (٨٥) وليس (٨٢) كما قال .

٢- ويقول هذا المستشرق : "ان القضايا التي تتعلق بالحياة الآخرة للمؤمنين في القرآن تتناقض هي الأخرى كذلك ، فمن جهة يعلن القرآن أن الحكم الالهي يبدأ حالا بعد الموت (حسب السورة ١٦) (النحل) الآيات (٣٠-٣٤) ومن جهة أخرى يؤكد القرآن أن الاموات

---

(١) الرد على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن، عبدالله كنون، ص ١٣٠.

انما يلقون مصيرهم بعد البعث والحساب (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون)، القرآن السورة (٢٨) (القصص) الآية (١٠٢) [(١)] .

وأسوق فيما يلي نص الآيات التي زعم أنها متناقضة :

قال تعالى : ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير دار المتقين × جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين × الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون × هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو ياتي أمر ربك ، كذلك فعل الذين من قبلهم ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون × فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾ [(٢)] .

وأما الآيات التي تُناقِضها في زعم هذا المستشرق فهي الآية (١٠٢) من سورة القصص . وهنا يظهر جهل هذا المستشرق وغباوته حيث وقع في خطأ شنيع فسورة القصص عدد آياتها (٨٨) آية .

والصواب أن السورة هي سورة (المؤمنون) ورقمها (٢٣) في الترتيب والآية قوله تعالى: ﴿حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ×لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ×فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ [(٣)] .

وببيان معنى الآيات يظهر الكذب والافتراء من قبل هذا المستشرق على كتاب الله ، التي استدل بها في سورة النحل وزعم أنها تناقض بعض الآيات التي جاءت في سورة (المؤمنون) تدل على سؤال المؤمنين بصفة الجمع ، وذلك إنما يكون بعد البعث وهو

---

(١) المرجع السابق، ص١٣٢.

(٢) سورة النحل، آية ٣٠-٣٤.

(٣) سورة المؤمنون، آية ٩٩- ١٠١.

الحساب ، وهذه الآيات لا تدل على ما زعمه هذا المستشرق من ابتداء الحكم الإلهي بعد الموت مباشرة فليس في الآيات دلالة على ذلك .

وقد غير بالفعل المضارع في نفس هده الآيات حيث قال (يدخلونها) وقال (تجرى) وقال (يجزي) والفعل المضارع يدل على الاستقبال .

واما قوله (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) فهذا وصف للمؤمنين عند وفاتهم واما قول الملائكة لهم (ادخلو الجنه) فهذا يكون في الآخرة بعد الحساب [1].

وقد جاءت هذه الآيات معطوفة على الآيات قبلها التي تتعلق بالكافرين ولم يشر اليها هذا المستشرق ﴿واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ [2].

فهذه الايات تصرح بما يدل على أن الحكم انما يقع يوم القيامة لا عقب الموت مباشرة وهذا مما يدل على بطلان دعوى هذا المستشرق .

واما الآية التي زعم انها تناقض الآيات المتقدمة لانها تبين أن الأموات انما يلقون مصيرهم بعد البعث والحساب ، فقد تقدم بيان معنى الآيات السابقة بأن دخول الجنة انما يكون بعد البعث والحساب ومن هنا فلا تعارض بين هذه الايات .

ويقول المستشرق لوسيان كليموفتش (lusean . kllbovitch) : القرآن يقول :ان الله خلق جميع الحيوانات من الماء ، ثم يذكر بعد ذلك في سبع آيات مختلفات أن الله خلق الانسان خلقا ثم هو في الوقت نفسه يناقض نفسه بنفسه سبع مرات فيقول في مرة : ان الله خلق الانسان من التراب ، وفي مرة ثانية من طين ، وفي مرة ثالثة من الفخار ، ورابعة من الصلصال ، وخامسة من صلصال كالفخار، وسادسة من حمأ مسنون ومرة سابعة من الماء .

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، ج٣/١٦٠؛ تفسير ابن كثير، ج٢/٥٦٦.

(٢) سورة النحل، آية ٢٤-٢٥.

وهي كلها متناقضات تؤكد ان تأليف القرآن لم يتم في زمن واحد ، ولا على يد مؤلف واحد[1] .

وللرد على هذه الفرية الباطلة نقول : ان التناقض موجود في عقول المتعصبين لا في القرآن ، انهم يفسرون القرآن حسب اهوائهم فمثلهم كمثل ابليس .

يروى ان ابليس ظهر يوما لأحد النساك ، فبين سؤال وجواب بينهما ، طرح الناسك سؤالا فقال : يا إبليس أتحفظ شيئا من القرآن الكريم ؟

ابليس : نعم وكيف لا ؟ وهو كتاب الله عز وجل . !

الناسك : ماذا تحفظ ، اتل علي ؟ أسمعني ؟

ابليس : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة﴾[2] ثم تنفس برهة وقال : ﴿فويل للمصلين﴾[3] ثم سكت واخذ ينظر للناسك .

الناسك : ويل لك ، الا تحفظ غير هذا ، وان لكلا الآيتين تتمة لماذا لم تذكرهما ؟

ابليس : ليس فرضا علي ان احفظ القرآن كله ، انما تلوت ما تيسر منه .

الناسك : اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ، واعوذ بك من عالم ضال بهواة مضلل عن قصد ، أو مكابر حاقد . . اللهم أعوذ بك من ابليس وجنده من الجن والانس فاختفى ابليس اللعين وعاد الناسك الى عبادته ، وراح يفتش عن جاهل يغويه[4] .

ما اصدق هذا المثل على امثال هؤلاء المستشرقين الذين يتصيدون الشبه لأغواء جهلة المسلمين ؟ فهم يفسرون القرآن حسب هواهم من أجل تحقيق أهدافهم، وفيما يلي سرد

---

(١) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص٣٥، نقلاً عن كتاب المسلمون تحت الحكم الشيوعي، للأستاذ محمد سامي عاشور.

(٢) سورة النساء، آية ٤٢، وتتمتها (وأنتم سكارى).

(٣) سورة الماعون، آية ٤، وتتمة الآية (الذين هم عن صلاتهم ساهون).

(٤) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص٣٥.

الآيات التي زعموا أنها متناقضة ، فالآيات التي ذكرت خلق الانسان من ماء، قال تعالى :

١- ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾[١].

٢- ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾[٢].

٣- ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا﴾[٣].

٤- ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾[٤].

٥- ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾[٥].

٦- ﴿الم نخلقكم من ماء مهين﴾[٦].

٧- ﴿خلق من ماء دافق﴾[٧].

واما الآيات التي ذكرت خلق الانسان من تراب فهي :

١- ﴿ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾[٨].

٢- ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب﴾[٩].

٣- ﴿يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب﴾[١٠].

٤- ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾[١١].

---

(١) سورة الأنبياء، آية ٣٠.

(٢) سورة النور، آية ٤٥.

(٣) سورة الفرقان، آية ٥٤.

(٤) سورة السجدة، آية ٨.

(٥) سورة الواقعة، آية ٥٨.

(٦) سورة المرسلات، آية ٢٠.

(٧) سورة الطارق، آية ٦.

(٨) سورة آل عمران، آية ٥٩.

(٩) سورة الكهف، آية ٣٧.

(١٠) سورة الحج، آية ٥.

(١١) سورة الروم، آية ٢٠.

واما الآيات التي ذكرت خلق الانسان من طين فهي:

١- ﴿ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾[(١)].

٢- ﴿واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني﴾[(٢)].

٣- ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا ، وأجل مسمى عنده ثم انتم تمترون﴾[(٣)].

٤- ﴿قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[(٤)].

٥- ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أسجد لمن خلقت طينا﴾[(٥)].

٦- ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾[(٦)].

٧- ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين﴾[(٧)].

٨- ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا ، انا خلقناهم من طين لازب﴾[(٨)].

٩- ﴿اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين﴾[(٩)].

---

(١) سورة آل عمران، آية ٤٩.

(٢) سورة المائدة، آية ١١٠.

(٣) سورة الأنعام، آية ٢.

(٤) سورة الأعراف، آية ١٢.

(٥) سورة الإسراء، آية ٦١.

(٦) سورة المؤمنون، آية ١٢.

(٧) سورة السجدة، آية ٧.

(٨) سورة الصافات، آية ١١.

(٩) سورة ص، آية ٧١.

واما ما ورد في ذكر خلق الانسان من الفخار والصلصال والحمأ المسنون. قال تعالى :

١- ﴿خلق الانسان من صلصال كالفخار﴾ [١].

٢- ﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ [٢].

٣- ﴿واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ [٣].

٤- ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ [٤].

وبعد سرد هذه الآيات نقول : ان كتب التفسير تشير الى أنه لاخلاف مطلقا بين الآيات، فالايات التي أشارت الى خلق الانسان من ماء المراد منها الخلق الحالي الذي حفظ الله به النسل بعد خلق آدم من تراب ، والمراد من الماء هو المني ، لذلك نجد أن الله تعالى يقول في بعض الآيات (الم نخلقكم من ماء مهين) اي ضعيف حقير بالنسبة الى قدرة الباري عز وجل [٥].

وقال أيضا في وصف خلق الانسان (خلق من ماء دافق) قال ابن كثير : يعني المني يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل [٦].

واما بالنسبة للآيات التي ذكرت بأن الانسان خلق من طين فهي اخبار من الله تعالى عن الخلق الاول وهو خلق آدم فالصلصال هو الطين اليابس ، واما ما جاء في الآيات الآخرى (خلقه من تراب) و (من طين لازب) و (من حمأ مسنون) فالله ذكر اطوار ذلك التراب فذكر طوره الاول بقوله (من تراب). ثم بل فصار طينا لازبا ، ثم خمّر فصار حمئاً

---

(١) سورة الرحمن، آية ١٤.

(٢) سورة الحجر، آية ٢٦.

(٣) سورة الحجر، آية ٢٨.

(٤) سورة الحجر، آية ٣٣.

(٥) تفسير ابن كثير، ج٤/٤٦٠.

(٦) المرجع نفسه، ج٤/٤٩٨.

مسنونا ثم يبس فصار صلصال كالفخار [1].

اذن فالآيات تبين ان الله خلق الانسان الاول من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنون ثم صلصال . . . فلا خلاف ، ولا يخالف ذلك الخلق من تراب ونحوه [2].

ان الآيات القرآنية لم تذكر أن الخلق كان من تراب ثم حديد ثم هواء ثم ذهب ، ثم غاز ما ، ثم ماء مهين او دافق ، لا بل كان الخلق من تراب جعله الله طينا ثم حمأ مسنون ثم صلصال وكلها متصلة اتصالا وثيقا بالتراب وكلها حالات متتالية متطورة للتراب بالذات [3].

فاين التناقض الذي زعمه هذا المستشرق ما أظنه أوتي الا من جهله بلغة القرآن وعلومه فلو انه ترك هذا الأمر لاهله لكان خيرا له .

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، ص١٧١.

(٢) تفسير البيضاوي، ص٧٠٥.

(٣) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص٣٤.

المبحث الثالث

موقف المستشرقين من فواتح السور

من النواحي القرآنية الخفية الهامة التي أهاجت غريزة حب الاستطلاع عند المستشرفين واثارت في نفوسهم رغبة البحث في القرآن ، ودفعت فضولهم الى تعقب أسراره ومخبؤاته ناحية فواتح السور ، وممن افتتنوا بهذا الجانب الخطير المستشرقون التالية أسماؤهم :

المستشرق نولديك (Noldyk) والمستشرق شفالي (Schwally)

المستشرق لوت (Lofb) والمستشرق بوير (Boer)

والمستشرق هيرشفيلد (Hirschfeld) والمستشرق بود (Bod)

والمستشرق بلاشيير (Blachere) وغيرهم كثير[(١)] .

وليس عجيبا ان تبهر هذه الفواتح عقول المستشرقين فان العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة وفرسانها عندما سمعوا القرآن امتلأت نفوسهم بالهيبة والجلال أحيانا ، والفزع أحيانا أخرى ، فعندما تلا النبي ﷺ القرآن على عتبة بن ربيعة ﴿حم الى قوله فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾[(٢)] .

عاد الى زعماء قريش بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد

---

(١) نظرات استشراقية في الإسلام، محمد غلاب، ص٣٥؛ تاريخ القرآن، الزنجاني، ص٩٦؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة قرآن.

(٢) سورة فصلت، آية ١٣.

الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم[1] .

وقد وقف المفسرون من هذه الفواتح مواقف متعددة نورد أهمها :

يقول الفخر الرازي : "للناس في قوله تعالى (الم) وما يجري مجراه من الفواتح قولان أحداهما : ان هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله تبارك وتعالى به ، وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه : لله في كل كتاب سر ، وسره في القرآن أوائل السور .

وقال علي رضي الله عنه : "ان لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي" .

وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال : "سر الله فلا تطلبوه" .

وروى ابن ظبيان عن ابن عباس قالت : عجزت العلماء عن ادراكها[2] .

القول الثاني :

قول من زعم أن المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا فيه وذكروا وجوها نورد بعضها .

الاول : أنها اسماء السور .

الثاني : أنها اسماء لله تعالى .

الثالث : أنها أبعاض أسماء الله تعالى .

الرابع : أنها اسماء القرآن .

الخامس : أن كل واحد منها دال على اسم من اسماء الله تعالى وصفة من صفاته .

السادس : بعضها يدل على اسماء الذات وبعضها على اسماء الصفات .

السابع : كل واحد منها يدل على صفات الافعال .

الثامن : بعضها يدل على أسماء الله تعالى ، وبعضها يدل على اسماء غير الله ،

---

(١) سيرة ابن هشام، ج١/٢٩٤، ط٢ المحققة.

(٢) تفسير الرازي، ج٢/٦.

التاسع : كل واحد من هذه الحروف يدل على فعل من الافعال .

العاشر : وهو قول اختاره عدد من المحققين .

"ان الله تعالى إنما ذكرها احتجاجا على الكفار" وذلك أن الرسول ﷺ لما تحداهم ان يأتوا بمثل القرآن ، أو بعشر سور ، أو بسورة واحدة فعجزوا عنه ، أنزلت هذه الحروف تنبيها على أن القرآن ليس الا من هذه الحروف ، وأنتم قادرون عليها وعارفون بقوانين الفصاحة، فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن، فلما عجز ثم عنه دل ذلك على أنه من عند الله لا من البشر [١].

ولم يثبت عن رسول الله ﷺ في هذه الفواتح شيء يصلح للتمسك به في بيان معانيها، بل غاية ما ثبت عنه هو مجرد عدد حروفها.

أخرج البخاري في تاريخه والترمذي وصححه الحاكم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف وميم حرف) [٢].

وقد وردت هذه الفواتح في تسع وعشرين سورة من القرآن وفيما يلي بيانها

الرقم	رقم السورة	الرقم	رقم السورة
١ سورة البقرة (الم)	(٢)	١٤ سورة القصص (طسم)	٢٨
٢ سورة آل عمران (ألم)	٣	١٥ سورة العنكبوت (الم)	٢٩
٣ سورة الاعراف (المص)	٧	١٦ سورة الروم (الم)	٣٠
٤ سورة يونس (الر)	١٠	١٧ سورة لقمان (الم)	٣١

---

(١) تفسير الرازي، مج١/ج٢/٦-٧؛ وانظر في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١/٣٨؛ فتح القدير، الشوكاني، ج١/٣٠.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ج١/٣٢؛ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ج٨/٢٢٦، الباب السادس عشر، فضائل القرآن، مطبعة دار الفكر.

٥ سورة هود (الر)	١١	١٨ سورة السجدة (الم)	٣٢
٦ سورة يوسف (الر)	١٢	١٩ سورة يسن (يسن)	٣٦
٧ سورة الرعد (المر)	١٣	٢٠ سورة ص (ص)	٣٨
٨ سورة ابراهيم (المر)	١٤	٢١ سورة غافر (حم)	٤٠
٩ سورة الحجر (الر)	١٥	٢٢ سورة فصلت (حم)	٤١
١٠ سورة مريم (كهيعص)	١٩	٢٣ سورة الشورى (حم عسق)	٤٢
١١ سورة طه (طه)	٢٠	٢٤ سورة الزخرف (حم)	٤٣
١٢ سورة الشعراء (طسم)	٢٦	٢٥ سورة الدخان (حم)	٤٤
١٣ سورة النمل (طس)	٢٧	٢٦ سورة الجاثية (حم)	٤٥
٢٧ سورة الاحقاف (حم)	٤٦	٢٨ سورة ق (ق)	٥٠
٢٩ سورة القلم (ن)	٦٨ [(١)]		

ومن الطوابع التي ميزت تلك الفواتح أنها تدور كلها في اطار اربعة عشر حرفا من الحروف الهجائية ، وانها صيغت في اربع صورة مختلفة وهي : (١) ص (٢) ق (٣) ن (٤) طه (٥) طس (٦) يسن (٧) حم (٨) و (٩) المر (١٠) طسم (١١) المص (١٢) الر (١٣) كهيعص (١٤) حم عسق [(٢)].

ثم نقول ان هذه الحروف تنحصر بطبيعة تكوينها في هذه العبارة (نص حكيم قاطع له سر) ومعناها ان هذا نص من نصوص الحكيم القاطعة المشتملة على سر .

وقد ذهب بعض العلماء الى أن المقصود من هذه الحروف سياسة النفوس المعرضة عن القرآن واستدراجها الى الاستماع اليه، والمعروف أن اعداء الاسلام في صدر الدعوة كان يقول بعضهم لبعض ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ [(٣)].

---

(١) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٢/٣٦١.

(٢) نظرات استشراقية، محمد غلاب، ص٣٧.

(٣) سورة فصلت، آية ٢٦.

فلما أنزلت السور المبدوءة بحروف الهجاء ، وقرع أسماعهم مالم يألفوا ، التفتوا ، واذا هم أمام آيات بينات استهوت قلوبهم ، واستمالت عقولهم فآمن من أراد الله هدايته وشارف الايمان من شاء الله تأخيره ، وقامت الحجة في وجه الطغاة المكابرين ، وأخذت عليهم الطرق فلا عذر لهم في الدنيا ولا يوم الدين .

وقال الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره لسورة آل عمران "اعلم أن القرآن كتاب سماوي ، والكتب السماوية تصرح تارة وترمز أخرى ، والرمز والاشارة من المقاصد السامية والمعاني والمغازي الشريفة ، وقديما كان ذلك في أهل الديانات ألم تر الى اليهود الذين كانوا متشرين في المدينة وفي الشرق أيام النبوة كيف كانوا يصطلحون فيما بينهم على اعداد الجمل المعروفة اليوم في الحروف العربية ؟ فيجعلون الألف بواحد ، والياء باثنين ، والجيم بثلاثة ، والدال بأربعة وهكذا مارين على الحروف الابجدية الى الياء بعشرة والكاف بعشرين ، وهكذا الى القاف بمائة والراء بمائتين وهكذا الى ألفين بألف ، كما ستراه المقام .

وكذلك ترى أن النصارى في اسكندرية مصر وبلاد الروم وفي سوريا ، قد اتخذوا الحروف رموزا دينية معروفة فيما بينهم أيام نزول القرآن ، وكانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية في مصر ، وكانوا يرمزون بلفظ (اكسيس) لهذه الجملة : (يسوع المسيح ابن الله المخلص) فالألف من اكسيس هي الحرف الاول من لفظ (ايسوس) يسوع ، والكاف منها هي الحرف الاول من (كرستوس) المسيح ، والسين منها هي حرف الثاء التي تبدل منها في النطق في لفظ (ثيو) الله والياء منها تدل على (ايوث) ابن والسين الثانية منها تشير الى (ثوتير) المخلص ، ومجموع هذه الكلمات : يسوع المسيح بن الله المخلص . ولفظ (اكسيس) اتفق أنه يدل على معنى سمكة عند هؤلاء رمز لإلههم .

فانظر كيف انتقلوا من الاسماء الى الرمز بالحرف ، ومن الرمز بالحرف الى الرمز بحيوان دلت عليه الحروف ، قال الحبر الانجليزي صموئيل مونتج (montg) انه كان يوجد كثيرا في قبور رومة صور اسماك صغيرة مصنوعة من الخشب والعظم ، وكان كل

مسيحي يحمل سمكة اشارة للتعارف فيما بينهم[1] .

يقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني : فاذا كان ذلك من طبائع الامم التي أحتاطت بالبلاد العربية وتغلغلت فيها ونزل القرآن لجميع الناس من عرب وعجم . كان لا بد أن يكون على منهج يلذه الامم ويكون فيه ما يألفون ، وستجد انه لا نسبة بين الرموز التي في أوائل السور ، وبين الجمل عند اليهود ورموز النصارى الا كالنسبة بين علم الرجل العاقل والصبي ، أو بين علم العلماء وعلم العامة وبهذا تبين لك أن اليهود والنصارى كان لهم رموز وكانت رموز اليهود هي حروف الجمل[2] . وقد استعمل اليهود الرموز الحرفية .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : مر أبو ياسر بن أخطب برسول الله ﷺ وهو يتلو سورة البقرة "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه" ثم اتى أخوه حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف فسألوه عن (الم) وقالوا تشك الله لا اله الا هو أحق أنها أتتك من السماء ؟ فقال النبي ﷺ : نعم كذلك نزلت . فقال حيي : ان كنت صادقا اني لأعلم أجل هذه الامة من السنين. ثم قالوا : كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على أن منتهى أجل أمته احدى وسبعون سنة ، فضحك النبي ﷺ . فقال حيي : فهل غير هذا ؟ فقال : نعم (آلمص) فقال حيي : هذا اكثر من الأول ، هذا مائة واحدى وستون سنة فهل غير هذا ؟ قال : نعم (آلر) فقالت حيي : هذا اكثر من الأولى والثانية ، فنحن نشهد إن كنت صادقا ما ملكت أمتك إلاّ مائتين واحدى وثلاثين سنة ، فهل غير هذا ؟ فقال نعم (آلم) .
قال حيي : فنحن نشهد أنا من الذين لا يؤمنون ، ولا ندري باي أقوالك نأخذ ، فقال أبو ياسر : أما أنا فاشهد على أن أنبياءنا قد اخبرونا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا أنها كم

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الشيخ طنطاوي جوهري، المجلد الأول، ج١، جزء ٢/٥، تفسير سورة آل عمران، ط٢/١٣٥٠، مصطفى البابي الحلبي.

(٢) مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج١/٢٣٠-٢٣١، الطبعة المصرية، مصطفى البابي الحلبي.

تكون؟ فان كان محمد صادقا فيما يقول اني لاراه سيجتمع له هذا كله ، فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا أمرك فلا ندري أبالقليل نأخذ أم بالكثير ؟ [١]

أقوال المستشرقين في فواتح السور القرآنية

سبق وأن ذكرنا أن عددا من المستشرقين افتتنوا بفواتح السور القرآنية ، ونسوق فيما يلي أقوالهم في فواتح سورة القرآن الكريم .

أ - المستشرق مولدكه (noldeke) الالماني : ذهب هذا المستشرق الى أن أوائل السور دخيلة على نص القرآن وقد ذكر ذلك في كتابه تاريخ القرآن الذي نشر سنة (١٩١٩) وقال : إن تلك الفواتح ليست من القرآن في شيء ، وإنما هي رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين ، قبل أن يوجد المصحف العثماني .

فمثلا حرف الميم كان رمزا لصحف المغيرة ، والهاء رمزا لصحف ابي هريرة ، والصاد كانت رمزا لصحف سعد بن ابي وقاص والنون رمزا لصحف عثمان ، وما الى ذلك ، وإذن فهي ليست سوى اشارات لملكية الصحف ، تركت في مواضعها بدافع النسيان أو الاهمال ، أو عدم اليقظة ، ثم الحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآنا [٢] .

وقد رد على هذا الزعم الخاطئ كل من المستشرق لوت (Lofb) وبوير (Boer) وقالا: بانهما لا يستسيغان أن أولئك المسلمين الاتقياء الذين نسخوا المصاحف يقبلون أن يضيفوا الى كلام الله ماليس منه ، أو أن يقروا اضافته اليه . وهما يجزمان بأنه لا يتصور عاقل أن أولئك الاعلام الدقيقين الذين كلفوا جمع المصحف الاخير يمكن أن يجيزوا انضمام رموز بشرية الى كتاب الله أو ان يستبقوا فيما كلفوا مراجعته رموزا لمعاصريهم [٣] .

---

(١) مناهل العرفان، ج١/٢٣١.

(٢) نظرات استشراقية، محمد غلاب، ص٤٢.

(٣) المرجع السابق، ص٤٢.

وقد شارك المستشرق شفالي (Schwally) المستشرق نولدكه (Noldeke) هذا الرأي . ثم نجد أن المستشرق نولدكه (Noldeke) شعر بخطأ نظريته فرجع عنها واما المستشرق شفالي فاهملها .

ثم جاء المستشرق بهل (Bwbl) والمستشرق هرشفيلد (Hirschfeld) فأثارا هذه الفرية من جديد ، وقد أظهر المستشرق بلاشير (Blachere) فساد هذه النظرية بما لا يدع مجالا لتقبلها أو احترامها ، وتبعه كل من المستشرق لوت (Lofb) والمستشرق (Baner) حيث أنهما استبعدا أن يدخل المؤمنون الذين ذكرت أسماؤهم آنفاً ومن هم ورعا وتقى – عناصر غير قرآنية في الكتاب المنزل الذي لا يزيد عليه ما ليس منه الا ضعيف الايمان قليل اليقين .

ويرى المستشرق بلاشير (Blachere) انه ليس من المعقول بحال من الاحوال أن يحتفظ أصحاب المصاحف المختلفة في نسخهم ذاتها بالحروف الأولى من اسماء معاصريهم إن علموا أنه لا يقصد بها الا ذلك [(١)].

يقول الاستاذ محمد الغزالي : ويضاف الى هذه الملاحظة – يعني ملاحظة المستشرق بلاشير (Blachere) – أننا لا نكاد نجد مبررا لحرص (أبي) او (علي) أو (ابن مسعود) على أن يحتفظوا في مصاحفهم بالحروف الأولى من أسماء اشخاص كانوا ينافسونهم في استنساخ القرآن وجمعه [(٢)].

ب – واما المستشرق لوت (Lofb) فهو يتصور أن النبي ﷺ مدين بفكرة الفواتح لتأثير أجنبي – ويرجح أنه تأثير يهودي، إن وقوع هذا المستشرق في مثل هذا الخطأ يرجع الى جهلة حيث أنه يتصور أن السور التي بدئت بالفواتح مدنية خضع فيها الرسول ﷺ

---

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، ص١٠٦-١٠٧، ط٥/ ١٤٠١/ ١٩٨١، المكتبة الإسلامية.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٧.

لتأثير اليهود وقد فاته أن سبعا وعشرين سورة من تلك السور التسع وعشرين مكية ، وليس بينها من السور المدنية سوى اثنتين ، وهما سورتا البقرة وآل عمران ولكنه الجهل وكفى بذلك وبالا [(١)].

(١) نظرات استشراقية، محمد غلاب، ص٤٢.

المبحث الرابع

موقف المستشرقين من الآيات المكية والمدنية

١- يقول المستشرق جولد تسيهر (Goldziher) في كتابه العقيدة والشريعة: "لكن حمية النبوة وحدتها أخذت في عظات المدينة والوحي الذي جاء بها تهدأ رويدا رويدا، حيث أخذت البلاغة في هذا الوحي تصبح ضعيفة شاحبة، كما أخذ الموحي نفسه ينزل إلى أقل بحكم ما كان يعالجه من موضوعات ومسائل، حتى لقد صار أحيانا في مستوى النثر العادي"[١].

٢- ويقول أيضا: "اذ القرآن هو الأساس الأول للدين الاسلامي، وهو كتابه المقدس، ودستوره الموحى به، وهو في مجموعه مزيج من الطوابع المختلفة اختلافا جوهريا، والتي طبعت كلا من العصرين الأولين من عهد طفولة الاسلام"[٢].

يمكن أن نلخص ما جاء على لسان هذا المستشرق بالنقاط التالية:-

أولا: يقرر أن القرآن يشتمل على أسلوبين متعارضين لا تربط الاول بالثاني صلة ولا علاقة.

ثانيا: يقرر أن القرآن في شكله هذا جاء لتأثر النبي بالبيئة المكية والبيئة المدنية.

ثالثا: يقرر أن القسم المدني يشتمل على الأحكام والتشريعات بينما يخلو القسم المكي منها.

ويمكن تلخيص الشبهة بمجملها بما يلي

إن القسم المكي يمتاز بتقطع الفكرة، واقتضاب المعاني، وقصر الآيات والخلو التام من التشريع والقوانين، كما يكثر فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم. وأما القسم المدني فأفكاره منسجمة متسلسلة، ترمي أحيانا إلى غايات اجتماعية واخلاقية، وفيه هدوء ومنطق

---

(١) كتاب العقيدة والشريعة، جولد تسيهر، ص١٥.

(٢) نفس المرجع، ص١٦.

وتشريع وقصص وتاريخ وفيه التشريعات الاسلامية كالمواريث والوصايا والزواج والطلاق والبيوع والمعاملات.....الخ [(١)] .

الهدف من هذه الشبهة:-

يهدف المستشرقون من اثارة الشبهات حول الآيات المكية والمدنية إلى ما يلي:

١- التشكيك في القرآن، وهو أنه ليس كلام الله وليس معجزا إنما هو كلام محمد الذي تأثر أولا بأهل مكه ثم تأثر بعدها بأهل المدنية.

٢- إظهار القرآن على أنه كتاب مفكك الأجزاء غير متصل الحلقات يخضع للظروف ويتأثر بالبيئات.

مناقشة شبهاتهم

أولاً: قولهم أن القرآن يشتمل على أسلوبين متعارضين لا تربط الأول بالثاني صلة ولا علاقة.

وقد استدل هؤلاء المستشرقين على باطلهم بما يلي:-

١- امتاز القسم المكي بكل مميزات الأوساط المنحطة.

وامتاز القسم المدني بالثقافة العالية الواسعة.

٢- امتاز القسم المكي بالعنف والشدة، والقسوة والحدة والوعد والوعيد وامتاز القسم المدني بخلاف ذلك.

أ- ويظهر بطلان قولهم بأن الانسان عندما يقرأ القرآن بقسميه المكي والمدني فانه يجد أنه يحتوي على أسلوب الشدة والعنف، والوعد والوعيد، والدليل على ذلك أن سورة البقرة مدنية وهي تحتوي على أسلوب الوعد والوعيد والشدة والعنف يقول الله تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة، أعدت للكافرين﴾ [(٢)] .

---

(١) نقض مطاعن في القرآن الكريم، الشيخ محمد عرفة، مجلة نور الإسلام، جلد/٤ جزء٢/١٣٥٢.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٤.

فهذا أسلوب تهديد يحتوي على الوعيد الذي زعم هذا المستشرق ومن سار على طريقه بأن القسم المدني يخلو من هذا الأسلوب.

ويقول الله في آية أخرى من سورة البقرة وهي مدنية في بيان جزاء المرابين : ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ (1) .

أو ليست هذه الآية تشتمل على أسلوب التهديد والوعيد، ولا يقف الأمر عند هذه السورة بل إن غالب سور القرآن المدنية اشتملت على هذا الأسلوب كما اشتملته السور المكية وهذا مما يدل على بطلان دعوى المستشرقين.

يقول الله في سورة آل عمران وهي مدنية أيضا في بيان جزاء الكافرين: ﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم، والله شديد العقاب، قل للذين كفروا ستُغلبون وتُحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾ (2) .

فأين اللين والصفح في هذه الآيات المدنية، إن مفهوم المستشرقين باطل كمنطوقهم أيضا، فالآيات المكية اشتملت على أسلوب اللين والصفح كما اشتملت عليه الآيات المدنية واليك الدليل. يقول الله تعالى في سورة فصلت وهي مكية: ﴿ومن أحسن قولا مما دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم﴾ (3) .

والسور المكية تشتمل على هذا الأسلوب، وهذا مما يدل على فساد قول المستشرقين وتلاميذهم، وأما أسلوب التقريع والتوبيخ فقد اشتملت عليه السور المكية والمدنية في آن واحد.

---

(1) سورة البقرة، آية ٢٧٥.

(2) سورة آل عمران، آية ١٠-١٢.

(3) سورة فصلت، آية ٣٣-٣٥.

يقول الله تعالى في سورة البقرة وهي مدنية: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ [1].

والمجالات متعددة في تقريع الكافرين والمنافقين، وفي تقريع أهل الكتاب من اليهود والنصارى في هذه السور، فالقرآن كتاب دعوة، يراعي أحوال المخاطبين، فيشتد مع من يحتاج إلى الشدة، ويلين مع من يناسبه أسلوب اللين، وهذا هو مقتضى الحكمة، حيث أن البلاغة تقتضي مراعاة حال المخاطب. وقد جاء كلا الأسلوبين على حسب مقتضيات الأحوال قرآنا عربيا غير ذي عوج.

ب- ومما يدل على بطلان قولهم بتعارض الاسلوبين المكي والمدني:-

أن قريشا سمعوا القرآن وهم أرباب الفصاحة والبلاغة وهم فرسانها، فناصبوا الاسلام العداء من يومه الأول ولكنهم لن يستطيعوا أن يتهموا أساليب القرآن بالتعارض والانقطاع، والحقيقة أنهم كانوا أعقل من المستشرقين وأعوانهم لأنهم كانوا على علم باللغة ومعانيها، وأما هؤلاء فقد جمعوا إلى جانب الحقد جانب الجهل.

ولنسمع ما قاله الوليد بن المغيرة لسادة قريش:- "والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما، ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن أن له لحلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأن اعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق، وأنه يعلو وما يعلى" [2]. ولما قالت قريش عندئذ: صبأ والله الوليد، واحتالوا عليه أن يطعن في القرآن لم يجد حيلة الا أن يقول "إن هذا الا سحر يؤثر" ولم يستطع أن يرمي القرآن بالتعارض والانقطاع.

ثانياً: قولهم أن القرآن في شكله هذا جاء نتيجة لتأثر النبي ﷺ بالبيئة المكية والمدنية. واستدلوا على ذلك بما يلي:

---

(١) سورة البقرة، آية ٦.

(٢) سيرة ابن هشام، ج١/ ٢٧٠؛ نور اليقين، الخضري، ص٥٤.

١- قصر الآيات والسور المكية لأن النبي كان يعيش في أمة امية فجاءت الآيات والسور مناسبة لها.

هذه الشبهة باطلة من وجوه:

١- اشتمال القرآن بقسميه المكي والمدني على سور طويلة وقصيرة واليك البرهان.

٢- سوره الانعام سورة مكية وهي من السور الطويلة وعدد آياتها (١٦٥) آية.

٣- سورة النصر مدنية وهي من السور القصيرة وعدد آياتها (٣).

فهذا دليل على بطلان قولهم

٢- أن قصر السور والآيات المكية لا يدل على ما زعموه بأن القرآن جاء نتيجة لتأثر النبي ﷺ بالبيئة بل ن قصر الآيات يدل على الإيجاز، والإيجاز مظهر رقي المخاطب وذكائه، ومن المعلوم أن قريشا كانت في القمة من الفصاحة والبلاغة فلذلك ناسبهم أن يخاطبوا بالقصير والطويل من الآيات والسور.

وأهل المدينة أيضاً لم يكونوا على استنارتهم ليبلغوا شأن قريش في تلك الخصائص والمزايا، وكان منهم أهل كتاب درجوا على أن لا يستفيدوا الا بالتطويل، ولا يقنعوا الا ببسط الكلام. فناسب أيضا أن يخاطبوا طبعا بالسور القصيرة والطويلة.

ومن هذا يظهر بطلان قول المستشرقين أن القرآن تأثر بالبيئة وخضع لها.

٣- تحدى القرآن للأنس والجن جميعا، وعجزهم عن مجاراته، فلو كان القصر أثر للانحطاط كما يقول المستشرقون لكان في مقدور الاذكياء أن يأتوا بمثل هذا المنحط[1].

٤- إن طول الآيات والسور وقصرها لا يدل على تأثر القرآن بالبيئة، كما أن الطول والقصر لا يقطع الصلة بين مكي القرآن ومدنيه. بل أن الصلة قائمة بين القسمين، ولكن لا يدرك ذلك الا من كان صاحب ذوق وبلاغة، وأوتي طبعاً سليما ودُربة على معرفة منطق العرب.

ثالثا: قولهم أن القسم المدني يشتمل على الأحكام والتشريعات والقسم المكي يخلو منها،

---

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١/٢١٨.

فهذا يدل على أن القرآن من صنع محمد وأنه كان متأثرا بالبيئة التي يعيش فيها:

١- نقول لهم: أن خلو القسم المكي من التشريع التفصيلي ووجوده في القسم المدني، فهذا أمر طبيعي، لأن الاسلام لم يكن قد تقرر في مكة، وكان أهل مكة ينازعون في أصله، وهو التوحيد والنبوة والمعاد....الخ.

فحق أن يقيم الأدلة على ذلك، وكذلك كان، ولما كان بالمدينة وآمن به أهلها، وقامت لهم دولة عند ذلك أتى بالقوانين والشرائع.

وهل يريد المستشرقون أن يفرض على كفار مكة أحكام المواريث والزواج والطلاق... وغيرها وهم يخاصمون في أصل العقيدة وفي أنه رسول، ولا يدينون له؟ أفليس الواجب أن يثبت أصل الايمان ثم يثبت بعد ذلك فروعه.

٢- لا بد من العلم بأن القسم المكي لم يخل جملة من التشريع والأحكام بل عرض لها وجاء عليها بطريقة اجمالية وهذا مما يدل على بطلان قول هذا المستشرق واليك الدليل.

إن مقاصد الدين خمسة

١- الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

٢- حفظ النفس. ٣- حفظ المال.

٤- حفظ العقل. ٥- حفظ النسل.

وقد تحدث القرآن عن هذه المقاصد بشكل اجمالي فقد جاء في سورة الانعام: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من أملاق نحن نرزقكم واياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾[١] . فهذه الآيات أشارة بشكل اجمالي لمقاصد الشريعة الاسلامية.

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٥١-١٥٢.

المبحث الخامس

المستشرقون وترجمة القرآن الكريم

مقدمة:

أ- منشأ فكرة ترجمة القرآن والحاجه اليها:

بعد أن توسعت دولة الاسلام، وتفرق المسلمون في أنحاء المعمورة وتعددت دولهم، وبعد أن انقسمت تلك الدولة العظيمة بتخطيط وتدبير من أعداء الاسلام، وبعد ن ضعف اللسان العربي في تلك الدول، وعمل الأعاجم على تركه، ظهرت الحاجة إلى ترجمة بعض الكتب الدينية، وتدريس العربية منها بالترجمة، وكذلك ظهر الشعور بالحاجة إلى ترجمة كتاب الله نفسه بلغات الأعاجم، من أجل فهمه والاطلاع على ما فيه من كنوز تسعد الحياة والأحياء جميعا، ويمكن إيجاز الأسباب التي دعت إلى توضيح كتاب الله وبيان معانيه للناس بما يلي:

أولاً: أن القرآن الكريم هو أصل الرسالة الاسلامية التي بعث بها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فهو معينها الذي لا ينضب، ومن هنا طلب المولى سبحانه من المسلمين أن يتدارسوا آيات القرآن، وأن يتدبروا معانيه، حتى يفوزوا بخيري الدنيا والآخرة.

ثانياً: اختلاف ألسنة الناس، الذي يعتبر آية من آيات الله، قال الله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم أن في ذلك لآيات للعالمين﴾ (١).

أي اختلاف اللغات من عربية وعجمية، وتركية ورومية مع اتحاد الأصل آية دالة على عظمة الله سبحانه وتعالى.

واذا كانت ألسنة الناس مختلفة، فغير العربي يصعب عليه الاطلاع على كتاب الله، الذي نزل بلسان عربي مبين، ولا بد من طريق إلى توثيق الصلة بينه وبين أولئك الذين تحنّ اليه قلوبهم، وتعشقه أرواحهم ممن آمن به، وحالت معرفتهم للغته التي نزل بها بينهم وبين طريق الهداية التي رسمها والأحكام التي شرعها.

---

(١) سورة الروم، آية ٢٢.

أولئك الذين أعياهم البحث عن الحقيقة، وشُوِّهت أمامهم حقائق الاسلام، وشككهم أصحاب الميول والأهواء من أعداء الاسلام فيما جاء به القرآن، وبما وضعوا له من ترجمات امتلأت بالأخطاء والشبهات. ومن هنا دعت الضرورة إلى توضيح كتاب الله وبيان معانيه[1].

ثالثاً: عالمية الرسالة الاسلامية، فالله بعث خاتم أنبيائه رحمة للعالمين، قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾[2] ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا﴾[3] ﴿وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[4].

فمن بلغه القرآن وفهمه وعقله كان كمن عاين النبي ﷺ. قال محمد ابن كعب القرضي: "من بلغة القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ، وفي لفظ من بلغة القرآن حتى يفهمه ويعقله، كان كمن عاين النبي ﷺ وكلمه"[5].

اذا، فالعمل على تبليغ الدعوة يقتضي إيصالها إلى الناس بلغة يفهمونها، وهذا يستلزم أن نترجم لهم ما به يسقط الواجب الملقى على عاتقنا من التبليغ، وتقع الحجة على كل من لم تبلغه الدعوة من غير المسلمين.

ولكن هل لا يتم الواجب الا بترجمة القرآن نصيا؟ وهل اذا أردنا الترجمة أمكننا القيام بهذا العمل دون أن يترتب عليه محظور شرعي. أو أنه يكفي في ذلك ترجمة تفسيرية، يتم بها توضيح هديه وتعاليمه للناس. فهذه أمور وقع الخلاف فيها بين العلماء.

---

(١) لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، ص٥٣١ وما بعدها، مكتبة الرسالة، عمان؛ دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، أحمد إبراهيم مهنا، ص١٠-١٢، المقدمة.

(٢) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

(٣) سورة الأعراف، آية ١٥٨.

(٤) سورة سبأ، آية ٢٨.

(٥) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج٧/٣٤١.

تعريف الترجمة:

الترجمة لغة تستعمل في معاني وكلها تدور حول البيان والتعبير فمنها:

١- نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده.

جاء في لسان العرب: التُرجمان، والتِّرجمان: المفسر للسان، وفي حديث هرقل، قال لترجمانه، الترجمان بالضم والفتح، هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والجمع التراجم والتاء والنون زائدتان وقد ترجمه، وترجم عنه، وترجمان هو من المثل التي لم يذكرها سيبويه[(١)] .

٢- ومن معاني الترجمة تبليغ الكلام لمن لم يبلغه، ومنه قول الشاعر:

أن الثمانين- وبلغتها- قد أحوجت سمعي إلى ترجمان [(٢)]

٣- وجاءت الترجمة بمعنى تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، ومنه قيل في أبن عباس ترجمان القرآن" [(٣)] .

جاء في المصباح المنير: "ترجم فلان كلامه إذا بيّنه وأوضحه [(٤)] . وترجم كلام غيره اذا عبر عنه بلغة غير لغة المتكلم.

٤- تفسير الكلام بلغة غير لغته:

قال الزبيدي في تاج العروس: "الترجمان المفسر للسان، وقد ترجمه، وترجم عنه اذا فسر كلامه بلسان آخر قاله الجوهري" [(٥)] .

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢/٦٦، مادة ترجمان؛ ترجمة القرآن، عبدالله شحاته، ص٥، دار الاعتصام.

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢/١٠٩.

(٣) المرجع السابق، ج٢/١٠٩؛ تفسير ابن كثير، ج١/٤.

(٤) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري، ج١/٧٤، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

(٥) تاج العروس في شرح القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ج٨/١١٣، مطابع دار صادر، بيروت.

وجاء في تفسير ابن كثير والبغوي: أن كلمة ترجمة تستعمل في لغة العرب بمعنى التبيين مطلقا سواء أتحدث اللغة أم اختلفت"[1].

فهذه هي خلاصة ما جاء في كتب اللغة في بيان كلمة ترجمة واذا أضفنا هذه الكلمة إلى القرآن الكريم أصبح المصطلح عندنا (ترجمة القرآن) فاذا عرفنا معنى الترجمة، فلا بد من الاشارة إلى معنى القرآن، فالقرآن عند الأصوليين والفقهاء وعلماء اللغة هو:

"الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته"[2].

فالتعريف يؤخذ منه ما يلي:

١- أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى لفظا ومعنى أنزله على رسوله محمد ﷺ ليكون معجزة خالدة.

٢- ثبوت نقله بطريق التواتر، التي يستحيل بها الكذب.

٣- أنه متعبد بتلاوته، وهو مكتوب بالمصاحف مبدوء بسورة الفاتحة ومنته بسورة الناس.

هذه هي أهم خصائص القرآن الكريم، والذي يهمنا ما جاء في البند الأول من أن القرآن معجزة خالدة نزل من عند الله بلفظه ومعناه، ومن كان حاله فلا يمكن لبشر أن يأتي بمثله. وبعد أن عرفنا معنى الترجمة، ومعنى القرآن نبين أنواع الترجمة.

أنواع الترجمة:

يمكن تقسيم الترجمة إلى نوعين:

الأول: الترجمة الحرفية.

الثاني: الترجمة التفسيرية.

أما الحرفية: فهي ترجمة نص من النصوص إلى لغة أخرى مع المحافظة على معانيها

---

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢/١١٠.

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، ص٦؛ مناهل العرفان، الزرقاني، ج١/١٩.

ومقاصدها التي في النص الأصلي" [١] فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه.

فالمترجَم ترجمة حرفية يأخذ كل كلمة في الأصل، ثم يستبدل بها كلمة تساويها في اللغة الأخرى مع وضعها موضعها واحلالها محلها، وإن أدى ذلك إلى خفاء المعنى المراد من الأصل، بسبب اختلاف اللغتين في مواقع استعمال الكلام في المعاني المرادة الفا واستحسانا [٢] .

ومن عرف اللغة العربية أدرك خصائصها الفريدة، وسماتها المميزة عن غيرها من اللغات، فكلام العرب يحمل في طياته الدقة والبراعة بحيث يختلف المعنى اذا قدمت الكلمة على أختها في النظم أو أخرتها عنها.

كما أن اللغة العربية تختلف عن غيرها من اللغات في تكوين الجملة نفسها كتقديم الفعل على الفاعل، والموصوف على الصفة... الخ. إلى غير ذلك من الصفات التي يعرفها من له المام باللغة العربية وغيرها من اللغات الأوروبية.

كما أن اللغة العربية تشتمل على المجاز بشتى صوره، ففيه الاستعارة والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف والتكرار، والاخفاء والاظهار، والتعريض والافصاح والكتابة والايضاح، ومخاطبة الواحد، والواحد والجمع خطاب الاثنين إلى غير ذلك.

يقول ابن قتيبة: «وبكل هذه المذاهب نزل القرآن، ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمة التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب» [٣] .

---

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢/١١١؛ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص٣١٣؛ ترجمة القرآن، عبدالله شحاته، ص٥.

(٢) المرجع السابق، ج٢/١١١.

(٣) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص٧٩، ط٣/ ١٤٠١/١٩٨١.

فوجود المجاز في العربية اذن – عند ابن قتيبة– دون غيرها من اللغات الأوروبية، هو الذي يعجز عن الترجمة أو يفسدها، واذا جاز ترجمة الكتب السابقة إلى سائر اللغات الأخرى، فلا يجوز أن يترجم القرآن لأن الكتب السابقة لا تحتوي على اعجاز القول وبلاغة التعبير حتى يقوم بواحد منها التحدي، كما هو حال القرآن.

فمعجزة القرآن هي معجزة التعبير، وما فيه من بلاغة، وفصاحة لم يجر بهما لسان أبلغ الناس وأفصحهم، وألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وما عداها هو بالاضافة اليها كالقشور، والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، والحثالة والتبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة [1].

يقول الشيخ مناع القطان في بيان حكم وترجمة القرآن الحرفية ما نصه: "ولهذا لا يجد المرء أدنى شبهة في حرمة ترجمة القرآن حرفية، فالقرآن كلام الله المنزل على رسوله المعجز بألفاظه ومعانيه المتعبد بتلاوته، ولا يقول أحد من الناس أن الكلمة من القرآن اذا ترجمت يقال فيها أنها كلام الله، فأن الله لم يتكلم الا بما نتلوه بالعربية ولن يتأتى الاعجاز بالترجمة، لأن أعجاز خاص بما أنزل باللغة العربية، والذي يتعبد بتلاوته هو ذلك القرآن العربي المبين بألفاظه وحروفه، وترتيب كلماته.

فترجمة القرآن على هذا مهما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبها، تخرج القرآن عن أن يكون قرآنا"[2] وهذا هو القول المعتمد عند علماء الاسلام، لأن الترجمة الحرفية مستحيلة لأنها تحتاج إلى مفردات وضمائر روابط متشابهة بين اللغتين المنقول منها والمنقول اليها.

الترجمة التفسيرية:

والمراد بها الترجمة التي تشتمل على المعاني والأحكام التي يدل عليها القرآن، فهي ليست الا ترجمة لتفسير القرآن، أو بيان معناه بلغة أخرى مع عدم المحافظة على تركيب

---

(١) المزهر، السيوطي، ج١/٢٠١؛ المفردات في غريب القرآن، الراغب أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، ص٦، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص٣١٤.

الأصل، فاذا كانت الترجمة تحقق فائدة علمية فهي مرغوب فيها، وأما اذا كان المقصود منها التضليل والتغرير، وزرع الشكوك في قلوب الناس فعند ذلك يصبح الأمر محرما.[١]

ومما لا ريب فيه أن تفسير القرآن بلسان أعجمي لمن لا يحسن العربية يجري في حكمه مجرى تفسيره بلسان عربي لمن يحسن العربية، فكلاهما بيان لما يفهمه المفسر من كتاب الله بلغة يفهمها مخاطبة، لا عرض لترجمة القرآن نفسه، وكلاهما حكاية لما يستطاع من المعاني والمقاصد لا حكاية لجميع المقاصد.

والتفسير القرآني: هو بيان لمراد الله بقدر الطاقة البشرية وهذا البيان يستوي فيه ما كان بلغة العرب، وما ليس بلغة العرب ولا بد لهذه الترجمة أن تستوفي شروط الترجمة باعتبار أنه نقل لما يمكن من معاني اللفظ بلغة غير عربية، وشروط التفسير[٢].

شروط الترجمة التفسيرية:

١- أن تستمد هذه الترجمة من الأحاديث النبوية، وعلوم اللغة العربية، والأصول المقررة في الشريعة الاسلامية، ولا بد للمترجم من اعتماده في استحضار معنى الأصل على تفسير عربي مستمد من ذلك، واما اذا اعتمد المترجم على رأيه، واعتمد على تفسير غير مستمد من الأصول. فلا تجوز ترجمته ولا يعتد به.

٢- استقامة المترجم، وبعده عن الميل إلى عقيدة مخالفة لعقيدة القرآن.

٣- اتقانه اللغتين المترجم منها والمترجم اليها، ومعرفة أسرارها.

٤- أن يكتب القرآن أولا، ثم يؤتى بعده بتفسيره، ثم يتبع هذا بترجمته التفسيرية حتى لا يتوهم أن هذه الترجمة ترجمة حرفية للقرآن[٣].

---

(١) ترجمة القرآن، عبدالله شحاته، ص٥

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢/١٣٣.

(٣) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج١/٣٠.

الفوائد المترتبة على الترجمة التفسيرية:

١- ابراز محاسن القرآن الكريم وعظمته لمن يعجز عن الاطلاع عليها باللغة العربية، من المسلمين الذين لا يتكلمون باللسان العربي، ولغيرهم من أهل الملل الأخرى الذين يرغبون في الوقوف على الحق.

٢- تفنيد الشبهات التي اخترعها أعداء الاسلام من المبشرين والمستشرقين وألصقوها بكتاب الله وبيان زيفها وبطلانها.

وقد كان لهذه الشبهات أثر عظيم في إغواء عدد كبير من المسلمين الذين لا يتقنون اللسان العربي. كما آن كثيرا من المستشرقين عملوا على ترجمة القرآن إلى لغاتهم تراجم مملوءة بالأخطاء، وإنما يُكفى شر هذا الفساد بعدم إدراك أصحاب تلك اللغات معاني القرآن على وجهها الصحيح.

٢- بيان حقائق الاسلام وتعاليمه لأهل الأديان الأخرى وذلك من أجل تبليغهم دعوة الله، حتى تقوم عليهم الحجة.

٤- ازالة العقبات التي وضعها أعداء الاسلام في وجه الاسلام لمنع انتشاره ووصوله إلى طلاب الحقيقة، يقول برناردشو: لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الاسلام بطابع أسود حالك. إما جهلا وإما تعصبا انهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل بغض محمد ودينه، فعندهم أن محمدا كان عدوا للمسيح ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب. وفي رأيي أنه بعيداً جداً من أن يكون عدوا للمسيح انما ينبغي أن يدعى منقذ البشرية [١].

٥- إبراء ذمة المسلمين من واجب تبليغ القرآن بلفظه ومعناه إلى أمم الأرض، لأن الدعوة الاسلامية لا يمكن أن تنتشر في العالم الا اذا أوصلنا معاني كتاب الله اليهم بلغاتهم التي ينطقونها.

---

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢/١٣٩.

الشروط التي يجب أن تتوفر في المترجم:

لقد وضع العلماء شروطا للمترجم، لا بد من توفرها فيه حتى تكون ترجمته مقبولة، واذا اختلت هذه الشروط في شخصية المترجم، او اختل بعضها، اعتبرت الترجمة ناقصة وغير مقبولة.

١- أن يعتمد المترجم على الأصول الصحيحة التي تعتمد في تفسير كتاب الله وبيان أحكامه. وهذه الأصول هي الكتاب والسنة وأقوال السلف مع الاعتماد على اللغة العربية. واذا لم يعتمد المترجم على هذه الأصول فلا تقبل ترجمته ولا ينطر اليها.

٢- المعرفة الكاملة باللغتين المترجم منها، والمترجم اليها، وأن يكون على علم بمدلولات الألفاظ، وأساليب الكلام في اللغتين حتى يستطيع أن يقوم بواجبه نحوها.

٣- أن يكون معتدلا، ومستقيما في سلوكه وتصرفاته وعلمه، فلا يغلب عليه هواه، وأن يكون سائرا مع شريعة الاسلام، فاذا كان مائلا عنها فلا تقبل ترجمته.

٤- أن يكون على علم كامل بكتاب الله، وأن يعلم أنه كتاب أوحاه الله إلى نبيه، وهو معجزته الخالدة، تحدى الله به العرب، ولا يزال هذا التحدي قائما مدى العصور والأجيال، وأن القرآن يحتوي على ألفاظ مستعصية على النقل متأبية على الترجمة لذلك يجب رفع توهم أن تكون هذه الترجمة هي القرآن، أو أنها تشمل جميع أسراره، لأن هذا مالا يمكن أن تحيط به ترجمة من الترجمات ولا يستطيعه البشر مهما أوتو من بلاغة التعبير، وقوة التأثير(١).

وقد أشار الشيخ محمد أبو زهرة إلى الأمور التي يجب مراعاتها عند الطبع.

---

(١) لغة القرآن، عبد الجليل عبد الرحيم، ص٥٣٦-٥٣٧، مكتبة الرسالة، عمان؛ التفسير والمفسرون، الذهبي، ١/٣٠؛ ترجمة القرآن، عبدالله شحاته، ص٢٩-٣٠.

١- طباعة المصحف وترقيم آياته بأرقام اللغة المترجم اليها تفسيره، كتابة تفسير كل آية مرقما برقمها الذي رقمت به ولا بد من أن تكون طباعة المصحف، وهذا التفيسر بالخط العربي.

٢- أن يكتب تفسيره باللغة التي ترجم اليها التفسير مرقما بالأرقام التي رقمت بها آيات المصحف بحيث يفهم القارىء غير العربي أن ما يقرؤه هو ترجمة تفسير القرآن، وبحيث يفهم تفسير كل آية من رقمها الذي رقمت به في المصحف وفي التفسير[(١)].

وأما اذا كانت الترجمة حرفية أو معنوية لنص من النصوص الأدبية فلا بد من توفر شروط معينة والا كانت الترجمة ضربا من التحريف.

١- العلم التام بأوضاع اللغتين المترجم منها والمترجم اليها لا في معاني المفردات فقط، ولا في حقيقتها ومجازها، بل في الخصوصيات التي تستفاد من الهيئة التركيبية أيضا حتى يستطيع الموازنة بين الكلام في اللغتين، والا كانت الترجمة قاصرة عن افادة المعنى الأصلي أو مخالفة لمعناه كلا أو بعضا[(٢)]:

٢- استيفاء الترجمة لجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه يطمئن الانسان اليه.

٣- أن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل، بحيث يمكن أن يستغنى بها عنه وأن تحل محله. وأما إذا كانت الترجمة حرفية، فلا بد من توفر شرطين آخرين زيادة على ما تقدم في شروط الترجمة.

١- وجود مفردات في لغة الترجمة مساوية للمفردات التي تألف منها الأصل، حتى يمكن أن يحل كل مفرد من الترجمة محل نظيره من الأصل كما هو ملحوظ في معنى الترجمة

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، ص٦١٨.

(٢) لغة القرآن، عبد الجليل عبد الرحيم، ص٥٣٩، نقلاً عن مذكرة في ترجمة القرآن من كتاب الشيخ سلامة موسى، ص٢؛ القول الفصل، محمد شاكر، ص٢٠؛ مناهل العرفان، ج٢/١٤٦.

الحرفية.[1]

٢- وجود ضمائر وروابط في لغة الترجمة مساوية لروابط القرآن لأن محاكاة الترجمة للأصل في نظمه وترتيبه تقتضي التشابه، وهذه الشروط تزيد تعذر الترجمة الحرفية.

وتزيد الاستحالة ايغالا، وتجعل هذه الترجمة- لو وجدت- مثلا للقرآن والله عز وجل قد أبطل المثلية لكتابه، قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [2].

فالآية الكريمة تحوي نفي المثلية عن القرآن، كما نفى الله المثلية عن نفسه في قوله ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [3].

وقد بالغ الله تعالى في النفي وفي التحدي فجمع الأنس والجن على هذا العجز، ثم أكد هذا النفي، وهذا التحدي مرة أخرى بتقرير عجز الثقلين عن المثلية على فرض معاونة بعضهم البعض فيها واجتماع قواهم البيانية والعلمية عليها [4].

ترجمة القرآن بين الجواز والمنع

اختلف العلماء في حكم ترجمة القرآن على فريقين:

الأول: المجيزون

الثاني: المانعون

أ- المجيزون وأدلتهم:-

استدل المجيزون لترجمة القرآن بالكتاب والسنة والعقل.

أما في الكتاب فتتلخص أدلته بما يلي:

---

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢/١٤٦.

(٢) سورة الإسراء، آية ٨٨.

(٣) سورة الشورى، آية ١١.

(٤) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢/١٤٧.

أ- آيات دالة على الامر بالتبليغ:-

القرآن نزل بلغة العرب، وقد أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يعمل على تبليغه للناس، وقد وردت آيات متعددة تدل على الأمر بالتبليغ قال تعالى:

١- ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك﴾[١].

٢- ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾[٢].

ومجموع الآيات الواردة في القرآن الكريم تدل على أن التبليغ واجب والترجمة وسيلته وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب.

ب- آيات تدل على أن الله أراد إبلاغ القرآن للناس جميعا، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا﴾[٣] [٤].

وقال تعالى: ﴿هذا بيان للناس﴾[٥].

وقال أيضا: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾[٦].

فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى أراد ابلاغ القرآن جميعا، ولا يمكن تبليغ هؤلاء الا بترجمة القرآن إلى لغات الناس المتعددة.

ج- ما أوجبه الله تعالى على العرب من إنذار الأمم ودعوتهم إلى الله لتقوم الحجة علهيم. قال تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾[٧].

---

(١) سورة المائدة، آية ٦٧.

(٢) سورة الرعد، آية ٤٠.

(٣) سورة النساء، آية ١٧٤.

(٤) راجع كتاب ترجمة المعاني القرآنية، محمد أحمد السنباطي، ص٦٤ وما بعدها، مطابع الدوحة الحديثة.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٣٨.

(٦) سورة يونس، آية ٥٧.

(٧) سورة الفرقان، آية ١.

د- ورود القرآن عربيا لا يمنع ترجمته بل قد يوجبها، والآيات التي وردت في هذا مؤكدة عربية القرآن، آنما وردت لبيان الاعجاز وتقريع المشركين لعنادهم وعدم إيمانهم لا لمنع ترجمته.

هـ- إن تلاوة القرآن بالعربية لا تتصور لمن لا يفهمها فقوله تعالى ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ [١]. فقوله لتتلوا عليهم: أي لتبليغهم هذا الوحي العظيم والذكر الحكيم [٢].

فكيف يبلغ كلام الله وهو لا يفهمه ولا يفقهه.

و- ترجمة الاحكام لا تكفي بل تجب ترجمة معاني القرآن نفسه.

ز- عدم الترجمة موجب للتعرض لسخط الله ولعنته قال تعالى : ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ [٣] وأي كتمان أشد من منعه عن أكثر الأمة المحمدية، وحبسه عن غير أهل العربية.

ح- قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه﴾ [٤]. وهذا يتطلب تبليغ القوم بلسانهم.

ط- تبليغ القرآن قد حصل من فئة من الجن فلا بد من فئة من العجم تبلغ القرآن بلغتهم. قال تعالى: ﴿واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين، قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ، يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ، يا قومنا

---

(١) سورة الرعد، آية ٣٠.

(٢) صفوة التفاسير، الصابوني، ج٢/٨٢.

(٣) سورة البقرة، آية ١٥٩.

(٤) سورة إبراهيم، آية ٤.

أجيبوا داعي الله ، وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ [1].

فقد بلغ الجنات قومهم بلغتهم ، فلا بد أن يبلغ العجم القرآن بلغتهم .

الأدلة من السنة النبوية :

أ – خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات غداة فقال لهم : اني قد بعثت رحمة وكافة فأدوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا علي كاختلاف الحواريين على عيسى ابن مريم .

قالوا: يا رسول الله كيف كان اختلافهم ، ؟

قال : دعا الى مثل ما دعوتكم اليه فأما من قرب به فأحب وسلم . وأما من بعد به فكره وأبى فشكا ذلك منهم عيسى الى الله عز وجل فأصبحوا من ليلتهم تلك ، وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين بعث اليهم، فقال عيسى هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فامضوا [2] فقد رفع الله عنهم صعوبة التبليغ بتعليمهم لغة أقوامهم .

ب – قوله عليه الصلاة والسلام : (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة)، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ، ادخلوا الصراط جميعا ولا تتعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فاذا أراد الانسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك ان فتحته تلجه ، فالصراط الاسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم [3].

فكيف يسمع الناس القرآن اذا لم يكن بلغتهم ، فان السماع هنا سماع فهم وليس سماعا مطلقا .

---

(١) سورة الأحقاف، آية ٢٩-٣١.

(٢) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ج١/١١١، دار النصر، عزاه إلى مجمع الزوائد، للهيثمي، ج٥/٣٠٦.

(٣) المستدرك على الصحيحين، الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، ج١/٧٣، دار المعرفة، بيروت.

جـ - أدلة العقل :

إن العقل السليم ، والبصيرة المدركة تقرّ كون التبليغ لا يتم الا بفهم القرآن ، ولا يمكن أن يفهم الأعاجم كتاب الله بغير لغتهم ، ولما كان البلاغ القرآني للناس جميعا ، وقد تعددت ألسنتهم ، فاقتضى ذلك ترجمة القرآن ، وليس هناك أي مانع شرعي من ترجمته [(١)] .

أدلة المانعين :

يمكن تلخيص أدلة المانعين بما يلي :

١ - إن ترجمة القرآن تستلزم المحال ، وكل ما يستلزم المحال محال ، اذ أن الوفاء بجميع المعاني ، وتضمين كل المقاصد في الآيات أمر لا يمكن الوصول اليه عن طريق الترجمة . فمن مقاصد القرآن أنه متعبد بتلاوته ، وإنما يتحقق هذا عند تلاوته بالعربية كما أنزله الله على نبيه ، ولا تعتبر قراءته بغير العربية أمرا متعبدا فيه .

ومن مقاصده أيضا كون آياته معجزة ، والكلام المعجز هو المنزل على محمد ﷺ باللفظ العربي ، وغير المنزل لا شك أنه لا يسمى قرآنا ، ولا يقوم مقام القرآن، بل هو تبديل للقرآن ، وتبديل القرآن لا يجوز بالاجماع[(٢)] .

ومن مقاصده أيضا هداية الناس الى أحكام الله الاعتقادية والعملية وافادة القرآن لهذه الأحكام عن طريقين .

١ - دلالته على المعاني الأصلية .

٢- دلالته على المعاني الثانوية ، التابعة للمعاني الأصلية - أي البلاغية - وهو إشارات الكلام ومجازاته، وما يثيره من صور بيانية، وما يحيط به من أطياف كالتي تحيط بالصور الحسية ، وبهذا كله تعلو الرتب البلاغية، ويسمو البيان ، فالقرآن يفيد بالاشارة ما تعجز عنه العبارة، وبالفحوى مالا مطمع بعده لزيادة حسن وكمال بيان .

---

(١) مجلة كلية الدراسات الإسلامية، بغداد عدد ٥ سنة ١٣٩٣/ ١٩٧٣، شبهات وردود، داود العاني، بحث عن ترجمة القرآن.

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢/١٤٤؛ ترجمة القرآن، عبدالله شحاته، ص٧.

وهذا النوع من دلالة الكلام على المعاني والأحكام لا يمكن نقله الى أية لغة من اللغات [1].

٢ - ان ترجمة القرآن الحرفية والتي تسمى به بعد وجودها (Holy Quran) تفضي الى ادعاء مثل للقرآن وكل مثل مستحيل، لأن الله تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، قال تعالى : ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ [2]. فاذا ثبت عجز العرب عن الاتيان بسورة من مثله، فعجز غيرهم أن يأتوا بمثله بغير العربية أولى .

وأما كون الترجمة مثل القرآن : فلأنها جمعت كلها ومقاصده كلها والجامع لمعاني القرآن ومقاصده مثل له .

٣ - لما كان وجود مثل للقرآن مستحيل ، فطلب المستحيل محرم شرعا قال الله تعالى : ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله، قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ [3].

فالله ينعى على أولئك الذين يطلبون من الرسول ﷺ أن يأتي بكتاب آخر غير هذا القران أو أن يضع آية مكان آية ، وقد رد الله عليهم بقوله : قل لهم يا محمد ما ينبغي ولا يصح لي أن أغير أو أبدل شيئا من قبل نفسي ، فاني أخشى ان خالفت أمره وبدلت وحيه عذاب يوم شديد [4].

فاذا كان الرسول ﷺ وهو أفصح العرب وأوتي جوامع الكلم ، لا يستطيع تبديل القرآن أو تغييره، فكيف يطلب ذلك من الأعاجم .

---

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢/١٤٥؛ لغة القرآن الكريم، عبد الجليل، ص٥٤٧؛ المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، ص٦١٥، دار الفكر العربي.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣.

(٣) سورة يونس، آية ١٥.

(٤) صفوة التفاسير، ج١/٥٧٦.

٤ – ان خروج القرآن عن اللغة العربية يعمل على وقوع التحريف فيه ، وهذا هو مطلب المستشرقين وأعوانهم .

٥ – ان اباحة الترجمة تؤدي الى انصراف الناس عن كتاب الله تعالى ، وأن تمسك كل قوم بقرآنهم المترجم ، كما أنها تساعد على صرف الناس عن لغتهم العربية التي هي القاعدة الأساسية لفهم الدين من منابعه وهي لغة القرآن .

روى أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عيسى بن يونس عن ثور عن عمر بن يزيد قال : كتب عمر الى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فانه عربي) [1] .

٦ – إن اباحة الترجمة تساعد على وقوع الخلاف بين الناس ، وكل ما ساعد على التفرق فهو حرام .

٧ – فقدان جميع اللغات العالمية ، خصائص اللغة العربية ، وقد احتوى القرآن على أساليب بيانية لا مثيل لها في اللغات الأخرى ، فضلا عن اللغة العربية ، ومن هنا فانه يستحيل ترجمة القرآن ترجمة حرفية الا مع التغيير والتبديل الذي يخرجها عن المماثلة . كما أن اللغة امتازت بالايجاز وجمال التعبير ، والاختصار والترادف والمحسنات البديعية وهذه أمور يتعذر نقلها الى غير العربية مع المحافظة على جميع خصائصها البيانية والبلاغية .

٨ – وجود كثير من الكلمات في القرآن لا يوجد لها مقابل في اللغة التي يترجم اليها ، فيضطر المترجم الى الاتيان بما يدل عليها مع شيء من التغيير أيضا وهلم جرا فيخشى من هذا أن يفتح طريق تحريف القرآن وتبديله .

٩ – ان كلمات الكتب السماوية يستخرج منها بعض اشارات وأحكام بطريق الحساب

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٠٧.

فابدالها بالترجمة يسد هذا الطريق [١].

وجوه فساد الترجمة القرآنية : يمكن ايجاز وجوه الفساد في الترجمة القرآنية بما يلي :

الوجه الأول : وتشترك فيه الترجمة الحرفية والمعنوية .

وهو أن يكون اللفظ ذا معنيين أو معان تحتملهما الآية ، فيضطر المترجم أن يضع بدله من اللغة الأجنبية اللفظ الموضوع لما يختاره من المعنيين أو المعاني حيث لا يوجد لفظ يشاكل اللفظ العربي في احتمال تلك المعاني المتعددة .

ومثال هذا ما صنع المستشرق ماكس (Max henning) مترجم القرآن الى اللغة الألمانية ، فانه ترجم الابل في قوله تعالى : ﴿أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت﴾ [٢] باللفظ الموضوع في اللغة الألمانية للسحاب، وهو أحد المعاني التي حملت عليها الآية . والجمهور يفسرون الابل بالحيوان المعروف وهو المتبادر ، ولا داعي الى صرف اللفظ عنه الى ذلك المعنى المجازي وهو السحاب) [٣] .

الوجه الثاني : من الفساد الذي يدخل الترجمة الحرفية .

أ – أن يستعمل القرآن اللفظ في المعنى مجازي فيأتي المترجم بلفظ يرادف العربي في معناه الحقيقي .

وقد صنع ذلك المستشرق (مارما ديوك بكتهول) (Marma dickthall) الذي ترجم القرآن الى اللغة الانجليزية في كثير من الآيات ، فقد ترجم قوله تعالى (فيدمغه) من آية ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه﴾ [٤] . بمعناه الأصلي وهو (فيشج رأسه) . وترجم

---

(١) تفسير المنار، ج٩/ ٣٢٤-٣٢٥؛ مناهل العرفان، ج٢/١٤٥ وما بعدها؛ لغة القرآن، ص٥٤٣ وما بعدها.

(٢) سورة الغاشية، آية ١٧.

(٣) مجلة نور الإسلام، ج٩، العدد الثاني سنة ١٣٥٠، نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، للشيخ محمد الخضر حسين؛ بلاغة القرآن، محمد الخضر حسين، ص١٢، ط١٣٩١/ ١٩٧١.

(٤) سورة الأنبياء، آية ١٨.

قوله تعالى : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط﴾ بمدلولها الأصلي وهو جمع اليد الى العنق واطلاقها . والقارئ الانجليزي لم يعتد أن يفهم من مثل شج الرأس معنى الغلب ولا من جمع اليد الى العنق واطلاقها معنى البخل والاسراف [1] .

ب – أن يطلق القرآن لفظا عاما ويريد به خاصا ، كما أطلق الواقعة على يوم القيامة في قوله تعالى ﴿اذا وقعت الواقعة﴾ [2] فيأتي المترجم بما يرادف الواقعة دون ما يرادف يوم القيامة وكذلك فعل المترجم الألماني الا أنه كتب في أسفل الصحيفة منبها على أن المراد يوم القيامة .

جـ – أن يستعمل القرآن الكلمة ومعناها لا يظهر الا بملاحظة متعلق محذوف ، ويكون هذا المتعلق قريب المأخذ في النظم العربي دون لغة الترجمة كقوله تعالى ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾ فان ترجمتها من غير ذكر متعلق السابقين الواردة أولا وهو (في الدنيا) ومتعلق السابقين الواردة ثانيا وهو (في الآخرة) لا تأتي للقارئ المترجم له بفائدة .

د – وجود كلمات في القرآن اختلف العلماء في تفسيرها ، فمنهم من يردها الى علم الله ، ومنهم من يأخذها بالتأويل ويذكر لها معاني معقولة، ويذهب هذا الفريق في التأويل مذاهب يحتاج ترجيح أحدها على غيره الى ذوق في لغة العرب سليم ، ونظر في فهم أصول الدين مستقيم وهذا ما يسمونه آيات الصفات في قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [3] .

هـ – أن لنظم القرآن وأسلوبه تأثيرا خاصا في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة ،

---

(١) مجلة نور الإسلام، ج٩، العدد الثاني سنة ١٣٥٠، نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، للشيخ محمد الخضر حسين؛ بلاغة القرآن، محمد الخضر حسين، ص١٦.

(٢) سورة الواقعة، أولها.

(٣) سورة طه، آية ٥.

وإذا فات يفوت بفوته خير كثير ، وقد قال فيلسوف فرنسي : إن محمدا كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع الى الايمان به ، فكان تأثيره أشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الأنبياء من المعجزات . . . . . [١]

و – من المقرر عند العلماء أنه إذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن فانه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل والفرق بين تأويل ألفاظ القرآن وتأويل ألفاظ ترجمته لا يخفى على عاقل لا سيما في الآيات المتشابهة والألفاظ المشتركة [٢] .

ز – القرآن هو المعجزة الكبرى الدالة على نبوة محمد ﷺ ، بل هو الآية الباقية من آيات النبيين ، وانما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل ، والتحريف والتصحيف بالنص الذي نقلناه عمن جاء به من عند الله ، والترجمة ليست كذلك .

حكم قراءة ترجمة القرآن في الصلاة :

اختلف الفقهاء في حكم قراءة ترجمة القرآن في الصلاة بألفاظ غير عربية فمنهم من أجاز ومنهم من منع ، وفيما يلي بيان ذلك :

الفريق الأول : يروى أن الامام أبا حنيفة رضي الله عنه[٣] كان يرى جواز الترجمة في الصلاة – باللغة الفارسية – وبنى بعض أصحابه على هذا القول جوازها باللغات الأخرى . وظاهر هذه الرواية جواز القراءة بالفارسية ونحوها ولو كان المصلي قادرا على النطق بالعربية .

وأما صاحباه الامامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن فجعلا القراءة في الصلاة باللسان الأعجمي من قبيل ما تدعو اليه الضرورة فأجازاها للعاجز عن العربية دون القادر

---

(١) تفسير المنار، ج٩/٣٢٨.

(٢) المرجع السابق، ج٩/٣٢٨.

(٣) الهداية شرح بداية المبتدىء، المرغياني، ج١/٤٧؛ البناية في شرح الهداية، أبي محمد محمود بن أحمد العيني، ج٢/١٢٦، ١٣٠؛ تصحيح المولوي محمد عمر الشهير بناصر الإسلام الرامفوري، دار الفكر.

على القراءة بها ، قال في معراج الدراية : "انما جوزنا القراءة بترجمة القرآن للعاجز اذا لم يخل بالمعنى ، لأنه قرآن من وجه باعتبار اشتماله على المعنى ، فالاتيان به أولى من الترك مطلقا اذ التكليف بحسب الوسع "[١] .

وأما ما روى عن الامام أبي حنيفة من جواز القراءة في الصلاة بترجمة القرآن فقد صح أنه رجع عن ذلك ، حكى هذا الرجوع عبد العزيز في شرح البزودى[٢] .

قال صاحب البحر المحيط : "والذين لم يطلعوا على الرجوع من أصحابه قالوا : أراد به عند الضرورة والعجز عن القرآن ، فإن لم يكن كذلك امتنع وحكم بزندقة فاعله"[٣] .

الفريق الثاني : المالكية والشافعية والحنابلة :

وقد منع هذا الفريق القراءة بترجمة القرآن في الصلاة سواء أكان المصلي قادرا على العربية أم عاجزا عن النطق بها ، حيث أنهم رأوا أن ترجمة القرآن ليست قرآنا ، اذ القرآن هو هذا النظم المعجز الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ، ووصفه بكونه عربيا وبالترجمة يذهب اعجازه .

قال القاضي أبو بكر بن العربي – وهو من فقهاء المالكية : في تفسير قوله تعالى : ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي﴾[٤] قال علماؤنا : هذا يبطل قول أبي حنيفة ﷺ أن ترجمة القرآن بابدال اللغة العربية منه بالفارسية جائز لأن الله تعالى قال ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي﴾ نفى أن يكون للعجمة اليه طريق ، فكيف يصرف الى ما نفى الله عنه.

ثم قال : ان التبيان والاعجاز انما يكون بلغة العرب ، فلو قلب الى غير هذا لما كان

---

(١) من بلاغة القرآن، محمد الخضر حسين، ص١٤، ط ١٣٩١، المطبعة التعاونية، دمشق.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١/٤٦٥، ط٢، البابي الحلبي.

(٣) نفس المرجع السابق، ج١/٤٦٥ نقلاً عن البحر المحيط؛ بلاغة القرآن، محمد الخضر حسين، ص١٥.

(٤) سورة فصلت، آية ٤٤.

قرآنا ولا بيانا ولا اقتضى اعجازا [1].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو من فقهاء الشافعية : "إن كان القارئ قادرا على تلاوته باللسان العربي فلا يجوز له العدول عنه ، ولا تجزئ صلاته (أي بقراءة ترجمته) وان كان عاجزا ، ثم ذكر أن الشارع قد جعل للعاجز عن القراءة بالعربية بدلا وهو الذكر" [2].

وقال القفال من الشافعية : "عندي أنه لا يقدر أحد أن يأتي بالقرآن بالفارسية، قيل له فإذن لا يقدر أحد أن يفسر القرآن، قال : ليس كذلك ، لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض، أما اذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله ، أي فان الترجمة ابدال لفظة بلفظة تقوم مقامها ، وذلك غير ممكن بخلاف التفسير" [3].

وقال أبو الحسين بن فارس في فقه العربية : "لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القرآن الى شيء من الألسن كما نقل الانجيل عن السريانية الى الحبشية والرومية، وترجمة التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية، لأن العجم لم تتسع في الكلام اتساع العرب ، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى ﴿وإما تخافن من قوم خيانة ، فانبذ اليهم على سواء﴾ [4] .

لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها

---

(١) من بلاغة القرآن،، الشيخ محمد الخضر حسين، ص١٥، المطبعة التعاونية بدمشق، ١٣٩١-١٩٧١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج١٧/٣٠٠، الطبعة المصرية؛ بلاغة القرآن، محمد الخضرحسين، ص١٥.

(٣) راجع المجموع، النووي، ج٣/٣٧٩، دار الفكر، وفيه ذكر الإمام عدم جواز الترجمة، وهو المعتمد عند الشافعية؛ البرهان، الزركشي، ج١/٤٦٥، ط٢، عيسى البابي الحلبي.

(٤) سورة الأنفال، آية ٥٨.

، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول : إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فاعلمهم انك قد نقضت ما شرطته لهم، وآذنهم بالحرب، لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على سواء[١].

وقال ابن قدامة وهو من فقهاء الحنابلة : "ولا تجزئه القراءة بغير العربية، ولا إبدال لفظها بلفظ عربي سواء أحسن القراءة بالعربية أم لم يحسن ، ثم قال : "فان لم يحسن القراءة بالعربية لزمه التعلم فان لم يفعل مع القدر عليه لم تصح صلاته"[٢].

ثم قال : "ولأن القرآن معجزة : لفظه ومعناه ، فاذا غير خرج عن نظمه فلم يكن قرآنا ولا مثله وانما يكون تفسيرا له ولو كان تفسيره مثله لما عجزوا عنه لما تحداهم بالاتيان بسورة مثله .

وقال ابن تيمية : "وأما الاتيان بلفظ يبين المعنى كبيان لفظ القرآن فهذا غير ممكن أصلا ، ولهذا قال أئمة الدين على أنه لا يجوز أن يقرأ بغير العربية لا مع القدر عليها ولا مع العجز عنها لأن ذلك يخرجه عن أن يكون هو القرآن المنزل "[٣].

وقال ابن حزم : "من قرأ أم القرآن أو شيئا منها أو شيئا من القرآن في صلاته مترجما بغير العربية أو بألفاظ عربية غير الألفاظ التي أنزل الله تعالى عامدا لذلك، أو قدم كلمة أو أخرها عامدا لذلك، بطلت صلاته وهو فاسق، لأن الله تعالى قال (قرآنا عربيا) وغير العربي ليس عربيا فليس قرآنا، واحالة رتبة القرآن تحريف لكلام الله وقد ذم الله تعالى من فعلوا ذلك فقال (يحرفون الكلم عن مواضعه) ثم قال: " ومن كان لا يحسن العربية فليذكر الله تعالى بلغته، لقول الله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ولا يحل له أن يقرأ أم القرآن ولا شيئا من القرآن مترجما على أنه الذي افترض عليه أن يقرأه لأنه

---

(١) فقه العربية، أبو الحسين بن فارس، ص١٣؛ البرهان، ج١/٤٦٥.

(٢) المغني، ابن قدامة، ج١/٤٨٦ و ٤٨٧، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١، ١٩٨١.

(٣) المرجع السابق، ج٣/٤٢٧.

الذي افترض عليه كما ذكرنا، فيكون مفتريا على الله تعالى"[1].

وبعد هذا العرض لأقوال العلماء نجد أن جمهور الفقهاء لا يجيزون قراءة ترجمة القرآن في الصلاة، واذا قرأ إنسان بالترجمة لم تصح صلاته.

وأما مذهب الإمامين أبي يوسف ومحمد، فتجوز القراءة بالأعجمية عند العجز عن النطق بالعربية، ولا يضاف إلى هذا المذهب مذهب الأمام أبي حنيفة لما صح أنه رجع عنه، أو أنه محمول على أن القراءة بالترجمة تكون عند العجز، فيكون مذهب الامام موافقا لما جاء من الصاحبين في هذه المسألة.

واذا علمنا أن النبي ﷺ والخلفاء من بعده، وجميع الصحابة ما قرؤا في الصلاة الا كتاب الله الذي نزل بلسان عربي مبين فوجب علينا اتباعهم.

والرســـول ﷺ في مخاطبته للملوك كان يضمن كتبه بعض آيات من القرآن مكتوبة باللغة العربية التي نزل بها القرآن دون أن يأتي بترجمتها إلى لغة المخاطبين.

والصحابة ساروا على طريق نبيهم فحافظوا على عروبة القرآن ولم يسمحوا بترجمته ولم يكن ذلك مانعا من انتشار الدعوة الاسلامية. فصيانة القرآن من التحريف هي الأساس الذي اعتمد عليه النبي ﷺ والصحابة في منع ترجمة القرآن، ولم يكن ذلك عائقاً في نشر الدعوة وايصالها إلى الناس.

وقد سئلت لجنة الفتوى في الأزهر عن كتابة القرآن بالحروف اللاتينية فأجابت بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله بما نصه: لا شك أن الحروف اللاتينية المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربية فلا تؤدي جميع ما تؤديه الحروف العربية، فلو كتب القرآن بها على طريقة النظم العربي- كما يفهم من الاستفتاء لوقع الاخلاف والتحريف في لفظه، ويتبعها تغيير المعنى وفساده، وقد قضت نصوص الشريعة بأن يصان القرآن

---

(١) المحلى، ابن حزم، المجلد/٢، ج٣/٢٥٤، دار الفكر.

الكريم من كل ما يعرضه للتبديل والتحريف، واجمع علماء الاسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف يؤدي إلى تحريف في لفظه أو تغيير في معناه ممنوع منعا باتا، ومحرم تحريما قاطعا، وقد التزم الصحابة ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن بالحروف العربية"[١].

ترجمة القرآن عند المستشرقين:

قام المستشرقون منذ القرن الثاني عشر وحتى اليوم باعداد العديد من ترجمات القرآن إلى اللغات الأوروبية كافة، وقد مهدوا لترجماتهم بمقدمات وضعوا فيها تصوراتهم عن الأسلام، وقد أعطت القارىء صورة غير صحيحة عن الوحي المنزل على رسول الله ﷺ، وعن القرآن نفسه، اذ ركزت على أن تنفي كون القرآن منزلا من الله، كما أنها وضعت القرآن كله موضع أخذ غير منظم لبعض ما ورد في التوراة والانجيل، ويزيد ذلك اضطرابا أنه أضيف اليه بعض الأساطير العربية السائدة.

القصد من الترجمة:

ويمكن أن نقول بأن المستشرقين قد قصدوا من ترجمة القرآن أمرين:

الأول: التقليل من أهمية دراسة القرآن عند غير المسلمين اذ أنهم إن أرادوا شيئا مما ورد فيه، فان التوراة والانجيل هما الأصل الذي أخذ منه (محمد) ﷺ كتابه.

الثـاني: إعطاء غير المسلمين صورة غير دقيقة ومعقولة للتعاليم الاسلامية من غير معرفة لأصول الايمان، ولنطرة الاسلام للكون والحياة وصرفهم عن تأثير القرآن في النفوس الانسانية، من خلال اعجازه البياني الذي تحدى الله به الانس والجن.

جهود المستشرقين في ترجمة القرآن

إن الترجمة تعني أن يكون المترجم على اطلاع واسع في فنون البيان وأساليب القول واللغة البلاغة، ومعرفة في المفردات المترادفة والمشتركة والمتضادة، وفي هذا الضوء

---

(١) مجلة الأزهر، ج٧/٤٥.

تعتبر ترجمة القرآن من أعقد الدراسات القرآنية التي تحتاج إلى العلم والصبر والدقة والاحاطة. والذي ينظر في جهود المستشرقين في مجال الترجمة يجد أن ترجمة القرآن قد جاءت على نحوين: (١)

الأول: الترجمة الكلية.

الثاني: الترجمة الجزئية.

الترجمة الكلية: انصبت جهود المستشرقين على ترجمة القرآن ترجمة كلية من ألفه إلى يائه، رغم الصعوبات التي واجهتهم، وقد نجح كثير ونورد فيما يلي بعض الأمثلة.

يقول أبو عبد الله الزنجاني: وربما كانت أول ترجمة إلى اللغة اللاتينية لغة العلم في أوروبا وذلك سنة ١١٤٣م: بقلم (كنت) الذي استعان في عمله ببطرس الطليطلي وعالم ثاني عربي فيكون القرآن قد دخل أوروبا عن طريق الأندلس وكان الغرض من ترجمته عرضه على (دى كلوني) بقصد الرد عليه، ونجد فيما بعد أن القرآن ترجم ونشر باللاتينية (١٥٠٩م) ولكن لم يسمح للقراء أن يقتنوه ويتداولوه لأن طبعته لم تكن مصحوبة بالردود (٢).

وفي عام ١٥٩٤م أصدر المستشرق هينكلمان ترجمته وجاءت على الأثر سنة ١٥٩٨م طبعه (مراتش) مصحوبة بالردود، ولقد عثر بعض الباحثين في مكتبة المرسلين الأمريكان في بيروت على نسخة من طبعة (مراتش).

وبعد هذا أخذ القرآن في الظهور مترجما إلى اللغات الأوروبية من انكليزية وفرنسية وألمانية وايطالية وروسية حتى لا تخلو الآن لغة من ترجمة له أو ترجمات (٣).

---

(١) المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، ص٤٧.

(٢) تاريخ القرآن، أبو عبدالله الزنجاني، ص٩١، تقديم أحمد أمين، ط٣.

(٣) نفس المرجع السابق، ص٩١؛ موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص٣٠٦ وما بعدها، ط١/١٩٨٤، دار العلم للملايين.

وأبين فيما يلي بعض تراجم القرآن إلى اللغات الأوروبية، وأسماء مترجميها والسنة التي ترجمت بها.

١- ترجمة القرآن إلى اللاتينية سنة ١١٤١-١١٤٣م. قام بها (روبرت الرتيني، هرمان الدلماني الألماني، راهب اسباني عربي).

٢- ترجمة القرآن إلى اللاتينية. نشر المستشرق (بيلياندر) بال سويسرا سنة ١٥٤٣.

٣- ترجمة القرآن الى الألمانية: بقلم المستشرق: شنيجر النورمبرجي سنة ١٦١٦.

٤- ترجمة القرآن إلى الفرنسية: بقلم المستشرق: سيور دوريز، باريس سنة ١٦٧٤.

٥- ترجمة القرآن إلى الانجليزية: بقلم المستشرق (الكسندروس) قسيس كاريسبروك، لندن ١٩٤٩م.

٦- ترجمة القرآن إلى اللاتينية. بقلم: الأب دومينيك جرمانوس (سنة ١٥٨٨- ١٦٧٠م).

٧- ترجمة القرآن إلى الايطالية: بقلم :(ماراتشي) (سنة ١٦١٢-١٧٠٠م) باودوري سنة ١٦٩٨.

٨- ترجمة القرآن إلى الانجليزية: بقلم: المستشرق (جورج سيل) سنة ١٦٦٧-١٧٣٦م.

٩- ترجمة القرآن إلى الروسية: صدرت في سان بطرسبرج سنة ١٧٧٦م.

١٠- ترجمة القرآن إلى الألمانية: بقلم: المستشرق (بويس، ١٧٧٢م وأعادها المستشرق (فاهل) سنة ١٨٢٨م.

١١-ترجمة القرآن إلى الفرنسية: سافارى سنة ١٧٨٣م، (كازيمير سكي) سنة ١٨٤٠م، ١٨٤١م، ١٨٥٧م.

١٢-ترجمة القرآن إلى الألمانية: بقلم المستشرق: (أوهلمان) سنة ١٨٤٠، ١٨٥٣م.

١٣-ترجمة القرآن إلى الانجليزية. بقلم (ج.م. روديل) سنة ١٨٦١م.

٤١- ترجمة القرآن إلى الألمانية: بقلم المستشرق جوستاف فلوجل سنة ١٨٤١م.

١٥- ترجمة القرآن إلى السويدية: بقلم المستشرق السويدي (ثورنبرج) سنة ١٨٠٧م-١٨٧٧م، لوند، سنة ١٨٧٤م.

١٦- ترجمة القرآن إلى الروسية: بقلم المستشرق الروسي (سابلوكوف) (١٨٠٤-١٨٨٠م) طبعت على التوالي ١٨٧٨م، ١٨٧٩م، ١٨٩٨.

١٧-ترجمته إلى الانكليزية: بقلم المستشرق الانكليزي: ف.هـ. بالمر أكسفورد سنة ١٨٨٠م.

١٨- ترجمة القرآن إلى الايطالية: بقلم المستشرق برانكلي، روما ١٩١٣م.

١٩- ترجمة القرآن إلى الايطالية: بقلم المستشرق: فراكاسي، ميلانو، ١٩١٤م.

٢٠- ترجمة القرآن إلى لغة الاسبرانتو: بقلم المستشرق (خالد شلدريك) (١٩٨٤م).

٢١- ترجمة القرآن إلى السويدية: بقلم المستشرق السويدي مستر ستين (١٨٦٦م-١٩٥٣م) استوكهولم سنة ١٩١٧م.

٢٢- ترجمة القرآن إلى الانكليزية: بقلم المستشرق مارمادوك وليم يكثول (١٨٧٥-١٩٣٦م). نشرت عام ١٩٣٠م.

٢٣- ترجمة القرآن إلى التشيكية: بقلم المستشرق:أ.ر. نيكل. براغ سنة ١٩٣٤م.

٢٤- ترجمته إلى الايطالية: بقلم المستشرق (بونللي) (١٨٦٥- ١٩٤٧م) ميلانو (١٩٤٠م).

٢٥- ترجمته إلى الانكليزية: بقلم المستشرق: ريتشارد بل، ترجمها فيما بين (١٩٣٧-١٩٤١م).

٢٦- ترجمة القرآن إلى الفرنسية: بقلم المستشرق الفرنسي بلاتير (١٩٤٧- ١٩٥٢م).

٢٧- ترجمة القرآن إلى الهولندية: بقلم المستشرق الهولندي كرامرز (١٨٩١-١٩٥١م). امستردام- بروكسل سنة ١٩٥٦م.

٢٨- ترجمة القرآن إلى الألمانية: بقلم المستشرق (روري بارت) ترجمها فيما بين (١٩٦٣- ١٩٦٦م).

٢٩- ترجمة القرآن إلى الهندية: بقلم المستشرق الهولندي (فت) (١٨١٤- ١٨٩٥).

٣٠- ترجمة القرآن إلى الفرنسية. بقلم المستشرق الفرنسي (أدوار مونتيه).

٣١- ترجمة القرآن إلى الفرنسية: بقلم : (أوكتاف بل) مع (سي محمد التيجاني).

٣٢- ترجمة القرآن إلى الأيطالية: بقلم المستشرق الايطالي (اريفاين). [(١)]

٣٣- الترجمات الشرقية للقرآن الكريم:

١- الفارسية:

ذكر السرخسي في كتابه المبسوط أن الأمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى روى أن الفرس كتبوا إلى مواطنهم سلمان ﷺ أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكانوا يقرؤن ذلك حتى في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية، وبذلك تكون هذه الترجمة أقدم ما عرف من ترجمان القرآن الكريم اطلاقاً [(٢)] .

٢- ذكر الجاحظ أن موسى بين سيار الاسوارى المتوفى سنة ٢٥٥هـ كان يدرس تفسير القرآن الكريم بالفارسية [(٣)].

وفي العصور الحديثة ظهرت نسخة فارسية وعربية في جزئين طبع كل منهما سنة ١٨٣١م وأشار برونيت (Brunet) إلى ترجمة أخرى في أصفهان، وقد طبعت للشاه رافع الدين ترجمة فارسية وعلى هامشها تفسير باللغتين الفارسية والأردية (لغة الهند) [(٤)].

---

(١) المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، ص١٠٧ وما بعدها، وص ٤٧ وما بعدها؛ موسوعة المستشرقين، ص٣٠٦ وما بعدها؛ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية والشرقية، الشيخ طه الولي سكرتير جمعية المكتبات اللبنانية، مجلة منار الإسلام، العدد الثاني، صفر سنة ١٣٩٦، ص٦٩ وما بعدها.

(٢) المبسوط، السرخسي، ج١/٣٧.

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ، ج١/١٣٩.

(٤) ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية والشرقية، طه الولي، ص٨٤؛ منار الإسلام العدد الثاني، صفر سنة ١٣٩٦.

٢- الترجمة السريانية:

وأول ما ترجم معاني القرآن الكريم من غير المسلمين هم السريان، فقد عثر على كتاب جدل فيه ترجمان آيات القرآن بالسريانية، وهو مخطوط على رق ما تزال محفوظة في مكتبة مانشستر بانكلترا، ويقول الأستاذ فانكانا إن هذه الترجمة هي من وضع (بارصليبي) المعاصر للحجاج بن يوسف أي في الثلث الثالث من القرن الأول للهجرة[(١)] .

٤- الترجمة العبرية:

أشارت دائرة المعارف اليهودية إلى وجود بعض الترجمات لمعاني القرآن الكريم باللغة العبرية وأن بعض أجزاء هذه الترجمات توجد في المكتبة اليودلية (Bodelian) بأكسفورد بانكلترا تحت رقم (١٢٢١) وفي فهرست تلك المكتبة عنوان لكتاب عبراني يشتمل في آن واحد على التوراة والقرآن الكريم.

وقد ترجم معاني القرآن الكريم من اللاتينية إلى العبرانية يعقوب بن إسرائيل حاخام زنتي (Zante) سنة ١٩٣٤م ثم ترجمة هرمان ريكندرف (Hermann Reekendorf) وطبع في ليبزغ سنة ١٨٥٧م[(٢)] .

٤- الترجمة الأوردية: الهند.

أقدم ترجمة باللغة الأردية قام بها الشيخ عبد القادر بن شاه ولي الله، طبعت في دهلي سنة ١٧٩٠م. كما قام شاه ولي الله وهلوى بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفارسية وقد توالت الترجمات بالأوردية وهي لغة حديثة نشأت في أحضان الحكم الاسلامي، وشاعت بين المسلمين وغيرهم، وقد قام بهذه الترجمات عدد من كبار العلماء[(٣)] .

وقد قام الدكتور عماد الدين أمر تسري بترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأردية وقد

---

(١) المرجع السابق، ص٨٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٥.

طبعت ترجمته في الله آباد وهي أول طبعة بحروف أردية أفرنجية [1] .

٥- الترجمة الجاوية:

وقد ترجمنا معاني القرآن الكريم إلى لغة مالي بجاوة مع تفسير البيضاوي وظهرت ترجمة باللغة الجاوية سنة ١٩١٣م لرجل يعتبر نفسه خادم سلطان تركيا.

٦- الترجمة البنجالية: الهند.

ترجم القس (وليم جلودماك) معاني القرآن الكريم إلى لغة بنجالي في الهند.

٧- الترجمة التركية:

أول ترجمة ظهرت باللغة التركية لابراهيم حلمي، كما ظهرت ترجمة أخرى في المجلة التركية (اسلام مجموعة سي) لمحررها سليم ثابت بقلم رجل كان يوقع اسمه (خـ.ن) [2] .

الترجمات الجزئية للقرآن الكريم:

وفيما يلي أشهر الترجمات الجزئية للقرآن الكريم، وهي عبارة عن جهود جزئية للمستشرقين في ترجمة القرآن جزئيا، أي ترجمة بعض السور.

١- ترجمته جزئيا إلى الفرنسية. بقلم المستشرق البركازيميرسكي البولوني (١٨٠٨-١٨٨٧م).

٢- ترجمته جزئيا إلى الأسبانية: بقلم المستشرق السويدي (سترستين) (١٨٦٦-١٩٥٣م).

٣- ترجمة القرآن جزئيا إلى الدنماركية: بقلم المستشرق الدانماركي (بول كوبنهاكن) ١٩٢١م.

٤- ترجمة القرآن جزئيا إلى الانكليزية. بقلم المستشرق: M..Alc لاهور سنة ١٩٢١م.

---

(١) ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية والشرقية، طه الولي ، منار الإسلام، العدد الثاني، صفر سنة ١٣٩٦، ص٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص٨٦.

٥- ترجمة القرآن جزئيا إلى الفرنسية: بقلم المستشرق : لاماس سنة ١٩٣٠م.

٦- ترجمة القرآن جزئيا إلى الانكليزية: بقلم المستشرق (Gr.Sar War) لندن ١٩٣١م +لاهور سنة ١٩٣٥م [١].

قائمة باللغات التي ترجم اليها القرآن

١- اللغة الآرغونية (١)

٢- اللغة الأسوجية (٦)

٣- افريقانية لهجة من الونديزية بالحرف العربي (٢)

٤- اللغة الألبانية (٢)

٥- الخميادو اسبانية بالحرف العربي (٣٥)

٦- اللغة الألمانية (٤٢)

٧- اللغة الانكليزية (٥٧)

٨- اللغة الأوكرانية (١)

٩- اسبرانتو (١)

١٠- بلغارية (٢)

١١- بشانفية (يوغسلافية بالحروف العربية) (٢)

٢١ـ اللاتينية (٩)

٢٢- الروسية (٢)

١٣- بولونية -بالعربي (١)

لاتيني (٧)

١٤- بوهيمية من تشيكوسلافاكية (٣)

١٤- برتغالية (٤)

---

(١) المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، ص١٠٩ وما بعدها.

١٥- اللغة التركية - باللاتيني (٢٣)

بالايفوري القديم (٣) قطعات

بالعربي في فهرسة الدكتور ماجد يشار اوغلو (٦٠) تقريبا

١٦- اللغة الدانماركية (٣)

١٧- اللغة الروسية (١١)

١٨- اللغة الرومانية (١)

١٩- اللغة الايطالية (١١)

٢٠- اللغة الفرنسية (٣٣)

اللغة الفنلندية (١)

اللغة اللاتينية (٤٢)

اللغة المجرية (هنكارية) (٦)

اللغة النروجية (١)

اللغة الهولندية (٧)

اللغة الاسبانية (باللاتيني) (١٨)

٢١- اللغة اليونانية (٣) [١]

وبعد هذا العرض لهذه الترجمات فاننا نعلم يقينا أن هذه الترجمات المنتشرة في العالم فيها كثير من الأخطاء والتحريفات المقصودة . وقد حمل كثير من العلماء المحدثين على كثير من هذه الترجمات. وهي ترجمات تمد قراءها بالصحيح والخطأ عن الاسلام ، وبالرغم من حاجة العالم الى ترجمة صحيحة تعبر تعبيرا أمينا عن معاني القرآن ، فان أحدا لم ينهض لسد هذا النقص، وخاصة باللغة الانجليزية والفرنسية وهما اللغتان المنتشرتان في العالم .

---

(١) ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية والشرقية، طه الولي ، منار الإسلام، العدد الثاني، صفر سنة ١٣٩٦ .

وقد ذكر الدكتور محمد حمدي زقزوق الترجمات التي تمت في عدد من اللغات الأوربية من قبل غير المسلمين .

١- في اللغة الألمانية (١٤) ترجمة

٢- في اللغة الانجليزية (١٠)ترجمات

٣- في اللغة الايطالية (١٠) ترجمات

٤- في اللغة الروسية (١٠) ترجمات

٥- في اللغة الفرنسية (٩) ترجمات

٦- في اللغة الاسبانية (٩) ترجمات

٧- في اللغة اللاتينية (٧) ترجمات

٨- في اللغة الهولندية (٦) ترجمات [١]

أصناف المترجمين:-

إن مما يلفت النظر أن الذين سلكوا طريق الترجمة لكتاب الله تعالى صنفان:

الأول منهما: محب لكتاب الله حريص على ايصال دعوة الاسلام إلى الناس، بصير في كتاب الله، وفي اللغة التي أنزل بها.

والثاني: صنف حاقد على الاسلام طامع في تشويه كتابه، أو نقده كما يزعم. وكلا الصنفين واقع في أخطاء أنهم لا يملكون الا لغة واحدة وقد أتقنوها، ولكنهم لم يقفوا على أسرار اللغة العربية وحقيقتها ومجازها، وغير ذلك من مستلزمات الترجمة.

وقد أشار بعض العلماء إلى أن أحسن ترجمة صدرت هي ترجمة العلامة المرحوم الأستاذ عبد الله يوسف علي، ومع هذا فقد وجد بعض الأخطاء التي تلفت النظر وقد اعتمدت هذه الترجمة من قبل رابطة العالم الاسلامي جاء في مقدمة الترجمة ما يلي: "في عام ١٩٣٧م أصدر العلامة عبد الله يوسف على العالم الهندي المسلم الطبعة الأولى من

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية، محمد حمدي زقزوق، ص٦٥.

كتاب الله مرتبا مع ترجمة معانيه إلى الانكليزية وتلخيص واف للسور واحدة بعد الأخرى، ومجموعة من الحواشي بلغ عددها (٦٣١٠) حاشية فيها تعليق مفصل أو تفسير لما جاء في العبارة الانجليزية، بيانا للأقوال الراجحة عند علماء المسلمين وذلك بعد بحث واستقصاء ودرس عميق رجع فيه إلى أمهات كتب الحديث والتفسير وإلى أقوال المتقدمين والمتأخرين، ورد على كثير من أقوال خصوم الاسلام ونقد أقوالهم ودحضها بطريقة علمية، وفي لغة ممتازة تصل إلى القلوب فتزيدها ايمانا [١].

سمات الترجمات التي قام بها المستشرقون:

يمكن تلخيص السمات التي تتمتع بها الترجمات القرآنية التي قدمها المستشرقون لدول العالم، وسمات أصحابها بما يلي:

١- الجهل باللغة العربية مع وجود الذكاء، وهذا نقص فادح في مستلزمات العمل العلمي، ومع ذلك فلم يراعوا كتاب الله الذي أعجز البشر قاطبة.

يقول الدكتور عمر فروخ: "أنهم جهالا فعلا، ولكن فيهم نقرأ أذكياء جدا ألبسوا ذكاءهم الماكر ثوب البساطة والغباء" [٢].

وتعقيبا على الجهل الفادح الذي يتمتع به المستشرقون في فهم اللغة العربية، واندفاعهم وراء ترجمة القرآن يقول الأستاذ محمد الأنصاري :"اذا كانت الأمة العربية التي نزل القرآن بلغتها في يوم لم يمر على العربية- من قبل من بعد- مثله قوة وابداعا عجزت عن خطوة واحدة لمعارضة القرآن ومناقضته مع ما ألحقه بهم في التحدي واعلان الذلة والجمود عليهم، أمام صولته القاهرة وبيانه الساحر، فكيف بلغات لا تذكر جانب العربية في واحدة من خصائص اللغات [٣].

---

(١) مقدمة الترجمة The Holy Quran, A. Yousuf؛ دراسات حول ترجمة القرآن الكريم، أحمد إبراهيم مهنا، ص١٢٦.

(٢) الاستشراق ما له وما عليه، المجلة العربية، عدد ١، ٢٢ رجب ١٣٩٧، تموز ١٩٧٧.

(٣) مجلة الجامعة الإسلامية، عدد١ سنة ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٥ الموافق سنة ١٩٧٥.

ولا بد من مراعاة الفروق بين اللغة العربية وما فيها من معاني وأساليب متعددة، وبين اللغات الأجنبية كالانجليزية والفرنسية، وغيرهما من اللغات.

وقد جعل الشيخ محمد رشيد رضا من الأسباب العائقة عن فهم الأجانب لكتاب الله.

أ- جهل الأجانب لبلاغة القرآن.

ب- قصور الترجمات القرآنية وضعفها:

يقول محمد رشيد رضا: أن ترجمات القرآن التي يعتمد عليها علماء الأفرنج في فهم القرآن كلها قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عباداته العليا، وأسلوبه المعجز للبشر، وهي أنما تؤدى بعض ما يفهمه المترجم له منهم، أن كان يزيد بيان ما يفهمه، وأنه لمن الثابت عندنا أن بعضهم تعمدوا تحريف كلمة من مواضعه، على أنه قلما يكون فهمهم تاما صحيحا ويكثر هذا فيمن لم يكن به مؤمنا، بل يجتمع لكل منهم القصوران كلاهما: قصور فهمه، وقصور لغته.

ج- أسلوب القرآن مخالف لجميع أساليب الكلام:

لقد جاء أسلوب القرآن مخالفا لجميع أساليب الكلام العربي وغيره وطريقته في مزج العقائد والمواعظ والحكم والآداب بعضها ببعض عن الآيات المتفرقة في السور، قد كان حائلا دون جمع كبار علماء المسلمين من المفسرين وغيرهم لكل نوع من أنواع علومه ومقاصده في باب خاص به [(١)].

٢- التلاعب بالنصوص القرآنية وتحويرها حسب ما يحقق أهدافهم.

٣- نقل الآيات من مكانها التوقيفي، حيث أعلن بعض المستشرقين رأيه، بأن ثمة آيات أو كلمات ليست في مكانها بالقرآن الكريم وأنه ينبغي أن تكون في مكان آخر سابق أو لاحق.

---

(١) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص٢٤ وما بعدها، ط٨.

وقد فعلوا ذلك من أجل تضليل القارىء، وبلبلة أفكاره، وحمله على عدم الاحاطة بحقيقة النص القرآني.

٤- السعي لتحقيق أهدافهم التي تتمثل في حرب القرآن، وقد عملوا في ترجماتهم على دحض المبادىء الاسلامية وتفنيدها، والدليل على ذلك الترجمة الأسبانية التي وضعها المستشرق (موركيوندو أى) وعنوانها هكذا بكل صراحة : (Mork Yondo Iey) .

"القرآن مترجماً بأمانة إلى الأسبانية ومعلقاً عليه ومدحضا طبقا للعقيدة والتعاليم المقدسة والأخلاق الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس الرسولي الروماني"[١].

٥- خلو هذه الترجمات من النواحي العلمية الصحيحة، وإنما عملوا على ترجمة القرآن ترجمة كيفية أو نسبية، الهدف منها التحريف والتضليل خوفا من أن يعتنق الاسلام من يطلع عليه من الأوروبيين، ويقف عل حقائق كتابه فيما اذا ترجم ترجمة صحيحة.

٦- ترويج الترجمات المزورة، وتشجيع طباعتها، إلى لغات متعددة بما فيها من أباطيل وأخطاء.

٧- الترجمة باللغات القديمة باستعمال عبارات متعددة منها، والتي لا يعرفها كثير من الناس كما هو الحال بالنسبة للغة الفرنسية والانكليزية. وغيرهم. وقد تكون هذه العبارات لها دلالة على معان مشبوهة أو تنطوي على شيء من اللمز والغمز.

٨- استعمال الأسماء المستعارة في الترجمات، أو باستعمال أحرف تدل على اسم المترجم بغية عدم اظهار شخصيته الحقيقية وهناك دليل على ذلك، وهو أن ترجمة اسبانية صدرت الطبعة الأولى منها بقلم (OBBJ) وصدرت في الطبعة الثانية بقلم (JBB) وأخيرا صدرت في الطبعتين الثالثة والرابعة بقلم (JBBO)فتأمل[٢] .

---

(١) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق، ص١٠٤، ط٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٥-١٠٦.

٩- العناية بالترجمات الضعيفة، والتي تفيض بالحقد على الاسلام والعمل على نشرها كما فعل المستشرق (ماراكس) الذي جمع ترجمات من هذا النوع أصدرها أشخاص لا يفقهون العربية بالتعاون مع من لا يعرف اللاتينية ونشرها سنة ١٦٩٨م، وكان لها ردود فعل ايجابية بحيث وجدت مشجعين لها. وقد تصدى لهذه الطبعة الأستاذ الفرنسي الكونت هنري دويو لنفيلييه (Lecomete Henride. Boueain. Vill lers) وكان يتزعم حركة شريفة موالية للنبي الكريم في باريس فلقي كل معارضة أيضا[١].

١٠- قصور الترجمات عن النص الأصلي، واعتراف أصحابها بذلك.

يقول الاستاذ الطيباوي: " كل ترجمة من ترجمات القرآن يصرح أصحابها أن تلك الترجمة ناقصة وليست مستوفية باعتبار أن القرآن نزل بالعربية على محمد ﷺ وهم يترجمونه إلى لغة أخرى لقوله تعالى ﴿أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾[٢] [٣].

١١- إظهار القرآن على أنه من تأليف محمد ﷺ وأنه كتاب متناقض، وليس من عند الله وهي شبهات رددها الوثنيون قديما وتبناها المستشرقون حديثا فألبسوها ثوبا قشيبا ينطلي على أبناء العصر الحاضر.

١٢- ترويج الدعاية القائلة بأن القرآن مستمد من كتاب اليهود والنصارى، وهي فرية رددها زعماء قريش سابقا وتلقفها المستشرقون من بعدهم.

١٣- ترويج فكرة القرآن الكريم، وبأن الصحابة قد تلاعبوا به فزادوا به وأنقصوا منه.

١٤- اظهار القرآن على أنه عقبة كئود في سبيل ارتقاء الأمم الاسلامية ، يقول اللورد كرومر الذي يتفق بالرأي مع المستشرقين . "ان القرآن هو المسؤول عن تأخر مصر في

---

(١) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق، ص١٠٦.

(٢) سورة يوسف، آية ٢.

(٣) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص١٠٦ نقلاً عن مجلة العالم الإسلامي التي تصدر بالإنجليزية

مضمار الحضارة الحديثة " . ومن أقواله أيضا : "لن يفلح الشرق مالم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن" [(١)] .

وقد رد عليه الدكتور شميل شميل حيث قال : "لقد أخطأ المستر كرومر ، والخطأ تسرب الى حكمه حين قال ان شريعة القرآن لا توافق العمران في كل عصر، والمنصف لا يسعده أن يلقى على القرآن تبعة تقهقر الأمم الاسلامية فاذا أرادت الأمم الاسلامية أن تجاري الأمم المتمدنة في ارتقاء فالقرآن لا يحول دونها، وإن في القرآن أصولا اجتماعية عامة، وفيه من المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان، وان القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة لترقية الروح والجسد بعد أن أوصد غيره من الأديان تلك الأبواب، فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلي عن هذا العالم الفاني [(٢)] .

١٥- القيام بعمل ترجمات تخالف ترتيب القرآن التوقيفي حيث عملوا ترجمة للآيات حسب نزولها بحيث لا تأتي السور والآيات منتظمة توقيفية كما هي معروف منذ أيام النبي ﷺ .

وهذه الترجمة لها أضرار :

أ - تعمل على تشكيك القارئ المسلم فلا يتفهم هذه النصوص ويستغرب هذا الترتيب .

بـ العمل على تضليل المسلمين، وتشكيكهم بتوقيفية سور القرآن وآياته.

نماذج من ترجمات المستشرقين للقرآن :

قال تعالى : ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ، انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾ [(٣)] .

فقد ترجمها المستشرق سافارى (Safary) "أي لا تتزوجوا النساء اللاتي كن زوجات لآبائكم تلك جريمة انا طريق الضياع، ولكن اذا كان الشر قد حدث فاحتفظوا بهن، ويقول

---

(١) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص١٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٩.

(٣) سورة النساء، آية ٢٢.

"الا ما قد سلف" : "أي اذ كانت الجريمة قد ارتكبت فالمولى متسامح كريم" [1].

"sile crime est. cpmmis le seigneurest indulgent et misericordieux"

وترجم المستشرق كازيمرسكي :(kazimirski) الا ما قد سلف : هكذا: "ومع ذلك فاستبقوا ما تم من قبل "و "اذا كان الأمر قد تم فالله سيكون متسامحا رحيما" .

وترجم المستشرق بلاشير (plachere) الا ما قد سلف"، هكذا: "ما عدا أولاد المتزوجات في الماضي" [2].

وترجم المستشرقون قوله تعالى : ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾ [3].

جاء في ترجمة ماسون:

Nous avons porte noe sur un assemblage de planches et de fibres de plamers.

حملنا نوحا على مجموعة من الألواح وخيوط (أو شعر) النخيل"

nedousez pas les fem med qui ant ete les epouses de vos peres cest un crime-I cest le chemin de is perdition, mais sile mal est fait gardez- les"

وجاء في ترجمة سافارى:

Nous sauvames noe dans varche formee de planches jointes.

وأنقذنا نوحا في سفينة مصنوعة من ألواح مجمعة.

وجاء في ترجمة كازيمير سكي:

nous le (noe) portames dans un vaisseau fai de planches et le clous.

وحملنا نوحا على باخرة (مركب) صنعت من ألواح ومسامير [4] .

---

(١) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص١١٧ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص١١٨.

(٣) سورة القمر، آية ٥٤.

(٤) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص ١١٩-١٢٠.

لقد اتضح مما تقدم وحكم ترجمة القرآن الكريم، لذلك يجب على دعاة الحق أن ينبهوا العامة إلى أخطار هذه الترجمات الضالة وأن يبينوا لهم بأنها وسيلة الأعداء للكيد للاسلام ولكتابة ودعوته وأمته.

وفي نهاية هذا الفصل أشير إلى بعض النتائج التي يجب على المسلم أن يكون على بصيرة بها.

١- أن ترجمة القرآن ترجمة حرفية متعذرة، وليست في مقدور البشر، ويترتب عليها مفاسد كثيرة، فالترجمة الحرفية أمر محظور لا يبيحه الاسلام لأنه جناية عليه وعلى أهله.

٢- لا يجوز تسمية الترجمة قرآنا، ولا تسمى كتاب الله، ولا يجوز أن يسند شيء منها اليه تعالى: فيقال قال الله كذا لأن كتاب الله وقرآنه عربي بالنص القطعي والاجماع الشرعي من سلف أهل الملة كلهم وخلفها.

٣- أن الترجمة القرآنية لا يمكن أن يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله تعالى، ولا يصح التعمد بتلاوتها، ولا يتحقق فيها غير ذلك من خصائص القرآن اللفظية ولا المعنوية.

٤- أن الترجمة المعنوية التفسيرية جائزة، وهي عبارة عن تفسير ما يحتاج إلى تفسير منه بلغة أخرى حسب المصلحة الشرعية.

٥- أن ترجمة القرآن أو ترجمة معانيه لن تزيد عدد المسلمين مسلما واحدا، لذلك لأن قوة القرآن الاقناعية هي في أسلوبه العربي موطن اعجازه، وترجمة المعاني لن يكون لها هذه القوة خصوصا اذا لاحظنا أن غير المسلم يقرأ كتاب الاسلام متشككا في كثير مما جاء به كما أن الذين يركزون على قراءة الكتب الدينية قلة من الناس، وهؤلاء لا يقرأون هذه الكتب لمجرد البحث والاقناع، وانما يقرأونها لغرض التشكيك بها.

٦- أن الترجمة القرآنية تقلل من رهبة القرآن، وقوته بين المسلمين هذه هي خسارة الاسلام في جوهره، وأما خسارته في هيكله فهي أفدح وأدعى لليقظة، وهيكل الاسلام هو اللغة العربية.

٧- أن فائدة الترجمة التفسيرية تظهر بالرد على أباطيل المفترين من خصوم هذا الدين، وأكثرهم من المبشرين والمستشرقين الذين يجهدون أنفسهم على الحاق الشبهات بالأسلام وكتابه والعمل على تشويه حقائقه في نفوس الناس، ومنعهم من الاطلاع عليه.

١١- أنه يحرم شرعا على ما من لم يكن راسخا في العلوم الشرعية عليما بما جاء بها من الأحكام قديرا على دفع الشبه ورد المزاعم الباطلة أن ينظر في التراجم الضالة خشية أن تفتنه وتغويه ويضل السبيل، قال تعالى : ﴿ولا تركنوا إلى ا لذين ظلموا فتمكسم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عقاب أليهم﴾ (٢) .

أما أصحاب العلم فعليهم أن يوضحوا للناس ما فيها من أباطيل وينصحوهم باجتنابها لمزيد أخطارها ومضارها وأخطائها.

---

(١) سورة هود، آية ١١٣.

(٢) سورة النور، آية٦٣.

المبحث السادس

المستشرقون والقراءات القرآنية

إن موضوع القراءات القرآنية من أهم الموضوعات التي ركز المستشرقون على دراستها وخاضوا فيها قاصدين إثارة الشبهات في نفوس أبناء المسلمين وتشكيكهم في كتاب ربهم، وقد أطمعهم في ذلك وزينه في نفوسهم امران:

١- فالأمر الأول: أن صلة القراءات بالقرآن هي أوثق صلة، فالقرآن الكريم هو كلام الله الموحى به إلى الرسول ﷺ، والقراءات هي تغاير ألفاظ الوحي بالقرآن فقوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾[١] قراءة وقوله : ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتثبتوا﴾[٢] قراءة أخرى، وكلا القراءتين قرآن.

فإذا استطاع المستشرقون أن ينفذوا إلى الطعن بالقراءات وأن يضعفوا قيمتها في نفوس أبناء المسلمين، فانهم سيصلون إلى هدفهم المنشود بزعزعة ثقة الجيل المسلم بكتاب ربه عز وجل.

٢- والأمر الثاني أن موضوع القراءات موضوع خاص قل من يطلع عليه من أصحاب الثقافة الدينية بله الثقافة العامة، فالموضوع أذن قل من يعرفه، وقل من تخصص لدراسته من أبناء المسلمين فاذا كان كذلك، فقد سهل على المستشرقين أن يدرسوا هذا الموضوع بعناية فائقة لينفذوا من ذلك إلى الدس والتحريف تحت ستار المنهج العلمي الذي يخدعون به الناس ويروجون من خلاله ضلالاتهم وأكاذيبهم.

لهذا كله فلا غرو أن نجد المستشرقين قد اهتموا اهتماماً كبيرا بدراسة القراءات، وأولوها عناية فائقة، ثم من خلال ذلك بدأوا يدسون الشبهات، ويثيرون الشكوك حول هذه القراءات القرآنية.

---

(١) سورة الحجرات، آية ٦.

(٢) التيسير في القراءات السبع، أبي عمرو الداني، ص٩٧، ط٣/ ١٩٨٤، دار الكتاب العربي.

ومن أكثر المستشرقين اهتماماً بالقراءات القرآنية المستشرق "أجنتس جولد زيهر" صاحب كتاب "مذاهب التفسير الاسلامي" وقد أورد جولد زيهر في كتابه المذكور سيلا وافرا من المتناقضات اختلق من خلالها جملة من الشبهات حول القراءات القرآنية، وسنتعرض في هذا المبحث لهذه الشبهات لنرد عليها جملة وتفصيلا.

ومن قبل أن نشرع في ايراة شبهات هذا المستشرق والرد عليها لا بد من تمهيد نتكلم فيه عن القراءات ونشأتها، ومكانتها في عقيدة المسلمين (١).

كيف نشأت القراءات؟

بدأ نزول القرآن الكريم على قلب رسول الله ﷺ، فكان كلما نزل نجم من نجوم القرآن علّمه لأصحابه الذين آمنوا به واتبعوا دعوته، وقد أراد الله بهؤلاء الأميين اليسر والتخفيف اذ كان فيهم الشيخ والغلام والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، لذلك استجاب الله لدعاء رسول الله ﷺ فأنزل القرآن على سبعة أحرف فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: يا جبريل أني بعثت إلى أمة أميين فيهم العجوز والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط. قال: يا محمد أن القرآن أنزل على سبعة أحرف (٢).

وقد روى حديث نزول القرآن على سبعة أحرف بروايات كثيرة بلغت حد التواتر ونحن سنذكر بعضا من هذه الروايات:

١- عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل فقال: أن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: أن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرفين فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثالثة فقال: أن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسهير، ص١١ وما بعدها، ط٢، دار إقرأ.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٨/٢٦٣ و ٢٦٤، أبواب القراءات.

ذلك، ثم جاء الرابعة فقال أن الله يأمرك أن تقرىء القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا [(١)].

٢- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى أنتهى إلى سبعة أحرف[(٢)].

٣- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم ثم لببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ. قلت له: كذبت فوالله أن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها: فانطلقت أقوده إلى رسول الله على ﷺ، فقلت: يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله ﷺ: أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال: إقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني ﷺ : هكذا نزلت، ثم قال: إقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت، ثم قال: إقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني ﷺ فقال هكذا أنزلت، ثم قال ﷺ: أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فقرأوا ما تيسر منها [(٣)].

٤- عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضيت الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ فقلت: أن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه،

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي، ج٤/ ٣٥١، الحديث ١٤٦٥.

(٢) فتح الباري بشرح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج١٠/٣٩٨، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

(٣) المرجع السابق، ج١/ ٤٠٠.

فأمرهما رسول الله ﷺ، فقرءا فحسن رسول الله ﷺ على قراءتهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله على ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقا، وكأنما أنظر إلى الله تعالى، فرقا، فقال لي: يا أبي: أُرسِل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت اليه أن هون على أمتي، فرد إليّ الثانية أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوّن على أمتي فرد الي الثالثة أقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي.. اللهم أغفر لأمتي.. وأخرت الثالثة ليوم يرغب اليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام [1].

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (نزل القرآن على سبعة أحرف والمراء في القرآن كفر- ثلاث مرات- فما عرفتهم منه فاعملوا، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه- أي فتعلموه- ممن هو أعلم منكم" [2].

٦- عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرأني ابن مسعود سورة، أقرأنيها زيد، وأقرأنيها أبي بن كعب فاختلفت قراءاتهم فبقراءة أيهم آخذ؟ فسئلت رسول الله ﷺ، وعلي إلى جانبه فقال علي: ليقرأ كل انسان منكم كما علم فانه حسن جميل" [3].

من هذه الروايات التي سقناها يتبين لنا أن الله سبحانه وتعالى قد أوحى بهذه القراءات جميعا إلى رسول الله ﷺ ولم يختلف اثنان من علماء المسلمين على تواتر حديث الأحرف السبعة ولا على تواتر القراءات القرآنية، فالقراءات كلها قرآن والقرآن لا يؤخذ الا بالتواتر ولا يقبل قرآنا ما لم يثبت أنه متواتر.

قال شمس الدين بن الجوزي :"قال شيخ الاسلام ومفتي الأنام العلامة أبو عمرو عثمان

---

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، أحمد عبد الرحمن البنا، ج١٨/٢٨.

(٢) المرجع السابق، ج١٨/٣٩.

(٣) رواه الطبري في تفسيره وأخرجه الطبراني.

ابن الصلاح رحمه الله من جملة جواب فتوى وردت عليه من بلاد العجم ذكرها العلامة أبو شامة في كتابه "المرشد الوجيز" أشرنا اليها في كتابنا "المنجد" :يشترط أن يكون المقروء به قد تواتر نقله عن رسول الله ﷺ قرآنا واستفاض نقله كذلك، وتلقته الأمة بالقبول كهذه القراءات السبع لأن المعتبر في ذلك اليقين والقطع على ما تقرر وتمهد في الأصول، فما لم يوجد فيه ذلك كما عدا السبع أو كما عدا العشر فممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة" [١].

أما عن مكانة القراءات في عقيدة المسلمين: فمن المقطوع به أن هذه القراءات كلها ثابتة عن رسول الله ﷺ ثبوتا قطعيا لا يرقى اليه الشك وأنها من المعلوم من الدين بالضرورة، يجب الايمان بها جملة وتفصيلا ومن أنكر حرفا ثابتا من الاحرف السبعة فقد أنكروا قرآنا ومن أنكر شيئا من القرآن كفر، لقوله تعالى : ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ [٢] وهذه الاية وأن كان نزولها رد على اليهود الا أنها تشمل كل من آمن ببعض كتب الله وكفر ببعضها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على ما قرره علماء الاصول.

ولقوله ﷺ: (ولا تماروا في القرآن فان من مراء فيه كفر) [٣] لذلك فان القراءات القرآنية جزء عظيم جدا من عقيدتنا يجب علينا أن نؤمن به.

ومن هذا المنطلق تخصص عدد كبير من علماء السلف بدراسة قراءات القرآن الكريم وتعليمها للناس وألفوا فيها الكتب والمؤلفات حتى لقد عد ابن الجوزي في كتابه طبقات القراء آلافا من الذين اهتموا بالقراءات وترجم لهم جميعا.

موقف جولد تسيهر من القراءات:

لقد وقف جولة تسيهر من القراءات القرآنية موقفا مشينا، دفعه اليه ما تكنه نفسه من

---

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجوزي، ٣٨/١.

(٢) سورة البقرة، آية ٨٥.

(٣) الفتح الرباني، الساعاتي، ج١٨/٣٩.

حقد على هذا القرآن وأهله، وما يحسه في دخيلة نفسه من تعصب للصليبية وحدب عليها، وما انطرت عليه طبيعته الاستشراقية من كيد ومكر.

فهو يقرر في مطلع كتابه "مذهب التفسير الاسلامي" الشبهة التالية:"فلا يوجد كتاب تشريعي، اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن"[١].

وللرد على هذه الشبهة نقول:

١- أن جولدتسهير لم ير النصوص الاصلية لكتب الشرائع السابقة فكيف يسعه أن يقرر هذه النتيجة علما بأنه يناقض نفسه عندما يقرر أن التلمود يقول بنزول التوراة بلغات كثيرة في وقت واحد، وأما النصوص الباقية من الكتب السابقة فهي مختلفة اختلافا كبيرا جدا ومتضاربة وهذا ما يقرره جولد تسيهر نفسه اذ يقول: وهو يتكلم عن أبي الجلد غيلان ابن فروة الازدي:" ولا يتضح من هذا الخبر.... أي نسخة من التوراة كان يستخدمها في دراسته"[٢].

٢- إن الاضطراب وعدم الثبات الذي يؤكده جولدتسيهر في هذه الشبهة لا يمكن أن يتطرق إلى شيء من قراءات القرآن فالاضطراب والتناقض يحصل اذا كانت آية تثبت معنى معينا وآية أخرى تنفيه، أو اذا كانتا قراءة تؤيد قولا أو معنى، والقراءة الأخرى تعارضه وتنقضه، وهذا ما لا يمكن وقوعه في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[٣].

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، ص٤، ترجمة عبد الحليم النجار، الطبعة الثانية، دار إقرأ.

(٢) المصدر السابق، ص٨٦.

(٣) سورة النساء، آية ٨٢.

"قال ابن قتيبة في مشكل القرآن: الاختلاف نوعان.... اختلاف تغاير.... واختلاف تضاد، فاختلاف التضاد لا يجوز، ولست بواجده- بحمد الله- في كتاب الله تعالى.

واختلاف المغاير جائز.... ثم ضرب لهذا النوع من الاختلاف أمثلة من الآيات وبرهن على جوازه بأن كلا من المعنيين صحيح، وأن كل قراءة بمنزلة آية مستقلة...

ولا جرم أن يكون هذا الاختلاف فنا من فنون الايجاز الذي يسلكه القرآن في إرشاده وتعليمه" [(١)].

وعلى الجملة، فاختلاف القراءات انما هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تعارض وتضارب، فان هذا لا يتصور أن يكون في كلام العقلاء من البشر، فضلا عن أن يكون في كلام رب العالمين واذا كان الامر كذلك استحال على النص القرآني أن يعتوره قلق أو ينزل بساحته اضطراب [(٢)].

٣- لقد ثبت بطريق لا يرقى اليه الشك تواتر الروايات التي قرىء بها القرآن بقراءاته المختلفة وهذا التواتر يستحيل معه وجوة التعارض والتناقص بين آيات الله والقراءات التي فيها، لذلك لا مجال لاضطراب النص وعدم ثباته كما يدعي جواد تسيهر [(٣)].

الشبهة الثانية:

يقول جولدتسيهر :"وفي جميع الشوط القديم للتاريخ الاسلامي لم يحرز الميل إلى التوحيد العقدي للنص الا انتصارات طفيفة" [(٤)].

وردا على هذه الشبهة نقول:

١- أن جولدتسهير يناقض نفسه عندما يقرر هذه الشبهة في هذا الموضع لأنه قرر في

---

(١) مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص٤٠.

(٢) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، عبد الفتاح القاضي، ص١٧-١٨، مكتبة الدار، المدينة المنورة.

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، ص٥.

(٤) المصدر السابق، ص٥.

صفحة من كتابه نفسه أن المسلمين كانوا يميلون إلى التسامح في قبول هذه القراءات على اختلافها. يقول: " هذا النص يعرض منذ أقدم عهود الاسلام في مواضع كثيرة قراءات معتمدة على الروايات الموثوق بها تختلف اختلافا ليس دائما من نوع عادم الاهمية، واتجاه هذه القراءات يسود الميل إلى التسامح في اختلافها، فلم تستبعد مثل تلك القراءات المختلفة لصالح نص اعتمدت صحته وحده، كما كان منتظرا من نص إلهي إنما يمكن أن ينسب إلى نفسه حق الصدور عن الله اذا جاء في قالب موحد متلقى من الجميع بالقبول بل اعتمدت اصالة كل هذه الروايات المختلفة، أي صدورها عن المصدر الالهي جميعا، واحدة إلى جانب أخرى"[(١)].

إذن فهو في هذه الفقرة يقرر أن المسلمين كانوا يميلون إلى التسامح في قبول القراءات على اختلافها على عكس ما قرر في الشبهة السابقة ميلهم إلى توحيد عقدي للنص.

٢- إن ما قرره جولد تسيهر في شبهته من ميل المسلمين إلى توحيد النص قول لا دليل عليه، بل الدليل قائم على خلافه، فقد كان للرسم القرآني دور بارز في عدم اقتصار النص على قراءة واحدة فالحروف المجردة من النقط والشكل بطريقة مقصودة تجعل النص الواحد يحتمل معظم القراءات الصحيحة الواردة في النص[(٢)].

وأما القراءات التي لم يحتملها رسم المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر فإن عثمان عندما جمع القرآن في المصاحف فرّق القراءات التي لا يحتملها خط واحد على بقية المصاحف ومن الامثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، ص٦ – ٧.

(٢) رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، عبد الفتاح شلبي، ص٢٥ وما بعدها، ط٢، دار الشروق.

ويعقوب﴾ [1] فكلمة وصى قرئت بقراءة أخرى هي" وأوصى" [2] ولما كان الرسم الواحد لا يحتمل كلتا القراءتين فقد كتبت كل قراءة منهما في مصحف، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم﴾ [3] فقد قرئت بقراءة أخرى ﴿وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار﴾ [4] بزيادة (من) . ومعلوم ان نصا واحدا لا يحتمل زيادة كلمة ونقصان في آن واحد، فوزعت كل قراءة على مصحف من المصاحف التي كتبت في زمن عثمان رضي الله عنه .

وأمثلة هذا النوع من القراءات التي لم يحتلمها رسم واحد قليلة لا تتجاوز عدد اصابع اليدين، أما بقية القراءات فان الرسم الواحد يحتملها جميعها عند تجرده من النقط والشكل، لذا يرجح ان تجريد الرسم من النقط والشكل كان مقصودا لأجل احتمال وجوه القراءات جميعا .

٣ . إن جمع القرآن في زمن عثمان لم يقصد به توحيد نص القرآن كما يعتقد جولد تسيهر وانما الدافع اليه الرغبة في جمع المسلمين على القراءات الثابتة بالتواتر ، والتي لم تنسخ، والغاء ما نسخ بالعرضة الاخيرة، فانه عندما توفي الرسول ﷺ كان كثير من المسلمين قد انطلقوا في انحاء الجزيرة يدعون الى الله تعالى ، ولم يصلهم بعد خبر العرضة الاخيرة التي عرضها جبريل على النبي ﷺ قبل موته والتي نسخ فيها بعض الاحرف، وجاء ابو بكر فجمع القرآن الكريم في مصحف واحد ثم مضت خلافته وخلافة عمر بن الخطاب وقد بقيت بقايا من تلك الحروف المنسوخة متعلقة بأذهان كثير من

---

(١) سورة البقرة، آية ١٣٢.

(٢) التيسير في القراءات السبع، أبي عمرو الداني، ص٧٧، ط٢/ ١٩٨٤.

(٣) سورة التوبة، آية ١٠٠.

(٤) التيسير في القراءات السبع، أبي عمرو الداني، ص١١٩.

الناس، وساعد على ثبوتها ان كثيرا من الصحابة اتخذوا لأنفسهم مصاحف كانوا يكتبون عليها القراءات والتفسير أحيانا الى جانب القرآن كابن مسعود وأُبي بن كعب وغيرهما، فلما صار الامر الى الاختلاف بين الناس وخاصة في الامصار البعيدة جاء حذيفة بن اليمان الى عثمان يقول له : ادرك الناس قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى[١] . ثم قص عليه كيف أن بعض المسلمين يقرؤون بقراءات منسوخة وأن بعضهم يخطّيء بعضا فقام عثمان ﷺ بهذا العمل الجليل فأمر باستنساخ المصاحف من المصحف الذي كتب على عهد أبي بكر عاضدا ذلك بما يحفظه أئمة القراءة في المدينة من الصحابة الكرام الى ان تيسر له كتابة سبع مصاحف بعث بها الى الامصار وحرق ما عداها من المصاحف ولم يكتف ببعث المصاحف الى الامصار بل بعث بالمقرئين مع المصاحف ليُقْرِئوا الناس بما في تلك المصاحف وما يوافق رسمها .

الشبهة الثالثة :

يقول جولد تسيهر : "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات الى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتيه مختلفة تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط، بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية، يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الاصلية ما يحدده الى اختلاف مواقع الاعراب للكلمة وبهذا الى اختلاف دلالتها، وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الاول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطا اصلا او لم تتحر الدقة في نقطه او تحريكه"[٢].

وردا على هذه الشبهة نقول :

١ - مرة اخرى يناقض جولد تسيهر نفسه اذ قرر من قبل ان الميل الى التسامح في قبول

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، كتاب فضائل القرآن، ج٩/١١ السلفية.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي، أجنتس جولدتسيهر، ص٨-٩، ترجمة عبد الحليم النجار.

القراءات كان موجودا منذ أقدم عصور تداول القرآن ، فكيف يقرر هنا أن القراءات نشأت عن الخط العربي الذي يحتمل عدة وجوه من القراءة لعدم مراعاة الدقة في نقطة وضبطه .

٢ . من المعلوم عند كل ذي علم ان المسلمين في ذلك الوقت والعرب بشكل عام كانوا لا يعتمدون على الخط والكتابة بقدر ما يعتمدون على الحفظ في الصدور، ولقد ساعدهم على الحفظ ما هيأه الله لهم من صفاء عقل وتفتح فكر، وقلة ما يمكن ان ينشغلوا به من تعقيدات المدنية وبهارجها . أضف الى ذلك ما امتاز به جو الصحراء من اخصاب للخيال وتوسيع للمدارك والملكات .

فالعرب كانوا يعتمدون على الحفظ أولاً، ولقد تلقوا القرآن بقراءاته فحفظوه ودونه كُتّاب الوحي بين يدي الرسول ﷺ .

٣ . إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا على درجة عظيمة من التثبت في أخذ القرآن بحيث لا يسمح لاحد ان يقرأ بما يخالف ما تواتر، ولقد رأينا في روايات حديث الاحرف السبعة كيف ان عمر اخذ هشام بن حكيم بشدة من تلابيبه الى رسول الله ﷺ عندما سمعه يقرأ حروفا لم تبلغه ولم يتعلمها، ولم يتركه حتى تيقن انها حروف صحيحة نزل بها القرآن الكريم، وكذلك وقع لأبي بن كعب مع الرجلين الذين قرءا أمامه .

إذاً كان هذا هو شأن الصحابة يتثبتون في كل مسألة من أمور دينهم، فكيف يفوتهم أن يتثبتوا في أمر القراءات التي هي من امس الامور بكتاب الله العظيم .

٤ . لقد كان العرب يعيبون على من يأخذ علمه من الصحف دون أن يتعلمه على أيدي العلماء ولذلك قالوا : "من كان استاذه كتابه كثر خطؤه وقل صوابه" وكانوا يسمّون الذي يأخذ علمه من الصحف "صحفي" وهو عندهم عيب ونقص .

ولقد وقف العلماء من المصحفين موقفا متشددا حتى عدوا عليهم تصحيفاتهم وسقطاتهم، حدّث قاسم بن أصبغ قال :

لما رحلت الى المشرق نزلت القيروان فأخذت عن بكر بن حماد فقرأت عليه يوما حديث النبي ﷺ أنه قدم عليه قوم من مضر مجتابي النمار فقال "انما هو مجتابي الثمار" فقلت : "انما هو مجتابي النمار، هكذا قرأته على كل من لقيته بالاندلس والعراق.

فقال لي : "بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا او نحو هذا. ثم قال لي : قم بنا الى ذلك الشيخ لشيخ كان في المسجد فان له بمثل هذا علما، فقمنا اليه وسألناه عن ذلك فقال : انما هو مجتابي النمار، وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم امامهم والنمار جمع نمرة "[(١)].

٥ . لو كانت القراءات تابعة للرسم كما يزعم جولدتسهير لاخذنا بكل قراءة يحتملها الرسم ولتحصل من ذلك عشرات القراءات في الكلمة الواحدة لكننا مع ذلك نجد الكلمة في بعض المواضع وفيها قراءتان وكلمة مثلها في موضع آخر وليس فيها الا قراءة واحدة ومثال ذلك

قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾[(٢)] فان فيها قراءتين (مالك، ملك)

وقوله تعالى: ﴿ملك الناس﴾[(٣)] فليس فيها سوى قراءة واحدة (ملك)

وقوله تعالى : ﴿قل اللهم مالك الملك﴾[(٤)] ليس فيها سوى قراءة واحدة (مالك)

علماً بأن الرسم للكلمات في الآيات الثلاث واحد (ملك)[(٥)].

ومن الأمثلة على ذلك أيضا "ما روي أن الاصمعي جاء إلى المازني في مجلس يوما

---

(١) رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في القراءات، عبد الفتاح اسماعيل شلبي، ص٢٤، ط٢، دار الشروق. نقلاً عن نفح الطيب، ١/٣٤٥ – ٣٤٦.

(٢) سورة الفاتحة، آية ٤.

(٣) سورة الناس، آية ٢.

(٤) سورة آل عمران، آية ٢٦.

(٥) القراءات في نظر المستشرقين، ٥٢-٥٣.

فقال له :"ما تقول في قول الله عز وجل ﴿انما كل شيء خلقناه بقدر﴾ [(١)] قال المازني: سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب في العربية لاشتغال الفعل بالمضمر، وأنه ليس ها هنا شيء هو بالفعل- أولى، ولكن ابت عامة القراء الا النصب فنحن نقرؤها لذلك اتباعا، لأن القراءة سنة" [(٢)] . والأمثلة على هذا الباب لا حصر لها.

وقد روي عن أبي عمرو بن العلاء أحد أصحاب القراءات السبع المشهورة أنه قال :"لولا أنه ليس لي أن أقرأ الا بما قد قرىء به لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا" [(٣)] .

وقد أورد جولدتسهير أمثلة للقراءات التي تولدت نتيجة لطبيعة الخط العربي، وأكثرها هذه الأمثلة التي أوردها ليست من القراءات في شيء لأنها لم تتواتر، وهذه الأمثلة نفسها تصلح دليلا على نقض ما زعمه جولدتسهير من أن القراءات ناتجة عن الخط، فأما الأمثلة التي ضربها لذلك فمنها:

أولا قوله تعالى : ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون﴾ [(٤)] .

يقول: قرأ بعضهم بدلا من تستكبرون بالباء الموحدة تستكثرون بالثاء المثلثة. والصحيح أن هذه القراءة اختلقها جولدتسهير اذ أنها لا تعرف في كتب القراءات ولا يحفظها أحد من المسلمين ولم تسند إلى قارىء معين فدل ذلك على أنها قراءة مختلقة موضوعة.

ثانيا: قوله تعالى : ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته﴾ [(٥)] ويقول: قرىء بالنون الفوقية الموحدة بدلا من الباء التحتية الموحدة.

---

(١) سورة القمر، آية ٤٩.

(٢) رسم المصحف العثماني، ص٣٨، نقلا عن أخبار الزجاجي، ورقمه ٣٦.

(٣) السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، ط دار المعارف بالقاهرة، ص٤٨.

(٤) سورة الأعراف، آية ٤٨.

(٥) سورة الأعراف، آية ٥٧.

والحق أن في هذه الآية أربع قراءات متواترة صحيحة فقد قرأ عاصم (بُشْرا) بالباء المضمومة والشين الساكنة.

وقرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو يعقوب (نُشُرا) بالنون المضمومة والشين المضمومة: وقرأ ابن عامر (نُشْرا) بالنون المضمومة والشين الساكنة، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (نَشْرا) بالنون المفتوحة والشين الساكنة (١).

ثالثاً: قوله تعالى ﴿وما كان استغفار إبراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه﴾ (٢).

يقول: قرأها بعضهم أباه بفتح الهمزة والباء الموحدة بدلا من كسر الهمزة والياء المثناه التحتية المشددة. وهذه القراءة ليست متواترة ولا صحيحة بل هي قراءة شاذه لا قيمة لها ولا اعتقاد بها حيث إنها غير مذكورة في كتب القراءات المعتمدة (٣).

رابعاً: قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ (٤).

يقول: قرأ جماعة من ثقات القراء (فتثبتوا) والهيكل المرسوم "فنسوا" يحتمل الوجهين.

ونقول: قرأ حمزة والكسائي وخلف فتثبتوا من التثبيت وقرأ غيرهم فتبينوا من التبيّن والقراءتان متواترتان (٥).

خامسا: قوله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا انفسكم﴾ (٦).

يقول: يدور حديث حول غضب موسى عليه السلام حين علم بصنع بني إسرائيل عجلا من

---

(١) انظر القراءات في نظر المستشرقين، ص٩٩؛ النشر، ابن الجزري، ٢/٢٦٩– ٢٧٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) سورة التوبة، آية ١١٤.

(٣) انظر القراءات في نظر المستشرقين، ص٩٩–١٠٠.

(٤) سورة النساء، آية ٩٤.

(٥) النشر، ابن الجزري، ٢/٢٥١.

(٦) سورة البقرة، آية ٥٤.

ذهب وعبادتهم إياه. فهو يقول :(يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم. فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم) اي فليقتل بعضكم بعضا أو بالمعنى الحرفي للنص (فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم) وهذا ينطبق في الواقع على ما جاء في سفر الخروج فصل ٣٢ فصله ٢٧ الذي هو مصدر الكلمات القرآنية وربما كان مفسرون قدماء معتد بهم (مثل قتادة البصري) قد وجدوا هذا الأمر بقتل أنفسهم أو بمقتل الآثمين منهم أمرا شديد القسوة وغير متناسب مع الخطيئة، فأثروا تحلية الحرف الرابع من هيكل الحروف الصامتة (ما قىلوا) بنقطتين من أسفل بدل التاء المثناه من أعلى فقرأوا :"فأقيلوا أنفسكم" بمعنى حققوا الرجوع بما فعلتم أي بالندم على الخطيئة المقترفة، وهذا المثال يدل فعلا على أن ملاحظات موضوعية قد شاركت في سبب اختلاف القراءة، خلافا للأمثلة السابقة التي نشأ الاختلاف فيها من مجرد ملابسات فنية ترجع إلى الرسم" (١).

ونقول: أن هذه القراءة التي ابتدعها جولدتسهير لم يقل بها أحد ولم تنسب إلى قارىء فكيف يحتج بها على ما يريد اثباته. ثم أنه لا يكتفي بالاحتجاج بها بل يجعلها أصلا يعتمد عليه ليقرر مجموعة من النتائج التي خلص اليها خلال ما نقلناه من كلامه فمن هذه النتائج أنه أورد خلال كلامه أن سفر الخروج هو مصدر الكلمات القرآنية ومن أين له هذه النتيجة وكيف ساقها على أنها مسلمة ليس فيها افتراء؟

ومن النتائج ايضا أن هناك ملاحظات موضوعية شاركت في سبب اختلاف القراءة وليس فقط الملابسات الفنية الراجعة إلى الرسم، وقد ضرب ذلك المعنى المقصوة من (فأقيلوا أنفسكم) مثالا على الملاحظات الموضوعية.

وليس هذا فحسب بل اتهم قتادة- وهو أحد علماء التفسير- بأنه قرأ الآية كذلك وفسّرها على هذا المعنى الذي بينه جولدتسهير "وقد نقل الطبري عن قتادة تفسير الآية كما يلي:

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، ص١٠-١١.

قال قتادة :(فاقتلوا أنفسكم) قاموا صفين فقتل بعضهم بعضا حتى قيل لهم كفوا... قال قتادة: كانت شهادة للمقتول وتوبة للحي"[1].

"وقال ابن كثير: قال قتادة أمر القوم بشديد من الأمر فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضا حتى بلغ الله فيهم نقمته فسقطت الشفار من أيديهم فأمسك عنهم القتل فجعل لحيهم توبة وللمقتول شهادة"[2].

ثم يقول جولدتسهير: "ويبدو أن نفس هذه الظاهرة توجد في آيتي ٨-٩ من سورة الفتح، وهنا يخاطب الله محمدا ﷺ: "إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا" فبدلا من "وتعزروه" بالراء المهملة الذي معناه وتساعدوه قرأ بعضهم :"وتعزوره" بالزاي المعجمه بمعنى :وتعظموه وأنا لا استبعد أن يكون من دواعي تغيير النص على هذا الوجه خشية تصور أن الله ينتظر من الناس مساعدة أو معونة.

نعم ورد في القرآن احيانا دون اعتراض من القراء معنى أن الله سينصر من ينصره (آية ٤٠ من سورة الحج، آية ١٧ من سورة محمد، وراجع :"وينصرون الله ورسوله" في الآية ٨ من سورة الحشر) لكن ربما سمح لفظ نصر المرادف للمساعدة والمعونة، والمستعمل في جميع المواضع المشار اليها، بفهم معنى النصر الأدبي (بالطاعة والامتثال)، دون أن يصور تصويرا جهيرا معنى المساعدة المادية كما يصوره لفظ عزز المستعمل هنا (والمتفق مع لفظ عازر العبري) وقد كان مجرد اضافة نقطة واحدة كافيا في ازالة ذلك الايهام، فانتقل المعنى من تقديم المعونة لله إلى تعظيم الله وهو تصرف في النص سنتناوله من قرب في مساق هذا الفصل"[3].

---

(١) تفسير الطبري، تفسير سورة البقرة، الآية ٥٤، ج١/٢٨٧، ط/ ١٤٠٥/ ١٩٨٤، دار الفكر، بيروت.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١/٩٢.

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، ص١١-١٢.

ونقول:

١- إن هذه القراءة التي ابتدعها جولدتسهير لم يقرأ بها أحد من ائمة القراءات فهي مختلقة مبتدعة، وإن كان الرسم يحتملها، لكن المعول عليه هنا التواتر.

٢- إن لفظة وتعزروه "بالراء" معناه التعظيم والتفخيم بينما "وتعززوه" تعني تنصروه وتساعدوه وعلى هذا فلو كانت القراءة بالزاي لكان الأمر خلاف ما قصد جولدتسهير لأن لفظ "تعززوه" يصور معنى المساعدة تصويرا جهيرا بالعربية على عكس ما ادعى.

٣- لم يستبعد جولدتسهير أن يكون من دواعي تغيير النص خشية تصور أن الله ينتظر عون الناس ومساعدتهم، وهذا فهم سقيم للغة العربية فمعنى قوله تعالى :"وينصرون الله" أي وينصرون دين الله وقد ورد مثل هذا المعنى في عدة آيات منها ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [١] وكذلك ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ [٢].

ثم ضرب جولدتسهير أمثلة للقراءات الناتجة عن اختلاف في حركات الاعراب أو التعريف فضرب مثلا بقوله تعالى : ﴿ما تنزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين﴾ [٣]. فقد ذكر في قوله تعالى: (ننزل) ثلاث مرات:

الأولى: "ننزل" بنونين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة بعدها زاي مشددة مكسور ثم لام.

الثانية: (تَنزِل) بتاء مفتوحة، فنون ساكنة فزاي مكسورة ثم لام.

الثالثة (تُنزل) بتاء مضمومة فنون ساكنة فزاى مفتوحة مخففة ثم لام.

يقول: لكن الذي تواترت قراءته في هذه الآية ثلاث قراءات:

الأولى كما ذكرها

الثانية "تنزل" بتاء مضمومة فنون مفتوحة فزاي مفتوحة مشددة فلام.

---

(١) سورة محمد، آية ٧.

(٢) سورة الحج، آية ٤٠.

(٣) سورة الحجر، آية٨.

الثالثة "تنزل" بتاء مفتوحة ونون وزاى مفتوحتان مع تشديد الزاي ثم لام"[1].

أما القراءتين الأخريين اللتين ذكرهما فهما من صنعه واختراعه، وهذا دليل على أن إهمال الشكل ليس من العوامل المؤدية إلى تولد القراءات، بل إن القراءات لا يؤخذ منها الا ما تواتر.

أما ما سوى ذلك فمردود على من جاء به وإن وافق رسم المصحف ووافق وجها في اللغة. ثم ضرب مثلا آخر بقوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ [2].

فقد ذكر في الآية قراءتين جديدتين:

الأولى :"ومِن عِندِه علمُ الكتاب".

والثانية :"ومِن عِندِه عُلِمَ الكتاب".

ونقول: القراءة الأولى قراءة شاذة قرأ بها الحسن والمطوعي[3] ، والقراءة الثانية شاذة كذلك. وهذا يكفي دليلا على أن المعول عليه في القراءات هو التواتر، فاذا تحقق هذا الشرط اعتمدت القراءة واذا انتفى انتفت معه القراءة.

يقول جولدتسهير: وقد يحدث أن يستبعد المعنى المفهوم من النص المشهور تماما، ويوضع مكانه ما هو نقيضه، ويقدم مطلع سورة الروم ذكرا لاحدى العلاقات التاريخية المعاصرة التي يندر ورودها في القرآن، "غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون" فعلى التفسير المشهور تتضمن الآية انعكاس الاثر الذي تركه في نفس محمد ﷺ انتصار الفرس على الروم سنة ٦١٦م وقد وصل إلى أهل مكة، وقد رحب المشركون بهزيمة النصارى، اذ كانوا يميلون إلى الفرس، أما محمد ﷺ فقد ساء تأثره من هزيمة النصارى اذ كانوا على كل حال أقرب إلى عاطفته، ولكنه في نفس الوقت عبر عن ثقته بأن

---

(١) النشر، ابن الجزري، ج٢/٣٠١.

(٢) سورة الرعد، آية٤٣.

(٣) اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، البنا الدمياطي.

الدائرة ستدور قريبا على الفرس، وسيستدير حظ الحرب وجهة أخرى، وفي هذا يرى المسلمون دليلا على نبوة محمد ﷺ، لأنه تنبأ بانتصار هرقل على الفرس (سنة ٦٢٥) م وأخبر به على وجه التأكيد ولكن الجملة التالية لم تذكر لنا حقا مثل هذا التحديد لحدث تاريخي خاص يستحق وقوعه يوما ما، وانما يريد محمد ﷺ أن يعبر بوجه عام عن أمله في تقلب الحظ، فالروم الآن مغلوبون، ولن يمضي وقت طويل حتى يصيروا غالبين، هذه هي سنة التاريخ المتقلبة الأطوار.

بيد أن الجميع لم يتفقوا على قراءة النص كما سبق، بل قرىء ايضا "غلبت الروم" بالبناء للفاعل، وهذا راجع إلى نصر احرزه الروم تواً على قبائل عربية تقع على الحدود السورية في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم (من اضافة المصدر للفاعل) سيغلبون (بالبناء للمفعول في بضع سنين، والمسلمون الذين اجازوا هذه القراءة يرون فيها إخبارا بالنصر الذي احرزته الجماعة الاسلامية الفتية على البيزنطيين بعد هذا الوحي بتسع سنين".

ونرى أن في القراءة المشهورة، والقراءة المخالفة لها تأويلين متغايرين تغاير بعيدا فالمنتصرون في القراءة المشهورة هم المنهزمون في القراءة المخالفة، والفعل المبني للفاعل في الأولى مبنى للمفعول في الثانية، واذا فهما قراءتان وتأويلان لجملة واحدة من كلام الله متعارضان إلى أبعد مدى [١].

ورداً عليه نقول:-

١- إن هذه القراءة التي ذكرها ليست من القراءات المتواترة بل هي قراءة نسبت إلى بعض الصحابة، وإذا لم تتواتر القراءة فلا يعتد بها ولا تعتبر، وهذا السبب يكفي في الرد على ما ادعاه من التناقض [٢].

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسيهر، ص٣٠-٣١.

(٢) لم ترد هذه القراءة في كتب القراءات المعتمدة كالنشر والتيسير والاتحاف مما يدل على أنها ليست قراءة.

٢- أن الشبهة التي أثارها حول هذه الآيات لا قيمه لها، فعلى فرض صحة القراءتين وتواترهما فقد رد جولدتسهير بنفسه ودفع التناقض بقوله: (غلبت الروم بالبناء للفاعل، راجع إلى نصر أحرزه الروم توا على قبائل عربية تقع على الحدود السورية) في حين أثبت أن وجه القراءة الأولى (غلبت الروم) بالبناء للمفعول يشير إلى المعركة التي حصلت بين الفرس والروم وانتصر فيها الفرس على الروم.

٣- إن سبب نزول الآيات يؤكد رد القراءة الثانية التي أقام زيهر شبهته عليها، وسبب النزول أن المشركين كانوا يفرحون بانتصار الفرس على الروم لأن المشركين والفرس يشتركون في أنهم ليسوا أهل كتاب بينما المسلمون والنصارى أهل الكتاب، فلما حصل النصر للفرس على الروم فرح المشركون بذلك واخذوا يعتزون على المسلمين بذلك ويقولون لهم سنغلبكم كما غلبت الفرس الروم، فأنزل الله تعالى هذه الآية أن الروم قد غلبوا في تلك الواقعة، وأنهم سيغلبون الفرس في بضع سنين[1].

٤- وأمر اخر هو أن جولد زيهر ذكر في كلامه أن الرسول ﷺ عبر عن ثقته بأن الدائرة ستدور قريبا على الفرس، وأنه بوجه عام يأمل في تقلب الحظ لصالح والروم، كما هي سنة التاريخ المتقلبة الأطوار، وعلى ذلك فهو لا يعترف بهذه النبوءة الصادقة التي تنبأ بها القرآن الكريم قبل حصولها ببضع سنين. إن الذي يرجو ويتأمل لا يحدد وقتا لأمله، فاذا حدد وقتا فهو متيقن لا متنبيء فقط.

ولقد كان الاخبار بهذه النصر وبتوقيته ببضع سنين إخبارا بأمرين كل منهما خارج عن متناول الظن، فقد كانت دولة الروم من الضعف بمكان لا يمكن لاحد أن يتنبأ بنصرها ولو بعد نصف قرن من الزمان، فقد غزيت في عقر دارها، وضيعت كثيرا من املاكها، ولذلك عندما حدد القرآن المدة ببضع سنين شك المشركون في ذلك حتى تراهنوا مع أبي بكر الصديق على انتصار الروم في تلك المدة المضروبة.

ويذكر جولدتسهير قصر الرهان ويعترف أن أبا بكر كسب الرهان وتصدق به، ولم

---

(١) أسباب النزول، أبي الحسن الواحدي، ص٢٣١-٢٣٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥.

يكتف القرآن الكريم بذلك الوعد بل ذكر أمراً جديدا لم يكن في حسبان أحد، ذكر أن المؤمنين سيفرحون في ذلك اليوم بنصر الله تعالى لهم قال تعالى: ﴿آلم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ [(١)] لقد حدد القرآن أن الروم سينتصرون على الفرس، وأن ذلك النصر سيكون في بضع سنين، وأن في نفس اليوم الذي سينتصرون فيه سيفرح المؤمنون بنصر الله لهم، فهذه وعود قاطعة لا تدل على أمل متأمل، ورجاء راج، بل تدل قطعاً على يقين متيقن، ووعد متحقق.

ولقد كان ما أخبر به القرآن الكريم، وعلى الوجه الذي أخبر به تماما فبعد سبع سنوات حصلت موقعة فاصلة بين الروم والفرس وانتصر فيها الروم نصر حاسما، وفي ذلك اليوم بالذات كانت المعركة الأولى التي انتصر فيها الاسلام على الشرك، معركة بدر الكبرى وصدق وعد الله، وتحقق ما أخبر به وكذب جولد زيهر وبطل ما يلوح به من شبهات وما يروجه من زيغ وضلال [(٢)].

وينفذ جولد زيهر بعد ذلك إلى شبهة جديدة يقول فيها: "أن عدداً من القراءات المخالفة للنص المتلقى بالقبول يجد الباعث اليه في الخشية من السماح باستعمال عبارات متصلة بالله ورسوله تبدو غير لائقة أو غير متفقة من وجهة النظر إلى وجوب تعظيم الله ورسوله، وهنا أراد بعض القراء استبعاد هذا التخوف من صدور ما لا يليق بتغيير سير في النص على نحو طريقة (تقون سوفريم) في نص العهد القديم، وإن كان هناك حقا فرق بين الطريقيتين فان التغييرات اللفظية التي أجريت بباعث اللياقة وحسن الأدب في النص الأصلي للعهد القديم، قد وصلت إلى اعتماد نهائي، على حين لم تنجح دائما مثل هذه

---

(١) سورة الروم، آية ١-٤.

(٢) أسباب النزول، الواحدي، ص٢٣٢.

التغييرات في نص القرآن للاحتفاظ بوجودها في النص المتلقى بالقبول"[1] ثم ضرب لذلك بعض الأمثلة، فقال:

وستشير بعض الأمثلة نوع هذه التغييرات التدريبية: النص المشهور للآية (١٨) من سورة آل عمران (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم) أدرك بعضهم ما تشيره شهادة الله لنفسه لا سيما مع قرن ذكره بالملائكة وأولي العلم أنهم شاهدون معه، فاستعانوا على علاج ذلك بالاستعاضة عن قراءة الفعل (شهد الله) بصيغة الجمع (شهداء الله) رابطين ذلك بالسياق في الآية السابقة على أن يكون المعنى (الصابرين والصادقين، شهداء الله أنه لا اله الا هو والملائكة الخ ...

بيد أن من احدثوا التعديل المذكور لم يجروا مثله في الآية (١٦٦) من سورة النساء، "لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون" فتركوها دون تغيير لصعوبة التعديل بها"[2].

نقول:

١- إن الخشية من السماح باستعمال عبارات متصلة بالله ورسوله تبدو غير لائقة لا يمكن أن تكون هذه الخشية سببا في إحداث تغييرات بكتاب الله تعالى ولو كان لأحد أن يغير في كتاب الله لكان الرسول ﷺ أحق الناس بذلك، وقد توعده الله تعالى بشديد النكال والعذاب إن غيّر حرفا واحدا قال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾[3].

٢-لم تكن هناك تغييرات تقصد إلى سيادة وجه معين من وجوه القراءة والغاء ما سواه اذ لم يكن لأحد أن يغير ويبدل كما يدعي جولد زيهر بل القراءات المتواترة كلها تبقى ولا يستطيع أحد أن ينكرها.

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد زيهر، ص٣١-٣٢.

(٢) المصدر السابق، ٣٢-٣٣.

(٣) سورة الحاقة، آية ٤٤-٤٧.

٣- أما بالنسبة للمثال الذي ذكره فإن القراءة التي أوردها "شهداء الله" قراءة مفرطة في الشذوذ والإنكار اذ لا يعرف مصدرها [١] ثم أن جولدتسهير رد على نفسه بالآية التي ذكرها من سورة النساء (لكن الله يشهد) وكان حقا عليه لو كان عنده شيء من ا لعقل أو المعرفة أن يعرض عن تلك الشبهة عندما قرأ آية النساء وعرف أنه يصعب تعديلها لتقرأ بطريق مشابهة للآية الأولى التي بنى عليه شبهته، ثم أن شهادة الله تعالى لنفسه بالقيام بالعدل بين عباده لا تمس مقام الالوهية السامي ولا تتعرض له من قريب ولا من بعيد، ثم ذكر أمثلة كثيرة نختار منها هذا المثال: قوله تعالى : ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ [٢] .

فقد ذكر أنه نقل عن بعض العلماء أنه استبعد قراءة نفسها بضم النون الأولى وسكون الثانية، مع كسر السين من النسيان، مع أنها قراءة متواترة لا مغمز فيها ولا مطعن في طريقها ثم ذكر في الآية ثلاث قراءات أخرى.

١- تَنْساها بتاء مفتوحة فنون ساكنة فسين مفتوحة فالف، وهذه قراءة شاذه أنها ليس لها سند صحيح كما أنها لا توافق أي وجه من وجوه اللغة العربية اذ أن الفعل المضارع هذا محله الجزم، والجزم يقتضي حذف الألف.

٢- نَنْسأهْا:- بنون مفتوحة فنون ساكنة فسين مفتوحة فهمزة ساكنة من الإنساء وهي التأخير: وهي قراءة متواترة ثابتة.

٣- ننساها بنون مفتوحة فنون ساكنة فسين مفتوحة فألف بدون همز، وهي كالقراءة التي قبلها لفظا ومعنى فهي من الانساء بمعنى التأخير لكن همزتها أبدلت ألفا .

"فقول جولد تسهير باسناد النسيان إلى الله تعالى خطأ فاحش اذ لو كانت من النسيان لكانت هكذا (ننسها) بحذف الالف عطفا للفعل المجزوم على الفعل المجزوم قبله،

---

(١) لم يذكرها أحد من أصحاب كتب القراءات المعتمدة.

(٢) سورة البقرة، آية ١٠٦.

وليس هناك قراءة بهذا الضبط (ننساها) لافي المتواتر، ولا في الصحيحة ولا في الشاذة ولا فيما وراء ذلك[1] .

هذه هي أهم الشبهات التي ساقها جولد زيهر عن القراءات القرآنية في مطلع كتابه (مذاهب التفسير الاسلامي) وقد ناقض نفسه عشرات المرات وتخبط في كثير من المواطن، وهو يحاول ابراز الشبهة بوضوح وجلاء لكنه يقع في مزلق يبين دحض شبهته وانقطاع حجته أمام أدنى من له علم أو اطلاع، لقد بنى كتابه من أوله إلى آخره على متناقضات كثيرة واكاذيب يضلل بها على الناس وكان نصيب القراءات القرآنية من أكاذيبه واضاليله ما يسود وجه (٧٢) صفحة من كتابه البالغ عدد صفحاته (٣٩٦) صفحة.

وبعد أن ذكرنا رأي شيخ المستشرقين ومفترياته على القراءات القرآنية وبينا ما يكفي في الرد عليها، لا بد من ذكر، رأى أحد كبار تلامذة الاستشراق، الذين نهلوا من ثقافة الغرب امشاجا متضاربة من فنون الثقافة فعادوا إلى بلادهم يبثون سموم الفكر الغربي بين أبناء جلدتهم ويطعنون في كتاب ربهم وأصول دينهم.

فهذا الدكتور طه حسين يورد في كتابه (في الشعر الجاهلي) كلاماً من القراءات القرآنية عندما تعرّض للهجات العربية وعلاقتها بالشعر الجاهلي.

وفي ثنايا كلامه عن القراءات القرآنية، نلمح قلة معرفته بهذا الموضوع الذي خاض فيه وخرج منه بنتائج مستخلصة متوهما أن هذه النتائج التي خرج بها صحيحة علما بأنه بناها على مقدمات فاسدة.

يقول طه حسين: "وهناك شيء بعيد الأثر لو أن لدينا أو لدى غيرنا من الوقت ما يمكننا من استقصائه وتفصيل القول فيه، وهو أن القرآن الذي تلي بلغة واحدة ولهجة هي لغة قريش ولهجتها، لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءته، وتعددت اللهجات فيه، وتباينت تباينا كثيرا جد القراء والعلماء المتأخرون في ضبطه وتحقيقه، وأقاموا له علما أو علوما خاصة ولسنا نشير هذا إلى هذه القراءات التي تختلف فيما بينها

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين، عبد الفتاح شلبي، ص١٤٣.

اختلافا كثير في ضبط الحركات سواء أكانت حركات بناء أو حركات اعراب، ولسنا نشير إلى اختلاف القراء في نصب "الطير" في الآية "يا جبال اوبي معه والطير" أو رفعها، ولا الى اختلافهم في بناء الفعل للمجهول أو للمعلوم في الآية "غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون" لا نشير إلى هذا النحو من اختلاف الروايات في القرآن فتلك مسألة معضلة، نعرض لها ولما ينشأ عنها من النتائج اذا اتيح لنا أن ندرس تاريخ القرآن، وانما نشير إلى اختلاف آخر في القراءات يقبله العقل ويسيغه النقل، وتقتضيه ضرورة اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع ان تغير حناجرها والسنتها وشفاها، لتقرأ كما كان يتلوه النبي وعشيرته من قريش، فقرأته، كما كانت تعلم، فأمالت حيث لم تكن تميل قريش، ومدت حيث لم تكن تمد، وقصرت حيث لم تكن تسكن، وادغمت او اخفت او نقلت حيث لم تكن تدغم ولا تخفي ولا تنقل" [1].

إن النتيجة التي قررها طه حسين في هذا الكلام هي ان الذين اسلموا من مختلف القبائل هم الذين غيروا وبدلوا في القرآن الكريم حسب لهجاتهم والسنتهم، وانهم لم يستطيعوا ان يغيروا السنتهم ليقرأوا القرآن كما كان يقرأه النبي وعشيرته من قريش، فقرأوه كما كانوا يعرفون ، وبما يناسب ألسنتهم لا كما علمهم النبي ﷺ .

وهذه النتيجة المفتراة ينبغي لنا أن نتوقف عندها قليلا لنرد عليها بما يسقطها ويكشف زيفها ، حتى ينجلى الحق واضحا مسفرا، فالحقيقة التي لا غموض فيها أن لهجة قريش لم تكن محلية او مقصورة على عشيرة قريش فحسب بل كانت لهجة عامة تعرفها معظم قبائل العرب كما كانت أفصح وأعرب اللهجات العربية على الاطلاق .

أما كونها لهجة عامة تعرفها معظم قبائل العرب فلأن قريشا كانوا أصحاب النفوذ

---

(١) في الشعر الجاهلي، طه حسين، ط١، دار الكتب المصرية، ص٣٣-٣٤؛ وانظر: في الأدب الجاهلي، طه حسين، ط٢، دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٤، ص٩٤-٩٥؛ نقض كتاب في الشعر الجاهلي، الإمام محمد الخضر حسين، ص١١١، ط١٣٩٧/٢/١٩٧٧.

الديني والسياسي والاقتصادي ، هيأ لهم ذلك سكنهم في مكة المكرمة حيث البيت الحرام الذي لا ينقطع عنه الحجاج والزوار فقد كانوا بسدانتهم للبيت الحرام سادة العرب، وأصحاب النفوذ فيه وكانت تجارتهم تغدو وتروح آمنة مطمئنة، ومن حولهم يتخطف الناس ويقتتلون قال تعالى: ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ (١) . فكان هذا النفوذ الديني والسلطان السياسي والاقتصادي عاملا قويا في فرض هيمنة اللهجة القرشية على ما سوى قريش من القبائل ولهجاتهم .

وأما كونها أفصح اللهجات العربية، فلأن قريشا كانوا أكثر القبائل احتكاكا بالناس واختلاطا بهم ومعاملة لهم فكانت القبائل تأتي حاجة او معتمرة او متاجرة فيتكلمون بلغاتهم، فيختار القرشيون أفصح ذلك الكلام فيتكلمون به ثم يشيع ذلك بينهم على أنه من لغتهم ولهجتهم .

قالت قتادة: "كانت قريش تجتني أفضل لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغتها فنزل القرآن بها" (٢) .

وقال ابن فارس: "أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لاشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب وأصفاهم لغة، ذلك ان الله تعالى اختارهم من جميع العرب، واختار منهم محمدا ﷺ فجعل قريشا قطّان حرمه وولاه بيته، فكانت وفود العرب في حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج، ويتحاكمون الى قريش في أمورهم، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة السنتها اذا اتتهم الوفود من العرب تخيروا

---

(١) سورة العنكبوت، آية ٦٧ .

(٢) قتادة بن دعامة من قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (١١٨هـ/٧٣٦م) مفسر حافظ، قال الإمام أحمد: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث رأسا في العربية ومفردات اللغة. انظر: تهذيب التهذيب، ٨/٣٥١-٣٥٦؛ وانظر المعارف، ابن قتيبة، ص٢٠٣؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/١٢٢ .

من كلامهم وأشعارهم وحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب" [(١)].

وقال ابو نصر الفارابي في أول كتابه (الالفاظ والحروف) : كانت قريش أجود العرب انتقاءا للافصح من الالفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس" [(٢)].

وقال الرافعي رحمه الله : "فنوع الحضارة الذي اكتسبوه من تاريخهم ألان من طباعهم وكر من صلابتهم، فاتفقت في ذلك حياتهم اللغوية وحياتهم الاجتماعية القائمة بالتجارة وتبادل العروض مع أصناف الناس، فلما اجتمع لهم هذا الامر ارتفعت لغتهم عن كثير من مستبشع اللغات ومستقبحها، وبذلك مرنوا على الانتقاد حتى رقت اذواقهم وسمعت طبائعهم وقويت سلائقهم وحتى صاروا في آخر امرهم أجود العرب على انتقاء الأفصح من الالفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق بها وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس، وكذلك كانوا يضربون في الارض الى فارس والى الحبشة فسمعوا مناطق الناس وتدبروا وجوه العذوبة في أعذبها، وتناولوا كثيرا من الفاظ تلك الامم فدخلت كلامهم واعربوا من الرومية والفارسية والعبرانية والحبشية والحميرية، وعلى ذلك صاروا بطبيعة ارضهم في وسط العرب كأنهم مجمع لغوي يحوط اللغة ويقوم عليها ويرفع من شأنها ويزيد من ثروتها، وبالجملة يحقق فيها كل معاني الحياة اللغوية" [(٣)].

---

(١) الصاحبي، ابن فارس، طبعة القاهرة سنة ١٩١٠، ص٣٣؛ وانظر: المزهر، ١/١٢٧.

(٢) محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ، أبو نصر الفارابي (٣٣٩هـ/٩٥٠م) أكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل، مستعرب، انتقل إلى بغداد فنشأ فيها وألف فيها أكثر كتبه ورحل إلى مصر والشام، توفي بدمشق، له تصانيف كثيرة. انظر: طبقات الأطباء، ص٦٠٣-٦٠٩؛ الذريعة، ١/٦٦، ٢/٢٣٦؛ شذرات الذهب، ٢/٣٥٠-٣٥٤.

(٣) تاريخ آداب العرب، الرافعي، ج٢، ص٨٥-٨٦، ط٢/١٣٩٤-١٩٧٤، دار الكتاب العربي، بيروت.

وكان للأسواق العربية التي تعقد باستمرار في عكاظ وذي المجاز ومجنه[1] أثر كبير في صقل لغة قريش وانتقائهم لكثير من الألفاظ المستحسنة في اللهجات الأخرى، اذ كان الشعراء والخطباء يقفون في هذه الأسواق فيتبارون في فصيح الكلام.

يقول الفراء: كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب فيما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ[2].

من هذا كله نعلم أن لغة قريش كانت هي اللغة ذات السيادة والسيطرة لا في مكة وحدها بل في الجزيرة العربية كلها، اذ كان معظم العرب يستطيعون التحدث بها بطلاقة، وهذا الامر يقرره طه حسين حيث يقول :"فالمسألة اذن هي أن نعلم أسادت لغة قريش ولهجتها في البلاد العربية واخضعت العرب لسلطانها في الشعر والنثر قبل الاسلام أم بعده، أما نحن فنتوسط ونقول: إنها سادت قبيل الاسلام حيث عظم شأن قريش وحين أخذت مكة تستحيل إلى وحدة سياسية مستقلة مقاومة للسياسة الأجنبية التي كانت تتسلط على أطراف البلاد العربية... وأن قريشا كان لها سلطان سياسي حقيقي ولكنه قوي في مكة وما حولها وهذا السلطان السياسي كان يعتز بسلطان اقتصادي عظيم، فقد كان مقدار عظيم جدا من التجار في يد قريش وكان هذا السلطان يعتز بسلطان ديني قوي مصدره الكعبة التي كان يحج اليها أهل الحجاز، وغير أهل الحجاز من عرب الشمال

---

(١) قال الواقدي: عكاظ بين نخلة والطائف، وذو المجاز خلف عرفة ومجنّة بمر الظهران، وهذه أسواق قريش والعرب. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٢٣، ج٤، ص١٤٢؛ وانظر: أساس البلاغة، الزمخشري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٣.

(٢) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء أبو يعلى (٤٥٨هـ/١٠٦٦م) عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون. انظر: طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، ٢/١٩٣-٢٣٠؛ تاريخ بغداد، ٢/٢٥٦، دار الكتاب العربي، بيروت؛ شذرات الذهب، ٣/٣٦٠.

فقد اجتمع لقريش اذن سلطان سياسي واقتصادي وديني، وأخلق بمن يجتمع له هذا السلطان أن يفرض لغته على من حوله من أهل الجاهلية..... إن لغة قريش اذن هي هذه اللغة العربية الفصحى فرضته على قبائل الحجاز فرضا لا يعتمد على السيف وانما يعتمد على المنفعة وتبادل الحاجات المدنية والسياسية والاقتصادية وكانت هذه الأسواق التي يشار اليها في كتب الادب كما كان الحج وسيلة من وسائل السيادة للغة قريش[1].

فاذا كان هذا ما يقره طه حسين ويعترف به فكيف يسوغ له أن يقول إن القبائل قد غيرت في هذا القرآن حسب لهجاتها وألسنتها، وقرأت ما يوافق ألسنتها خلافا لما نزل به القرآن الكريم.

ومن ناحية أخرى فقد كان الصحابة الذين تلقوا القرآن الكريم على درجة عالية من التثبت والامانة فيما يحفظون ويروون، ولقد بذلوا دماءهم وأموالهم في سبيل هذا الدين العظيم فكيف يفرطون بالقرآن ويتهاونون بشأنه وهو الاصل الأول من أصول هذا الدين، واذا كان الرسول ﷺ لا يستطيع أن يغير شيئا من القرآن أو يبدله فكيف يستطيع سواه أن يفعل ذلك. قال تعالى: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن ابدله من تلقاء نفسي أن اتبع الا ما يوحى الي اني أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[2].

ولقد ثبت أن الاختلاف في القراءة وقع بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم وهما قرشيان وقد ترافعا إلى الرسول ﷺ فبين لهما أن القرآن أنزل على سبعة أحرف[3].

---

(١) في الأدب الجاهلي، طه حسين، ص١٣٣-١٣٦.

(٢) سورة يونس، آية ١٥.

(٣) انظر صحيح البخاري، ط استانبول، ١٣١٥هـ، ج٦/١٠٠؛ صحيح مسلم، طبعة استانبول، ١٣٣٣هـ، ٢/٢٠٢؛ سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط القاهرة، ١٩٥٠، ٢/١٠١؛ سنن الترمذي شرح الإمام ابن العربي، طبع القاهرة ١٩٣١، م١١/٦٦.

وقد قدمنا في روايات حديث الاحرف السبعة كيف كان كل واحد من الصحابة يحتج على مخالفه بقوله أقرأنيها رسول الله ﷺ كما حدث بين عمر وهشام وكذلك بين أبي بن كعب والصحابة الذين اختلفوا معه، وكانوا يترافعون إلى الرسول ﷺ فيبين لهم مشروعية قراءتهم بقوله لكل واحد منهم "هكذا أنزلت".

وقد تصدى عدد من العلماء للرد على افتراءات طه حسين منهم محمد عبد المطلب حيث يقول: وهذه همزة من همزات الاستاذ ما أغناه عن مثل هذا... وعبارته تشعر هنا أن القراءات من عمل البشر الذي اقتضته طبيعة الاختلاف في لهجاتهم، وما أجرأ من يقول بمثل هذا، إنما القراءات سنة متبعة عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه الذي أنزله على وفق هذه اللهجات رفقا بأولئك الذين قد لا يستطيعون من العرب أن يقوموا السنتهم على لغة قريش أولا لأن أول نزوله كان فيهم وهم أكثر الناس لزاما للرسول ﷺ ثم لما تدافعت القبائل المختلفة إلى الأسلام أنزل الله على رسوله القراءات رحمة بعباده إنه الغفور الرحيم[(١)].

ويقول الشيخ محمد الخضر حسين: " الكتاب عنوانه في الشعر الجاهلي ولكن مؤلفه أولع كثيرا بوثبات فجائية يقع بها على الطعن في القرآن فيضاهي قول الذين تساقطوا على عدائه والصد عن سبيله من قبل، هل من أدب الدرس أن يسوق المعلم بنفسه مسألة لم يضطره البحث الى ذكرها ثم يقول لطلابه، تلك مسألة معضلة نعرض لها من بعد، وهل يليق بذي علم يؤلف في الشعر الجاهلي أن يكب على كتب الدعاة إلى غير الاسلام وينبشها ليستخرج من شبهها ما يلصقه بأذهان هذه الناشئة قبل أن تشتد في الدفاع عن الحقائق فئاتها.

إنك لتجد اولئك الدعاة يتوسلون باختلاف القراءات إلى قذف القرآن بالاختلاف أو

---

(١) مقال في الصفحة الأولى من الأهرام، عدد ٢ مايو ١٩٢٦، بعنوان الشعر الجاهلي والأستاذ طه حسين، محمد عبد المطلب؛ وانظر: معارك طه حسين الأدبية والفكرية، سامح كريم، ص٧٩-٨٠.

التحريف وكذلك فعل المؤلف حيث نقّر في القراءات ولم يبال أن تكون شاذة، والتقط منها بعض آيات بدا له أن في اختلاف قراءتها ما يلبس حقائق الاسلام بالريبة فأوردها في نسق ورماها بالاعضال وما هي بمعضلة على أحد ولكن المؤلف يعجب بالشبهة أكثر من الحجة ويؤثر لهو الحديث على الحكمة، والمسألة بحثها العلماء وقرروها على وجه خالص من كل شائبة، وهو اذا عرض لها ولما ينشأ عنها من النتائج لا يقول فيها الا كما قال في الشعر الجاهلي وأنت تعلمون أنه لم يزد على أن نهب واضطرب ثم افتخر وهجا [(١)].

---

(١) نقض كتاب الشعر الجاهلي، محمد الخضر حسين، ص١١٢-١١٣، ط٢/١٣٩٧-١٩٧٧.

الباب الثالث

شبهاتهم على قضايا إسلامية

إن أعداء الاسلام ما فتتئوا دائما يدسون في هذا الدين ما ليس منه، وما لم يقله الرسول ﷺ فهم يهدفون إلى إشاعة الانحلال الأخلاقي بين الشباب والفتيات، حيث يزينون لهم الخروج على آداب الأسلام واخلاقه بحجة أنها رجعية وتخلف، ويزينون لهم الانصراف إلى العبث واللهو، وفقدان المثل العليا، وضياع الشخصية بحجة أن ذلك كله تقدم وتمدن، وأنه علامة الرقي والحضارة. فليتنبه المسلمون لمخططات أعداء الأسلام، وليكونوا على حذر.

وفي هذا الباب نبين بعض القضايا التي تعرض لها المستشرقون بقصد الاساءة لدين الله، وهي قضايا تتعلق بالعقيدة وبالنظام الاجتماعي والنظام السياسي والاقتصادي في الإسلام.

الفصل الأول

المبــــــحث الأول

موقف المستشرقين من قصة الغرانيق

الشبهة:

جاء في الموسوعة التاريخية للقرون الوسطى التي أصدرتها جامعة كمبريدج والمستشرق كارل بروكلمان ما يلي: "اعترف النبي في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، وأشار اليهن في إحدى الآيات الموحات- كذا - اليه بقوله :تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتهن ترجى، ثم قوى شعور النبي بالوحدانية فلم يعترف بغير الملائكة شفعاء عند الله، وجاءت السورة الثالثة والخمسون وفيها إنكار لأن تكون الالهة الثلاثة بنات الله"[(١)].

وقد قطع هذا المستشرق بثبوت هذه الروايات لورودها في تفسير الطبري[(٢)] دون أن يشير إلى صحة هذه الروايات، وإلى أن الطبري يورد كثيرا من الأحداث دون الأشارة إلى صحتها أو عدمه.

وذهب المستشرق سيروليم موير إلى القطع بصحة هذه الرواية لورودها في كتب السيرة والتفسير، وذلك أن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة لم يمض على هجرتهم غير ثلاثة أشهر أجارهم النجاشي اثناءها واحسن جوارهم، فلم يكن قد ترامى اليهم خبر الصلح بين محمد وقريش لما دفعهم دافع إلى العود حرصا على الأتصال بأهلهم وعشائرهم، وأنّى يكون صلح بين محمد وقريش اذا لم يسع محمد اليه، وقد كان في مكة أقل نفرا واضعف قوة، وقد كان أصحابه اعجز من أن يمنعوا أنفسهم من أذى قريش ومن تعذيبهم اياهم[(٣)].

---

(١) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص٦٥، نقلاً عن كتاب دراسات تاريخية باللغة الإنجليزية، ص١-٢٢.

(٢) تفسير الطبري، ج٧/١٣٣، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨، ١٩٧٨.

(٣) حياة محمد، محمد حسنين هيكل،، ص١٦٢.

وقد أخذ بعض كتاب السيرة وبعض علماء التفسير بهذه الحادثة مستندين إلى الأدلة التالية: قال الله تعالى:

١- ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا، اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ [(١)] . فهذه حجة ضعيفة حيث أن الله يقول (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم أي أن الله ثبت نبيه وتلك هي العصمة فالنبي معصوم عن الوقوع في الكفر فضلا عن المعاصي. وقوله تعالى:

٢- ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليحصل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وأن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ [(٢)] .

وقد فسر بعضهم كلمة (تمنى) في الآية بمعنى قرأ، وفسرها آخرون بمعنى الأمنية المعروفة ويذهب هؤلاء وأولئك ويتابعهم المستشرقون إلى أن النبي بلغ منه أذى المشركين وأصحابه، اذ كانوا يقتلون بعضهم، ويلقون بعضا في الصحراء يلفحهم لظى الشمس المحرقة، وقد أوقروهم بالحجارة كما فعلوا ببلال حتى اضطر إلى الأذن لهم في الهجرة إلى الحبشة، كما بلغ منه جفاء قومه اياه واعراضهم عنه، ولما كان حريصا على أسلامهم ونجاتهم من عبادة الاصنام تقرب اليهم وتلا سورة النجم، واضاف اليه حكاية الغرانيق فلما سجد سجدوا معه، واظهروا له الميل لاتباعه ما دام قد جعل لالهتهم نصيبا مع الله [(٣)] .

ملخص قصة الغرانيق كما أوردها ابن كثير:

أن النبي لما رأى تجنب قريش اياه، وايذاءهم لأصحابه تمنى فقال: ليته لا ينزل عليّ

---

(١) سورة الإسراء، اية ٧٣-٧٥.

(٢) سورة الحج، آية ٥٢-٥٣.

(٣) حياة محمد، محمد حسنين هيكل، ص١٦٢.

شيء ينفرهم مني، وقارب قومه ودنا منهم ودنوا منه، فجلس يوما في ناد من تلك الأندية التي تقوم حول الكعبة، فقرأ عليهم سورة النجم حتى وصل قوله "أفريتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى" ثم قرأ بعد ذلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى ثم مضى في قراءة السورة حتى آخرها وسجد، وسجد القوم جميعا لم يتخلف منهم أحد حتى أن الوليد بن المغيرة لهرمه لم يستطع السجود، فحمل في كفه حفنة تراب وسجد عليها. [(١)]

وجاء في البخاري: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق، سمعت الأسود عن عبد الله قال: قرأ النبي ﷺ والنجم، بمكة، فسجد فيها، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حمى أو تراب فرفعه إلى جبهته، وقال يكفيني هذا... [(٢)]

وجاء في البخاري ايضا: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والأنس". [(٣)] ومن الملاحظ أن روايات البخاري لم ترد فيها قصة الغرانيق، وهذا مما يدل على ضعفها.

الرد على هذه التهمة:

احتوى كثير من الكتب الاسلامية عددا من الخرافات الصغيرة، ومما لا ريب فيه أنها مدخولة عليها أيام غفلة المسلمين، وغلبة الدسائس اليهودية على أفكارهم ومخطوطاتهم.

وقد تلقف أعداء الأسلام هذه الخرافات، وتشبثوا بها لتشويه الاسلام، والطعن في كتابة الذي هو الأساس المتين الذي بني عليه هذا الدين. ومن هذه الروايات حديث الغرانيق الذي ورد في كثير من كتب التفسير بروايات واهية لاسند لها وتلقفها المستشرقون للطعن في رسالة النبي ﷺ.

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٣/٢٢٩؛ الطبري، ج٧/١٣٢؛ الشفا، القاضي عياض، ج٢/٢٨٨-٢٨٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج١٠/٢٣٨.

(٣) المرجع السابق، ج١٠/٢٣٧.

وفيما يلي قائمة الأدلة والبراهين على بطلان هذه القصة.

أ- دلالة القرآن على بطلانها. ب- دلالة السنة على بطلانها.

ج- دلالة اللغة على بطلانها. د- دلالة التاريخ على بطلانها.

هـ- دلالة العقل على بطلانها. و- دلالة العلم على بطلانها.

ز- أدلة أخرى.

أما القرآن:

لقد وردت آيات متعددة في كتاب الله تدل على بطلان هذا القول وهي الأساس الدالة على أن الله لم يجعل للشيطان سلطانا على النبي ﷺ، واخوانه من الرسل، واتباعهم المخلصين. قال الله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ [١]. أي أن الشيطان ليس له حجة على المؤمنين في أغوائهم ودعائهم إلى الضلالة، حيث أنهم يفوضون أمورهم إلى الله في كل قول وفعل فالايمان بالله، والتوكل عليه يمنعان الشيطان من وسوسته لهم، وانما تسلطه بالاغواء يكون على الذين يتخذونه ولياً ويطيعونه في وساوسه. [٢]

٢- وقال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين﴾ [٣]، أي ليس لك عليهم تسلط وتصرف بالإغواء الا من اختار اتباعك منهم لغوايته فهؤلاء يكون لك عليهم سلطان.

٣- وقال تعالى: ﴿ما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة﴾ [٤] فالآيات القرآنية المتقدمة تدل دلالة واضحة على أن الشيطان لا يتسلط على النبي ﷺ، خاصة في

---

(١) سورة النحل، آية ١٠٠.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ج٣/١٩٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) سورة الحجر، آية ٤٢.

(٤) سورة سبأ، آية ٢١.

شأن التنزيل والقرآن الكريم ولو حصل ذلك لحصل الشك الباطل في شأن القرآن الكريم وجوّز الفاسقون على مقتضاه أن يكون القرآن قد أصابه التغيير والتحريف، وجوزوا ايضا أن النبي ﷺ وهو مبلغ الرسالة قد أصابه الخرف وابتعد عن رسالته، وذلك باطل فما يؤدي اليه باطل بلا ريب[١].

وقال تعالى : ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾[٢] ، وعلى القول المزعوم أن الشيطان ألقى على لسانه ﷺ ذلك الكفر البواح فأي سلطان له أكبر من ذلك[٣].

وقال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى﴾[٤] ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾[٥].

فلو حصل مثل هذا الشيء الذي ورد في حكاية الغرانيق لكان مناقضا لما ثبت من الآيات في كتاب الله تعالى والتي تقدمت.

والآية التي احتج بها مدعو هذه الحكاية نفسها تتضمن تثبت النبي ﷺ على عدم مداهنة قريش مطلقا.

"ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا" وقريش رغبت في المداهنة ولكن الرسول ﷺ لم يذعن لطلبهم لتثبيت الله له[٦] . وكلمة لولا تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل على أن ذلك الركون القليل لم يحصل، ولقوله تعالى : ﴿فلا تطع المكذبين ودوالو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين﴾[٧].

---

(١) خاتم النبيين، أبو زهرة، ج١/٤١٦.

(٢) سورة إبراهيم، آية ٢٢.

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي، ج٥/٧٢٩، مطبعة المدني.

(٤) سورة ن، آية ٩-١١.

(٥) سورة الحاقة، آية ٤٤.

(٦) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص٦٧.

(٧) سورة ن، آية ٩/١١.

أي تمنوا لو تلاينهم وتصانعهم بترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه فيفعلون مثل ذلك بترك بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك [١].

وقال تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾ [٢] لما بين الله تعالى أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشيطان ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما لهم وما يستطيعون﴾ [٣] أكد ذلك بأن بين أن محمداً ﷺ لا يصلح لأن ينزلوا عليه، لأنهم انما ينزلون على كل من اتصف بالافك الكثير وقال تعالى في حق القرآن الكريم: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [٤]. وقال: ﴿وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [٥] أي أن القرآن محفوظ بحفظ الله له، فلا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات، فهذه الآيات القرآنية تدل على بطلان هذا القول المزعوم.

وبعد ذكر هذه الآيات نقول: لقد قامت الحجة، واجمعت الأمة على عصمة الرسول ﷺ ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، وحاشاه عن أن يجري على قلبه أو لسانه شيء من ذلك لا عمدا ولا سهوا، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو أن يتقول على الله عز وجل لا عمدا ولا سهوا.

الأدلة من السنة على بطلان هذه القصة:

إن قصة الغرانيق مع استحالتها في الشرع، ودلالة القرآن على فسادها فهي لم تثبت عن طريق صالح للاحتجاج وقد صرح به عدد كبير من العلماء بفسادها وبطلانها.

ومع أن علماء التفسير يروون هذه القصة عن ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي

---

(١) جواهر التفاسير، مصطفى محمد المليجي، ص٤٨١، ط١.

(٢) سورة الشعراء، آية ٢٢١.

(٣) سورة الشعراء، آية ٢١٠-٢١١.

(٤) سورة الحجر، آية ٩.

(٥) سورة فصلت، آية ٤٢.

صالح، عن ابن عباس، ومعلوم أن الكلبي متروك [1].

وقال ابن كثير: ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق ولكنها من طرق مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم. وبعد أن سرد عددا من الروايات قال في آخرها وكلها مرسلات ومنقطعات والله أعلم.

جاء في هامش زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي: "والحق أن روايات هذه القصة معلة بالأرسال والضعف والجهالة وليس فيها رواية صحيحة تصلح للاحتجاج، بل فيها ما لا يليق بمقام النبوة والرسالة، وذكر في معظمها أن الشيطان تكلم على لسان رسول الله ﷺ بما فيه مدح لأصنام المشركين بهذه الجملة الباطلة "تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى" وكيف يكون مثل ذلك مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله ﷺ، وذلك مما يدل على عدم صحة هذه الروايات سندا ومتنا [2].

ويقول القاضي عياض: "فأعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله والثاني على تسليمه.

أما المأخذ الأول: فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل- بل رواه جماعة بأسانيد ضعيفة واهية مقطوعة أو موضوعة أو مرفوعة وأنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم" [3].

وقال أبو بكر بن العلاء المالكي- المشهور بابن العربي: "لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول :انه في الصلاة، وآخر يقول: قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة، وآخر يقول :قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول: بل حدث نفسه

---

(١) أضواء البيان، الشنقيطي، ج٥/ ٧٣٠، مطبعة المدني.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج٥/٤٤١ الهامش.

(٣) الشفا القاضي عياض، ج٢/٢٨٩، النسخة المحققة، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة الفارابي.

فسها وآخر يقول: إن الشيطان قالها على لسانه... وأن النبي ﷺ لما عرضها على جبريل قال: ما هكذا أقرأتك وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ قرأها فلما بلغ النبي ﷺ ذلك: والله ما هكذا أنزلت، إلى غير ذلك من اختلاف الرواة.

ومن رويت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية، والمرفوع فيها حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: فيما أحسب- الشك في الحديث أن النبي ﷺ كان بمكة- وذكر القصة [(١)] .

وقال أبو بكر البزار: هذا لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا... ولم يسنده عن شعبة الا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وانما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

ثم قال والكلبي متروك [(٢)]

وقال البيهقي:

هي غير ثابتة من جهة النقل. [(٣)]

وقال ابن خزيمة وابن اسحق:

إن هذه القصة من وضع الزنادقة.[(٤)]

وأبطلها الفخر الرازي في تفسيره، وابن العربي المالكي [(٥)] واعتبرها ابن حزم كذب بحث لأنها لم تصلح من طريق النقل ولا معنى للاشتغال بها [(٦)] .

---

(١) الشفا، القاضي عياض، ج٢/٢٩٠-٢٩١، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة الفارابي.

(٢) المرجع السابق، ج٢/٢٩١-٢٩٢.

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ج٣/٤٦٢؛ التفسير الكبير، الرازي، جلد ١٢/٥١.

(٤) فتح القدير، الشوكاني، ج٣/٤٦٢؛ التفسير الكبير، الرازي، جلد ١٢/٥١.

(٥) التفسير الكبير، الرازي، جلد ١٢/٥٠ وما بعدها.

(٦) الملل والنحل، ابن حزم، ج٤/٢٣.

وأما قراءته ﷺ سورة النجم وسجود المشركين ثابت في الصحيح، ولم يذكر فيه شيء عن قصة الغرانيق.

روى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم، وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن"[1] وليس فيه حديث الغرانيق.

واذا نظرنا إلى واقع النبي ﷺ في دعوته، نجد أنه أعلن الحرب على الوثنية من يومه الأول، فلم يُعرف عنه أنه تقرب لصنم بل قال: بغض إليّ الأوثان والشعر"[2].

وقد أشار محمد ناصر الدين الألباني إلى روايات هذه القصة كلها معلّة بالارسال والضعف والجهالة، فليس فيها ما يصلح للاحتجاج به ولا سيما مثل هذا الأمر الخطير، كما أنه مما يؤكد ضعفها بل بطلانها ما فيها من الاختلاف والنكارة مما لا يليق بمقام النبوة، واليك البيان:

١- في الروايات كلها وجلها أن الشيطان تكلم على لسان النبي ﷺ بتلك الجملة الباطلة التي تمدح أصنام المشركين (تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى).

٢- بعض الروايات تذكر أن المؤمنين سمعوا ذلك من النبي ﷺ ولم يشعروا بأنه من الشيطان بل اعتقدوا أنه وحي الرحمن.

٣- في بعض الروايات أن النبي ﷺ سهى حتى قال ذلك. أفلا ينتبه من سهوه؟؟

٤- وفي إحدى الروايات أن النبي ﷺ بقي مدة لا يدري أن ذلك من الشيطان حتى أخبره جبريل بذلك.

٥- وفي رواية أن ذلك ألقى عليه وهو يصلي.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج١٠/٢٣٧، الطبعة المصرية.

(٢) نور اليقين، محمد الخضري، ص٢٨، النسخة المحققة، نايف العباس، محيي الدين مستو.

(٣) الإسلام أمام افتراءات المفترين، توفيق علي وهبة، ص٧٢، نقلا عن كتاب نصب المجانيق لنسف الغرانيق، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ج١، المكتب الإسلامي، ١٣٧٢هـ، بتصرف.

٦- في بعض الروايات أنه عندما أنكر جبريل ذلك على الرسول ﷺ، قال: وافتريت على الله ما لم يقل وشركني الشيطان في أمر الله، فهذه طامات يجب تنزيه الرسول منها لا سيما الافتراء على الله من قبل الرسول ﷺ.

٧-تذكر بعض الروايات أن النبي ﷺ تمنى أن لا ينزل عليه شيء من الوحي يسبّ آلهة المشركين لئلا ينفروا عنه، فهذه أمور تدل على بطلان القصة سندا ومتنا.

وقد أقام أبو بكر بن العربي المالكي الأدلة على بطلان هذه القصة، وفيما يلي موجزا لأهم النقاط التي أوردها:-

١- أن النبي ﷺ اذا أرسل الله اليه الملك بوحيه فانه يخلق له العلم به حتى يتحقق أنه رسول من عنده، ولولا ذلك لما صحت الرسالة ولابينت النبوة.

٢- أن الله قد عصم رسوله من الكفر، وأمته من الشرك، وأجمعت الأمة على عصمة الرسول، فمن ادعى أنه يجوز عليه أن يكفر بالله، فقد تخلى عن الأيمان.

٣- أن الله عز وجل عرف رسوله بنفسه وبصّره بأدلته، وأراه ملكوت سماواته وأرضه وعرّفه سنن من كان قبله من أخوته فلم يكن يخفى عليه من أمر الله ما نعرفه اليوم.

٤- الرواية القائلة بأن النبي ﷺ لما جلس مع قريش تمنى أن لا ينزل عليه من الله وحي. فكيف يجوز لمن معه أدنى مسكة أن يخطر بباله أن النبي ﷺ آثر وصل قومه على وصل ربه، وأراد أن لا يقطع أنسه بهم بما ينزل عليه من عند ربه من الوحي الذي كان حياة جسده وقلبه، وأنس وحشته وغايه أمنيته.

٥- إن قول الشيطان (تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتهن لترتجى) للنبي ﷺ قبله منه، فالتبس عليه الشيطان بالملك، واختلط عليه التوحيد بالكفر حتى لم يفرق بينهما، فهذا لا يقبله أحد، فكيف يخفى هذا على الرسول.

٦- إن قول العربي (كاد يكون كذا) معناه قارب ولم يكن فأخبر الله في هذه الآية أنهم قاربوا أن يفتنوه عن الذي أوحى اليه، ولم تكن فتنة ثم قال: ﴿لتفترى علينا غيره﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء، آية ٧٣.

٧- ولم يفتر، ولو فتنوك وافتريت لاتخذوك خليلا، فلم تفتن ولا افتريت ولا اتخذوك خليلا ﴿ولولا أن ثبتناك﴾[١] .

٨- (لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) فأخبر الله سبحانه وتعالى أن ثبته وقرر التوحيد والمعرفة في قلبه، وضرب عليه سرادق العصمة وآواه في كنف الحرمة، ولو وكله إلى نفسه، ورفع عنه ظل عصمته لحظة لألممت بما رموه، ولكننا أمرنا عليك المحافظة وأشرقنا بنور الهداية فؤادك فاستبصر وأزاح عنك الباطل ودحر، فهذه الآية نص في عصمته من كل ما نسب اليه فكيف يتأولها أحد عدواً عما نسب اليه من الباطل.

٩- قوله (فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه) ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾[٢] فأما غمه وحزنه فبأن تمكن الشيطان مما تمكن مما يأتي بيانه، وكان النبي ﷺ يعز عليه أن ينال الشيطان شيئا وإن قل تأثيره.

١٠- إن قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته﴾[٣] هي أصل في براءة النبي ﷺ فأخبره الله تعالى أن من سنته في رسله، وسيرته في أنبيائه أنهم اذا قالوا عن الله قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه كما يفعل سائر المعاصي.

كما تقول: ألقيت في الدار كذا... فهذا نص في أن الشيطان زاد في الذي قاله النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ قاله، وذلك أن النبي ﷺ كان اذا قرأ تلا قرآنا مقطعا، وسكت في مقاطع الآي سكونا محصلا، وكذلك كان حديثه مترسلا فيه. متأنيا فتبع الشيطان تلك السكنات التي بين قوله ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾[٤] .

---

(١) سورة الإسراء، آية ٧٤.

(٢) سورة الحج، آية ٥٢.

(٣) سورة الحج، آية ٥٢.

(٤) سورة النجم، آية ٢٠.

وبين قوله تعالى ﴿لكم الذكر وله الأنثى﴾[1]. فقال يحاكي صوت النبي ﷺ (وإنهن الغرانقه العلى وأن شفاعتهن لترتجى) فأما المشركون والذين في قلوبهم مرض لقلة البصيرة وفساد السريرة، فتلوها عن النبي ﷺ، ونسبوها بجهلهم اليه حتى سجدوا معه اعتقادا أنه معهم، وعلم الذين أوتوا العلم والايمان أن القرآن حق من عند الله، فيؤمنون به، ويرفضون غيره... الخ[2].

٣- دلالة اللغة على بطلانها:

إن اللغة تشير إلى دفع هذه التهمة الباطلة، وقد قام الشيخ محمد عبده بتحليل (حكاية الغرانيق) حيث أشار إلى أن العرب لم يصفوا آلهتهم بالغرانيق قطعا فلم يأت لهم في نظم ولا في خطب ولم يكن ذلك جاريا على ألسنتهم، ولم يستعمل (الغرنوق) و (الغرنيق الا لاستعماله الحقيقي بكونه طائرا مائيا أسود أو أبيض واسمه- مالك الحزين- واستعمل لغة بشكل مجازي للشاب الأبيض الجميل[3]. اذا نظرنا إلى كلام الأستاذ محمد عبده فاننا نجد أن لفظ الغرانيق لا يلائم وصف الآلهة عند العرب ولا معناها.

٤- دلالة العقل على بطلانها:

أ- إن كتب السير تذكر أن النبي ﷺ في بداية الدعوة ما كان يصلي عند البيت الا في أوقات الخلوة، وذلك لشدة عداء قريش له لأنهم كانوا حريصون على عدم سماع القرآن، وقد ذكرت كتب السير أن الصحابة كانوا يخرجون إلى بطاح مكة للاجتماع والصلاة خشية إيذاء قريش لهم، واطلع عليهم نفر من سفهاء قريش فناكروهم وعابوا عليهم دينهم

---

(١) سورة النجم، آية ٢١.

(٢) أحكام القرآن، أبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، ج٣/١٣٠٠-١٣٠٢، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد علي البيجاوي.

(٣) مشكلات القرآن الكريم، محمد عبده، ص٨٠-٨١، مكتبة الحياة، بيروت؛ حياة محمد، محمد حسنين هيكل، ص١٦٥-١٦٦.

فاقتتلوا حتى أن سعد بن أبي وقاص ضرب رجلا من المشركين بلحي بعير فشجه فكان أول دم أريق في الاسلام [(١)].

ب- أن من جوز على الرسول ﷺ تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ ركز على نفي الأوثان.

جـ- إن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر، فكيف أجمعوا على نه عظم آلهتهم حتى خروا سجدا مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم.

د- قوله (فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) وذلك لأن أحكام الآيات بازالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التي تبقي الشبهة معها. فاذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآنا فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلا أولى".

هـ- لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك، ويبطل قوله تعالى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك، وإن لم تفعل فيما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ [(٢)]. فانه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي والزيادة فيه [(٣)].

فبعد هذا العرض يظهر لنا بطلان هذه الحادثة في العقل، وقد كان ورودها بخبر الآحاد وخبر الآحاد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة.

٥- دلالة العلم على بطلانها:

أن التمحيص العلمي لهذه الحادثة يثبت عدم صحتها وأول الدلائل على ذلك:

---

(١) سيرة ابن هشام، ج١/٢٦٣.

(٢) سورة المائدة، آية ٧٦.

(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج١٢/٥١-٥٢.

أ- تعدد رواياتها، واليك هذه الروايات:

١- (تلك الغرانيق العلى أن شفاعتهن لترتجى).[1]

٢- ورواها بعضهم (الغرانقة العلا أن شفاعتهم ترتجى).

٣- وجاء في بعض الروايات (أن شفاعتهن ترتجى) دون ذكر الغرانقة أو الغرانيق.

٤- وفي رواية (وأنها لهي الغرانيق العلا).

٥-وفي رواية (وأنهن لهن الغرانيق العلا وأن شفاعتهن لهي التي ترتجى).

٦- وفي رواية (تلك الغرانيق لعلى منها الشفاعة ترتجى) فهذا التعدد في الروايات لا (يدل على صحتها، وانما هي من وضع الزنادقة كما قال ابن اسحاق وابن خزيمة. والغرض من ورودها التشكيك في رسالة محمد ﷺ.[2]

٦- عدم احتمال سورة النجم لمسألة الغرانيق- أي أن النص يأباها- فسياق الآيات لا يمكن أن يحتمل استطرادا من هذا القبيل لأنه مصبوب على تسفيه الكفار فالآيات تقول: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى أفرأيتم اللات والعزى- ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذاً قسمه ضيزى، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، أن يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾[3].

فهذه الأيات تصرح بأن اللات والعزى أسماء سماها المشركون وآباؤهم، ما أنزل الله بها من سلطان، فكيف يحتمل أن يجري السياق بما يأتي أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلا أن شفاعتهن ترتجي، ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمه ضيزى، إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان"

---

(١) سيرة الرسولﷺ، محمد عزة دروزة، ج١/٢١٣، قطر؛ فتح القدير، الشوكاني، ج٣/٤٦١.

(٢) حياة محمد، محمد حسنين هيكل، ص١٦٥؛ محمد رسول الله ﷺ، محمد رضا، ص٩٩، دار الكتب العلمية؛ ابن كثير، ج٣/٢٢٩-٢٣٠؛ تفسير الطبري، ج٧/١٣٣.

(٣) سورة النجم، آية ١٨-٢٣.

فهذا السياق يحتوي على الفساد والاضطراب والتناقض، ويشتمل على مدح اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ثم ينتقل إلى ذمها في أربع آيات متعاقبة وهذا أمر لا يرضاه العقل السليم فكيف مر عليهم التقريع الشديد والامتهان البالغ الذي أعقب هذه الكلمات التي سرتهم وشرحت صدورهم (أفرأيتم اللات...... الخ) واين كانت عقول قريش وعلمهم بفنون القول؟ وكيف يسجدون مع رسول الله وهم يسمعون ذم آلهتهم.

٧- **صدق النبي ﷺ يأبى صحة قصة الغرانيق**. ويدل على استحالتها. قد سلمت قريش بصدق الرسول ﷺ منذ طفولته حتى وصفوه بالصادق الأمين، وقالوا له عندما جمعهم عند الصفا ليدعوهم إلى الله (ما جربنا عليك كذبًا قط).

واذا كان الرسول لا يكذب على الناس فهل يقول عاقل بأنه يدع الكذب على الناس، ويكذب على الله، إن هذا أمر مستحيل يعرفه من اطلع على إيمان السلف الصالح، ونفوسهم الطاهرة: لقد وقعت هذه القصة بعد عشر سنوات من البعثة، تحمل النبي ﷺ خلالها صنوف الأذى وأنواع العذاب لتثبيت دعائم الايمان في النفوس، وأمد الله الاسلام برجال أقوياء كعمر وحمزة وغيرهم، فبعد أن أعز الله دينه، يقول النبي ﷺ ما لم يوح اليه؟؟ أن هذا لكذب وافتراء على رسول الله ﷺ وصدق الله اذ يقول ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى﴾[1] ويقول ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾[2]. أي لو كذب محمد ﷺ على الله باختلاف كلام عليه لقطع عنقه بنص الكتاب الذي جاء به.

شهادة التاريخ على بطلان هذه القصة

١- إن الهجرة إلى الحبشة كانت في السنة الخامسة من النبوة في شهر رجب، وكانت السجدة في رمضان من السنة نفسها[3] أي قبل اسلام حمزة وعمر لأنهما أسلما في

---

(١) سورة ن، آية ٩-١١.

(٢) سورة الحاقة، آية٤٤.

(٣) الطبقات، ابن سعد، ج١/١٣٨.

السنة السادسة [(١)] ومن المعروف أن المسلمين كانوا قبل اسلام عمر يتسترون في عبادتهم حتى أنهم ما كانوا يستطيعون الصلاة عند الكعبة، فكيف يقال أن الرسول ﷺ سجد عند الكعبة وسجد معه القوم جميعا؟؟

يقول عبد الله بن مسعود :"ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم قاتل قريش حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة [(٢)] . فهذا يدل على أن هذه الحادثة مختلقة وباطلة.

قال المستشرق سيروليم موير: إن حمزة وعمر أسلما في السنة السادسة من النبوة [(٣)]، وقال أن المسلمين لم يعودوا يخفون صلاتهم في منازلهم بل كانوا بعدئذ يجتمعون حول الكعبة ويصلون وهم آمنون مطمئنون.

إن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة عادوا إلى مكة بسبب ما بلغهم من تحسن الأحوال، أو أنهم سمعوا اشاعة كاذبة تطمئنهم فقدموا من شوال سنة خمس الا أنه لم يدخل أحد منهم الا بجوار، إلاّ عثمان بن مظعون فانه دخل بلا جوار، ومكث قليلا ثم أسرع الرجوع إلى الحبشة لأن المسلمين كانوا لا يزالون يُضْطَهدون وكان النبي ﷺ يعيب الأصنام. كل هذه البراهين تدل على كذب حادثة الغرانيق، أو أن النبي ﷺ ذكر آلهة قريش بخير" [(٤)] . قد أشار المستشرق الايطالي (كايتاني) إلى كذب هذه الرواية بعد ن تحقق منها. [(٥)]

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ص٤٤٩.

(٢) سيرة ابن هشام، ج١/٣٤٢.

(٣) قال الذهبي: أسلم عمر في السنة السادسة من النبوة، وله سبع وعشرون سنة. مختصر سيرة الرسول ﷺ، الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص١٠٣.

(٤) محمد رسول الله ﷺ، محمد رضا، ص١٠٢؛ سيرة ابن هشام، ج١/٢٧٠.

(٥) المرجع السابق، ص١٠٣.

٢- رد الدكتور عمر فروخ على المستشرق بروكلمان الذي أورد حكاية الغرانيق فقال: "وأمسك المبشرون وبعض المستشرقون بهذه الروايه، وزعموا أن الرسول إنما فعل ذلك لمّا قاومه مشركو مكه، فأحب أن يتقرب منهم، فمدح آلهتهم فعدّوا هذا تراجعا عن تشدده في التوجية ومهاجمة الأصنام، ولقد وجدت أن أحسن رد على هذه الضربة ما ذكره العالم الهندي مولانا محمد علي.

قال: إن هذه الرواية وردت عند الواقدي وعند الطبري، ومع ذلك لا ظل لها من الحقيقة، فان كل عمل من أعمال رسول الله مناقض لمثل هذا الاتجاه، اضف إلى ذلك أن الواقدي معروف بسرد الاسرائليات وبسرد الخرافات، وكذلك الطبري معروف بالجمع الكثير وباستقصاء الروايات مهما كان حظها من الصحة. على أننا لو رجعنا إلى رواية محمد بن أسحاق أو إلى صحيح البخاري وهو الذي لم يغادر من حياة الرسول شيئا الا ذكره، لم نر لقصة الغرانيق أثرا، وابن اسحاق جاء قبل الواقدي بأربعين سنة وقبل الطبري بنحو مائة وخمسين سنة أو تزيد، أما البخاري فقد كان معاصراً للواقدي. ومع ذلك لم يذكر هذه القصة، ثم أن الواقدي معروف عند المحدثين بأنه يضع الأحاديث، وأنه غير ثقة فيما يروي، وكذلك لم يذكرها أحد من رواة الحديث [١].

ما يترتب على هذه الرواية:

يلزم على هذه الرواية أمور كثيرة باطلة واليك بيانها:

١- تسلط الشيطان على رسول الله ﷺ، علما بأن الاجماع قائم على أنه معصوم من الشيطان، وخاصة فيما يبلغ عن ربه، وقد قال الله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [٢] وقال ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [٣].

فاذا كان ذلك بعباد الله المخلصين فكيف بسيد الخلق أجمعين".

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، ج١/٣٥؛ الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص٧٠.

(٢) سورة الحجر، آية ٤٢.

(٣) سورة النحل، آية ١٠٠.

٢- يلزم على هذه الرواية الزيادة في القرآن، وهذا أمر مستحيل على رسول الله ﷺ لأنه معصوم[(١)].

٣- يترتب عليها أن يعتقد النبي ﷺ ما ليس بقرآن أنه قرآن، مع كونه متناقضا مع ما ذكر معه في الآيات غاية التناقض وقد تقدم ذلك.

٤- يترتب على هذه الحادثة أن يكون النبي ﷺ مُقِرًا للمشركين على الباطل بل على الكفر، وهذا أمر مستحيل على رسول ﷺ.

٥-أن يكون النبي ﷺ على غير بصيرة فيما يوحى اليه لأنه اشتبه عليه ما يلقيه الشيطان بما يلقيه الملك.

٦- إن هذه الحادثة توجب تصور الشيطان بصورة الملك مليا على النبي ﷺ ولا يصح ذلك كما أوضحه القاضي عياض بالشفا.

وقال أبو بكر بن العربي: تصور الشيطان في صورة الملك ملبسا على النبي كتصوره في صورة النبي ملبسا على الخلق، وتسليط الله له على ذلك كتسليطه في هذا، فكيف يسوغ في لب سليم استجازة ذلك[(٢)].

٧- ويلزم على هذه القصة أن يكون للشيطان تسلط على وحي كل رسول وكل نبي زيادة على تسلطه على القرآن العزيز بقوله تعالى :"من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته" فان الآية تقتضي على تفسيرهم أن هذه عادة الشيطان مع أنبياء الله وصفوته من خلقه جميعا، اذ الضمير في (تمنى) يعود إلى ما قبله من الرسول العام، اذ

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري، ج٦/٤٨.

(٢) الشفا، للقاضي عياض، ج٢/٢٩٣-٢٩٨؛ مجلة نور الإسلام جلد٨، حديث الغرانيق، يوسف الدجوي.

هو نكرة واقعة في سياق النفي، وقد اقترنت بمن الاستغراقية، وهي حينئذ تكون نصا في العموم[1] .

أما من قال بأن النبي ﷺ تكلم بذلك ساهيا أو ناسياً فنرد عليه بما قرره العلماء في علم النفس بأن الأنسان لا يتكلم حال عدم الشعور الا بما يكون مستقرا في نفسه منتقشا في قلبه، مستوليا على لبه، فيظهر حينئذ على لسانه من غير قصد ولا رواية، وهل يمكن أحداً أن يقول أن مدح الأصنام استولى على نفس النبي ﷺ حتى ظهر على لسانه ساهيا أو ناعساً، وهذا لا يقول به عاقل لأن التاريخ والواقع يكذبه.

وقد أجمع العلماء على عصمته ﷺ من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا، أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه[2] .

قال الإمام النووي: "وأما ما يرويه الإخباريون والمفسرون أن سبب سجود المشركين مع رسول الله ﷺ ما جرى على لسانه من الثناء على الهتهم فباطل لا يصح منه شيء لا من جهة النقل ولا من جهة العقل. لأن مدح اله غير الله كفر ولا يصلح نسبة ذلك إلى رسول الله ﷺ ولا أن يقوله الشيطان على لسانه ﷺ ولا يصح تسلط الشيطان عليه، وإلا لزم عدم الوثوق بالوحي[3] .

وقال الألوسي في تفسيره: وأقبح الأقوال التي رأيناها في هذا الكتاب وأظهرها فسادا أنه ﷺ أدخل تلك الكلمة من تلقاء نفسه حرصا على إيمان قومه ثم رجع عنها، ويجب على قائل ذلك التوبة، كبرت كلمة خرجت من أفواههم أن يقولون الا كذبا، وقريب منه ما قيل

---

(١) مجلة نور الإسلام جلد٨، حديث الغرانيق، يوسف الدجوي؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري، ج٦/٤٨.

(٢) الشفا، القاضي عياض، ج٢/٢٩٣-٢٩٤.

(٣) محمد رسول الله ﷺ، محمد رضا، ص١٠٢.

أنها كانت قرآنا منزلا في وصف الملائكة عليهم السلام، فلما توهم المشركون أنه يريد عليه الصلاة والسلام مدح آلهتهم بها نسخت، وأنت تعلم أن تفسير الآية أي قوله تعالى (وما أرسلناه) الخ لا يتوقف على ثبوت أصل لهذه القصة [١].

وأما ما ذكره ابن حجر حيث قال: وتعدد الطرق وصحة ثلاثة منها، وأن كانت مرسلة يدل على أن للواقعة أصلا صحيحا" [٢].

فأسوق ما ذكره الشيخ محمد عبده في الرد عليه حيث قال: "أن العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين، فالحديث الذي يفيد خرمها ونقضها لا يقبل على أي وجه جاء، وقد عد الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الأخبار التي يجب القطع بكذبها، هذا لو فرض اتصال الحديث، فما ظنك بالمراسيل وانما الخلاف في الاحتجاج بالمرسل، وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الأعمال وفروع الاحكام لا في أصول العقائد، ومعاقد الايمان بالرسل، وما جاءوا به فهي هفوة من ابن حجر يغفرها الله له[٣].

ورد الشيخ عبد العزيز الدباغ على ابن حجر فقال: " وأما قول الحافظ ابن حجر رحمه الله، والحديث حجة عند من يحتج بالمرسل وكذا عند من لا يحتج به لاعتضاده بوروده من ثلاثة طرق صحاح فجوابه أن ذلك فيما يكفي فيه الظن من الأمور العملية الراجعة إلى الحلال والحرام، وأما الأمور العملية الاعتقادية فلا يفيد خبر الواحد في ثبوتها فكيف يفيد في نفيها وهدمها، فبان من هذا أن ما ذكره عياض غير مخالف للقواعد، بل ما ذكره الحافظ رحمه الله ورضي عنه هو المخالف لها، لأنه أراد أن يعمل بخبر الواحد في هدم العقائد، وذلك مخالف للقواعد [٤].

---

(١) روح المعاني، الألوسي، ج١٧/١٨٦، دار إجياء التراث العربي.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٩/٥٥.

(٣) مشكلات القرآن الكريم، محمد عبده، ص٨٧.

(٤) الابريز، عبد العزيز الدباغ، ص١٤٣، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

التوجيه الصحيح لهذه الآيات:

إن الآية تشير إلى أن الله تعالى ما أرسل رسولا من الرسل، ولا بعث نبياً من الأنبياء إلى أمة من الأمم إلاّ وذلك الرسول يتمنى الايمان لأمته، ويحبه لهم، ويرغّب فيه، ويحرص عليه كل الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة ومن جملتهم نبينا عليه الصلاة والسلام وقد خاطبه ربه ﴿لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾[١].

وقال تعالى : ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾[٤] .

ولكن الأمة اختلفت فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فأما من كفر فقد ألقى الشيطان في نفسه الوساوس القادحة في الرسالة الموجبة لكفره وكذا المؤمن أيضا لا يخلو من وساوس، لأنها لازمة للإيمان بالغيب في الغالب وأن كانت تختلف من شخص إلى آخر .

فمعنى تمنى: أنه يتمنى الايمان لأمته، ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح فهذه أمنية كل رسول ونبي.

وإلقاء الشيطان: يكون بما يلقيه في قلوب أمة الدعوة من الوساوس الموجبة لكفر بعضهم، ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم، ويحكم فيهم الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة، ويبقي الله ذلك في قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به.

---

(١) سورة الكهف، آية ٦.

(٢) سورة يوسف، آية ١٠٣.

(٣) سورة يونس، آية ٩٩.

(٤) سورة فاطر، آية ٨.

فتحصّل من هذا (الوساوس تلقى أولا في قلوب الفريقين معا غير أنها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين) [1].

والتفسير الصحيح لهذه الآية هو الذي يجمع بين ثلاثة أمور:

١- العموم الذي في أولها.

٢- التعليل الذي هو آخرها من قوله تعالى "ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض"، وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك".

٣- إعطاء الرسالة حقها.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤/٢٤٣١ وما بعدها، دار الشروق؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري، ج١١/ مجلد٦/٤٨، ط٣/١٣٩٤/١٩٧٤، المكتبة الإسلامية؛ فتح القدير، الشوكاني، ج٣/٤٦٢؛ الابريز؛ عبد العزيز الدباغ، ص١٤٤.

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من آيات الجهاد

يروج أعداء الأسلام من المستشرقين والمستغربين فرية خبيثة حول الجهاد وانتشار الاسلام فيزعمون أن الاسلام قد قام بحد السيف، وأن المسلمين استلوا سيوفهم لإرغام الناس على عقيدة الأسلام، كما أنهم يروجون أن الأسلام دين سلام ومحبة لا يشرع الجهاد فيه الا لرد العدوان الداهم ولا يرغب أهله في الحرب ما وجدوا إلى الأسلام من سبيل. وهم بذلك يرمون من وراء هذه التهمة إلى غايات وأهداف نذكرها بعد سرد أقوالهم:

أقوال المستشرقين:

١- يقول المستشرق فان فلوتين : (Fan Floten) وقد أصبح الأسلام بفضل ذلك النفوذ الذي كان يتمتع به الرسول دينا قويا قام بحد السيف وانتشر بين الشعب عن طريق الانذار والوعيد ولم يكن اعتناق أهل جزيرة العرب للأسلام، أو بالأحرى خضوعهم له نتيجة دعاية سليمة وادعة، فقد ارغم ما كان للنبي محمد من قوة ونفوذ بعض القبائل العربية من أهل البدو على الدخول في الأسلام[(١)] .

٢- يقول المستشرق ميور (Muir) إن الدعائم التي سار عليها محمد، وقد كانت سياسية محضة اذ أنه لم يكن قد أقر حتى ذلك الحين- يعني مذبحة بني قريظة- طريقة اكراه الناس على اعتناق الاسلام أو معاقبتهم على رفضه[(٢)] .

٣- ويقول المستشرق واشنجتون أرفنج (Irving W.) بدأت فترة هامة في حياة محمد، فقد ظل حتى الآن ينشر الاسلام معتمدا على الحجة والاقناع، صابرا على ما يلقاه من

---

(١) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، فان فلوتن، ص٥ .

(٢) آيات الجهاد في القرآن الكريم، كامل سلامة الدقس، ص٩٩، دار البيان، الكويت، ١٩٧٢ .

أذى المشركين حتى نزل كثير من الآيات تحث المسلمين على الجهاد، وتبشر من استشهد بالجنة وهكذا انتقل الاسلام من دور الحجة والاقناع إلى دور الجهاد والقوة، ولم يكن ذلك غريبا على العرب الذين عرفوا بالشجاعة والاقدام وحب القتال"[(١)].

٤- وتحدث المستشرق ويلس (Wells) تحت عنوان غدر محمد قائلا "كان دين الله الوحيد، قد بدأ بتعدد هجوم وغارات نحو قوافل مكة"[(٢)].

٥- وصرح المستشرق هاملتون جب (Gibb.H): إن الحروب الاسلامية عدوانية توسعية[(٣)].

٦- ويقول المستشرق الانجليزي مكدوناالد (Macdonald): "الجهاد" : نشر الاسلام بالسيف فرض كفاية على المسلمين كافة". ثم يقول : ومن ثم وجب الاستمرار في الجهاد إلى أن يدخل الناس كافة في حكم الأسلام[(٤)].

٧- وأما المستشرق الانجليزي أندرسون (Anderson) فيرى: إن الجهاد لا يتفق مع الاوضاع الدولية الحديثة لارتباط المسلمين بالمنظمات العالمية والمعاهدات الدولية، ولأن الجهاد هو الوسيلة لحمل الناس على الأسلام. واوضاع الحرية، ورقي العقول، لا تقبل فكرة تفرض بالقوة"[(٥)].

٨- ويصور المونسنيور كولى (M.Colly) الاسلام في كتابه (البحث عن الدين الحق) بهذه الصورة. "في القرن السابع برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الاسلام الذي أُسّس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه،

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) نفس المرجع، ص٩٩، نقلاً عن كتاب: Wells H. J. The out Line of The History, P. 600

(٣) دراسات في حضارة الإسلام، هاملتون حب، ص٥٠ وما بعدها.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة جهاد.

(٥) فقه السيرة، السيوطي، ص١٣٦، ط٧، دار الفكر، ١٣٩٨/١٩٧٨.

وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور، والسلب- ووعد الذين يهلكون في القتال- يستشهدون في سبيل الله- بالاستمتاع الدائم بالملذات (في الجنة) وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وافريقيا واسبانيا فريسة له، حتى ايطاليا هددها الخطر، وتناول الاجتياح جنوب فرنسا، لقد أصبحت المدنية مصابة، ولكن هياج هؤلاء الاشياع (المسلمين) تناول في الأكثر كلاب النصارى... ولكن انظر، ها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل (Charles M.) سدا منيعا في وجه الاسلام المنتصر عند بواتيه سنة ٧٥٢م ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين (١٠١٩- ١٢٥٤) في سبيل الدين. فتدجج أوروبا بالسلاح، وتنجي النصرانية، وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الانجيل على القرآن، وعلى ما فيه من قوانين الاخلاق الساذجة [١].

وقد نال هذا الكتاب رضا البابا ليون الثالث عشر سنة ١٨٨٧م وعاش في المدارس المسيحية في الشرق والغرب إلى اليوم [٢].

٩- واما المستشرق و.س نلسون (Nielson) فيقول: "لقد اخضع سيف الاسلام شعوب افريقيا وآسيا شعبا بعد شعب"[٣].

١٠- ويزعم المستشرق لطفي ليفونيان (Lavenant. L) أن تاريخ الاسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح [٤].

١١- وجاء في كتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة تأليف/ الأبناء ايسيدورس جـ٢/ ٢٩ ما يلي: " وكان يدعو الناس إلى التسليم بدعوته وقبولها في أول أمره بالحسنى والرفق

---

(١) البحث عن الدين الحق، المونسميور كولي، ص ٢٢٠، ط ١٩٢٨؛ الاستشراق والتبشير وصلتها بالامبريالية العالمية، ابراهيم خليل أحمد، ص٦٣، مكتبة الوعي العربي.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٦٣.

(٣) التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، ص٤١، ط٥.

(٤) نفس المرجع السابق، ص٤١.

واللين والرضى، ويتظاهر بعدم اكراه أحد وإلزامه قبول الاسلام وقد وردت بهذا الشأن نصوص كثيرة في القرآن لا محل لايرادها راجع سورة البقرة آية (٢٧٥)، وآل عمران آية (١٩)، والانعام آية (٦٦) وآية (١٠٤) وآية (١٠٧) ويونس آية (٩٩) و(١٠٠) والاحزاب آية (٤٧) والنمل آية (١٢٦) وبني إسرائيل آية (١٠٦) والزمر آية (٤٢).

ويظهر أنه كان مراعيا للظروف فقط وخاصة ظروفه، فتظاهر بدعوته الناس إلى قبول تعليمه غير مكرهين كان في حال ضعفه فلما اشتد ازره انقلب إلى العكس كما يعلم من نصوص أخرى عكس التي أشرنا اليها، راجع سورة البقرة آية (١٨٨) والتوبة آية (٥) وآية (٢٨) وآية (٧١) ومحمد آية (٤). والنساء آية (٨٣) و (٨٨) [١].

وبمراجعة الآيات التي أشار هذا المستشرق بأنها تدل على انتشار الاسلام بالسيف، واحتج بها نجد أن معظمها واردة في غير القتال، فالآية (١٨٨) من سورة البقرة وردت في النهي من أكل أموال الناس بالباطل. والآيتين (٨٣) و (٨٨) من سورة النساء وردت في الحديث عن أخلاق المنافقين وأحوالهم.

والآية (٧١) من سورة التوبة تتحدث عن المؤمنين وفضائلهم والآية الخامسة من نفس السورة تتحدث عن قتال من نكثوا عهدهم من المشركين.

١٢-وأما المستشرق بروكلمان (Brockel Mann. C) فيقول: كيف يتسق في عقل انسان مفكر موضوعي يبتغي الحقيقة أن ينادي الاسلام بحرية الفكر والمعتقد، ويدعي الحجة والاقناع كما ورد في قرآنه.

﴿لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [٢]. ﴿وقل الحق من ربكم، فمن شاء

---

(١) الاسلام أمام افتراءات المفترين، توفيق علي وهبة، ص٥٥، عن كتاب الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، الانبا ايسيدورس، ج٢/٩٢.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[1]. ﴿فأن تولوا فانما عليك البلاغ المبين﴾[2].

ثم يعتمد على السيف ليفرض نفسه على الشعوب؟ يتحتم على المسلم أن يعلن العداوة على غير المسلمين حيث وجدهم، لأن محاربة غير المسلمين واجب ديني[3].

ملخص هذه الفرية:

يمكن أن نلخص اراجيف المستشرقين والمستغربين الواردة على الجهاد الأسلامي والتي تقدم ذكر نصوصها بما يلي:

١- تصوير الأسلام بأنه يقوم على القهر والغلبة، فهو يعمل على فرض نفسه على الناس بالقوة.

٢- وكذلك يقوم على حرمان الناس من حرية الرأي والعقيدة.

٣- إن الأسلام سلك في سبيل نشر دعوته طريق الحرب.

٤- الحرب أصل الصلة بين الأسلام وشعوب الأرض، والسلم لا يكون إلا موقوتا لضرورة مؤقتة.

٥- عدم الإلتزام بالعهود والمواثيق[4].

أهداف المستشرقين والمستغربين من حملاتهم

إن ترويج أعداء الأسلام للفرية القائلة أن الأسلام قام بحد السيف، وأن المسلمين حملوا سيوفهم لارغام الناس على عقيدة الأسلام، إنهم يرمون من وراء ذلك إلى تحقيق أهداف كثيرة منها.

١- تثبيط مشاعر المسلمين الجهادية، والتقليل من شأن الجهاد، والتنفير منه، حتى يصلوا في النهاية إلى أنه لا ضرورة اليوم لهذه الأداة المروعة للناس.

---

(١) سورة الكهف، آية ٢٩.

(٢) سورة النحل، آية ٨٢.

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ص٧٨.

(٤) آيات الجهاد في القرآن الكريم، كامل سلامة الدقس، ص٩٨-٩٩.

٢- كما أنهم ارادوا أن يزرعوا في نفوس أبناء المسلمين الذين لم يبق لهم من الأسلام الا اسمه أن آباءهم واجدادهم دخلوا في الأسلام مكرهين خوفا من سيوف المسلمين وما دام لا خوف منهم اليوم فلا حاجة إلى الأسلام بل عليهم بدين عيسى وموسى دين السلام والرحمة والتسامح[1] ، وبعد ذكر أهداف المستشرقين من شبهاتهم يظهر لنا أن أعداء الأسلام قاموا بمحاولات ذكية ماكرة أرادوا بها تدمير ذروة سنام الأسلام من واقع المسلمين عن طريق تحريف معنى الجهاد، وتفريغه من مضامينه، ووضع قوى سرابية باردة مكانه يسهل عليهم أن يوجهوا ضدها ضرباتهم القاصمة.

محاولات التحريف في مفاهيم الجهاد:

يمكن تلخيص محاولات التحريف في مفاهيم الجهاد في سبيل الله التي كادنا بها أعداء الأسلام بما يلي:

١- استغلال ردود الأفعال الناتجة عن توجيه الاتهام. بعد فشل أعداء الأسلام في إبطال ركن الجهاد في سبيل الله من عقول المسلمين وقلوبهم، سلكوا سلاح المهاجمة عن طريق المستشرقين لهدم هذا الركن، وذلك بتوجيه التهم إلى الأسلام بأنه انتشر بقوة السيف لا بقوة الاقناع، وقام علماء الأسلام بالتصدي لهذه التهم الباطلة، فاستغل المستشرقون ردود الفعل الناتجة عن هذا الاتهام واستطاع أعداء الأسلام استدراج بعض المسلمين للدفاع عن فكرة الجهاد في سبيل ا لله بمفاهيم مبتدعة، تحصر الجهاد في سبيل الله ببعض مجالاته، وبعض دوائره وتزعم أن الأسلام لا يسمح بتجاوز هذه المجالات، وهذه الدوائر.

من هذه المجالات:

الحرب في الأسلام دفاعية فقط، وربما اقتصرت هذه الأفكار حتى وقفت عن حدود

---

(١) آيات الجهاد في القرآن الكريم، كامل سلامة الدقس، ص١٠١؛ منهج الإسلام في الحرب والسلام، عثمان جمعة ضميريه، ص١٣٤، ط١/١٤٠٢/١٩٨٢، دار الأرقم.

جهاد النفس، أو جهاد الدعوة البيانية بحصر الجهاد في هذه المجالات ينهدم شطر عظيم من ركن الجهاد في سبيل الله الذي دل عليه القرآن الكريم، ودلت عليه وقائع الفتوحات الأسلامية.

٢-**خطة تفريغ الجهاد في سبيل الله من مضامينه باصطناع البدائل:** قد عمل أعداء الأسلام على تفريغ الجهاد في سبيل الله من مضامينه ومن معانيه السامية ومن أسسه وبواعثه التي تمد المسلمين بالطاقات وذلك بصرف المسلمين عن الغاية التي يقاتلون في سبيلها إلى غايات أخرى بعيدة عن معاني الأسلام، هذه الغايات تتمثل بالوطنية، والقومية، وشعارات أخرى سرابية زائفة كعبارات البسالة، والشجاعة، والحمية، والثورية...الخ.

٣- **حيلة الربط الدوري** بين ركن الجهاد في سبيل الله وبين اقامة الحكم الأسلامي، وقد ترتب على هذه الحيلة الماكرة أن الا يقوم المسلمون بالجهاد في سبيل الله مهما دعت الظروف حتى يقيموا الحكم الأسلامي، وبما أن الحكم الأسلامي يصعب اقامته في الأحوال الراهنة في كثير من بقاع الأرض، إلا عن طريق الجهاد في سبيل الله، اذن فلا بد أن يتساقط طرفا الدور، فلا يقوم الحكم الأسلامي المطلوب، ولا يباشر المسلمون الجهاد في سبيل الله كما ينبغي، ويدور المسلمون بهذه الحيلة الفكرية في حلقه مفرغة ليس لها طرف يمسكون به حتى تبدأ منه خطة عملهم.

٤- **اصطناع المنظمات العميلة** التي تسعى لهدم الجهاد وإبطاله وقد ظهر قادة هذه المنظمات باثواب قادة سياسين، وظهر بعضهم باثواب مصلحين دينيين، وابتدع بعضهم دينا جديدا، فظهرت البهائية ثم امتدت، وظهر القاديانية في الهند، وقد عملت هذه المنظمات بالتعاون مع السلطات الاستعمارية الكافرة على تعطل الجهاد[١] .

فالمسلم يدرك أن المقصود هو السلوك بمقدمات ووسائل مدروسة مختلفة تنتهي إلى

---

(١) رسالة المسجد، العدد الرابع/ السنة الرابعة/ ربيع الأول ١٤٠١/١٩٨١؛ محاولات التحريف في مفاهيم الجهاد في سبيل الله، عبد الرحمن حبنكه الميداني، ص ١٤٦ وما بعدها بايجاز.

نسخ فكرة الجهاد من أذهان المسلمين، وإماتة روح الطموح في نفوسهم، وإليك شاهدا على هذا ما ذكره الدكتور وهبه الزحيلي في كتابه (آثار الحرب في الفقه الأسلامي) على لسان اعتراف الانكليزي المعروف أندرسون (Aderson). "يخاف الغربيون لا سيما الانكليز من ظهور فكرة الجهاد في أوساط المسلمين حتى لا تتوحد كلمتهم فيقفوا أمام أعدائهم، ولذلك يحاولون الترويج لفكرة نسخ الجهاد وصدق الله العظيم اذ يقول فيمن لا ايمان لهم ﴿فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ [١].

ثم يقول الدكتور وهبه الزحيلي ولقد قابلت المستشرق الانكليزي أندرسن (Ader-son) في مساء الجمعة ٣ /حزيران ١٩٦٠م فسألته عن رأيه في هذا الموضوع فكان من نصيحته لي أن أقول :" أن الجهاد اليوم ليس بفرض بناء على مثل قاعدة (تتغير الأحكام بتغير الأزمان) اذ أن الجهاد في رأيه لا يتفق مع الأوضاع الدولية الحديثة لارتباط المسلمين بالمنظمات العالمية والمعاهدات الدولية، ولأن الجهاد هو الوسيلة لحمل الناس على الأسلام، واوضاع الحرية ورقي للعقول لا تقبل فكرة تفرض بالقوة". [٢]

الرد على هذه الفرية:

أ- إبطال هذه الفرية من حيث المبدأ. ب- إبطالها من حيث الواقع.

جـ- شهادة بعض المستشرقين المنصفين على بطلانهما.

أولاً: تعارض هذه الفرية مع مبادىء الأسلام الأساسية يدل على بطلانها:

١- إن دعوى المستشرقين بأن الإسلام استخدم السيف وسيلة لإرغام الناس على الدخول فيه دعوة باطلة لأن الأسلام انتشر بمبادئه وتعاليمه السامية، تلك المبادىء التي تقوم على الحجة والاقناع وتخالف ما جاء به المستشرقون وتلامذتهم فالله تعالى يقول :﴿لا إكراه

---

(١) سورة محمد، آية٢٠.

(٢) آثار الحرب في الفقه الإسلامي، وهبه الزحيلي، تعليق في صفحة ٥٩؛ فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، ص١٣٥-١٣٦، ط٧، دار الفكر.

في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [1] .

يقول ابن كثير: أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الأسلام فأنه بيّن واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للأسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينه، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا [2] . فمن هذا يتبين لنا أن قول المستشرقين يتعارض مع مبادىء الأسلام الأساسية وهذا مما يدل على فساد قولهم.

٢- الدعوة في الأسلام تقوم على أسس ثابتة لا تتغير، هذه الأسس تتمثل في الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن. قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [3] .

فالله يخاطب رسوله بأن يدعو الناس الى الدخول في دين الله بالاسلوب الحكيم لا بالزجر والقسوة والشدة، وهذا المبدأ يتعارض مع باطل المستشرقين وقولهم بأن الإسلام انتشر بالسيف .

٣ – قامت الدعوة الاسلامية على أساس العقل : فهي تعتمد في اثبات وجود الله على العقل الذي يتميز به الانسان عن غيره من الحيوانات، به يستطيع أن يفكر، ويحصل العلم. وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تحض على التفكر والتدبر فالإسلام يجعل من التدبر والتأمل طريقته المثلى لمعرفة الله وخشيته وهو يعمل على اطلاق العقل من إساره ويضع عنه الاغلال التي عطلته زمنا طويلا قال الله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والارض﴾ [4] . فالاية تدعوا العقل الى النظر والتفكير دون حدود.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ج١/ ٣١٠.

(٣) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٤) سورة يونس، آية ١١٠.

ولقد نعى الاسلام على المقلدين الذين ساروا على طريق الاباء والاجداد وتركوا حرية التفكير ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ (١) . فالاسلام قدّس العقل وكرّمه قال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فانها لا تعمى الابصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (٢) .

فاذا كان هذا موقف الاسلام من حرية الفكر، فهو يطالب باستعمال العقل وينعى على المقلدين، فكيف به يرضى بالاكراه، إن الاسلام يعتبر الحرية أساس الاعتقاد والمسؤولية. وهذا يدل على بطلان قول المستشرقين .

ثانيا: واقع الاسلام يخالف هذه الفرية الباطلة : -

أ - إن واقع الدعوة الاسلامية في مكة يشير الى بطلان هذا القول حيث أن النبي ﷺ عاش في مكة ثلاث عشرة عاما يدعو الى الله فآمن به من آمن وكفر من كفر وهنا نقول لاؤلئك المستشرقين من الذي أجبر الناس على الدخول في الاسلام في بداية الدعوة عندما كان المسلمون مستضعفين في الارض لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، وكان المشركون يفتنون المسلم بأنواع من العذاب ولا يجدون رادعاً . فهل كان السيف يعمل عمله في اكراه الناس على الاسلام بمكة، ومن الذي أجبر الاوس والخزرج على الدخول في الاسلام، إن دخول هولاء الاقوام بالاسلام بالحجة والاقناع ليدل دلالة واضحة على بطلان مبدأ السيف ، والتاريخ يسجل أنه ما كان للمسلمين من سيف يصول على أعدائه الأقوياء، بل كان المسلمون هم ضحايا السيف وطرائد الغشم والجبروت .

ب - ومما يدل على بطلان هذا المبدأ أن قادة الفتح الاسلامي كانوا يخيرون أصحاب البلاد المفتوحة من أمور ثلاثة، إما قبول الدعوة الاسلامية، أو دفع الجزية، أو القتال لمن أبى، فكانت الدعوة تسبق القتال .

---

(١) سورة البقرة، آية ١٧٠.

(٢) سورة الحج، آية ٤٦.

ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية : أن سعد بن ابي وقاص بعث طائفة من أصحابه الى كسرى يدعونه الى الله قبل وقعة القادسية فلما دخلوا عليه وسألهم عن سبب قدومهم الى هذه البلاد بين له النعمان بن مقرن ذلك "بأن الله رحم العرب فارسل لهم رسولا يدلهم على الخير وينهاهم عن الشر" .

ثم قال : "وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف، فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين الاسلام حسّن الحسن، وقبح القبيح كله، فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء (الجزية) فان أبيتم فالمناجزة، وأن أجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم ، وبلادكم وان أتيتمونا بالجزية قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم" [(١)] .

جـ - نقول لاولئك المستشرقين بأن الاسلام انتقى السيف، وناضل وجاهد في تاريخه الطويل لا ليكره أحدا على الاسلام ولكن ليكفل عدة اهداف كلها تقتضي الجهاد.

١- جاهد ليدفع عن المسلمين الظلم والأذى والفتنة التي كانوا يسامونها وليتحقق لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم قال الله تعالى : ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ [(٢)] .

٢- وجاهدوا لازالة العقبات من طريق الدعوة أياً كانت هذه العقبات اقتصادية أو سياسية أو بشرية، وهي تلتزم هذا الهدف أبدا فلا يغريها الاستيلاء على البلاد، ولا استعباد العباد، ولا الاستعلاء على الأرض بغير الحق ولا انتهاب الثروات، فالاسلام يركز اهتمامه على ابلاغ الناس الخير، ومن هنا فلا بد من إزالة الحواجز التي تقف في وجه الخير، ولا بد من إزالة العقبات التي تمنع الناس أن يسمعوا، وأن يقتنعوا، وأن ينضموا إلى موكب الهدى اذا ارادوا، لأن الدعوة الأسلامية رسالة اجتماعية اصلاحية تنطوي على مبادىء الخير والصلاح.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٤١/٧، ط١٩٦٦/١، مكتبة المعارف.

(٢) سورة الأنفال، آية ٧٢.

٣- وجاهد لاقامة نظامه الخاص وتقريره وحمايته، وهو النظام الذي يعمل على تحقيق السعادة للبشرية جمعاء، ويسعى إلى الغاء عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها. فمن حق هذا النظام أن يجاهد ليقطع النظم الباغية التي تقوم على عبودية البشر للبشر.

٤- وجاهد لرد الظلم والبغي والعدوان عن الدين والوطن والأهل والمال والولد ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ [١] . إذن الأسلام لم يحمل السيف ليكره الناس على اعتناقه، ولم ينتشر بالسيف كما زعم أعداء الأسلام، إنما حمل السيف ليقيم نظاماً آمناً يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعاً، ويعيشون في إطاره خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته.

د- قوله تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾ هذه قاعدة كبرى من قواعد الاسلام، وركن عظيم من أركان سياسته، فالأسلام لا يجيز اكراه أحد على الدخول فيه ولا يسمح لأحد أن يكره أحدا من أهله على الخروج منه، والمسلم يتمكن من تنفيذ هذا الركن وحفظ هذه القاعدة اذا كان صاحب قوة ومنعه يستطيع بها حماية نفسه ودينه ممن يحاول فتنه وإبعاده عنه.

فالأسلام يقيم دعوته على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن للمخالفين معتمدين على أن تبين الرشد من الغي بالبرهان، هو الصراط المستقيم إلى الأيمان، مع حرية الدعوة، وأمن الفتنة، ولو صح قول المستشرقين لما قبل الأسلام الجزية من أهل الذمة فالجهاد ليس من جوهر الدين ومقاصده وإنما هو سياج له، وجنة فهو أمر سياسي لازم له للضرورة [٢] . يقول الدكتور محمد الحبيب بن الخوجه التونسي "لم تكن الدعوة الأسلامية إلزاماً، ولكنها إيقاظ وتنبيه، وتوجيه وإرشاد تأخذ بالناس إلى طريق الخير والهداية، بعد أن تملأ عقولهم إقناعا وقلوبهم ايقانا، وهي في نفس الوقت تكفل لهم

---

(١) سورة الحج، آية ٣٩.

(٢) تفسير المنار، ج٣/٣٩.

حرية المعتقد والسلوك" [1] ولو أن الأستلام انتشر بالسيف لما سمح لأصحاب الديانات أن يمارسوا شعائرهم الدينية بحرية تامة".

هـ- نقول لأولئك المستشرقين ومعظمهم من اليهود والنصارى لقد رميتم المسلمين بالتعصب والهمجية والقسوة، إبعادا لهذه الشبهة عنكم فهلا راجعتم توراتكم المحرفة وانجيلكم المزور لتشاهدوا حرب الإبادة والقمع وفرض المبادىء بالقوة.

فالحرب في اليهودية حرب إبادة وتدمير، وإفناء لكل عدو يقف في وجهها وتمتلكه يداها، تقول التوراة في سفر التثنية: "فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرقها بكل ما فيها من بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتهما إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة امتعتها كاملة للرب الهك فتكون تلالا إلى الأبد لا تبنى بعد" [2].

وجاء فيها أيضاً: "اذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلا ومراكب قوم اكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب الهك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها واذا دفعها الرب الهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، ونأكل غنيمه وأعدائك، التي اعطاك الرب الهك، هكذا تفعل في جميع المدن البعيدة جداً أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبقي منها نسمة ما" [3].

فليت هؤلاء الطاعنين يقفون عند نصوص كتبهم، ويعرفون ما بها من حب لسفك الدماء، وقسوة ووحشية في الحروب وأما المستشرقون النصارى الذين يرمون الأسلام بالأباطيل فليتهم يرجعون إلى نصوص أناجيلهم جاء في أنجيل متى: "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما بل سيفا، فأنني جئت لأفرق الأنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها، والكنة ضد

---

(١) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص٢١٥، ط٣/ ١٣٩٥.

(٢) سفر التثنية، ١٣/١٥-١٦.

(٣) سفر التثنية، ٢٠/١٠-١٨.

حماتها" [1].

وليت هؤلاء يراجعون تاريخهم المشين وحملاتهم الاجرامية التي دبرت بتخطيط من اليهود والنصارى، هدفها القضاء على الأسلام منذ بعثته حتى يومنا الحاضر. إن مؤامرات اليهود في المدينة المنورة ما زال التاريخ يسجلها، وما زالت الاجيال تتناقلها جيلا بعد جيل.

كما أن حملات الصليب على بلاد المسلمين تركت في التاريخ أقسى ما عرف من التعصب، إن مذابح بيت المقدس في ١٠٩٩/٧/١٥ التي لم يرحموا فيها شيخا ولا طفلا، لقد حطموا رؤوس الصبيان على الجدران والقوا الأطفال الرضع من أسوار المعاقل والحصون، وشووا الرجال على النار، وبقروا بطون الحوامل ليروا هل ابتلع أهلها الذهب، واستمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام ولم تنته الا لما أعياهم الاجهاد من القتل، وقد شوهد القاصد الرسولي مندوب البابا وهو يشارك في هذا الانتصار [2].

حقا أن حملات الصليب حملات بربرية همجية، وكيف لا تكون كذلك وهي صفحة سوداء في تاريخ أوروبا كلها. وما زال التاريخ يذكر محاكم التفتيش التي كانت تأمر بتعميد العرب كرها، ثم بحرق كثير من المعمدين يقول المستشرق غوستاف (G.lebon) الراهب بليدا ابدى أرتياحه لقتل مائة ألف مهاجر من قافلة واحدة مؤلفة من (١٤٠٠٠٠) مهاجر مسلم حينما كانت متجهة إلى أفريقية" [3].

وبعد أن ذكر لوبون (G.lebon) في حضارة العرب خسارة ثلاثة ملايين مسلم بين ذبح وحرق وتهجير في أسبانية قال: ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين الاسبان- من يؤاخذ على اقترافه مظالم قتل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين [4].

---

(١) متى، ٢٤/١٠.

(٢) روح الإسلام، سيد أمير علي، ص٨٦؛ الرسالة الخالدة، عبدالله عزام، ص٢٤٨.

(٣) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص٢٧٠-٢٧١.

(٤) نفس المرجع السابق، ص٢٧٢.

إن قلوب هؤلاء تقطر حقدا على الأسلام فها هو البابا نيقولا الرابع، والبابا أريانوس (Aryanos) السادس يصدرا هذه الفتوى الدينية التاريخية التي تشير إلى هذا الحقد الدفين. "إن الغدر إثم ولكن الوفاء مع المسلمين أكثر إثما"[(١)] .

ثم نقول بعد ذلك لأولئك المستشرقين، من كان هذا حاله فهل يحق له أن يتهم الأسلام بالهمجية، والمجاهدين بسفك الدماء....

زعم المبشرون والمستشرقون أن روح المسيحية تنكر القتال على إطلاقه، ولست أقف لأبحث عن صحة هذا القول، لكن تاريخ المسيحية شاهد عدل وتاريخ الأسلام أمامنا شاهد عدل، فمنذ فجر المسيحية إلى يومنا هذا خضبت أقطار الأرض جميعا بالدماء باسم السيد المسيح خضبها الروم، وخضبتها أمم أوروبا كلها، والحروف الصليبية إنما أذكى لهيبها المسيحيون لا المسلمون، ولقد ظلت الجيوش بإسم الصليب تنحدر من أوروبا خلال مئات السنين قاصدة أقطار الشرق الأسلامية، تقاتل وتحارب وتريق الدماء وفي كل مرة كان البابوات خلفاء المسيح يباركون هذه الجيوش الزاحفة للاستيلاء على بيت المقدس وعلى الأماكن النصرانية المقدسة.

أفكان هؤلاء البابوات جميعا هراطقة، وكانت عقديتهم زائفة؟ أم كانوا ادعياء، جهالا لا يعرفون أن المسيحية تنكر القتال على إطلاقه أم يقولون: تلك كانت العصور الوسطى عصور الظلام فلا يحتج على المسيحية بها؟

إن يكن ذلك بعض ما قد يقولون، فإن القرن المزيف الذي نعيش فيه والذي قبله، ويسمونه عصر الحضارة والرقي والتقدم قد شاهد ما شاهدته تلك العصور المظلمة، شاهد حرب الابادة لشعوب كاملة باسم الحضارة.

لقد وقف اللورد اللنبي ممثل الحلفاء: انكلترا وفرنسا وايطاليا ورومانيا وامريكا يقول

---

(١) آيات الجهاد في القرآن الكريم، كامل الدقس، ص١٠٣، نقلاً عن:

Ofijire- du- droit- des. Jens (enjs) P. 216.

في بيت المقدس في سنة ١٩١٨ حين استيلائه عليها في أخريات الحرب العالمية الأولى (اليوم انتهت الحروب الصليبية)[١] .

١- الشواهد التاريخية خير دليل على أن الأسلام لم ينتشر بقوة السلاح ولكنه انتشر بعقلانيته وسماحته، وقوته الذاتية وكمال منطقه، وخصاله الحميدة فأين السيف في حال ضعف المسلمين، لقد بدأت دعوة الأسلام قوية ثم أصابها الضعف والوهن فتعرضت لغزو المغول والتتار في القرن السابع الهجري، وسار هؤلاء القوم في قلب العالم الأسلامي يعيثون في الأرض فسادا، ثم لم يلبث الأسلام أن نهض من تحت انقاض عظمته الأولى، واطلال مجده التالد، واستطاع بواسطة دعاته أن يجذب أولئك الفاتحين ويحملهم على ذلك، وهنا نقول للمستشرقين فهل دخل هؤلاء بقوة السيف وأي سيف يمشق على رؤسهم؟ بينما كانت سيوفهم هي التي تمشق على رؤوس المسلمين، فمن يصدق أن هؤلاء المتوحشين يدخلون الأسلام.

وها عصر الحضارة المزعوم في القرن العشرين شاهد على ذلك، المسلمون يعيشون في ضعف، والاسلام ينتشر بمبادئه حتى لا تكاد تخلو منه دولة من دول العالم في هذه الأيام فهل السيف أوصل الأسلام إلى هذه الدول، لقد انتشر الأسلام في افريقيا انتشار شعاع النور في الظلمة السوداء تلقائيا دون عناء، فأقبل عليه الأفارقة باعتباره دين الفطرة من غير قوة أو عنف، وانتشر الأسلام في الهند والصين واروبا وحتى امريكا عن طريق الاقناع والموعظة الحسنة على يد دعاة هذا الدين. وانتشر في جنوب شرقي أسيا في أندونيسيا والفلبين.. الخ وإذا القينا نطرة عامة على خريطة العالم الحاضر نعلم أن السيف لم يعمل في انتشار هذا الدين الا القليل ما عمله الاقناع والقدوة الحسنة، فإن البلاد التي قلت فيها حروب الأسلام هي البلاد التي يقيم فيها اليوم اكثر مسلمي العالم، وهي بلاد أندونسيا والهند والصين وسواحل أفريقيه، فكيف يفسرون لنا انتشار الأسلام في هذه البلاد.

---

(١) حياة محمد، محمد حسنين هيكل، ص٢٥٣، ط١٣.

ز- اعتراف بعض المستشرقين الغربيين بهذه الحقيقة وردهم على إخوانهم الذين انحرفت فطرهم. وأسوق بعض شهاداتهم لا من أجل تقرير هذه الحقيقة في الأسلام وإنما من باب (من فمك أدينك):

١- يرى المستشرق توماس كارليل أن هذا الزعم في الغاية من السخف والغثاثه ولا يرتضى أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ فإنه أضعف من أن يحسب من الأكاذيب التي تحتاج إلى تصحيح وهو أظهر بطلانا من أن يبطل بالمناقشة، لأن القائل سواء ومن يقول أن رجلا واحد حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه ليبعث فيهم الخوف من سيفه- وحده- ويسوقهم كرها إلى اعتقاد ما ينكرون فيعتقدونه ويثبتون عليه ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين". [(١)]

٢- ويذهب المستشرق ادوارد مونتيه الذي كان مديراً لجامعة جنيف في فرنسا إلى القول: لقد تكونت آراء طائشة عن حقيقة سبب تلك الفتوحات السريعة التي وطدت سلطة نبي الأسلام محمد ﷺ واصلاحه بعيدا عن حدود بلاد العرب، ولقد كرروا ولا يزالون يكررون حتى الآن أن نجاح العقيدة الأسلامية يرجع إلى العنف وإلى القوة والسيف في عهد محمد وعهد خلفائه الاولين- يعني الخلفاء الأربعة- ولكن هذه الفكرة قد كذبتها الوقائع، فإن الفكرة لا تضع موضع الاعتبار العناصر المختلفة للمسائل المراد حلها والوقوف على حقيقتها". [(٢)]

٣- ويقرر المستشرق (دوزي) (dozy) تسامح الأسلام فيقول: "إننا نرى الأسلام قد انتشر بسرعة مدهشة بين تلك الشعوب التي غزاها وهذه ظاهرة لم ير لها العالم مثيلا من قبل وهي تبدو لأول وهلة لغزا مستترا لا سبيل إلى حله وتعليله، لا سيما اذا عرفنا أن هذا الدين لا يكره أحدا على الدخول فيه، وقد كان محمد يأمر بالتسامح والإغضاء، وقد وضع المسلمين قاعدة الجزية وفرضها على كل من لم يدن به من أهل الكتب المنزلة من اليهود

---

(١) موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية ما يقال عن الإسلام، ج٥/ ٤٠٠.

(٢) محمد رسول الله في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه، محمد فهمي عبد الوهاب، ص١٧.

والنصارى، فمنحهم حريتهم الدينية على أن يدفعوا ما فرضه عليهم من الجزية، وزاد في تسامحه فمنح هذه المزية لمن يقطن اقليم البحرين من المشركين.

ثم قال: اضف إلى هذا أن الحكم الأسلامي كان يتوخى التيسير والخير العام والبر بالشعوب المحكومة، لا سيما النصارى، فقد كان سواد المسيحيين في الشرق ينتمي إلى مذاهب لقيت من اضطهاد حكومة قسطنطينية واعتنانها ما أرهق أصحابها إرهاقا، فلما جاء الأسلام ومن طبيعته التسامح والأخاء ترك لهم الحرية التامة في البقاء على دينهم ما داموا يؤثرونه على غيره من الأديان، وظللهم بحمايته وساوى بينهم في الحقوق على اختلاف مذاهبهم وشتى نحلهم.

ثم ذكر الأسباب التي دعت إلى الدخول في دين الأسلام ومنها:-

١- تخلصهم من الضرائب الفادحة التي كانت تأخذها منهم حكومة الرومان.

٢- رأوا أن الجزية التي فرضها الأسلام قليلة في مقابل حمايته لهم وإعطائهم الحرية الدينية.

٣- شعورهم بالكرامة في ظل الأسلام، ونيل حقوقهم كاملة غير منقوصة. [(١)]

٤- ويقول المستشرق هوبيرد يشان (Huberd yasan) حاكم المستعمرات الفرنسية في أفريقيا. (لم تقم دعوة الأسلام على القسر، بل قامت على الإقناع الذي يتولاه فريق من الدعاة الذين لا حول لهم ولا طول الا إيمانهم العميق بالله، وكثيرا ما انتشر الأسلام بتسرب سلمي بطيء من قوم إلى قوم.... ولقد سهل انتشاره أمر آخر هو أنه دين الفطرة، سهل التناول لا لبس فيه ولا تعقيد، سهل التكييف والتطبيق في جميع الظروف. [(٢)]

أسباب انتشار الإسلام:

الذي يدقق النطر في تاريخ الدعوة الإسلامية يجد أنها في فترة بسيطة من الزمان قد

---

(١) الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، أحمد بن حجر آل أبو طامي، ص١٤٧-١٤٨.

(٢) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص٦٠.

وصلت إلى بقاع متعددة في العالم، ولا يمكن إرجاع سرعة انتشار الأسلام إلى السيف، وإنما يمكن القول بأن الأسلام انتشر بمبادئه وعقلانيته وسهولة تعاليمه وبساطتها.

وقد علل المستشرق جوستاف لوبون (G.Lebon) سرعة انتشار الأسلام بسهولته التي كانت سر قوته فهو يخلو مما تراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض، وكل مسلم يستطيع أن يعرف أصول الأسلام في بضع كلمات سهلة، على عكس المسيحي الذي لا يستطيع حديثاً عن التثليث وغيره من الغوامض التي لا يعرفها غير علماء اللاهوت.(١)

ويعلل المؤرخ (دوزي) (dozy) اقبال أهل الذمة على الأسلام بأنهم رأوا فيه اليسر والبساطة، مما لم يألفوه في دياناتهم السابقة.(٢)

وأما المستشرق سيرتوماس وارنولد (Arnold Str.Thomas) فَيُرْجِع سرعة انتشار الأسلام إلى عاملين:

الأول: نجاح العرب الواسع الذي زعزع عقيدة المسيحين.

الثاني: ما كان ينادي به الأسلام من مثل عليا ترمي إلى أخوة المؤمنين كافة.(٣)

وقد نفي أرنولد (Arnold) أن يكون الاضطهاد هو الدافع لأهل الذمة على اعتناق الاسلام فيقول (واذا نطرنا إلى التسامح الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الأسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الأسلام بعيدة عن التصديق).(٤)

ويرى المستشرق الايطالي (كايتاني) (Caetani) أن اقبال هل الذمة على اعتناق

---

(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص٥٨.

(٢) الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، أحمد بن حجر آل أبو طامي، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) الدعوة إلى الإسلام، سير توماس وارنولد، ص٧٠.

(٤) نفس المرجع السابق، ص٨٨.

الأسلام كان بسبب أحوال الكنيسة الشرقية، وتعقيد التعاليم المسيحية فيقول: "إن انتشار الأسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعو باستياء من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهيلينية الى اللاهوت المسيحي، أما الشرق الذي عرف بجبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهيلينية وبالاً عليه من الوجهة الدينية لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوظة بمذاهب عويصه مليئة بالشكوك والشبهات.[(١)]

ويرى المستشرق (روبنسون) (Ropnson) أن شيعة محمد وحدهم هم الذين جمعوا بين معاملة الاجانب بالحسنى وبين محبتهم لانتشار دينهم، وقد كان من أثر هذه المحاسنة أن انتشر الأسلام بسرعة، وعلا قدر رجاله الفاتحين في الأمم المغلوبة، كما أن هذه المحاسنة إلى جانب عظمة الدين الأسلامي أدت إلى انحسار ظل النصرانية عن شمال افريقيا.[(٢)]

إن هذه الامتيازات التي يصف بها المستشرقون الفتوحات الأسلامية لا يصح معها الاتهام بأن هذه الفتوحات كان هدفها مادياً اقتصادياً أو كان العامل فيها الجوع أو الفقر والحاجة أو كان ملازما لها الاكراه.

بطلان قول المستشرقين الجهاد في الأسلام حرب هجومية:

وأما ما ادعاه بعض المستشرقين بأن الجهاد في الأسلام حرب هجومية فهذا قول باطل، وكذلك الرد عليه بأن الحرب في الأسلام دفاعية: أن فكرة الدفاع أو الهجوم غريبة عن أحكام الجهاد في الأسلام، كما أنها غريبة عن روحه وحقيقته، فالجهاد في الأسلام شرع لحماية سير الدعوة، وايصال الهداية إلى العباد، فاذا تحققت هذه الأهداف دون قتال فهذا ما يريد الأسلام، واذا توقف تحقق هذه الأهداف على القتال فلا بد منه حينئذ، ولكن بمقدار مصلحة الدعوة، لذا فان القتال في الأسلام من أجل مصلحة الدعوة التي هي

---

(١) المرجع السابق، ص٨٩-٩٠.

(٢) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص٦٥.

المصلحة الحقيقية للناس كافة، فهو يدور مع هذه المصلحة دائماً وأبداً.

ومن هنا فلا يصح أن توصف الحرب في الأسلام بأنها دفاعية أو هجومية اذ لا مساغ لوصفها بذلك ما دامت قد تحددت حقيتقها، وهي أنها حرب لإزالة العقبات من طريق الدعوة، ووصفها بهذا الوصف آية من آيات التبعية التي ابتلى بها فريقه من المسلمين في هذا العصر.

نتائج هذا المبحث:

١- الأسلام هو قاعدة الحياة البشرية، ولا بد للأنسان أن يخضع لله سبحانه، وإلاّ عاش في حال من الاضطراب والقلق.

والعقيدة الأسلامية هي منهج البشرية جمعاء في الأرض كلها ومن حق البشرية أن تستمع لمنهج الله تتبّينه دون أن يقف أحد في وجهها، ولا بد أن تترك البشرية بعدها في حرية تامة لاعتناقه اذا ارادته دون اكراه، ويجب أن لا تفتتن عنه ولا تضطهد من أجله.

٢- إن واجب الجماعة الأسلامية أن تحطم كل قوة تعترض طريق الدعوة الأسلامية أو تهدد حرية اعتناق العقيدة وتفتن الناس عنها ليكون الدين كله لله.

٣- إن الغاية من الجهاد الأسلامي هو إعلاء كلمة الله وليس من أجل غاية أخرى من حب الغلبة أو الشهرة أو الظهور أو التسلط.

٤- إن أهداف الجهاد في الأسلام تتلخص في تأمين نشر الدعوة الأسلامية وحماية الوطن الأسلامي، والدفاع عن المستضعفين، والمحافظة على العهود والمواثيق ودرء الفتنة ومنع البغي في الداخل والخارج.

٥- الأسلام لا يرضى بإثارة الحرب من أجل العصبية، أو التوسع على حساب بلاد أخرى، أو جلب المطامع والمنافع، أو حب الانتقام والهوى.

٦- إن هدف المستشرقين من إثارة الشبهات حول الجهاد هو إبطال مفهوم الجهاد، والعمل على تعطيله، وزعزعة ثقة المسلمين بدينهم، وإخماد روح الجهاد في ذهن المسلم، وحرب على الأسلام وتحريف منهجه.

المبحث الثالث

الجزية

١- تعريفها:-

يقول صاحب القاموس المحيط: الجزية خراج الأرض، وما يؤخذ من الذمي، والجمع جزىء وجزيء وجزاء .[١]

ويقول ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر: "الجزية هي عبارة عن المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمة "[٢] وعرّفها ابن عرفة المالكي بقوله: "الجزية ما لزم الكافر من مال لأمنه واستقراره تحت حكم الأسلام وصونه"[٣] ، ويؤخذ من هذه التعاريف أن الجزية: مقدار من المال يفرض على الرؤوس يلتزم الذمي بأدائها إلى الدولة الأسلامية في وقت محدد، اذا توفرت شروط وجوبها.

موقف المستشرقين من الجزية:

جاءت أقوال المستشرقين مشيرة إلى أن الأسلام عامل أهل الذمة بقسوة واضطهاد وإرهاب وقمع للحريات وأرهقهم بضرائب كثيرة سميت بالجزية.

وأشاروا إلى أن الجزية التي تؤخذ من أهل الذمة هي الدعامة الأساسية لبيت المال وللدولة، وقد اتخذت هذه الضريبة من أجل تهيئة الحياة لسادتهم، وقد كانت وطأة هذه الضريبة على أهل الذمة أشد من وطأة الزكاة التي كان يدفعها المسلمون.

ثم قالوا: ولم تكن الحكومة الأسلامية يهمها سوى حمل الخراج إلى بيت المال على المقدار المفروض له... والذميون بقرة.... الوالى بمسكها من قرونها حتى تسكن، وعامل الخراج يحلبها".

---

(١) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ج٤/٣١٢؛ وانظر: المصباح المنير، أحمد بن محمد علي المغربي الفيومي، ج١/١٣٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج١/١٦٢.

(٣) منح الجليل، الشيخ عليش، ج١/٧٥٦.

يقول المستشرق (يوليوس) فلها وزن في تأكيد هذا المعنى. وكان غير العرب ممن اضطر إلى الخضوع والتبعية رعية، باعتبارهم مختلفين عن العرب المقاتلين الاعيان، وعليهم يعتمد أساس الدولة المالي... يقدمون من الجزية رزق أسيادهم، والجزية ضريبة الرعية- يقصد أهل الذمة- وهي أثقل من الزكاة، وتعتبر مهينة لمن يؤديها، ووجهت الحكومة العربية قدر المستطاع عنايتها إلى شؤون الضرائب أكثر من شؤنها الخاصة.. ولم يكن يهم الحكومة الا أن تعرف أوَصلت الضريبة كما ينبغي أم لا، وكان من واجب الولاة أن يقبضوا على زمام رعيتهم بحيث يجعلونهم يدفعون ضريبتم ثم آل الأمر حينا آخر إلى تعيين موظف مالي إلى جانبهم لم يكن يلقى دوما استحسانهم ذلك أن عليهم أن يمسكوا البقرة من قرنيها وأن يدعوها واقفة حتى يأتي هو فيحتلبها".[1]

وقد أيد المستشرقون أقوالهم بما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[2].

واذا نظرنا إلى واقع هذه التهمة فإننا ندرك أن المراد من ذلك تشويه صورة الأسلام في ذهن ونفس غير المسلم حتى يقام حاجز يحول بينه وبين الأسلام.

وللجواب على هذه الشبهة لا بد من بحث النقاط التالية:

أ- شهادة التاريخ في معاملة المسلمين لأهل الذمة.

ب- موقف أهل الذمة من المسلمين.

جـ-عرض مبادىء للأسلام في الجزية.

د- شهادات منصفة من علماء الغرب.

---

(١) الدولة العربية وسقوطها، يوليوس ولهاوزن، ص٢٩-٣٠، ترجمة يوسف العش، ط ١٣٧٦/١٩٥٦، مطبعة الجامعة السورية.

(٢) سورة التوبة، آية ٢٩.

أ- معاملة المسلمين لأهل الذمة:-

إن التاريخ ليقدم لنا شهادات صادقة عن معاملة الأسلام لأهل الذمة تنبثق هذه المعاملات من كتاب الله الذي يقول: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (١).

أي لا ينهاكم الله عن البر بهؤلاء الذين لم يحاربوكم لأجل دينكم ولم يخرجوكم من أوطانكم ولا ينهاكم عن الأحسان اليهم والعدل معهم، لأن الله يحب العادلين في جميع أمورهم، وإنما ينهى الله عن صداقة ومودة الذين ناصبوكم العداوة وقاتلوكم لأجل دينكم. وساعدوا على إخراجكم من دياركم.

ويقول تعالى أيضا في بيان آداب الجدال بينهم وبين أهل الكتاب ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا، وأنزل اليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ (٢).

أي لا تدعو أهل الكتاب إلى الأسلام وتناقشوهم في أمر الدين الا بالطريقة الحسنى كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه وبيناته الا من كان ظالماً محاربا لكم مجاهدا في عداوتكم فجادلوهم بالغلظة والشدة.

وأما سنة رسول الله ﷺ.

فإن أقوال النبي ﷺ وأفعاله لتدل دلالة واضحة على حسن سلوكه ومعاملته مع أهل الذمة وعنايته بهم.

كتب رسول الله ﷺ عهدا لأمير أيلة (يحنه بن رؤية) جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمَنَة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن روبة وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر: لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن،

---

(١) سورة الممتحنة، آية ٨.

(٢) سورة العنكبوت، آية ٤٦.

وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا، فإنه لا يحول ما له دون نفسه، وانه طيب لمن أخذه من الناس، وانه لا يحل أن يُمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر".[1] فهذه المعاهدة تدل دلالة واضحة على التسامح والعطف من قبل النبي ﷺ لأهل الذمة.

يقول عليه الصلاة والسلام. "من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه"[2]. ويقول "من قتل معاهداً في غير كنهه حرم الله عليه الجنة"[3].

موقف الصحابة من أهل الذمة :

لقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على نفس الطريق الذي سار عليه النبي ﷺ.

يقول أبو بكر الصديق : "لا تقتلن احدا من أهل ذمة الله فيطلبك الله بذمته فيكبك الله على وجهك في النار"[4].

ويقول علي بن أبي طالب : "دم الذمي كدم المسلم حرام"[5].

وحدد عمر بن الخطاب الامور التي تعهد المسلمون بها لاهل الذمة من الحرية والتسامح والحماية والأمان فكتب لاحد بطارقة المسيحين . "لك ولهم علي وعلى جميع المسلمين الامان ما استقمت واستقاموا بجميع ما أخذنا عليكم وذلك أن يجري عليكم حكم الاسلام، ولا حكم خلافه بحال ما يلزمكم.[6]

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٤/٥٢٥-٥٢٦.

(٢) الخراج، أبي يوسف، ص٧١؛ الموسوعة، ط/١٣٩٩، دار المعرفة، بيروت.

(٣) عون المعبود، شرح سنن أبي داود، العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ج٧/٤٤٤، باب الوفاء للمعاهد وحرمة ذمته، ط٢/١٣٨٨.

(٤) الطبقات، ابن سعد، ج٣/١٢٧.

(٥) روح الإسلام، سيد أمير علي، ص٢٥٧.

(٦) انظر نص الرسالة كاملة في كتاب الأم للشافعي، ج٤/١١٨.

وها هو عمر يكتب الى قائده سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد على الجبهة الفارسية: "ونح منازلهم وجنودك، عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من اصحابك الا من تثق بدينه ولا يرزأ احدا من أهلها شيئا، فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم وفوا لهم" [(١)].

فهذه ليست وصية بالمعاملة بالحسنى فحسب بل بالرفق، وفيها أن أهل الذمة يضيفون عسكر المسلمين ثلاثة أيام، أماهم فيتنحون عن المعسكر، فهذا دليل على رحمة الفاتحين بأهل الذمة واما التزام المسلمين بالعهود نحو أهل الذمة، فكان عمر رضي الله عنه يشفع عهوده بوصاياه المتكررة الى ولاته .

قال معدان بن ابي طلحة وجويرية بن قدامة : كنا آخر من دخل عليه -على عمر بعد طعنه- واذا عصب جرحه ببرد فقلنا أوصنا: قال أوصيكم بكتاب الله فانكم لن تضلوا ما اتبعتموه، وأوصيكم بالمهاجرين فإن الناس يكثرون وهم يقلون، واوصيكم بالانصار فانهم شعب الاسلام الذي لجأ اليه، واوصيكم بالاعراب فانهم أصلكم ومادتكم وإخوتكم وعدو وعدوكم، واوصيكم بأهل الذمة فانهم ذمة نبيكم ورزق عيالكم، قوموا عني" [(٢)] .

وكان فيما تكلم أيضا عند موته : "اوصى الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وان يقاتل ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم " [(٣)].

وحدث هشام بن عروة عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بطريق الشام وهو راجع في مسيرة من الشام على قوم قد أقيموا في الشمس يصب على رؤسهم الزيت فقال : ما بال هؤلاء ؟ فقالوا عليهم الجزية لم يؤدوها، فهم يعذبون حتى يؤدوها .

فقال عمر: فما يقولون ومايعتذرون به في الجزية؟ قالوا: يقولون لا نجد، قال: فدعهم لا

---

(١) نهاية الأرب، النويري، ج٦/١٦٩.

(٢) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص١١٦، نقلاً عن الرياض النظرة، ج٢/٧٥.

(٣) الخراج، أبي يوسف، ص١٢٥ الموسوعة.

تكلفوهم ما لايطيقون، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : "لا تعذبوا الناس فان الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة" وامر بهم فخلى سبيلهم [(١)] .

فهذه النصوص تشير الى ما تمتع به أهل الذمة من الحرية والتسامح والعدل من قبل الخلفاء الراشدين مقابل اداء الجزية، حيث تعهد المسلمون بحمايتهم وتوفير العدل والسلام لهم وأمنوهم على أنفسهم واموالهم ، فالدولة الاسلامية لم تكن تهدف الى سيادة شعبها على غيره من الشعوب وانما كانت ترمي الى تبليغ الدعوة الاسلامية، واقامة موازين الحق والعدل والانصاف، والدعوة الى التعاون على البر والخير والصلاح .

واما موقف أهل الذمة من المسلمين : -

لا شك أن اليسر والتسامح قام بدور كبير في التقريب بين المسلمين الفاتحين والاهالي، فلم يشعر أهل الذمة أن هناك طبقة فوقهم، وقد أدت هذه العوامل الى ترحيب أهل الذمة بالمسلمين في بلاد العراق حيث وجدوا منهم المنقذ المنشود الذي يخلصهم من ظلم الاكاسرة ويمنحهم الحرية الدينية .

وكذلك رحب أهالي مصر بالفاتحين ، وفي الاردن كتب الاهالي المسيحيون الى المسلمين يقولون : "يا معشر المسلمين، انتم أحب الينا من الروم، وإن كانوا على ديننا انتم أوفى لنا وأرأف بنا، واكف عن ظلمنا، واحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا" [(٢)] .

وكتب البطريق النسطوري يشوع باف الثالث رسالة الى المطران سمعان رئيس أساقفة فارس جاء فيها: "إن العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا، يشاهدون ما أنتم عليه وهم بينكم كما تعلمون ذلك حق العلم، ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية بل

---

(١) الخراج، أبي يوسف، ص١٢٥ الموسوعة، ط ١٣٩٩.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، سير توماس وارنولد، ص٥٣-٥٨ . فقد ذكر عدداً من الأمثلة على رحمة المسلمين بأهل الذمة.

على العكس، يعطفون على ديننا ويكرمون قسيسنا وقديس الرب ويجودون بالفضل على الكنائس والأديار.[1]

ويعلق المستشرق أرنولد (Arnold) على هذه الرسالة. فيقول: "تحمل هذه الرسالة الدليل الساطع على طابع الهدوء والمسالمة في نشر هذا الدين الجديد.

ويقول (عشوبابه) (Aswabh) أحد البطاركة المسيحين : " إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون انهم ليسوا اعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قسيسنا، ويمدون يد المعونة الى كنائسنا وأديرتنا .[2]

واذا علمنا أن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا، لانهم في جورانا وفي خفارتنا، وفي ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ، ودين الاسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو أي نوع من أنواع الاذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الاسلام .

واذا علمنا أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب الى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم، ونموت دون ذلك، فان تسليمه اهمال بعقد الذمة[3] .

اذا علمنا هذه الامور ادركنا صدق هذه الشهادات التي قدمها أهل الذمة تجاه الاسلام، فسيرة الاسلام لا يوجد لها مثيل في الامم قديما وحديثا.

٣- مبادى الاسلام في الجزية : -

وضح بعض مبادئ الاسلام في الجزية في نقاط: -

١- الجزية تؤخذ من الذمي مكافأة عما أُسدى اليه :- قال تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر، ولايحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، السير توماس وارنولد، ص١٠٢.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، ص٢٨٧، ط١٧، دار العلم للملايين.

(٣) نفس المرجع، ص٢٨٧.

الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[1] .

يقول القرطبي: الجزية وزنها فِعْله بكسر الفاء وسكون العين وفتح اللام – من جزى يجزي اذا كافأ عما اسدى اليه فكأنهم أعطوها جزاء ما مُنحوا من الامن"[2] .

٢- ما يلزم المسلمين نحو أهل الذمة بدفع الجزية :-

والجزية موضوعة على الرؤوس، واسمها مشتق من الجزاء إما جزاء على كفرهم لاخذها منهم صغارا، وإما جزاء على أماننا لهم لاخذها منهم رفقا[3] . ومتى أعطوا الجزية وجب الكف عنهم وتأمينهم، وحمايتهم والدفاع عنهم ومنحهم حريتهم الدينية ومعاملتهم بالعدل والمساواة كالمسلمين[4] .

٣- استعمال مبدأ الرفق والرحمة مع أهل الذمة :-

تؤخذ الجزية من الرجال الاحرار العقلاء وتسقط عن المرأة والصبي والمجنون والعبد والعاجز والاعمى وغيرهم من أصحاب الاعذار[5] . بل كانت الدولة تعول كل ذمي عجز عن كسب رزقه بكده، وكانت تعمل على تخفيف الجزية عنهم يقول عمر بن الخطاب (من لم يطق الجزية خففوا عنه، ومن عجز فأعينوه، فإنا لا نريدهم لعام او لعامين"[6] . فالدولة الاسلامية اتبعت الرفق والرحمة في جمع الجزية .

ويدل على ذلك ما كتبه عمر بن عبد العزيز الى عدي بن أرطاة – أحد عماله – أما بعد: فان الله سبحانه وتعالى أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الاسلام واختار الكفر

---

(١) سورة التوبة، آية ٢٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٨/١١٤، ط دار الكتاب العربي، القاهرة.

(٣) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص١٤٢، ط١٣٩٨، بيروت.

(٤) نفس المرجع السابق، ص١٤٣.

(٥) الخراج، أبي يوسف، ص١٢٢، الموسوعة، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩.

(٦) الإسلام وأهل الذمة، علي حسني الخربوطلي، ص٧٠، نقلاً عن ابن عساكر، ج١/٨٧، تاريخ مدينة دمشق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

عتيا [1] وخسرانا مبينا، فضع الجزية على من أطاق حملها، وخل بينهم وبين عمارة الارض، فان في ذلك صلاح لمعاش المسلمين، وقوة على عدوهم وانظر من قبلك من أهل الذمة من كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر من بيت مال المسلمين ما يصلحه، وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر، مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية في شيبتك، ثم ضيعناك في كبرك ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه [2].

٤- الجزية على قدر الطاقة:-

وقد فرض الأسلام الجزية على أهل الذمة على قدر الطاقة يقول أبو عبيد القاسم بن سلام: وهذا عندنا مذهب الجزية والخراج، إنما هما على قدر الطاقة من أهل الذمة بلا حمل عليهم، ولا اضرار بفيء المسلمين، وليس فيهما حد مؤقت، الا ترى أن الرسول ﷺ، كان فرض على أهل اليمن دينارا على كل حالم، وقيمة الدينار يومئذ إنما كانت عشرة دراهم أو اثني عشر درهما، فهذا دون ما فرض عمر رضي الله عنه على أهل الشام وأهل العراق [3]. وأنما يوجه هذا منه انه إنما زاد عليهم بقدر يسارهم وطاقتهم [4].

٥- الجزية ليست عقوبة:-

أن اعتبار الجزية عقوبة لا يتفق مع مبدأ الأسلام القائم على ضمان حرية العقيدة لأهل الذمة قال الله تعالى: ﴿لا اكراه في الدين﴾ [5]. كما أن ذلك يتنافى مع عمل الصحابة وعهودهم، ولو كانت الجزية عقوبة لوجبت على جميع أهل الذمة ولما أعفي منها الشيخ، والزَمِن، والمرأة، كما أنها لو كانت عقوبة على الكفر كما يقولون، لما سقطت باشتراكهم

---

(١) العتو والعتي: بضم العين وكسرها: الاستكبار ومجاوزة الحد، والعاتي : الجبار، وجمعه عتاه.

(٢) الأموال، أبي عبيد القاسم بن سلام، ص٥٧، تحقيق محمد خليل هراس، ط/١٣٩٥.

(٣) فرض على حالم من أهل هذين المصرين أربعة دنانير.

(٤) الأموال، أبي عبيد، ص٥١، ط٢/١٣٩٥.

(٥) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

مع المسلمين في الدفاع عن دار الأسلام[1] .

وبما أن الحياة في كل مجتمع وفي كل عصر تقوم على أساس الحقوق والواجبات، وقد تمتع أهل الذمة بكثير من الحقوق، وعاشوا في طل التسامح الأسلامي فكان عليهم أن يقوموا مقابل هذه الحقوق العديدة ببعض الواجبات، فكل دولة من دول العالم في القديم والحديث يساهم أفرادها بجزء من المال من أجل تقديم الخدمات لهم، فالمسلم يدفع الزكاة، ويقوم بالخدمة العسكرية، والذمي يدفع الجزية ويُعفى من الخدمة العسكرية[2]. وبذلك يتبين بطلان قول المستشرقين الذين اتهموا الأسلام بأن الجزية لون من ألوان العقاب.

٦- الجزية تسقط باشتراك الذميين في الدفاع عن دار الأسلام:-

تؤخذ الجزية من الذمي بدلا من الحماية فاذا ساهم في الدفاع عن دار الأسلام فقد قام بالاصل الذي من أجله وجبت عليه الجزية. وفيما يلي بعض الأدلة على سقوط الجزية عن الذمي اذا شارك في الدفاع عن الدولة الأسلامية.

أ- جاء في كتاب سويد بن مقرّن قائد جيش المسلمين في بلاد فارس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ملك جورجان: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول بن رزبان وأهل دهستان وسائر أهل جورجان أن لكم الذمة وعلينا المنعة ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضا عن جزائه"[3] .

ب- وجاء في كتاب سراقة لأهل أرمينية: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى سراقة ابن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان اعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملّتهم الا يضاروا ولا ينتقصوا وعلى أهل

---

(١) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، عبد الكريم زيدان، ص١٤٦، ط٢/١٣٩٦-١٩٧٦.

(٢) الإسلام وأهل الذمة، علي حسني الخربوطلي، ص٦٧، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

(٣) تاريخ الطبري، ج٥/٢٥٤.

أرمينية والأرمن أن ينفروا لكل غارة وينفروا لكل أمر ناب أو ينب رآه الوالي صلاحا، على أن يوضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك [١].

جـ- ذكر البلاذري: أن الجراجمة في جبل اللكام في نواحي انطاكية نقضوا العهد فوجه أبو عبيدة بن الجراح إلى أنطاكية من فتحها ثانية، وولى عليها بعد فتحها حبيب بن مسلم الفهري، فغزا الجرجومة- مكان الجراجمة- فلم يقاتله أهلها، ولكنهم طلبوا الأمان والصلح فصالحوه على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام وأن لا يؤخذوا بالجزية.... ودخل من كان في مدينتهم في هذا الصلح [٢].

فهذه سوابق تاريخية في عهد الصحابة تدل على سقوط الجزية عن أهل الذمة اذا اشتركوا في الدفاع عن المسلمين. فهذه هي مبادىء الأسلام في الجزية وهي ترد على أولئك المتتنطعين الذين ملأ الحقد قلوبهم على الأسلام فاتهموه بالقسوة وعدم الرحمة بأهل الذمة.

شهادات منصفة من علماء الغرب:-

أدلى بعض المستشرقين بشهادات منصفة نحو موقف الأسلام من الجزية التي تفرض على هل الذمة.

١- تقول المستشرقة لورافيشيا فاغليري (Veccia Vaglieril) عن المعاهدات التي وقعها المسلمون مع الذميين: منحت تلك الشعوب حرية الاحتفاظ بأديانها القديمة وتقاليدها القديمة ، شرط أن يدفع الذين لا يرضون الأسلام دينا، ضريبة عادلة إلى الحكومة تعرف بالجزية، لقد كانت هذه الضريبة أخف من الضرائب التي كان المسلمون ملزمين بدفعها إلى حكوماتهم نفسها، ومقابل ذلك منح أولئك الرعايا" المعروفون بأهل الذمة" حماية لا تختلف في شيء عن تلك التي تمتعت بها الجماعة الأسلامية نفسها، ولما كانت أعمال الرسل والخلفاء الراشدين قد أصبحت في ما بعد قانونا يتبعه المسلمون،

---

(١) تاريخ الطبري، ج٥/٢٥٧.

(٢) فتوح البلدان، البلاذري، ص١٦٤، ط/١٣٩٨/١٩٧٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

فليس من الغلو أن تصر على أن الإسلام لم يكتف بالدعوة إلى التسامح الديني بل تجاوز ذلك ليجعل التسامح جزءاً من شريعته الدينية [(١)].

ويذكر المستشرق جولد تسيهر (Gold Ziher) بأن النصارى كانوا أحسن حالا تحت حكم المسلمين، إذ أن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم المدنية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل.[(٢)]

ويرى المستشرق فان فلوتن : (Fan Floten) أن الضرائب ليت فادحة بالنسبة لما كانت تقوم به الحكومة العربية من بناء الطرق وحفر الترع وتوطيد الأمن وما إلى ذلك من ضروب الإصلاح، والحقيقة أن الجزية لم تكن عقابا لأهل الذمة، فهي نظير اعفائهم من الجندية ومقابل حماية المسلمين لهم، وقد فرض الأسلام على المسلم الزكاة حتى يتكافأ الذمي والمسلم في الواجبات وكان نظام الجزية عادلا، كان حسب مقدرة الفرد المالية، ففرق بين الغني والفقير ومتوسط الحال، كما أعفى النساء والصبيان وذوي العاهات والرهبان وكان لأهل الذمة نصيب من العطاء [(٣)].

وبعد هذا العرض لموقف الأسلام من أهل الذمة، نقول لقد تناسى أعداء الأسلام أن الجزية كانت نظاما عالمياً يدفعها المغلوب للغالب، ولم يكن فيه من معنى الانسانية شيء يذكر، بل كان هذا النظام عنوان الاذلال والقهر، ووسيلة لابتزاز أموال المغلوبين فجاء الأسلام العظيم، ونقل الجزية إلى معنى إنساني كريم ونبيل فجعلها ثمنا لحماية أعراض المغلوبين وأموالهم ودمائهم وعقائدهم، كما جعلها تعويضا عن عدم اشتراكهم في الحروب

---

(١) الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ص١٢٣، نقلاً عن كتاب دفاع عن الإسلام، لنفس المستشرقة، ص٣٤-٣٥.

(٢) الإسلام وأهل الذمة، علي حسني الخربوطلي، ص١٠٧، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

(٢) الإسلام وأهل الذمة، علي حسني الخربوطلي، ص١٠٧، نقلاً عن كتاب السيادة العربية، ص٢٠.

الأسلامية، وهذا من أسمى عدالة الإسلام ونبالة مقصده.[1]

وكذلك دفع الجزية يمنح الذمي حق التكافل الأجتماعي كالمسلم تماما، والمسلم يدفع الزكاة وهي لا حد لها بالنسبة لمال الموسر بينما الجزية أغلاها ثمانية وأربعون درهما وهو مبلغ ضئيل جدا ولكنه يرمز بشرف إلى اشتراك الذميين في نفقات الدولة مع الخضوع لسلطانها.

مع آية الجزية:

لا بد من تفسير هذه الآية بما يتناسب مع مبادىء الأسلام العامة ووضع فعل النبي ﷺ والخلفاء من بعده مع الذميين في أخذ الجزية منهم.

فالأسلام يقرر ما يلي بالنسبة للذميين.

أ- احترام الشعائر الدينية عندهم وعدم الاعتداء على معابدهم.

ب- تحريم الاعتداء عليهم ما داموا خاضعين لعقد الذمة.

جـ- السماح لهم بممارسة قانون الأحوال الشخصية الخاص بهم.[2]

كما أن الدارس للتاريخ الأسلامي لا يجد في معاملة النبي ﷺ وأصحابه من بعده معنى الاحتقار والاذلال لهم، ولم تكن تؤخذ منهم الجزية على أي وضع يشعر بالاساءة أو المهانة. فاذا كان الأمر كذلك فلا بد من فهم الآية على غير ما فهمها بعض الناس فالله تعالى يقول: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾.

فاليد: تفسر بالقدرة والتمكن، وفي نصوص القرآن واللغة ما يؤكد هذا المعنى فقد جاء في عهد خالد بن الوليد لصاحب قس الناطف قوله (على كل ذي يد) أي قدرة.[3]

والإسلام يقرر أن الجزية تؤخذ من كل قادر ويعفى منها الصغار والعاجزون، والرهبان

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، ص١١٧، دار الاعتصام.

(٢) الإسلام، سعيد حوي، ص٣١١، ط٢؛ معالم في الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، ص٥٩.

(٣) هذا هو الإسلام، مصطفى السباعي، ص٤٢ وما بعدها.

والفقراء والنساء.

وأما قوله وهم صاغرون- فالمراد به الخضوع لا بالذلة والمهانة والصغار بالفتح والصغر (كعنب) وهو ضد الكبر ويكون في الأمور الحسية والمعنوية لديهم والمراد به هنا الخضوع لأحكام الأسلام ومبادئه التي تصغر بها أنفسهم بفقدهم الملك وعجزهم عن مقاومة الحكم.

قال الراغب: الصاغر الراضي بالمنزلة الدنية.

وقال الشافعي في الأم: سمعت عددا من أهل العلم يقولون الصغار أن يجري عليهم حكم الأسلام.

ومن المفسرين من قال في آية أقوالا يأباها عدل الأسلام ورحمته [1] ولأن الله يقول ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [2] وعلى هذا المعنى يحمل دفع الجزية معنى الالتزام من قبل أهل الذمة بالولاء للدولة، كما تلتزم الدولة لقاء ذلك بحمايتهم ورعايتهم واحترام عقائدهم.

وخضوع الفرد لأحكام الدولة ليس فيه غضاضة ولا عيب واذا أخذت الجزية في بعض العصور من أهل الذمة مقترنة بالاهانة، فليس هذا حجة على الأسلام إنما أحكام الأسلام هي الحجة على كل الناس.

---

(١) المنار، محمد رشيد رضا، ج١٠/٢٩٠، دار المعرفة؛ فتح القدير، الشوكاني، ج٢/٣٥٠، تفسير هذه الآية.

(٢) سورة النحل، آية ١٢٥.

المبحث الرابع

موقف المستشرقين من الحدود

اتهم المستشرقون الفقه الأسلامي في تشريعه للجرائم الخطره أنه شديد ومتشدد، فهو مغزم بقطع الأيدي في جرائم السرقة وقتل الزانين رجما أو جلدهم أمام المجتمع وتحت بصر كل الناس وهو أمر لا يتفق ومدنية العصر الحاضر في معالجة الجريمة أرفق بالسارق وحبسه أن اعتاد الجريمة، أو ترك أمر الزانية لزوجها ان شاء عفا عنها، وان شاء ترك للقانون حرية عقابها بأن يدخلها السجن أياما معدودات. وهم يقولون :إن السارق أو الزاني ضحية من ضحايا المجتمع ينبغي علاجه لا عقابه. (١)

أن أعداء الأسلام يظنون خطأ أننا لو طبقنا الحدود الشرعية فسيكون الشغل الشاغل للدولة رجم الزناة، وقطع الأيدي والأرجل، وجلد القذفة، وشاربي الخمور، وسفك دماء البغاة والمرتدين، ويصبح كثير من الشعب مشوهين عاجزين عن العمل.

إن هذا الكلام وهم خاطيء مخالف للواقع، فأن قطع بضع أيد، وجلد بعض الأفراد كفيل بالقضاء على دابر الجرائم المروعة، واغلاق أغلب السجون وتوفير مئات الملايين من الجنيهات والدنانير التي تنفق عليها في كل عام، وتستريح آلاف من الشرطة القائمة على حراسة هذه السجون ولا نخسر إنتاج هؤلاء المنحرفين، الذين يقضون السنين الطوال قابعين وراء القضبان. (٢) ولا بد لهؤلاء من معرفة الحكمة التي شرع الله تعالى من أجلها الحدود.

فالله سبحانه وتعالى من رحمته بالعباد أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس بعضهم في النفوس والابدان والأعراض والأموال كالقتل والجراح والقذف والسرقة، فأحكم سبحانه وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الأحكام، وشرعها على أكمل

---

(١) شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص١٥٠ وما بعدها، ط١٤، دار الشروق؛ على طريقة العودة إلى الإسلام، محمد سعيد رمضان البوطي، ص١٢١، مؤسسة الرسالة، ط/١٤٠١/١٩٨١.

(٢) تلك حدود الله، إبراهيم أحمد الوقفي، ص٢٠-٢١، ط٢/١٣٩٩.

الوجوه المتضمنة لمصلحة الردع والزجر، مع عدم المجاوزة لما يستحقه الجاني من الردع، فلم يشرع في الكذب قطع اللسان ولا القتل ولا في الزنا الخصاء، ولا في السرقة إعدام النفس، وأنما شرع لهم في ذلك ما هو موجب أسمائه وصفاته من حكمته ورحمته ولطفه وإحسانه وعدله لتزول النوائب، وتنقطع الأطماع من التظالم والعدوان، ويقتنع كل أنسان بما أتاه مالكه وخالقه فلا يطمع في استلاب غيره حقه.[1]

الرد على هذه التهمة

إن هذه الاتهامات التي وجهها أعداء الأسلام إلى الشريعة الغراء لا أساس لها من الصحة، بل أنها تخالف المنطق والواقع ولا يدل عليها دليل إنما الأدلة الصحيحة تدحضها. فالشريعة الأسلامية قبل أن تنفذ العقوبة وضعت من القيود والحدود ما يمنع ارتكابها بحيث لم تترك عذراً لمعتذر ولا علة لمن يتعلل بالوقوع فيها، فاذا وقع بعد ذلك كان هذا دليلا على عوجه وشذوذه وعدم صلاحيته للبقاء في هذا المجتمع النقي.[2]

وللرد على هذه التهمة لا بد من بيان الحقائق التالية:

١- مبادىء الأسلام في الحدود وفلسفة العقوبة في الأسلام. وتتلخص مبادىء الأسلام في الحدود بما يلي:

أ- بيان مقصد الشريعة الأسلامية العام.

ب- العقوبات زواجر وجوابر.

جـ- العمل على وقاية المجتمع من الأسباب التي تؤدي إلى الجريمة.

د- درء الحدود بالشبهات.

هـ- العقوبة تأديب لا انتقام.

و- أهداف العقوبة.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبدالله ابن قيم الجوزية، ج٢/٩٥.

(٢) شبهات حول التشريع الإسلامي، محمد نبيل غنايم، ص٧٧، مكتبة المنار.

ز- مراعاة مصالح المجتمع.

ح- العقوبات في الأسلام تتناسب مع الفطرة والأخلاق.

٢- موقف الشرائع السماوية من الحدود.

أ- مقصد الشريعة العام:-

لقد نسي أولئك الذين ملأ الحقد قلوبهم على الأسلام أو تناسوا أن الأسلام يهدف من تشريعات الحدود عند ثبات الجريمة أن يجتث جذوها، وأن يمنح الناس الأمن على أعراضهم والاستقرار في مجتمعاتهم.

إن شريعة الإسلام عندما تحرم فعلا من الأفعال أو تحسنه، أو تحث الناس على ايقافه أو تركه، أو تحدد عقوبة لأمر من الأمور إنما تتوخى حماية مصالح المسلمين المقررة لهم بمقتضى قواعد الشريعة ومقاصدها العامة والخاصة، سواء أكانت المقاصد ضرورية أو حاجية أو تحسنية وقد أجمعت الشرائع على وجوب رعاية الضرورات الخمس والمحافظة عليها وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. وهي مقاصد لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث اذا لم يلتزم الناس بالمحافظة عليها صار أمرهم إلى الفساد والفوضى وسفك الدماء وفوات النعيم في الآخرة. [(١)]

ومما لا شك فيه أن الجريمة هي اعتداء على واحد من هذه ا لأمور الخمسة المتقدمة - الضروريات. فالزنى اعتداء على النسل، والسرقة اعتداء على المال، وشرب الخمر اعتداء على العقل، والردة اعتداء على الدين، وهكذا.

واذا كانت الجرائم على هذا اعتداء على تلك المصالح التي جاءت الشريعة لحمايتها فلا بد من عقاب رداع يمنع الآثم من أن يستمر في اثمه.[(٢)]

---

(١) القصاص- الديات، العصيان المسلح في الفقه الإسلامي، أحمد الحصري، ص٢٥، منشورات وزارة الأوقاف الأردنية، ط٢/١٣٩٤/١٩٧٤.

(٢) الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، محمد أبو زهرة، ص٢٢، دار الفكر العربي.

واذا دققنا النظر في عقوبات الأسلام المفروضة فاننا نجد أن كل عقوبة، إنما هي لحماية الجماعة وصيانتها من أن تتعرض للفساد، وذلك بأن يكون أهل الدعارة والفساد هم الذين يبرزون في الساحة، ويختفي أهل الطهر والعفاف فيكون المظهر كله أثيما، وتتعرض بذلك المصالح الخاصة والعامة للاعتداء.[١]

إن حفظ نظام الناس وصلاحهم يعني صلاح عقولهم، صلاح أعمالهم وصلاح نفوسهم، وصلاح أموالهم، وصلاح علاقاتهم، وأحوالهم كلها، وإبعادها عن الفساد والمفسدين وهي غاية النبوات، وهدف الشرائع قال الله تعالى: ﴿إن أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله﴾[٢]. وقد نعى الله على المفسدين بقوله: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾[٤].

وأما الاحتجاج بالحرية الشخصية فمردود، فإن من القواعد المعروفة أن حرية الأنسان الشخصية مطلقة الا فيما يعود بالضرر على نفسه، أو على غيره وقد أثبتت التجارب أن الزنا فيه ضرر على الزانيين صحيا وأدبياً ويتعدى الضرر منهما إلى غيرهما من أسرتيهما، كما أن الخمر فيه ضرر على الشارب وعلى المجتمع، وكذلك بقية الجرائم أضرارها تنعكس على صاحبها وعلى المجتمع الذي يعيش فيه، وهذه أمور تناسبها العقوبة البدنية أكثر من العقوبة الروحية، والجرائم التي تحصل في العالم هي أكبر شاهد على ذلك، فلو طبق حكم الأسلام لاستؤصل الشر من أصله، من هذا يظهر أن العقوبات المفروضة في الأسلام دعت اليها الحكمة واقتضتها المصلحة.

---

(١) نفس المرجع، ص٢٢.

(٢) سورة هود، آية ٨٨.

(٣) سورة محمد، آية ٢٢.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٠٥.

ثانيا: العقوبات في الأسلام زواجر وجوابر

لقد شرع الله تعالى العقوبات قمعا للشر من النفوس وتخويفا لمن فقد التقوى، فهي عقاب مادي لأهل الشر في الدنيا وهي تعمل على تأديب الجاني وتزجر غيره عن سلوك طريقته واتباع منهجه في الشر، وهي تردع الطبع عن مغالبة الشهوات الملهية من وعيد الآخرة بعاجل اللذة. (١)

وقد قال بعض الفقهاء: «إنها موانع قبل الفعل زواجر بعده، أي العلم بشرعتيها يمنع الإقدام على الفعل وايقاعها بعده يمنع العودة اليه. (٢)

والعقوبة ينبغي أن تكون بالقدر الذي يكفي لتأديب المجرم ومنع غيره من ارتكاب الجريمة. هذا من حيث كونها زواجر.

وأما كونها جوابر: أي أن العقوبة طهرة لنفس الجاني، وجبر لعقوبته اذا اقترنت بالتوبة الصادقة التي يتحقق فيها أركانها من الاقلاع عن الذنب، والندم على ما فات، وكراهة العودة إلى المعصية.

وقد دل القرآن على أن العقوبات تجبر الذنب وتمحوه، اذا خلصت النية لله بالتوبة قال الله تعالى: ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿وأني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ (٤).

وأكدت السنة هذا المعنى فقد ورد عن النبي ﷺ: «من أصاب في الدنيا ذنبا فعوقب

---

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص٢٢١، ط/١٣٩٨، بيروت؛ التشريع الجنائي، عبد القادر عوده، ج١/٦١٠، دار الكاتب العربي، بيروت.

(٢) شرح فتح القدير، الكمال بن الهمام، ج٤/١١٢.

(٣) سورة المائدة، آية ٣٩.

(٤) سورة طه، آية ٨٢.

به، فالله أعدل أن يثني عقوبته على عبده ومن أذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه فالله أكرم من أن يعود في شيء عفا عنه»[(١)].

فالعقوبات شرعت رحمة من الله تعالى بعباده، وهي صادرة عن رحمته بالخلق وارداة الاحسان اليهم، وهي وسيلة للزجر، وصيانة لحياة الأفراد وضمان لاستقرار العمران الانساني وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾[(٢)].

ثالثاً: العمل على وقاية المجتمع من الأسباب التي تؤدي إلى الجريمة. جاء الإسلام لينقل البشر إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، فهو يعتبر الأخلاق أصول الحياة، وليست من مواد الترف، لذلك نجد أنه يحارب الجرائم الخلقية، ويسد منافذها قبل وقوعها، ويعمل على وقاية المجتمع من أسبابها، وبعد ذلك يقرر العقوبة الرادعة وهو مطمئن إلى هذه العقوبة فاذا لم يقدر المجتمع على منع أسباب الجريمة، أو أحاطت به شبهة، فهنا يسقط الحد ويلجأ ولي الأمر إلى إطلاق سراح المجرم أو توقيع عقوبات التعزير التي تتناسب مع الجريمة[(٣)].

وقد سلك الأسلام طرقا متعددة لوقاية المجتمع من الجرائم منها:

١- العمل على تثبيت دعائم العدل في النظام الاقتصادي والحرص على توزيع الثروة توزيعا عادلا، ومعالجة مشكلة الفقر، وتوفير العمل لأفرادة، واذا لم يوجد العمل، عمل بيت المال على تخصيص رواتب لهؤلاء العاطلين عن العمل.

فبهذه الطرق يمنع الأسلام وقوع جريمة السرقة، فاذا ما وقعت بعد ذلك من أحد أفراد المجتمع استحق العقوبة المنصوص عليها في القرآن.

---

(١) رواه ابن ماجه، ج٢/٨٦٨، الحديث رقم ٢٦٠٤.

(٢) سورة البقرة، آية ١٧٩.

(٣) شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص١٥٤، دار الشروق، ط١٤.

٢- تيسير أسباب النجاة من الوقوع في الجريمة التي يستحق عليها الأنسان العقوبة فمثلا الزنا أغلق الأسلام الأبواب الموصلة اليه، فمنع الاختلاط والتبرج، والدخول على النساء، والخلوة بهن ... الخ.

وطالب الأنسان بغض البصر، ورغب في الزواج وسهل طرقه، وسمح بالتعدد إلى غير ذلك من وسائل التيسير، فاذا ما وقع الأنسان في الزنا أصبح خطراً على المجتمع لا يستحق الحياة فكان عقابه القتل بالرجم إذا كان متزوجاً.

٣- وهكذا شأن الأسلام في بقية العقوبات، يعمل على وقاية المجتمع أولا من دوافع الجريمة، ثم بعد ذلك يقيم الحد على من يستحق ذلك، فأي نظام في الدنيا كلها يبلغ هذه العدالة.

يقول الأستاذ محمد قطب: «إن الأفرنج الذين يخشى المسلمون تشنيعهم على الأسلام بسبب تطبيق هذه العقوبات يستفظعونها ويرون فيها أهدارا لكيان الفرد واستهتارا بشأنه، لأنهم لم يدرسوا نظرة الأسلام للجريمة والعقاب على حقيقتها، ولأنهم يتصورون خطأ أنها كعقوباتهم "المدنية" ستطبق كل يوم، فيتصورون في المجتمع الأسلامي مجزرة هائلة: هذا يجلد، وهذا يقطع، وهذا يرجم، ولكن الواقع أن هذه العقوبات الرادعة لا تكاد تنفذ، ويكفي أن حد السرقة، لم ينفذ الا ست مرات في أربعمائة سنة لنعرف أنها عقوبات قصد بها التخويف الذي يمنع وقوعها ابتداء، كما أن معرفتنا بطريقة الأسلام في وقاية المجتمع من أسباب الجريمة قبل توقيع العقوبة تجعلنا في اطمئنان تام إلى العدالة في الحالات النادرة التي توقع فيها هذه الحدود».

ولن يجد هؤلاء الأفرنج أو غيرهم ما يخشونه من تطبيق الحكم الأسلامي إلا أن يكونوا كلهم مجرمين بالطبع، مصرين على الاجرام رغم انتفاء المبررات التي تدفعهم إلى الجريمة. [(١)]

---

(١) شبهات حول الإسلام ، محمد قطب، ص١٥٥، دار الشروق، ط١٤.

رابعاً: تُدرأ الحدود بالشبهات:

يعد العمل على وقاية المجتمع من أسباب الجريمة، فإن وقعت تحقق قبل تنفيذ العقوبة من توفير كل أسباب الوقاية، فأن أختل شيء منها فلا يقام الحد وفيما يلي دليلا على تقرير هذا المبدأ في الأسلام. فعمر رضي الله عنه لم ينفذ حد السرقة في عام الرمادة لوجود الشبهة والحادثة التالية تدل دلالة واضحة على مبدأ درء الحدود بالشبهات.

روي أن غلمانا لابن حاطب ابن أبي بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم عمر فأقروا، فأمر كثير بن الصلت بقطع أيديهم فلما ولى رده ثم قال أما والله لولا أن أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لحل له، لقطعت أيديهم، ثم وجه القول لابن حاطب بن أبي بلتعة فقال: وأيم الله اذا لم أفعل ذلك لا غرمتك غرامة توجعك.

ثم قال يا مزني، بكم أريدت منك ناقتك، قال: بأربعمائه قال عمر لابن حاطب اذهب فأعطه ثمانمائة".[1] فهذا مبدأ صريح لا يحتمل التأويل، هو أن قيام ظروف تدفع إلى الجريمة يمنع تطبيق الحدود، عملا بحديث الرسول ﷺ: "ادرأوا الحدود بالشبهات"[2] وقوله عليه الصلاة والسلام: "ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعا" [3]

إن هذا الحديث يشير إلى أن أي احتمال لعدم اجتماع شروط اقامة الحد فإن الحد يسقط عن المتهم، وعلى الحاكم أن يستعيض عنه بما يراه من أنواع العقوبات التعزيرية الأخرى.

خامسا : العقوبات في الاسلام تأديب لا انتقام

إن إقامة الحدود في الاسلام لا تعني الانتقام من الجاني وانما تهدف الى استصلاحه

---

(١) شبهات حول الإسلام ، محمد قطب، ص١٦٢-١٦٣، ط/١٣٨٧-١٩٧٦.

(٢) سبل السلام، الصنعاني، ج٤/١٥، من رواية البيهقي عن علي؛ تحفة الأحوذي، ج٤/٦٨٩.

(٣) سنن ابن ماجة، ج٢/٨٥٠، الحديث رقم ٢٥٤٥.

وتربيته، وليس المقصود منها التشفي وانما المقصود التأديب ، فإقامة الحد فيه اصلاح المجتمع، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «حد يعمل به في الارض، خير لاهل الارض من أن يمطروا اربعين صباحا» [1]، وقال أيضا : «أيها الناس انما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمدا سرقت لقطعت يدها» [2].

والاسلام- يدعو الى الرحمة بالناس والرفق بهم، وفرض العقوبات رفقا بهم ورحمة ومنعا للجميع من الفساد والفوضى واختلال المصالح . لذلك اختلفت التأديب باختلاف الاشخاص والجرائم قالت عليه الصلاة والسلام (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلاّ الحدود) [3].

قال ابن عاشور: «ولذلك لم يجز أن تكون الزواجر والعقوبات والحدود إلاّ اصلاحا لحال الناس بما هو اللازم في نفعهم دون ما دونه، ودون ما فوقه، لانه لو أصلحهم ما دونه لما تجاوزته الشريعة الى ما فوقه، ولانه لو كان العقاب فوق اللازم للنفع لكان قد خرج الى النكاية دون مجرد الاصلاح» [4].

ان طابع القسوة في العقوبات الاسلامية لا يعدو أن يكون اسلوبا تربويا وقائيا اكثر من أن يكون عملا انتقاميًا او علاجا بعد الوقوع في الجريمة .

سادسا : أهداف العقوبات في الاسلام :

الذي يدرس أحكام العقوبة في الاسلام يدرك أن هدفها اصلاح النفوس والعمل على سعادة الجماعة البشرية، وإنها لم تترك سبيلا الى ذلك إلاّ سلكته وحثت عليه وأمرت

---

(١) سنن ابن ماجة، ج٢/٨٤٨، الحديث رقم ٢٥٣٨.

(٢) سنن ابن ماجة، ج٢/٨٥١، الحديث رقم ٣٥٤٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي، ج١٢/٣٨، الحديث رقم ٤٣٥٣.

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ص١٥.

بمراقبته ، فهي فيما وضعته كالطبيب الحاذق الذي يرى أن سلامة المريض وانقاذ حياته تستدعي قطع بعض الاعضاء .

ويمكن تلخيص أهداف العقوبات في الاسلام بما يلي :-

١- تأديب الجاني .

٢-ارضاء المجني عليه.

٣- زجر الآخرين عن الاقتداء بالجاني. لذلك يقول ابن العربي في أحكام القرآن ."إن الحد يردع المحدود ومن شهده وحضره يتعظ به ويزدجر لاجله ويشيع حديثه فيعتبر به من بعده .[١]

سابعا: مراعاة مصالح المجتمع :

اشتملت احكام الاسلام على مراعاة مصالح المجتمع دون اهمال مصلحة الفرد ولهذا فانها لا تهمل مصلحة الجماعة في تأديب المجرمين وايقاع العقوبة بهم. والذي يمعن النظر في أحكام الاسلام يلاحظ أن الشريعة الاسلامية شددت في الجرائم الماسة بكيان المجتمع مساسا شديدا كالزنا والقذف والشرب والسرقة والحرابة والردة، والبغي، بينما خففت في الجرائم الفردية التي تظهر فيها الناحية الفردية بجانب المساس بكيان المجتمع كجرائم القتل والاعتداء على الاعضاء، ولذلك أباحت فيها العفو بينما لم تبحه في الجرائم الاولى[٢] . فالسرقة كما تضر بالجماعة من حيث التهديد العام للامن والاستقرار تضر كذلك بالفرد الذي سرق ماله، والزنا بالجماعة من حيث هدم مقومات الاسرة والقضاء على النسل يضر كذلك بالفرد من جلب الامراض المهلكة .

---

(١) احكام القرآن، ابن العربي المالكي، ج١/ تفسير سورة البقرة ﴿ولكم في القصاص حياة﴾.

(٢) هدي الإسلام، مج١٦، السنة السادسة عشر، العدد ١٩٧٢/١٣٥٢/٣؛ التشريع الجنائي، عبد القادر عودة، ج١/٦٠٩ وما بعدها؛ العقوبة، محمد أبو زهرة، ص٨-٣٦؛ فلسفة العقوبة، محمد أبو زهرة، ج١/٢١-٣٦؛ فلسفة العقوبة، فكري أحمد عكاز، ص٢٧٠ وما بعدها.

وهكذا باقي الجرائم كلها رذائل تشيع الفساد وتقضي على الفضيلة فالعقاب مقرر لمصلحة الافراد كما هو مقرر لحماية الجماعة وصيانة نظامها .

ثامناً: نظام العقوبات في الاسلام يتناسب مع الفطرة الانسانية والاخلاق :

إن العقوبات التي قررتها الشريعة الاسلامية لم تجيء ارتجالا او توضع اعتباطا، وإنما بعد فهم صحيح لتكوين الانسان وعقليته وبعد تقرير دقيق لغرائزه وميوله وعواطفه، فالله عز وجل هو الذي خلق الانسان وشرع له ما يناسبه من احكام .

والانسان مركب من جسم يحتوي على جميع الخصائص الفطرية، والله يعلم ما ينزجر به الناس، ويبعدهم عن الوقوع في الجرائم. أو التفكير فيها قال الله تعالى: ﴿الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (١) .

وتعتبر العقوبات التي شرعها الاسلام لمواجهة ظاهرة الانحراف الخلقي من انجح العقوبات واشدها اثرا في الحد من هذه الظاهرة .

ومهما حاول اعداء الاسلام الطعن في دين الله وشرعه، فانهم لن يستطيعوا إنكار الواقع الذي برهن أن عقوبات الاسلام أنفع للناس من حيث القضاء على الجريمة أو التقليل من وقوعها . وغالب العقوبات في الاسلام بدنية توقع على الجسد، وبعضها مالي، خلافا للقوانين، الحديثة التي استبعدت هذه العقوبات، واقتصر فيها العقاب على العقوبات السالبة للحرية، وبعض العقوبات الاخرى .

ووجه الملاءمة يظهر بشكل واضح، حيث أن الفطرة البشرية تتأثر بكل أمر عاجل وسريع فهي تفكر في عالم الحال، وتستبعد عالم المآل . والنفس البشرية من طبيعتها – أيضا أنها تطلب اللذة العاجلة، وتضحي في سبيلها بالمصالح المؤجلة وإن كانت هذه المصالح أكثر أهمية .

وكذلك فان النفس الانسانية تخاف من الالم العاجل الذي ينفذ عليها بسرعة، وإن كان

---

(١) سورة الملك، آية ١٤.

أثره وضرره أقل بكثير من الألم الآجل البطيء ولما كانت العقوبات البدنية عاجلة في تنفيذها سريعة في إحداث آثارها فان مجرد التفكير في تنفيذ الجريمة يكون كافيا لصرف الانسان عن الوقوع في الجريمة لان الدافع الوحيد الذي يصرف الانسان عن اللذة هو الألم، لان الانسان لا يمكنه الاستمتاع بنشوة اللذة إذا تذوق مر العذاب .

أما القوانين الوضعية، فانها تركز على الجانب المعنوي من الانسان المتمثل في روحه، وارادته، وهذ بطبيعتها بطيئة، وتنفذ بالتدريج، والنفس بفطرتها تختار الألم البطيء الذي يحدث على دفعات واقساط، وتفضله على الألم العاجل، وهذا مما يقلل فائدة العقوبات الوضعية .(١)

ولقد دلت الاحصاءات على فشل هذه العقوبات في محاربه الإجرام، وبخاصة تلك الجرائم التي شرّع لها الاسلام عقوبات بدنيه .

كما أن نظام العقوبات في الاسلام يتناسب مع قانون الاخلاق تناسبا تاما فالشريعة الاسلامية تجعل العقاب لما يخالف قانون الاخلاق، والثواب على ما يوافقه، فكل ما هو شر تعاقب عليه الشريعة، إما في الدنيا وإما في الآخرة .

فأكل أموال الناس، والاعتداء على أعراضهم، أو ارواحهم أو إهدار عقولهم، وترك الدين، كلها أمور مخالفة لقانون الاخلاق ومن خرج على قانون الاخلاق فانه يستحق العقوبة على فعله .

موقف الشرائع السماوية من القصاص :-

لقد عرفت الشرائع السماوية كلها القصاص، فاليهودية تقر ذلك، والنصرانية كذلك، ولم تكن الشريعة الاسلامية هي التي انفردت بالعقوبات وحدها عن باقي الشرائع . وقد نصت التوراة الصحيحة على القصاص كما حكى ذلك القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالأنف والاذن بالأذن والسن

---

(١) الوجيز في الفقه الإسلامي، محمد نعيم ياسين، ص٣٤-٣٦، ط١/١٤٠١، ط١، دار الفرقان، عمان.

بالسن، والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له، ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون﴾[1] فالآية تشير بأن الله فرض على اليهود في التوراة، أن النفس تقتل بالنفس والعين تفقأ بالعين اذا فقئت بدون حق والانف يجدع بالأنف اذا قطع ظلما والاذن تقطع بالأذن والسن يقلع بالسن والجروح يقتص من جانيها بأن يفعل به مثل ما فعله بالمجني عليه، وهذا في الجراح التي يمكن فيها المماثلة ولا يخاف على النفس منها.

ثم قال ابن عباس : فمن عفا عن الجاني وتصدق عليه فهو كفارة للمطلوب وأجر للطالب[2].

وجاء في توراة اليهود المحرفة ما يؤيد ذلك: "من ضرب انسانا فمات يقتل قتلا، ولكن الذي لم يعتمد بل أوقع الله في يده، فأنا اجعل له مكانا يهرب اليه، واذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت، ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا، ومن سرق انسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا، من شتم أباه أو أمه يقتل قتلا، واذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الاخر بحجر أو بلكمة ولم يقتل بل سقط في الفراش، فان قام وتمشّى خارجا على عكازه يكون الضارب بريئا، الا انه يعوض عطلته وينفق على شفائه، واذا ضرب انسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه، لكن ان بقي يوما أو يومين لا ينتقم منه لانه ماله، واذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرم كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن يد القضاة، وان حصلت أذية تعطى نفسا بنفس، وعينا بعين، وسنا بسن، ويدا بيد، ورجلا برجل، وكيّا بكيٍّ، وجرحا بجرح، ورضا برض واذا ضرب انسان عين عبده أو عين أمته فأتلفها، يطلقه حرا عوضا عن عينه، وان سقط سن عبده أو سن أمته يطلق حرا عوضا عن سنه[3].

---

(١) سورة المائدة، آية ٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٢/٦١؛ صفوة التفاسير، الصابوني، ج١/٣٤٦.

(٣) سفر الخروج، ٢١/١٢-٢٧؛ راجع سفر العدد، ٣٥/١٦-٢٧؛ راجع سفر التثنية، ٩/٦، ٧، ٨، ٩.
فإن في هذه الأسفار ما يدل على القصاص وإقامة الحدود.

وأما دعوة عيسى عليه السلام فان ما ورد في التوراة يعتبر شريعة له مالم يوجد ما يخالفه على أنه حكم مقرر ثابت فهو يقول (ما جئت لانقض الناموس وانما جئت لاتمم) ولا يتصور أبدا أن عيسى عليه السلام يضع تشريعا لا يقتل فيه القاتل ولا يسجن فيه الظالم، فطبيعة البشر تميل الى العدوان فاذا لم يوجد تشريع يقتص من المعتدي، فسيكون في وسع القوي أن يلتهم الضعيف، ولا يجد الضعيف من ينصره . لان القصاص هو الجزاء الاوفى للاشرار، يقمع شرهم، ويقضي على نزعتهم الاجرامية، أو على الاقل يخفف من خطورتهم على المجتمع الذي يجب أن يعيش أفراده في ظل نظام يعرف القصاص العادل .

وقد ورد في الانجيل بعض الوصايا بالعفو في الجرائم الشخصية، وهذا لا يعتبر تشريعا عاما يجب تنفيذه، ولكنه وصية لشخص المجني عليه إن اراد اتبعها وإلاّ فالقانون هو الذي يُنفِّذ .

يقول الدكتور عبد الخالق النواوي : "وتأسيسا على ذلك نرى الانجيل جاء بالنسبة للعقوبات مكملا للشدة التي اشتملت عليها التوارة ". والقرآن الكريم جاء مشتملاً لعنصري الشدة والعفو، يأمر بالقصاص ويتبعه طلب العفو" .(١)

ثم بعد ذلك نقول : إن التاريخ الاسلامي يدل دلالة قاطعة على أن أحكام العقوبات في الاسلام نجحت نجاحا تاما في تحقيق الامن والسلام في البلاد التي طبقتها في حين لم تنجح القوانين الوضعية في شيء من ذلك .

واذا اشتملت عقوبات الاسلام على الإيلام فإن الهدف من ذلك تحقيق الغرض الذي شرعت من أجله، ولا يتصور العقل عقوبة رادعة من غير قسوة .

ثم نقول لاولئك المستشرقين والمستغربين الناعين على احكام الاسلام قسوتها . أي العقوبتيين أخف قطع اليد أو الرجل وابقاء جميع البدن أو إزهاق الارواح بالمئات والآلاف داخل دول الحضارة .

---

(١) جرائم القتل في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، عبد الخالق النواوي، ص٩-١٠، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

وهل إقامة الحد على السارق يعيب التشريع الاسلامي، وذبح الابرياء وتدمير بلاد بكاملها في مشارق الارض ومغاربها بقنابلهم الفتاكة وطائراتهم المدمرة حضارة ومدنية .

إن قوانين البشر فيها تضييع للاموال والجهود، وافساد للاخلاق والنفوس، وسبب ازدياد الجرائم وجرأة المجرمين، واخلال بالأمن الى غير ذلك من أنواع البشاعات والقبائح كما أثبتت التجارب .

وطريقة الخلاص من هذا كله العودة الى أحكام الاسلام التي لا يتطرق اليها الخلل ولا يدخلها العدول، ففي تطبيقها يتحقق الامن وتنتشر السعادة . ثم بعد هذا : أليس من الحماقة أن يتهم التشريع الاسلامي بالهمجية والقسوة .

إن التشريع الاسلامي في العقوبات لا يمكن أن يصفه بالقسوة الا من أغمض عينه عن حقائقه الثابتة .

ولا بد للطاعنين من النظر الى الامور التالية :

أ- خطورة الجرائم التي رتب الشارع عليها العقوبات، فهي في جملتها اعتداءات صارخة على جميع الانظمة الاساسية التي يقوم عليها المجتمع .

ب- إن النظام الاسلامي يتسم بالكمال فهو يلبي متطلبات النفس وحاجات المجتمع، ويزيل أسباب الحقد والكراهية ويعمل على صيانة المجتمع من جميع الأسباب التي تودي الى الانحراف والجريمة .

جـ -القيود التي وضعها الاسلام حول تلك العقوبات والتي تبدأ من اتهام المتهم حتى إدانته أو برائته. وقد تقدم عرض لأهم مبادىء الاسلام حول العقوبات [1] .

---

(١) الوجيز في الفقه الجنائي الإسلامي، محمد نعيم ياسين، ص١٤٢ وما بعدها، دار الفرقان، ط١/١٤٠١/١٩٨١.

الفصل الثاني

المستشــــرقون والمــــرأة

جهز أعداء الأسلام من المستشرقون والمبشرين خطة تدميرية ضد المرأة المسلمة تحت دعاوى عريضة ظاهرها الرحمة وباطلها العذاب.

وفي إطار سرقة المسلمين من الأسلام، كان التركيز على سرقة المرأة المسلمة هدفا اساسيا ورئيسيا حتى يمكن ضرب الداخل ثم تفكيكها، وتسهيل عملية الاستلاب الشامل للأسرة والمرأة جميعا ليبقى الاسلام بعد ذلك مجرد ذكرى في نفوس المسلمين .

لقد رفع اعداء الاسلام شعار الدعوة الى تحرير المرأة وهم بالحقيقة لا يريدون لها حرية ولا تقدما ولاخيرا .

رفعوا شعار الدعوة الى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، ودفعها الى العمل بالخارج رغما عنها، وتحقير شأن العمل المنزلي وتربية الأولاد، ثم اندفعوا في مرحلة جديدة يهاجمون فيها التشريع الاسلامي الخاص بالطلاق وتعدد الزوجات والحقوق المترتبة على كل من الزوجين بالنسبة للآخر .

وقد استخدموا في ترويج دعاويهم بعض الفتيات المسلمات، وهيأوا لهن اكثر من وسيلة تعبيرية، وقناة اعلامية، لا بل عملوا على تنصيبهن كزعيمات ورائدات للتحرر الخارج من خلال الصحف والمجلات المهاجرة التي تصدر في العالم الاوربي. ومن خلال دور الاذاعة التي اخبارها بالعربية .

الهدف من هذه الحملات

ان الهدف من هذه الحملات المسعورة التي تشن ضد المرأة المسلمة تهدف الى اقتلاع المرأة من سور العفة المنيع الذي أحاطها به الاسلام عن طريق تزيين الغواية لها، وإغرائها بالتبرج ونبذ الفضيلة، وايهامها ان ذلك كله : مسايرة للتقدم ومواكبة للنضج العقلي والرقي الحياتي.

المبحث الأول

المستشرقون وتعدد الزوجات

تعدد الزوجات إحدى المسائل التي كان لصوت الغرب المتعصب ودعايته المسمومة أثر في توجيه الافكار الى الطعن فيه. تقول المستشرقة الالمانية (زيغريد هونكة) (Zored Honkh) "وكان تعدد الزوجات في الجاهلية ضرورة اقتضها ظروف المعيشة والرغبة في العدد الكبير من الاولاد لتقوية مركز القبيلة، ولتوطيد العلاقة بين مختلف القبائل بالمصاهرة، وبظهور الاسلام استمرت تلك الضرورة نتيجة لبدء الفتوح .

ثم نقول . . "فالاسلام قدّس الزواج وطالب بالعدل بين الزوجين أو الثلاث أو الأربع في المعاملة (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة" أليس هذا نصا صريحا يطلب فيه من المؤمنين أن يتزوجوا بواحدة فقط، ومن ذا الذي يستطيع ان يعدل بين النساء . . . ."[1]

يفهم من كلام هذه المستشرقة أنها تريد ان تقول : في الاصل لا يوجد تعدد زوجات وان الكتب السماوية لم تبح ذلك، بل هذا التعدد نشأ في زمن الجاهلية لضرورة اقتضتها الظروف، وقد استمرت تلك الضرورة بظهور الاسلام نتيجة لبدء الفتوح. وتزعم أن الاسلام قد منع هذا التعدد، وأمر بالرجوع الى التزوج بواحدة فحسب، لعدم استطاعة الإنسان العدل بين النساء مستدلة بقوله تعالى: ﴿فان خفتم الا تعدلوا فواحدة﴾ .

ولما كان كلام هذه المستشرقة ومن كان على شاكلتها بأن فكرة تعدد الزوجات منشؤها العرب، وأنها حاجة اقتضتها الضرورة الزمنية هو خلط كمن يخبط خبط عشواء . لذلك نرى ان بعض الباحثين الاجتماعيين يقرر ان تعدد الزوجات جريمة اجتماعية على الأسرة والأمة فيجب الحد منها بقدر المستطاع .

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، المستشرقة زيغريد هونكة، ص٤٧١-٤٧٢، ط١٩٦٩/٢، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

ويزعم هؤلاء ان التعدد يترتب عليه ما يلي :-

١ - الخصام والشقاق بين الرجل وبين زوجاته، وبينه وبين أولاده مما يفسد الأولاد وينشئهم على مساوىء الاخلاق.

٢ - الإخلال بكرامة المرأة، لأن المرأة لا تحس انها موفورة الحق والكرامة ما دامت تشعر ان غيرها يشاركها قلب زوجها، وحبه وحنانه، فالمرأة تريد من الزوج ان يكون لها وحدها، كما ان للزوج الحق في أن تكون زوجته له وحده دون سواه . .!. !

٣ - كثرة النسل التي يتسبب عنها في كثير من الاحوال الفقر وضعف التربية، كما انها تؤدي الى التشرد والسقوط في مهاوي الرذيلة والانحراف .[١]

٤ - ايقاع الظلم بالزوجة .

هذه مزاعم باطلة بتهويلات خبيثة ألبسها اعداء الاسلام ثوبا قشيبا وعرضوها عرضا حسنا للنيل من أنظمة الاسلام وقوانينه .

وقد ردد هذه الفرية المستشرق هنري ماسيه (Henry Masse) الذي يقول: (إن القرآن كان قليل الرأفة بالنساء)[٢] ، وكذلك المستشرق جولدتسيهر (Gold Ziher) المجري ، والمستشرقة (كلاوده) (Klwdh) حيث قالوا (ان نساء المسلمين يعشن كالإماء والعبيد) وبعضهم يغلو في التهام فيقول (انهن يعشن كالبهائم لأن كل رجل يستطيع ان يتزوج اربعا، وان يملك الى جانبهن ما يشاء من الجواري بغير حساب . . . وفي ذلك منقصة لحق المرأة، ومهانة لكرامتها.[٣]

---

(١) ماذا عن المرأة، نور الدين عتر، ص١٤٣، ط دار الفكر، بيروت، وبيت الطباعة؛ تعدد الزوجات والطلاق في الرسلام، علي عبد الواحد وافي، ص٣١، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ١٩٦٠؛ حقوق الإنسان في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص١٦١ وما بعدها، ط٤، دار نهضة مصر.

(٢) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص٧٥.

(٣) المرجع السابق، ص٧٧.

الرد على شبهة تعدد الزوجات

للرد على هذه الشبهة لا بد من دراسات النقاط التالية :

أولا : موقف الامم السابقة من التعدد .

ثانيا : موقف علماء الغرب من التعدد .

ثالثا : الحكمة من التعدد .

رابعا : رعاية الشريعة الاسلامية لنظام التعدد .

أ – التعدد عند الامم السابقة : – ليس تعدد الزوجات بدعا في تاريخ البشرية فقد كان معروفا عند قدماء المصريين والفرس والاشوريين واليابانيين والهندوس والصينيين، وقد سمحت شريعة ليكي الصينية بتعدد الزوجات الى مائة وثلاثين امرأة وكان عند أحد اباطرة الصين نحو ثلاثين ألف امرأة .[(١)]

ب – موقف اليهودية من التعدد : – ان اليهودية تبيح بدون حد وبهذه الاباحة وردت، اخبار ابراهيم ويعقوب وموسى وداود وسليمان [(٢)] ، جاء في كتاب حقائق الاسلام واباطيل خصومة ما يلي : –"ولا حجر على تعدد الزوجات في التوراة وفي الانجيل بل هو مباح مأثور عن الانبياء أنفسهم من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى عهد الميلاد ، ولم يرد في الانجيل نص واحد يحرم ما أباحه العهد القديم للآباء والأنبياء [(٣)] .

وقد جاء في سفر الملوك الاول ما يلي : "وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون مؤابيات وعمونيات وأدوسيات وصدونيات، وحثيات من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم، وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، ص٧١، ط٣، المكتب الإسلامي؛ تعدد الزوجات في الإسلام، عبدالله علوان، ص١٥، ط٢/ ١٤٠٤/١٩٨٤؛ تاريخ الطبري، ج٤/٣٤١، دار السلام.

(٢) حقائق الرسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، ص١٨٥، الموسوعة، ج٥.

(٣) المرجع السابق، ج٥/١٧٦.

آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء والسيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه [1]. فليت هؤلاء الذين يطعنون بأنظمة الاسلام يقرأون ما ورد في كتبهم المقدسة .

جـ - موقف النصرانية من التعدد : - لم يرد في الانجيل نص يحرم تعدد الزوجات، بل إنه ورد في رسالة بولس الاولى ما يفيد جواز التعداد " يجب ان يكون الاسقف بلا لوم بعل أمرأة واحدة، صاحيا عاقلا محتشما مضيفا للغرباء صالحا للتعليم" [2]. ففي إلزام الاسقف وحده بذلك يدل على جوازه لغيره .

كما ان التاريخ يثبت أن المسيحيين القدامى كانوا يتزوجون اكثر من واحدة، جاء في كتاب المرأة في القرآن الكريم أن (وسترمارك) (Westarmarke) " ان تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي الى القرن السادس عشر، وكان يتكرر كثيرا في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة والدولة " . [3]

ويقول ايضا : "ان (ديار ماسدت) ملك ارلنده كان له زوجتان وسريتان" [4] . وذكر ايضا ان بعض الطوائف المسيحية ذهبت الى ايجاب تعدد الزوجات، ففي سنة ١٥٣١ نادى اللامعمدانيون في مونستر صراحة بأن المسيحي - حق المسيحي - ينبغي ان تكون له عدة زوجات، ويعتبر المورمون كما هو معلوم ان تعدد الزوجات نظام إلهي مقدس" [5] وذهب جورج زيدان : الى انه لا يوجد في النصرانية نص صريح يمنع أتباعها من التزوج بامرأتين فاكثر، ولو شاؤا لكان تعدد الزوجات جائزا عندهم، ولكن رؤساء النصرانية

---

(١) سفر الملوك الأول، ١١/١-٤.

(٢) رسالة بولس الأولى إلى ثموتاوس، ٣/٢.

(٣) المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، ص٧٢.

(٤) المرأة في القرآن، عباس محمود العقاد، الموسوعة، ج٤/٤٧١.

(٥) المرجع السابق، ج٤/٤٧١.

القدامى وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة اقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها. وكان ذلك شائعا في الدولة الرومانية - فلم يعجزهم تأويل آيات الزواج حتى صار التزوج بغير امرأة حراما كما هو مشهور .(١)

كما ان النصرانية المعاصرة اعترفت بنظام تعدد الزوجات في أفريقيا السوداء للافريقين النصارى الى غير حدود . كما ذكر (نورجيه) (Norgeh) مؤلف كتاب الاسلام والنصرانية في أواسط أفريقية : وليس من الكياسة ان نحرم عليهم التمتع بأزواجهم ما داموا نصارى يدينون بدين المسيح، بل لا ضرر من ذلك ما دامت التوراة وهي الكتاب الذي يجب على المسيحيين ان يجعلوه أساس دينهم يبيح هذا التعدد فضلا عن ان المسيح قد أمر بذلك في قوله: الا تظنوا اني جئت لأهدم بل لأتمم .(٢)

كما ان الشعوب النصرانية الحديثة عملت على معالجة زيادة عدد النساء باباحة تعدد الزوجات، ففي اعقاب الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ نشرت الصحف الغربية اخبارا عن مطالبة نساء المانيا بتعدد الزوجات بسبب ذهاب كثير من رجالهن في الحرب .

وفي عام ١٩٤٨م عقد مؤتمر للشباب في ميونخ بالمانيا، وبحث مشكلة زيادة عدد النساء وكانت النتيجة ان أقرت اللجنة توصية المؤتمر بالمطالبة باباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة . وفي عام ١٩٤٩م طلب أهالي بون من السلطات المختصة ان ينص الدستور الالماني على إباحة تعدد الزوجات .(٣)

وجاء في مجلة لواء الاسلام المصرية : أن كبير اساقفة انجلترا أعلن أنه لا يجد علاجا لمنع التحلل الخلقي والانهيار العائلي اللذين فشيا بعد الحرب العالمية الثانية إلا بأباحة تعدد الزوجات فهو الذي يمنع المرأة الانجليزية من الانهيار النفسي، وارتكابها للجريمة

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون، السباعي، ص٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص٧٤.

(٣) المرأة بين الفقه والقانون، السباعي، ص٧٥؛ مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص٩٢.

والعار، ويرد اليها الكرامة والعزة حيث لا تكون فراشا لرجل الا بكلمة الله .[١]

التعدد عند العرب في الجاهلية : -

لقد انتشر تعدد الزوجات عند العرب في الجاهلية، فكان الواحد منهم يجمع بين عشر نسوة، حتى جاء الاسلام وقيد هذا الاطلاق وحصرها بأربع نسوة فقط عن ابن عمر ان غيلان بن مسلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية، فأسلمن معه فأمره النبي ﷺ ان يتخير منهن أربعا .[٢]

موقف اوربا الحديثة من التعدد : -

وأما اوروبا المسيحية فقد منعت تعدد الزوجات الشرعيات، وفتحت مكانه باب السفاح، وجعلت المرأة سلعة تتاجر ببضعها، وسمحت للرجل في ان يعير زوجته لذوي الشأن للتجابه والتبريك يقول الفيلسوف الانجليزي هربرت سبنر (Herbt Spnr): إن الزوجة كانت تباع في انجلترا خلال القرن الحادي عشر ، وأنه حدث في القرن الحادي عشر ان المحاكم الكنيسة سنت قانونا ينص على ان للزوج ان ينقل او يعير زوجه الى رجل اخر لمدة محدودة .[٣]

موقف علماء الغرب من نظام التعدد : -

لقد اثنى كثير من علماء الغرب على نظام تعدد الزوجات في الاسلام لما له من اثر كبير في اصلاح المجتمع والاخلاق، فمنع التعدد يؤدي الى ارتفاع نسبة اللقطاء والمؤودين، وقد ادرك ذلك علماء الغرب فنادى به مصلحوها في أوائل القرن العشرين .

يقول الفيلسوف الالماني الشهير (شوبنهور) (Choupin Hour) في رسالته كلمة عن النساء: "ان قوانين الزواج في أوروبا فاسدة المبنى بمساواتها المرأة بالرجل فقد

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون، السباعي، ص٩٣.

(٢) تحفة الزحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٤/٢٧٨.

(٣) حقوق النساء في الإسلام، محمد رشيد رضا، ص٦٢، المكتب الإسلامي.

جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فأفقدتنا نصف حقوقنا، وضاعت علينا واجباتنا، على أنها ما دامت أباحت للمرأة حقوقا مثل الرجل كان من اللازم ان تمنحها أيضا عقلا مثل عقله " [١] .

ثم يقول : "ولا تعدم امرأة من الامم التي تجيز تعدد الزوجات زوجا يتكفل بشئونها، والمتزوجات عندنا نفر قليل، وغيرهن لا يحصين عددا تراهن بغير كفيل، بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهي هائمة متحسرة، ومخلوقات ضعيفة من الطبقات السفلى يتجشمن الصعاب ويتحملن مشاق الاعمال، وربما ابتذلن فيعشن تعيسات متلبسات بالخزي والعار، ففي مدينة (لندن) وحدها ثمانون ألف بنت عمومية (هذا على عهد شوبنهور) (Choupin Hour) سُفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة، ونتيجة تعنت السيدة الاوروبية وما تدعية لنفسها من الاباطيل" [٢] .

وكتبت كاتبة انجليزية في هذا الشأن فقالت : لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء، وقل الباحثون عن اسباب ذلك ، واذا كانت امرأة تراني انظر الى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنا، وماذا يفيدهن بثي وحزني وتوجعي وان شاركني فيه الناس جميعا [٣] .

وتقول أستاذة المانية في الجامعة : "إن حل مشكلة المرأة الألمانية هو في إباحة تعدد الزوجات . . . إنني افضل ان اكون زوجة مع عشر نساء لرجل ناجح على أن اكون الزوجة الوحيدة لرجل فاشل تافه، ان هذا ليس رأيي وحدي بل هو رأي نساء كل المانيا [٤] .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون، السباعي، ص٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص٧٧.

(٣) الإسلام عقيدة وسريعة، محمود شلتوت، ص٢١١، ط دار القلم.

(٤) روائع البيان، الصابوني، نقلاً عن كتاب محاضرات في الثقافة الإسلامية، أحمد جمال، نقلاً عن جريدة الأخبار المصرية، عدد ٧٢٣.

الحكمة من التعدد : -

شرع الاسلام التعدد لحكمة سامية ومصلحة عامة وضروات اجتماعية وشخصية فالله تعالى ما أحل شيئا الا ان يكون فيه مصلحة ومنفعة جمعاء، فالتعدد يهدف إلى تلبية طبيعة خلق عليها الرجل .

ويمكن ان نوجز الفوائد التي يحققها التعدد بما يلي :-

١ - الفائدة الاجتماعية .

٢ - الفائدة الشخصية .

٣ - الفائدة الخلقية .

أما الفائدة الاجتماعية فتتحقق للمجتمع في الحالات التالية : -

أولا : عند زيادة عدد النساء على عدد الرجال في المجتمع كما هو الحال في كثير من دول الشرق والغرب .

ثانيا : عند قلة الرجال عن النساء قلة بالغة، نتيجة الحروب والمصائب العامة ، كما حصل في أوروبا في الحربين العالميتين حيث هلك فيهما ملايين الرجال ، وبقيت جماهير النساء على حالها ، وقله الرجال لا تدع مجالا للمكابرة في أن الطريق الوحيد لتلافي الخسارة البالغة بالرجال هو السماح بتعدد الزوجات .(١)

إن هبوط عدد الرجال عن عدد النساء يسبب أزمة أو مشكلة لغير المتزوجات فاذا اكتفى كل رجل بواحدة فماذا يصنعن الباقيات ؟

الفوائد الشخصية التي يحققها التعدد : -

ويمكن ايجاز الفوائد الشخصية التي يحققها التعدد بما يلي : -

١ - اذا كانت المرأة عقيما، والرجل يحب إنجاب الاولاد فليس أمامه إلا أحد أمرين، إما

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، ص٦٩؛ تعدد الزوجات في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ص٢٧ وما بعدها؛ المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين، ص١٣٤، ط ١٤٠١؛ المرأة بين الفقه والقانون، السباعي، ص٨٠ وما بعدها، ط٣، المكتب الإسلامي؛ الإسلام والمرأة المعاصرة، البهي الخولي، ص٩٣، ط٣، دار القلم، الكويت.

ان يطلق زوجته، وإما ان يتزوج اخرى عليها ، والزواج عليها افضل من طلاقها .[1]

٢ – اذا أُصيبت المرأة بمرض مزمن أو معد، بحيث لا يستطيع الرجل أن يعاشر زوجته معاشرة الازواج فليس أمام الزوج الا الطريقين السابقين، ومما لا شك فيه ان بقاء المرأة مع زوجها مع السماح له بأن يتزوج عليها اصون لكرامتها واحفظ لحقوقها .

٣ – كثرة الاسفار والتنقل في البلاد للرجل، وتعذر نقل الزوجة معه والاولاد كلما سافر فهو بين حالين اما ان يقع في الحرام أو يتزوج أخرى ، والزواج بأخرى فيه مصلحة الدين والاخلاق والمجتمع .[2]

٤ – وجود القوة الجنسية عند الرجل، حيث لا يكتفي بزوجة واحدة فإما ان يشبع غريزته عن طريق المعاشرة المحرمة، واما ان يكون عن طريق الزواج المشروع، والشريعة ترضى بالزواج المشروع وترفض غيره .

وقد ذكر الغزالي سبب إباحة الزواج بالنظر الى العامل الجنسي فقال : "ومن الطباع ما تغلب عليه الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة عن الواحدة إلى الأربع فان يسر الله له مودة ورحمة، واطمأن قلبه بهن والا فيستحب له الاستبدال .[3]

ثم قال ايضا : "ومهما كان الباعث معلوما فينبغي ان يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه في الكثرة والقلة".[4]

فالغزالي يشير الى أن التعدد لتحصين النفس أمر مرغوب فيه شرعا، اي مع اخذ النفس بالعدل الواجب بين الزوجات، ويشير ايضا الى أن الذين يعددون زوجاتهم لمجرد

---

(١) معالم في الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، ص٢٦٩؛ الإسلام والمرأة المعاصرة، البهي الخولي، ص٩٠ وما بعدها، ط٣.

(٢) المرجع السابق، ص٩١.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج٢/٣٠، دار المعرفة، بيروت.

(٤) المرجع السابق.

الانتقال من ذوق الى ذوق دون حاجة اليه في تحصين النفس وعفتها عن المحرم يعملون عملا تأباه الشريعة ويمقته أدب الدين .

٥- رغبة الآباء في إكثار النسل مما يحتاج فيه الرجل الى تعدد الزوجات .[(١)]

الفائدة الخلقية : -

إن الامة التي يزيد فيها عدد النساء على عدد الرجال يكون التعدد واجبا اخلاقيا، وواجبا اجتماعيا على السواء فالتعدد أفضل من تسكع النساء في الشوارع وبيوت الدعارة بلا عائل ولا مأوى . وقد دلت الاحصائيات التي تنشر في أوروبا وامريكا عن ازدياد نسبة الاولاد غير الشرعيين ، وكثرة النساء اللاتي لا يجدن طريقا مشروعا للاتصال الجنسي. نشرت هيئة الامم المتحدة في عام ١٩٥٩ تقول : "لقد اثبتت هذه النشرة بالارقام والاحصائيات ان العالم يواجه الآن مشكلة الحرام اكثر من الحلال في شأن المواليد، وجاء في الاحصائية ان نسبة الاطفال غير الشرعيين قد ارتفع الى ستين في المائة، وأما في بعض البلاد وعلى سبيل المثال (بنما) فقد جاوزت هذه النسبة الخمسة والسبعين في المائة ، أي ان ثلاثة عن طريق الحرام من كل أربعة مواليد، وأعلى نسبة لهؤلاء الاطفال غير الشرعيين موجودة في أمريكيا اللاتينية .

وتثبت هذه النشرة أيضا ان نسبة الاطفال غير الشرعيين تصل الى العدم في البلدان الاسلامية، يقول معدّ هذه النشرة الاحصائية ان البلدان الاسلامية محفوظة من هذا الوباء لانها تتبع نظام تعدد الزوجات .[(٢)]

إن هذا الوباء الذي فاضت به المجتمعات البشرية لا علاج له إلا أن يعود العالم الى نظام الاسلام في التعدد فتصبح كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين .

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، ص٢٦٩؛ تعدد الزوجات في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ص٣٠؛ المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين، ص١٣٤، وما بعدها؛ المرأة بين الفقه والقانون، السباعي، ص٨٤ وما بعدها.

(٢) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص١٧١.

مبادئ الاسلام في التعدد وصيانته

تتلخص أحكام التعدد في الاسلام بما يلي : -

١ - الأمر بالتعدد للإباحة لا للايجاب قال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا﴾ [١].

وقد ذهب جمهور العلماء الى ان الامر في قوله تعالى (فانكحوا) للاباحة مثل الامر في قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا﴾ وفي قوله: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [٢].

وقد دلت الآية ايضا على وجوب الاقتصار على واحدة اذا خشي الانسان عدم العدل بين نسائه [٣].

٢ - لا يجوز للرجل ان يجمع بين اكثر من أربع نسوة لقوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ [٤].

فهذه الاية فيها دلالة على حرمة الزيادة على أربع، وقد أجمع العلماء والفقهاء على ذلك ، ولايقدح في هذا الاجماع ما ذهب اليه بعض المبتدعة من جواز التزوج بتسع نسوة بناء على ان الواو للجمع وأن المراد ان يجمع الانسان اثنتين وثلاثا واربعا [٥].

يقول القرطبي رحمه الله تعالى : "اعلم أن هذا العدد (مثنى وثلاث ورباع) لا يدل على إباحة تسع كما قاله من بَعُدَ فهمه للكتاب والسنة، وأعرض عما كان عليه سلف هذه الامة،

---

(١) سورة النساء، آية ٣.

(٢) روائع البيان، تفسير آيات الإحكام، محمد علي الصابوني، ج١/٤٢٥، ط١/١٣٩١/١٩٧١، مكتبة الغزالي، دمشق.

(٣) المرجع السابق، ج١/٤٢٨.

(٤) سورة النساء، آية ٣.

(٥) روائع البيان، الصابوني، ج١/٤٢٦.

وزعم زن الواو جامعة، وعضد ذلك بأن النبي ﷺ نكح تسعا وجمع بينهن في عصمته، والذي صار الى هذه الجهالة، وقال هذه المقالة الرافضة وبعض اهل الظاهر فجعلوا مثنى اثنين وكذلك ثلاث ورباع ، وذهب بعضهم الى أقبح من ذلك ، فقالوا بإباحة الجمع بين (ثمان عشرة) وهذا كله جهل باللسان والسنة، ومخالفة لاجماع الامة ، اذ لم يسمع عن احد من الصحابة والتابعين أنه جمع في عصمته أكثر من أربع، وقد أسلم غيلان وتحته عشرة نسوة فأمر عليه السلام ان يختار اربعا منهن ويفارق سائرهن .

وقد خاطب الله تعالى العرب بأفصح اللغات ، والعرب لا تدع ان تقول (تسعة) وتقول اثنين وثلاثة وأربعة وكذلك تستقبح ممن يقول : "اعط فلانا أربعة ، ستة ، ثمانية ، ولا يقول: (ثمانية عشر) .[1]

٣ - التعدد في الاسلام مشروط بالعدل بين الزوجات بقوله تعالى ﴿فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى الا تعدلوا﴾ .[2]

وقد أكد الرسول ﷺ هذا المبدأ بقوله (اذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقية ساقط). وهذا الحكم غير مقصور على امرأتين فإنه لو كانت ثلاث أو اربع كان السقوط ثابتا واحتمل ان يكون نصفه ساقطا، وان لزم الواحدة وترك الثلاث كانت ثلاثة ارباعه ساقطة .[3]

فهذا هو مبدأ الاسلام قائم على العدل والمساواة بين النساء والبعد كل البعد عن الجور والظلم بينهن .

٤- قرر الاسلام بأنه لا يجوز ان يميل عن زوجته الاولى كل الميل فيذرها كالمعلقة لا هي زوجة يؤديها حقوقها ولا مطلقة تعرف سبيلها قال تعالى: {ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٥/١٧.

(٢) سورة المائدة، آية٣.

(٣) تحفة الأحوذي، ج٤/٢٩٥، دار الفكر، بيروت.

النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، وان تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفور رحيما﴾ [1].

فالله تعالى يخبر بنفي الاستطاعة في العدل بين النساء في المحبة القلبية لأن هذا امر اضطراري لا اختياري فلا اثم فيه ، ومما يدل على ذلك ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول (اللهم : هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا املك) [2] . فمعنى قوله : لا تلمني فيما تملك ولا املك: انما يعني به الحب والمودة فالآية تدل على أمور منها :

أ/ إباحة التعدد في الزوجات .

ب/ إباحة عدم التسوية في الحب القلبي لانه أمر خارج عن ارادة الانسان .

جـ/ تحريم عدم التسوية في النفقة والعطاء بين الزوجات [3].

وقد زعم أعداء الاسلام أن هذه الآية دلت على عدم مشروعية تعدد الزوجات مع قوله تعالى: ﴿فان خفتم الا تعدلوا فواحدة﴾ . لأن هاتين الآيتين أفادتا ان العدل غير مستطاع .

والذي يرجع الى كتب التفسير يجد أن هذا القول تلاعب بكتاب الله وتحريف لكلامه عن معناه الصحيح الى معنى فاسد باطل لانه ليس من المعقول ان يفتح القرآن الحكيم باب التعدد في سياق التحذير من ظلم اليتيمات ، ويقيده بشرط يجعله مغلقا لا يدخل منه أحد.

والمعنى الصحيح للآيتين أن العدل الذي يشترط للتعدد ليس هو العدل الذي يوجب التسوية فيما لا يملكه الانسان من ميل القلب والعاطفة، ولكنه العدل الذي يسوي بين الزوجتين او الزوجات من حيث المعاملة، وإيفاء الحقوق وما يدخل في طوق الانسان إمكان

---

(١) سورة النساء، آية ١٢٩.

(٢) تحفة الأحوذي، ج٤/ ٢٩٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٥/ ٤٠٧.

التصرف فيه، وجو النص يدل على ذلك فانه جاء في الاجابة على اسئلة عرضت للصحابة حول أمور النساء، منها قضية العدل بين الزوجات ، فيبين لهم في هذه الآية رفع الحرج عن ميل القلب، لذلك قال : ﴿فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾. أي لا تميلوا إلى إحدى الزوجات ميلا يخل بتوازن المعاملة وعدالتها. فتذروا الزوجة الاخرى بأن تنقص من حقوقها وكأنها ليست زوجة أيضا ، فالآية تحدثت عن وجود زوجتين معا او أكثر للرجل وحذرت من عدم العدل بينهن، وهذا ظاهر في إقرار التعدد .

ولو كان المعنى ما فهم هؤلاء المحرفون لقال ﴿فلا تنكحوا اكثر من واحدة﴾ لكنه لم يقل ذلك ، بل نهى عن الميل المفرط الذي يتجاوز نطاق المشاعر فيؤدي الى الاجحاف في المساواة بين الزوجات وفي اداء الحقوق ، وهذا يدل على مشروعية التعدد لأن الميل إنما ينهي عنه اذا كان التعدد مشروعا ، وإلا ما كان للنهي عن الميل مكان في سياق الاية [١].

كما ان نهج الصحابة والتابعين وعملهم بمبدأ التعدد مع التقيد بالعدل الذي أمر الله به وسير المسلمين على هذا النهج أربعة عشر قرنا ليدل دلالة واضحة على جواز التعدد وكل تقييد في نظام التعدد سيقابله في المجتمع انتشار الزنى ، وإلا فأين ستذهب تلك الاعداد الزائدة من النساء التي دلت الاحصاءات على وجودها .

٥ – قرر الاسلام القدرة على الانفاق على الزوجات واولادهن فقال : ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ [٢]. اي بما يناسب حالها، ويليق بمثيلاتها من مستوى المعيشة وذلك أمر يقدره العرف وقد أكد النبي ﷺ ذلك بقوله (يا معشر الشباب عليكم بالباءة، فإنه أغض للبصر، واحصن للفرج ، فمن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم، فإن الصوم له وجاء) [٣].

---

(١) ماذا عن المرأة، نور الدين عتر، ص١٤٩–١٥٠، دار الفكر.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٤.

(٣) تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ج٤/١٩٩.

نتائج هذا المبحث

الاسلام دين سماوي يراعي الفطرة التي فطر الانسان عليها فهو يعمل على تصريف غرائزه لا وفق خطة تتناسب مع حياته، وحياة المجتمع الذي يعيش فيه، لذلك قرر الاسلام:

أولا : أن من حسنات السماح بتعدد الزوجات عند الضرورة أن يكون ذريعة من ذرائع المجتمع لدفع غوائل العيلة والفاقة عند اختلاف النسبة العددية بين الجنسين .

ثانيا : أن الاسلام لم ينشئ تعدد الزوجات ، ولم يوجه ، ولم يستحسنه ، ولكنه أباحه وفضل على التعدّدالاكتفاء بالزوجة الواحدة .

ثالثا : إن نظام التعدد يعمل على إغلاق باب الفساد الاخلاقي الذي تكفل به حياة النساء، ويحال بينهن وبين التشرد والتسكع وبه يصان المجتمع من كثرة الفواحش وازدياد الأولاد غير الشرعيين .

رابعا : إن المجتمعات الاوروبية لو عملت بنظام التعدد لقضت على الفساد الاخلاقي الذي اجتاح مجتمعاتهم ، وعمل على تدميرها .

خامسا : إن الإسلام عمل على اصلاح نظام التعدد ، فقصره على اربع زوجات، وشدد فيه على العدل ، وبعث ضمير الزوج المسلم على خوف الله ومراقبته .

شبهات المستشرقين حول تعدد زوجات الرسول ﷺ

منذ قديم الزمان وأعداء الاسلام يحاولون التشكيك في نبي الاسلام والطعن في رسالته والنيل من كرامته ، وحين يبحثون عن الاسباب فلا يجدون تعليلا لهذا الجمع سوى الشهوة الجنسية والثورة الغريزية دون البحث عن الاسباب الحقيقة للتعدد ، وها هم المستشرقون يقولون : "لقد كان محمد رجلا شهوانيا، يسير وراء شهواته وملذاته، ويمشي مع هواه، لم يكتف بزوجة واحدة أو أربع، كما أوجب على اتباعه، بل عدد الزوجات فتزوج عشر نسوة أو يزيد سيراً مع الشهوة ، وميلاً مع الهوى ."[1]

---

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ، محمد علي الصابوني، ص٧، ط/١٤٠٠.

ثم يقولون أيضا : "فرق كبير وعظيم بين "عيسى" وبين "محمد" فرق بين من يغالب هواه ، ويجاهد نفسه كعيسى بن مريم ، وبين من يسير مع هواه ، ويجري وراء شهواته كمحمد[١] .

ويقولون : "انه لو كان نبيا حقا لشغله أمر النبوة عن النساء واستدل جولد زيهر (Gold Ziher) على هذه الزعم بقول الرسول ﷺ: (حبب الي من دنياكم الطيب والنساء) وحذف من الحديث (وجعلت قرة عيني الصلاة) وزعم بانها من زيادات الصحابة ، لانه يزيد تلمس العيوب فقط للرسول ﷺ) [٢].

بعد سرد هذه الشبهات نقول تلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ما بعث الله من نبي الا وجعل له اعداء . قال تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين ، وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ [٣] .

حقا إنهم يقولون كذبا وزورا وصدق الله اذ يقول: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا﴾ [٤] " فالنبي ﷺ ما كان رجلا شهوانيا كما يدعون ، انما كان رسولا انسانيا ، تزوج كما يتزوج البشر ليكون قدوة لهم . وما كان عليه الصلاة والسلام بدعا من الرسل حتى يخرج عن سنتهم ويخالف طريقهم ، فالله عز وجل حكى عن الرسل فقال : ﴿ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ، وجعلنا لهم ازواجا وذرية﴾ [٥] ، فالانبياء الذين سبقوا محمدا تزوجوا باكثر من واحدة .

---

(١) نفس المرجع، ص٧-٨.

(٢) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص٧٩، وص ٩٥.

(٣) سورة الفرقان، آية ٣١.

(٤) سورة الكهف، آية ٥.

(٥) سورة الرعد، آية ٣٨.

إن المستشرقين الذين يطعنون في شخص رسول الله ﷺ وسلوكه معظمهم من اليهود والنصارى، وهم اصحاب كتاب ورسالة فلو أنهم رجعوا الى سيرة انبيائهم في الزواج والتعدد لما طعنوا في رسالة خاتم الانبياء ولكن : -

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وصدق الله اذ يقول: ﴿فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[(١)] حقا انه لا ينتظر من اللئيم غير اللؤم ، ومن الحقود غير الحقد، فتعدد زوجات الانبياء لا يتعارض مع واجبات النبوة واهدافها بل قد يعين عليها .

والرد على هذه الشبهة الباطلة لا بد من بحث النقاط التالية : -

١ - بيان الحكمة في تعداد أزواجه عليه الصلاة والسلام .

٢ - السبب الذي عدد فيه النبي ﷺ وتزوجِه بالأرامل ما عدا السيدة عائشة رضي الله عنها .

٣ - شهادة المستشرقين ببطلان هذه الفرية .

١ - الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ

يمكن ان نجملها فيما يلي : -

١ - الحكمة التعليمية .

٢ - الحكمة التشريعية .

٣ - الحكمة الاجتماعية .

٤ - الحكمة السياسية .[(٢)]

يقول الدكتور محمد محمد ابو شهبة في بيان الحكمة من تعدد زوجات الرسول : إن

---

(١) سورة الحج، آية ٤٦.

(٢) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ، الصابوني، ص١٣؛ تعدد الزوجات في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ص٦٤.

نبينا محمد ﷺ وهو خاتم الانبياء والرسل، ودينه خاتم الاديان وشريعته عامة لكل البشر في كل زمان ومكان ، لقد كانت زوجاته خير معوان له على تحقيق واجب البلاغ الذي هو أهم واجبات الرسالة ، ولا سيما فيما يتعلق بالحياة الزوجية .(١)

أولا الحكمة التعليمية .

في غالب المجتمعات البشرية يزيد عدد النساء على عدد الرجال ، وهذا العدد يحتاج الى تعليم، كالرجال سواء بسواء ، وامرأة واحدة لا يمكن ان تقوم بهذا الواجب . ومن هنا تقتضي الضرورة وجود عدد من النساء للقيام بواجب التعليم، وخاصة في المسائل التي يستحيين ان يسألن عنها رسول الله ﷺ كمسائل الحيض والنفاس والطهارة وقد ايدت السنة هذا الجانب .

عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض ، فأمرها ان تغتسل ؟ ثم قال خذي فرصة من مسك فتطهري بها ، قالت : كيف أتطهر ؟ قال تطهري بها ، قالت : كيف ؟ قال : سبحان الله تطهري. قالت عائشة : فاجتذبتها إلي ، فقلت تتبعي بها اثر الدم .(٢) فالرسول ﷺ استحى ان يصرح لها بوضع القطعة في المكان الذي يخرج منه الدم، حتى أخذتها عائشة وافهمتها ذلك .

والامثلة من السنة على ذلك كثيرة ومتعددة، فهل زوجة واحدة تصلح للقيام بهذا العبء والواجب وحدها ؟ إن الحقيقة لا ينكرها الا جاحد .

ثانيا : الحكمة التشريعية .

وهذه الحكمة تتجلى في ابطال عادة التبني التي كانت دينا متوارثا عند العرب ، يتبنى أحدهم ولدا ليس من صلبه ، ويجعله في حكم ولده الصلبي في الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح الى غير ذلك .

---

(١) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، ص٩٦.

(٢) سنن النسائي، ج١/١٣٥، باب ذكر العمل في الغسل من الحيض.

فالاسلام لا يقر الناس على الباطل ، بل لا بد من بيان وجه الحق، فمهّد لذلك بأن ألهم رسوله ﷺ ان يتبنى زيد بن حارثة . ثم زوجه عليه السلام بابنة عمته (زينب بنت جحش) ولم تدم الحياة الزوجية بينهما طويلا ، ولحكمة يريدها الله ، طلق زيد زوجته فأمر الله رسوله ان يتزوجها ، ليبطل (بدعة التبني) ويقيم أسس الاسلام .

موقف المستشرقين من زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش .

قال الله تعالى : ﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك ، واتق الله ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ، اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا﴾ (١) . لقد حرص كثير من المستشرقين على تشويه حقائق الاسلام ، وتلقف الروايات الضعيفة والموضوعة في كتب التراث الاسلامي والعمل على نشرها .

وتصدى لذلك علماء الاسلام ، وعملوا على تحقيق هذه الروايات . ومع الجهد المبذول إلا انه بقيت بعض الآثار من الاسرائيليات والأخبار الضعيفة متفرقة في طيات الكتب .

وتمشيًا مع أهداف الاستشراق، التمس المستشرقون الشبه ، واثاروا الكشوك عن طريق تلك الروايات الضعيفة ، حول رسول الاسلام وانطلاقا من هذه المبدأ تناولوا قصة زواج النبي ﷺ بزينب ، وعملوا على تصوير هذا الزواج بصورة سفاح. وانطلقت اقلامهم تكتب حتى صوروا الرسول ﷺ ، بالرجل الشهواني الذي يستولي على قلبه أناقة النساء ومظاهر الزينة .

وفيما يلي اقوال بعض المستشرقين : -

١ - يقول المستشرق (اميل درمنغم) (Dermenghem E.) في كتابه (حياة محمد) "شعر محمد بالعقد الاخير من عمره بميل كبير الى النساء ، ودخل محمد ذات يوم بيت

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٧.

زيد بن حارثة بعد الفراغ من غزوة بني النضير ، وكان زيد في ذلك اليوم غائبا عن بيته ، فوجد محمد نفسه تجاه زوجة زيد زينب بنت جحش ، التي كانت أجمل فتيات قومها وكانت زينب هذه آنئذ سافرة ، وشبه عارية ، وعاملة على زينتها وادارة بيتها، فأثر هذا الجمال السافر الغض الفياض في نفس النبي فقال : سبحان مقلب القلوب ، ولم ينطق بغير هذه الكلمة ، وانصرف حالا . . . قصت زينب ما رأت على زوجها زيد فارتبك كثيرا ، وكان زيد المخلص لمحمد المنعم عليه يعلم مزاجه المتقد وبدأ الوضع محيرا الى الغاية .[1]

هذا كلام مستشرق يصنف في عداد المعتدلين ، في الكتابة عن الاسلام ورسوله ، ولا يقف الامر عند هذا الحد ، بل يتعدى الى أبعد من ذلك فنجد بعض المستشرقين الحاقدين يتهم الرسول ﷺ بأنه كانت له علاقات غير شرعية مع بعض النساء .

٢ – يقول المستشرق (مونتجومري وات) (Montgomery Watt) في كتابه محمد في المدينة : "ونعلم من بعض الوثائق ان محمدا بالاضافة الى زيجاته الشرعية واتصالاته بالجواري كانت له علاقة مع نساء أخريات ، وذلك حسب النظام الامي القديم " .[2]

وقال في مكان اخر : "وقد ذَهَبت – أي زينب– الى المدينة مع أخواتها ، وزوّجها محمد بالرغم عنها من ربيبه زيد بن حارثة ، وقد ذهب محمد فيما بعد حوالي السنة الرابعة للهجرة (٦٢٦م) الى بيت زيد للتحدث اليه ، وكان زيد غائبا فشاهد زينب وهي عارية فأحبها كما يقولون لتوه فمضى وهو يقول لنفسه سبحان الله مقلب القلوب .[3]

٣ – واما المستشرق غوستاف لولون فيقول : G . Lebon "وضعف محمد الوحيد هو حبه

---

(١) حياة محمد، اميل درمنغم، ترجمة عادل زعيتر، ص٢٩٩، طبعة عيسى البابي الحلبي.

(٢) محمد في المدينة، مونتجومري وات، ص٤٣٤، ترجمة، شعبان بركات.

(٣) نفس المرجع، ص٥٠٢.

الطارئ للنساء ، وهو الذي اقتصر على زوجته الاولى حتى بلغ الخمسين من عمره ، ولم يخف محمد حبه فقد قال : "حبب الي من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة"(١) ولم يبال محمد بسن المرأة التي يتزوجها، فتزوج عائشة وهي بنت عشر سنين، وتزوج ميمونة وهي في الحادية والخمسين من سنها ، واطلق محمد العنان لهذا الحب، حتى انه رأى اتفاقا زوجة ابنه بالتبني وهي عارية فوقع في قلبه منها شيء فسرحها بعلها ليتزوجها محمد فاغتم المسلمون ، فأوحي الى محمد بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميا آيات تسوغ ذلك ، وانقلب الانتقاد الى سكوت"(٢).

وقد ردد هذه الافكار عدد من المستشرقين منهم وليم موير (Muir- Sir William) ومرجليوث (Margoliouth) وأرفنج واشنطن (.Irving W) وسبرنجر (Sprenger) وغيرهم كثير .

وللرد على هذه التهمة الباطلة نقول : -

أولا مصدر هذه التهمة وموقف العلماء منها :-

إن المصدر الرئيسي لهذه التهمة الباطلة هو ماورد عن بعض المفسرين من أخبار في اسباب زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش، منها الصحيح الذي يتفق مع نصوص كتاب الله ، ومنها السقيم الذي يتعارض مع هذه النصوص، ويتعارض مع الواقع التاريخي والمنطق العلمي الصحيح لسيد الانبياء . وقد كانت هذه الروايات تكأة للمبشرين والمستشرقين سمومهم وأحقادهم على رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، كتاب الزهد؛ وأخرجه الحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم؛ فيض القدير، المناوي، ج٣/ ٣٧٠-٣٧١، ط١، ١٣٥٦/١٩٣٨، القاهرة. قال الحافظ العراقي في أماليه: لفظ (ثلاث) ليست في شيء من كتب الحديث وهي تفسد المعنى. وقال الزركشي: لم يرد فيه لفظ ثلاثة وزيادتها مخلة للمعنى فإن الصلاة ليست من الدنيا.

(٢) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ص١١٢، ط عيسى البابي الحلبي.

١ – جاء في تفسير ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾.

قال ابن جرير : " وذلك ان زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله ﷺ، فأعجبته، وهي في حبال مولاه ، فألقى في نفس زيد كراهيتها ، لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع ، فأراد فراقها فذكر ذلك لرسول الله ﷺ زيد ، فقال له رسول الله ﷺ (أمسك عليك زوجك) وهو يحب ان تكون قد بانت منه لينكحها .[١]

٢ – والروايات الواردة في الطبري كلها تدور حول هذا المعنى الذي تقدم ذكره .

وجاء في طبقات ابن سعد في الرواية التي صدّر بها حديثه عن زواج النبي ﷺ بزينب .

قال ابن سعد : "أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الله بن عامر الاسلمي عن محمد بن يحيى بن حيان قال : جاء رسول الله ﷺ بيت زيد بن حارثة يطلبه ، وكان زيد انما يقال له زيد بن محمد ، فربما فقده رسول الله ﷺ الساعة ، فيقول : اين زيد ؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده وتقوم اليه زينب بنت جحش زوجته فضلا[٢] ، فأعرض رسول الله ﷺ عنها ، فقالت : ليس هو ها هنا يا رسول الله فادخل بأبي وانت وامي فأبى رسول الله ﷺ ان يدخل، وانما عجلت ان تلبس لما قيل لها : رسول الله ﷺ على الباب ، فوثبت عجلى ، فأعجبت رسول الله ﷺ فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه الا سبحان مصرف القلوب .[٣]

إن روايات الطبري التي ذكرها في تفسيره لا تخلو من ضعيف أو مدلس، من هنا فهي روايات لا تصلح للاحتجاج بها في هذا المقام الذي فيه طعن مقام النبوة .

---

(١) تفسير الطبري، ج٢٢/مجلد ٢٢-١٣/٢٥، مطبعة مصطفى البابي الحلبي/١٣٧٣.

(٢) فُضلا: أي مبتذلة في ثياب مهنتها. يقال تفضلت المرأة إذا لبست ثياب مهنتها أو كانت في ثوب واحد.. النهاية، ابن الأثير، ج٣/٤٥٦، ط عيسى البابي الحلبي.

(٣) طبقات ابن سعد، ج٨/١٠١ بتصرف.

وأما رواية ابن سعد فهي رواية مرسلة ، كما ان محمد بن عمر الواقدي الذي اخذ عنه ابن سعد هذه الرواية ليس مرضيا عند علماء الحديث [(١)] .

كما ان عبد الله بن عامر الذي روى عنه محمد بن عمر ضعيف الحديث كما قال عنه العلماء [(٢)].

ومن هنا نأخذ ان هذه الرواية لا تصح سندا ولا متنا، ولا يصح ان يقام عليها بناء من الوهم او الضلال يتطاول به على مقام النبوة [(٣)] .

إن هذه الروايات من الاسرائيليات التي يتطاول بها على مقام النبوة فيجب أن تطهر منها كتب الأسلام، حتى تغلق الطريق في وجوه الحاقدين على الأسلام ونبيه.

يقول ابن القيم: "وأما ما زعمه بعض من لم يقدّر رسول الله ﷺ حق قدره من أنه ابتلى به في شأن زينب بنت جحش وأنه رآها فقال: سبحان مقلب القلوب، فأخذت بقلبه، وجعل يقول لزيد أمسكها حتى أنزل الله عليه ﴿واذا تقول للذي أنعم الله عليه، وانعمت عليه أمك عليك زوجك واتق الله، وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن العشق، وصنف بعضهم كتابا في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر فيه هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل وتحميله لكلام الله ما لا يتحمله، ونسبته رسول الله ﷺ إلى ما برأه الله..الخ [(٤)] .

ومن هؤلاء الأمام القرطبي رحمه الله تعالى، وكذلك الألوسي والعلامة جمال الدين القاسمي. [(٥)]

---

(١) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج٩/٣٦٣.

(٢) نفس المرجع، ج٥/٢٧٥-٢٧٩.

(٣) منهج السنة في الزواج، محمد الأحمدي أبو النور، ص٢٩٤، ط/ دار النصر للطباعة، القاهرة.

(٤) زاد المعاد، ابن قيم، ج٣/٣١٧ وما بعدها.

(٥) تفسير الألوسي، ج٢٢/٢٣ وما بعدها، المطبعة المنيرية؛ محاسن التأويل، القاسمي، ج١٣/٤٨٦٤ وما بعدها.

ثانياً: شهادات بعض المستشرقين:

اتصفت أقوال المستشرقين بالحقد الدفين على الأسلام ونبيه، ومع هذا وجدت طائفة منهم لها أقوال معتدلة عليها بعض المآخذ لعدم فهمهم الصحيح للأسلام.

يقول المستشرق :مونتجرمي وات Moatgomery -Watt في وضع آخر من كتابه (محمد في المدينة): ليس من المبالغة القول بأن جميع زيجات محمد كان لها هدف سياسي، لنا الحق اذن في القول بأن محمدا في قصة زينب بنت جحش لم يذهب ضحية حب عنيف بل رأى موضوع الفوائد السياسية لهذا الزواج..

ثم يقول: وبالرغم من القصص العاطفية، من البعيد أن يكون محمد قد أُسر بمفاتن زينب الجسدية.[١]

ومن هنا نقول أن الرسول ﷺ بشر، ولكن مقومات شخصيته ورعايتها منذ الصغر تختلف في جوهرها وتكوينها فقد أعده الله إعدادا خاصا مشمولا بكثير من العناية الربانية لكي تتناسب شخصيته ومقامه الكريم مع عظمة رسالته الخالدة.

يقول الدكتو زاهر عواض الألمعي: "إن المؤثرات الخارجية في نفس رسول الله ﷺ من الحب والعاطفة البشرية تتمشى تماما مع ما أباحه الله له، وجعل فيه خيرا له ولأمته.[٢]

ثالثاً: من هو زيد، ومن هي زينب

هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن أمرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدون بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي.[٣]

---

(١) محمد في المدينة، مونجومري وات، ص٥٠٤ وما بعدها.

(٢) مع المفسرين والمستشرقين، زاهر عواض الألمعي، ص٣٦.

(٣) الإصابة، ابن حجر ، ج٤/٤٧، الهامش: الإصابة والاستيعاب، ابن عبد البر، ج٤/٤٧، الكليات الأزهرية.

وكان زيد قد اختطف من حضن أمه عندما كانت في زيارة لأهلها فأغارت عليهم خيل لبني القين ابن جسر في الجاهلية فمروا على أبيات بني معن رهط أم زيد، فاحتملوا زيدا اذ هو يومئذ غلام يفقه قد أوصف فوافوا به سوق (عكاظ) فعرضوه للبيع فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي لعمته خديجة بنت خويلد باربعمائة درهم.[1]

وهناك روايات غير هذه[2] تشير أنه جيء به من الشام إلى الحجاز ولكن هذه الروايات تتفق مع رواية ابن سعد بأن حكيم بن حزام هو الذي اشتراه ثم أعطاه خديجة بنت خويلد، ولما علموا به أهله قدموا إلى النبي ﷺ فطلبوه منه فاستدعاه النبي ﷺ فخيره، فاختار النبي ﷺ ، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك منه أخرجه إلى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني ارثه ويرثني، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا فدعي زيد بن محمد، حتى جاء الله بالأسلام.[3] وقد أسلم زيد رضي الله عنه منذ اللحظة الأولى من مبعثه ﷺ... وكان يدعى زيد بن محمد.[4]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما(أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن. ﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾[5].

وقد كانت عادة التبني متفشية في الجاهلية، وظلت حتى أبطلها الأسلام وقد مر إلغائها في مراحل:-

---

(١) طبقات ابن سعد، ج٣/٤٠ وما بعدها.

(٢) الروض الأنف، السهيلي، ج١/٢٨٦، ط١، الجمالية، القاهرة؛ سيرة ابن هشام، ج١/٢٤٧، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

(٣) طبقات ابن سعد، ج٣/٤١-٤٢.

(٤) فتح الباري، تبن حجر، ج٨/٥١٧ السلفية.

(٥) سورة الأحزاب، آية ٤-٥.

الأولى: مرحلة التمهيد بتزويج زيد بن حارثة بزينب بنت جحش وكان الغرض من ذلك:

أ- إزالة الفوارق الطبقية التي كانت متأصلة في الجاهلية.

ب- التمهيد لإلغاء التبني وما يتصل به من أحكام.

الثاني: مرحلة النهي عن التبني قال تعالى: ﴿وما جعل أدعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ادعوهم لآبائكم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾[(١)] .

الثالثة: مرحلة إلغاء الأحكام المتعلقة بالتبني، وذلك بزواج الرسول ﷺ من زينب بن جحش والتي كانت زوجة لزيد، وقد أنزل الله قوله ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾[(٢)] .

زينب بنت جحش:

هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر... الأسدية، من النساء اللائي هاجرن مع النبي ﷺ إلى المدينة، وقد خطبها النبي ﷺ لزيد بن حارثة، فقالت : يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيم قريش، قال: فاني قد رضيته لك.... فتزوجها زيد بن حارثة.[(٣)]

وزينب هذه هي ابنة عمه رسول الله ﷺ، واسم أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي.

رابعاً: أغراض زواج زيد بزينب بنت جحش:

يمكن أن تحصر في أغراض ثلاثة:

١- إزالة الفوارق الطبقية.

٢- هذا الزواج كان مقدمة لتشريع آخر يقوم عليه.

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٤-٥.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٤٠.

(٣) طبقات ابن سعد، ج٨/١٠١؛ الإصابة، ج١٢/٢٧٥؛ الاستيعاب، ابن عبد البر، ج١٣/١٥.

٣- مكافأة لزيد بن حارثة على ما قدمه من خدمات جليلة.

وبعد أن تزوج زيد بزينب استمرت الحياة الزوجية بينهما حتى أبطل الله تعالى التبني، فصار يقال لزيد، زيد بن حارثة بدلا من زيد بن محمد.

وقد تخللت هذه الحياة الزوجية خلافات، أظهرت فيها الزوجة ترفعها على زيد، فتنبه لذلك بذكائه وفطنته، ولم تكن نفسه الكريمة هينه عليه، فحاول التخلص من الزواج من غير أضرار أو الإمساك بمعروف.

وقد استمرت هذه الحياة هكذا أكثر من سنة[١] ولكن الأمر ازداد سوءًا فذهب زيد إلى رسول الله ﷺ يستشيره في طلاقها، ويشكو اليه أمرها، فنصحه النبي ﷺ أن يمسك عليه زوجه، لعل العلاقة معها تتحسن، ولكن إرادة الله غالبة وحكمة نافذة.

واتسع الخلاف بينهما، وأصبحت الحياة لا تطاق، وهنا صمم زيد على فراق زوجته زينب فطلقها وانتهت الحياة الزوجية بينهما.

زواج النبي ﷺ بزينب

إن العادات اذا تأصلت في النفوس صعب التخلص منها، وظاهرة التبني كانت متأصلة في النفوس، وليس من السهل التغلب عليها دون كسر لطوقها، وقد باشر ذلك رسول الله ﷺ ليكون أدعى للاجابة، وأسرع في التنفيذ وخير شاهد على هذا ما حصل في غزوة الحديبية، عندما أمر الرسول ﷺ أصحابه بالتحلل من الإحرام والحلق ونحر الهدى.[٢]

أخرج البخاري وأبو داود عن المسور بن مخرمة ومروان في حديث الحديبية أنه ﷺ بعد أن فرغ من الكتاب الذي تضمن شروط الصلح قال ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: "قوموا فانحروا ثم احلقوا، فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة رضي الله عنها فذكر لها ما لقي من الناس فقالت: "يا نبي

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٣/٤٩١؛ في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥/٢٨٦٨.

(٢) نفس المرجع، ج٥/٢٨٦٨.

الله أتحب ذلك؟ أخرج ولا تكلم منهم أحدا حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فصنع الذي قالت: فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما.[1]

الحكمة في زواج النبي ﷺ بزينب:

الذي ينظر بعين البصيرة يجد أن هناك حكمة خاصة بزواج النبي ﷺ بزينب غير الحكم العامة التي تشترك فيها زينب مع أمهات المؤمنين الأخريات.

ويمكن ايجاز هذه الحكم بما يلي:

١- الحكم التشريعية: وتتلخص في أمرين:

أ- إبطال التبني.

ب- إبطال الأحكام المتعلقة بالتبني.

٢- اكتمال عوامل هذا التشريع في رسول الله ﷺ وفي زيد.

٣- النبي ﷺ هو القدوة للمسلمين، وعندما يبدأ بنفسه بفعل هذا الأمر يكون ذلك أدعى للقضاء على تلك الظاهرة المتغلغلة في النفوس والمشاعر.

٤- مكافأة زينب على طاعتها الأولى لله ولرسوله، وامتثالها للأمر بالزواج من زيد، رغم ما تواجهه من ظروف اجتماعية صعبة.

٥- ربما شعرت زينب أن في زواجها من زيد حط من مكانتها وهي سيدة أبناء عبد شمس، فكان زواجها بالنبي ﷺ رفع مكانتها.[2]

مناقشة الشبهات

أولاً: قول المستشرقين أنه تزوج حليلة ابنه مع نهيه عن حلائل الأبناء

وللرد على هذه الفرية الباطلة نقول:-

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج٨/٢٥٦، ط دار المعرفة.

(٢) مع المفسرين والمستشرقين، زاهر عواض الألمعي، ص٦٦ وما بعدها.

١- إن زيدا ليس ابنًا لمحمد على الحقيقة وانما هو ابن حارثة.

٢- إن زينب ليست حليلة ابنه على الحقيقة، وانما هي زوجة زيد بن حارثة.

قال الله تعالى: ﴿ وما جعل أدعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ [(١)] ، وقال تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [(٢)] .

أما قولهم الأسلام ينهى عن حلائل الأبناء، فالمراد به تحريم حلائل الأبناء الحقيقيين، ولا يدخل في ذلك أبناء التبني والدليل على ذلك من وجهين:

الأول: استحالة مخالفة الرسول ﷺ لأمر ربه في أقواله وافعاله. قال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [(٣)] .

الثاني: أن القرآن بيّن المحرمات قال تعالى :﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ [(٤)] فيخرج من القيد الابناء الادعياء.

ثانياً: شبهة قولهم : ان الرسول ﷺ تزوج بزينب نتيجة الحب الذي وقع في نفسه عند رؤيته لها .

مما تقدم نرى ان المستشرقين اعتمدوا على روايات واهية تثبت بطلان هذه الشبهة من أساسها .علمًا بأن الله تعالى أشار الى الحكمة من زواج النبي ﷺ بزينب فقال : ﴿فلما قض زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا﴾ [(٥)] .

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٤-٥.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٤٠.

(٣) سورة الحاقة، آية ٤٤-٤٧.

(٤) سورة النساء، آية ٢٣.

(٥) سورة الأحزاب، آية ٣٧.

ثالثا : واما قولهم : ان الله أشار إلى هذه العلاقة القلبية بين الرسول ﷺ وزينب، ولهذا عاتب الله على كتمان ذلك الميل النفسي لزينب وإخفائه هذا الامر في نفسه عندما استشاره زيد في طلاقها فقال تعالى : ﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليهم ، وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه، وتخشى الناس، والله أحق ان تخشاه﴾ [1] .

وقد فسر هؤلاء الآية بأن الذي كان يخفيه الرسول ﷺ في نفسه هو حب زينب ورغبته الاكيدة في طلاقها من زيد ليتزوجها بعده.

وللرد على هذه الفرية لا بد من معرفة المعنى الصحيح للاية معناها : - اي اذكر وقت قولك للذي أنعم الله عليه بالهداية للاسلام، وأنعمت عليه بالتحرير من العبودية ، أمسك زوجتك زينب في عصمتك ولا تطلقها واتق الله في أمرها ، وأضمر يا محمد في نفسك ما سيظهره الله وهو إرادة الزواج بها ، هدما لظاهرة التبني ، وتشريعا للأمة لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا . وتخفي ذلك على زيد مراعاة لشعوره، وحياء منه ، مع ان الله تعالى سيبدي هذا الامر لا محالة ، ويظهره الى حيز الوجود، وتخشى الناس ان يقولوا : تزوج حليلة ابنه ، والله احق ان تخشاه ، فهو الذي بيده مقاليد الامور، وهو الذي شرع لك هذا الامر ووجهك اليه ، فلا تلتفت الى مقالة احد من الناس ما دمت في ممارسة عمل تشريعي لاصلاح الامة ، واقامة العلاقات الاسرية على وضعها الصحيح ، وهدم التقاليد الجاهلية المضرة بكيان الاسر والمجتمعات . [2]

فهذا هو المعنى الصحيح للآية ومما يؤيد ذلك ما أخرجه ابن ابي حاتم من طريق

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٧.

(٢) صفوة التفاسير، الصابوني، ج٢/٥٢٧-٥٢٨؛ في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥/٢٨٦٨ وما بعدها، ط دار الشروق.

السدى قال : بلغنا ان هذه الاية نزلت في زينب بنت جحش ، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ أراد ان يزوجها زيد بن حارثة مولاه ، فكرهت ذلك ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها اياه ، ثم أعلم الله عز وجل نبيه ﷺ بعد أنها ستكون من أزواجه ، فكان يستحي ان يأمر زيدا بطلاقها ، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه ، وأن يتقي الله ، وكان يخشى الناس ان يعيبوا عليه ، ويقولوا تزوج امرأة ابنه ، وكان تبنى زيدا [1] .

فالذي اخفاه الرسول ﷺ في نفسه هو ما اخبره الله به من أن زينب ستكون زوجته بعد مفارقة زيد لها ، ولكن الله تعالى لم يأمره باعلان ذلك للناس ، وإلاّ ما تردد ﷺ في ابلاغه، ولا أخره ولجهر به في حينه مهما كانت العواقب التي يتوقعها من اعلانه .

ثم نقول لهؤلاء المستشرقين من كان يمنع محمدا من الزواج بزينب وهي من أسرته – بنت عمته – وهو الذي ساقها الى رجل لم تكن فيه راغبة وطيّب خاطرها لترضى به [2] .

ثالثا : الحكمة الاجتماعية لتعدد زوجات النبي ﷺ

لقد حرص النبي ﷺ ان يربط بين بطون قريش وبين القبائل العربية برباط وثيق ، فتزوج بابنة الصديق ابي بكر رضي الله عنه ، ثم تزوج بابنة الفاروق عمر رضي الله عنه وارضاه ، وهكذا تزوج عليه السلام ببعض النساء من اجل ان يربط بين قريش وبين القبائل العربية .

رابعا : الحكمة السياسية لتعدد زوجات النبي ﷺ : –

لقد كان زواج النبي ﷺ ببعض النساء طريقا لتأليف القلوب عليه ، وجمع القبائل حوله. لقد تزوج جويرية بنت الحارث من بني المصطلق ، فكانت أيمن امرأة على قومها، وقد تسبب عن هذا الكرم العظيم ، وهذه المعاملة الجليلة ان اسلم بنو المصطلق عن بكرة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج١٠/١٤٢، الطبعة المصرية، مصطفى البابي الحلبي.

(٢) فقه السيرة، الغزالي، ص٤٧٤، دار الكتب الحديثة، مصر.

أبيهم، وكانوا للمسلمين بعد ان كانوا عليهم .[1]

وتزوج عليه السلام بأم حبيبة رملة بنت ابي سفيان الاموي رضي الله عنها ، وكان تزوجه بها تأليفا لابي سفيان سيد قريش ، وزعيم مكة ، وترغيبا له في الدخول بالاسلام ، ومن ناحية أخرى لخاطرها وجمعا لشملها بعد ان تنصر زوجها وفارقها .

وقد حققت هذه المصاهرة فيما بعد ما كان يأمله النبي ﷺ من دخول ابي سفيان في الاسلام[2] . وكذلك تزوج عليه السلام بصفية بنت حيي بن اخطب الإسرائيلية رضي الله عنها . وقد كان الهدف من زواجه بها تحريض اليهود على اعتناق الاسلام أو على الاقل تخفيف عدوانهم له .[3]

ثانيا : السن الذي عدد فيه النبي ﷺ زوجاته والتزوج بالارامل.[4]

١ - إن حقائق التاريخ تذكر ان النبي ﷺ تزوج خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وهي ثيب بنت اربعين سنة . ولم يكن فارق السن بينهما بالامر الذي يقف عقبة في طريق الزواج لأنه لم يكن الغرض منه قضاء (الوطر والشهوة) وانما كان هدفا إنسانيا ساميا .

وقد قضى مع خديجة زهرة شبابه فلم يتزوج عليها ، وقد عاشت معه خمسا وعشرين سنة . وحين انتقلت الى الرفيق الاعلى كان الرسول ﷺ وسلم قد بلغ الخمسين من العمر وليس عنده سواها .

---

(١) نور اليقين، محمد الخضري، ص١٦٠، الصبعة المحققة.

(٢) فقه السنة، محمد الغزالي، ص٤٧٦.

(٣) فقه السيرة، البوطي، ص٣٣٢، دار الفكر.

(٤) المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين، ص١٤٥ وما بعدها؛ تعدد الزوجات في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ص٩٣ وما بعدها؛ شبهات وأباطيل، الصابوني، ص٣٤ وما بعدها؛ نساء التبي، عائشة عبد الرحمن، ص٢٨ وما بعدها؛ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، إبراهيم علي شعواط، ص٦٤ وما بعدها؛ زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، ج١/١٠٥ وما بعدها.

٢ – ثم تزوج بعدها سودة بنت زمعة . وهي ارملة السكران بن عمرو الانصاري وكانت بلغت من العمر الخامسة والخمسين ، ولو كان غرض الرسول ﷺ الشهوة كما زعم المستشرقون لاستعاض عنها بالنواهد الابكار .

٣ – ثم تزوج بعدها عائشة بنت ابي بكر الصديق وكانت بكرا وهي الوحيدة من بين نساءه الطاهرات .

٤ – ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن أبيها ، وهي أرملة كانت تحت خنيس بن حذافة وقد مات شهيدا في غزوة بدر .

٥ – ثم تزوج زينب بنت خزيمة بعد حفصة بنت عمر وهي أرملة الشهيد عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب الذي مات في بدر . وكانت قد بلغت الستين من عمرها حينما تزوج بها النبي ﷺ .

٦ – ثم تزوج زينب بنت جحش بعد طلاق زيد بن حارثة لها وهي أرملة لحكمة لا تعلوها حكمة في زواج أحد من أزواجه وهي ابطال بدعة التبني كما ذكرنا سابقا .

٧ – ثم تزوج ام سلمة هند المخزومية ، وهي أرملة عبد الله بن عبد الاسد الذي استشهد في غزوة أحد ، فبقيت هي وأيتامها الاربعة بلا كفيل فلم ير عليه السلام عزاء ولا كافلا لها ولأولادها غير ان يتزوج بها ، وكانت امرأة مسنة .

٨ – ثم تزوج أم حبيبة أرملة بنت ابي سفيان وهي أرملة (عبد الله بن جحش) مات زوجها بأرض الحبشة .

٩ – ثم تزوج جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق وهي أرملة مسافع بن صفوان الذي قتل يوم المريسيع .

١٠ – ثم تزوج صفية بنت حيي بن أخطب .

١١ – ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي أرملة (ابي رهم بن عبد العزي) .

وبعد هذا العرض لزوجات الرسول ﷺ نتوصل الى الحقائق التالية : –

١ – أن النبي ﷺ لم يعدد في الزواج الا بعد ان بلغ الخمسين من عمره اي بعد ان ذهبت زهرة شبابه .

٢ - إن التعدد عند النبي ﷺ كان بعد الهجره في السنة التي بدأت فيها الحروب بين المسلمين والمشركين .

٣ - إن كل زواج للنبي ﷺ يحمل في طياته حكمة بالغة .

٤ - لو كان هدف الرسول ﷺ من تعدد الزوجات الهوى لتزوج في حال الشباب ، ولتزوج الابكار .

ثالثا: شهادة المستشرقين ببطلان هذه الفرية .

لقد رفض كثير من المستشرقين المنصفين لأساس هذه الفكرة ، التي تعتبر وسيلة للطعن برسول الاسلام، من قبل اولئك الذين ملأه الحقد قلوبهم وفي هذا يقول : -

١ - توماس كارليل : (Carlyle .th.) " وما كان محمد اخا شهوات برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا، وشد ما نجور ونخطيء اذا حسبناه رجلا شهويا لاهم له إلاّ قضاء مآربه من الملاذ ، كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أيا كانت ، ولقد كان زاهدا متقشفا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره واحواله وكان طعامه عادة الخبز والماء ، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار . . . وانهم ليذكرون - ونعم ما يذكرون - بأنه كان يصلح ويرفأ ثوبه بيده ، فهل بعد ذلك مكرمة ومعجزة . محبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام مجتهد في (طاعة) الله قائم النهار ساهر الليل دائبا في نشر دين الله " [(١)].

٢ - ويقول المستشرق (مونتجومري وات) (Montgomery Watt) : في كتابه في المدينة : - وبالرغم من أن الكتاب المسلمين رووا فيما بعد قصصا ممتعة حول حساسية محمد أمام سحر النساء ، وبالرغم من انه ليس لدينا اي سبب للافتراض بأنه كان يهمل تماما تأثير الجاذبية الجسدية فأنه من الاكيد انه كان يسيطر تماما على عواطفه أمام الجنس اللطيف وانه لم يكن يتزوج الا اذا كان هذا الزواج مستحسنا سياسيا واجتماعيا [(٢)].

---

(١) الأبطال، توماس كارليل، ص٨٣.

(٢) محمد في المدينة، مونتجومري وات، ص٥٠٦.

٣ - يقول نظمي لوقا في كتابه (وامحمداه) "هؤلاء زوجاته اللواتي بنى بهن وجمع بهن ، ولم تكن واحدة منهن هدف اشتهاء كما يزعمون، وما من واحدة منهن الا كان زواجه بها أدخل في باب الرحمة ، وإقالة العثار، والمواساة الكريمة ، او لكسب مودة القبائل ، وتأليف قلوبها بالمصاهرة وهي بعد حديثة عهد بالدين الجديد "[(١)].

فهذا رجل نصراني يشهد ان النبي ﷺ عدّد زوجاته لاهداف سامية منها الرحمة بالأرامل وكفاية النساء المسنات ، أو لكسب مودة القبائل وتأليف قلوبها بالمصاهرة .

فهل مثل هذا الزواج لغرض الشهوة .

---

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، إبراهيم علي شعوط، ص٧٥ نقلاً عن كتاب (وامحمداه) لنظمي لوقا.

المبـــــحث الثاني

موقف المستشرقين من آية القوامة

قال الله تعالى : ﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ [(١)] فالآية تشير إلى أن الرجل بحكم تكوينه العضلي والعصبي والعقلي أقوى على حمل أمانة الاسرة بكل أثقالها ومسؤولياتها من نساء واطفال تربيةً وتعليما وانفاقاً على المعيشة ايضا، ومن جانب آخر لانه دافع الصداق للمرأة وملزم بالانفاق على الاسرة .

شبهه : زعم اعداء الاسلام ، ان الاسلام هضم حقوق المرأة وظلمهما ، في جعل القوامة بيد الرجل ، فالرجل يجب ان يكون له سبيل على المرأة مهما فعلت .

وللرد على هذه التهمة الباطلة لا بد من بحث المسائل التالية : -

أولا : ضرورة القوامة للاسرة .

ثانيا : مبررات القوامة عند الرجل ومقوماتها .

ثالثا : القوامة لا تعني إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع .

أولا : ضرورة القوامة للاسرة : -

إن مؤسسة الاسرة من أهم المؤسسات التي حرص الاسلام عليها ، ورسم طريقًا خاصا لبنائها والمحافظة عليها، وبين اهدافه منها، واذا كانت المؤسسات الأخرى الاقل شأنا والأرخص سعرا كالمؤسسات المالية والصناعية والتجارية لا يوكل أمرها عادة الا لأكفأ المرشحين لها . فأولى ان تتبع هذه القاعدة في مؤسسة الاسرة التي تنشيء اثمن عناصر الكون العنصر الانساني .[(٢)]

والقوامة في الاسرة إما ان تسند الى الرجل ، وإما أن تسند إلى المرأة . وإما أن يكونا معا قيّمين .

---

(١) سورة النساء، آية ٣٤.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٢/ ٦٥٠.

والافتراض الثالث بعيد لأنه يقتضي وجود الفساد والله عز وجل يقول عن السماء والارض ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا﴾ [(١)] . وقال ايضا : ﴿اذًا لذهب كل اله بما خلق ولَعَلا بعضهم على بعض﴾ [(٢)] فاذا كان هكذا الامر بين الالهة المتوهمين فكيف هو بين البشر العاديين [(٣)] .

ويبقى الاحتمال الاول والثاني فإما ان تسند القوامة الى المرأة ، وإما أن تسند إلى الرجل ، وسنرى بالبحث أيهما يحمل مقومات القوامة :

ثانيا : مبررات القوامة عند الرجل ومقوماتها : –

لقد رسم الاسلام سياسة الاسرة في توزيع الحقوق والتبعات على أساس من العدل والمساواة والشورى . وقد اسند الله تعالى قوامة البيت للرجل فقال: ﴿وللرجل عليهن درجة﴾ [(٤)] . وهذا يوافق مقتضى العقل وطبيعة الاشياء وفيما يلي مبررات القوامة.

١– الاولاد في البيت ينسبون الى أبيهم ، فكيف نجعل رياستهم للام من دونه ؟

٢ – الاب هو المسؤول عن الانفاق على زوجته واولاده، وهذا أمر يقتضي ان يكون هو صاحب القوامة على البيت .

٣ – البيت ينسب الى الرجل ، وهو الذي يعمل على إعداده وتهيئته وحمايته .

٤– الرجل في نظر الاسلام هو صاحب الكلمة فيمن يدخل البيت ومن لا يدخل. قال عليه الصلاة والسلام (لا تأذن المرأة في بيت زوجها وهو شاهد الا بأذنه) [(٥)]

---

(١) سورة الأنبياء، آية٢٢.

(٢) سورة المؤمنون، آية ٩١.

(٣) شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص١٢٧.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٢٨.

(٥) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بأذنه، فتح الباري، ج١١/٢٠٦.

٥ – المرأة تتبع الزوج في الاقامة ومحل السكن .[١]

فهذه مبررات تجعل القوامة بيد الرجل ، لأن القوامة في الحقيقة إنْ هي إلا امتياز نشأ للرجل في مقابل التبعات الكثيرة والاختصاصات الواسعة المسندة اليه ، وليس فيها ما يعني الغاء ارادة الزوجة واهدار شخصيتها ، كما ان العقل والتدبير والكسب والانفاق ايضا من المبررات. يقول ابو السعود : (والتفضيل للرجل لكمال العقل ، وحسن التدبير ورزانة الرأي، ومزيد القوة ولذلك خُصَّ بالنبوة والامامة والولاية والشهادة والجهاد وغير ذلك[٢] . وأما مقومات القوامة عند الرجل فتظهر بما يلي : –

إن الاختلافات الجسدية بين الرجل والمرأة لها صلة باختلاف الاستعداد بين الجنسين فالله عز وجل خلق المرأة وجعل من وظائفها الحمل والوضع والرضاع ، وهذه وظائف ضخمة وخطيرة تحتاج الى اعداد عضوي ونفسي وعقلي عميق غائر في كيان الانثى ، فكان من العدل ان يسند الى الرجل توفير الحاجات الضرورية ، وتوفير الحماية للانثى ، كي تتفرغ للقيام بواجبها، لذلك ايضا كان من العدل ان يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على القيام بواجبه .

ومن ناحية اخرى ، ان من خصائص المرأة الرقة والعاطفة وسرعة الانفعال ، والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة، بغير وعي ولا سابق تفكير ، وهذه خصائص متمكنة في تكوين المرأة العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ، وقد سوى الله تعالى المرأة على هذا الوضع حتى يكون لها من طبيعتها ما يتيح لها القيام بوظيفتها الاساسية ، وهي الامومة والحضانة على خير وجه ، وفي المقابل زود الله الرجل بخصائص منها الخشونة ، والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة ، وهذه خصائص تتناسب مع وظائف الرجل ، لأن الرئاسة والإشراف يحتاجان الى الادراك

---

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة، البهي الخولي، ص٧٣–٧٤، ط٣، دار القلم.

(٢) صفوة التفاسير، الصابوني، ج١/٢٧٤، نقلاً عن ارشاد العقل السليم، ج١/٣٣٩.

والتفكير والتأمل أكثر مما يحتاجون الى العاطفة والوجدان ، فصفات الاشراف والرئاسة متوفرة اذن في الرجل بطبعه اكثر من توافرها في المرأة . ومن هذا نأخذ بأن الرجل هُيِّء للقوامة بالاستعدادات الكامنة ودرب عليها بالتدريب العلمي والعملي .(١)

فالخروج على سنن الحياة التي رسمها الله تعالى يؤ دي الى تدهور الحياة الانسانية ، ولعل الفساد والتخبط الذي أصاب المجتمعات البشرية من أكبر الدلائل على ذلك ، يقول الباحث الدكتور (أوجست فوريل) (Aogst Foryl) (ولا يمكن ان تؤدي سيادة المرأة الى السعادة المنزلية لان في ذلك مخالفة للحال الطبيعية التي تقضي بأن يسود الرجل المرأة بعقله وذكائه وارادته، لتسوده هي بقلبها وعاطفتها .(٢)

إن حماية الرجل للمرأة أساس جوهري لاستقرار الأسرة، ولتمتع الزوجة نفسها بالسعادة الزوجية.

ثالثا : القوامة لا تعني الغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع : -

إن نطاق القوامة محصور في مصلحة البيت والاستقامة على امر الله وحقوق الزوج ، وأما ما وراء ذلك فليس للرجل حق التدخل فيه ابدا ، فالاسلام جعل رياسة الرجل في الاسرة رياسة رحيمة تقوم على المودة والمحبة والارشاد ، وقيدها بقيود كثيرة تحفظ للمرأة كرامتها وتصون حقوقها وتحقق مصلحتها وفيما يلي بيان لذلك : -

١ - لا يجوز للرجل ان يتدخل في مصلحة الزوجة المالية ، فقد قرر الاسلام حق التصرف لها في مالها، وليس للزوج حق التدخل الا بإذنها، فللزوجة أن تبيع وتشتري وتهب وتوصي وما الى ذلك .

٢ - طاعة الزوج تكون في حدود الشرع فلا يجب عليها ان تطيعه في معصية.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٢/ ٦٥٠ وما بعدها .

(٢) ماذا عن المرأة، نور الدين عتر، ص١١٥، نقلاً عن كتاب الزواج عاطفة وغريزة، أوجست فوريل، ج٢/ ٣٢-٣٣.

٣ – إن وظيفة الرجل في البيت ان يحفظ الحقوق لتنظيم الاسرة فما دامت الاسرة تسير في طريق مستقيم تحفظ فيه حقوق الله وحقوق الزوج فليس للزوج ان يتدخل في أمورها .
من هذا نأخذ ان مسئولية الرجل في البيت لا تعني الغاء شخصية المرأة ، بل ان المسئولية الناجحة هي التي تقوم على أساس المشاورة والمعاونة بين الطرفين ، وتقوم على التفاهم والتعاطف المستمر .

يقول السيد قطب رحمه الله تعالى : "إن هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الانساني، ولا إلغاء وضعها (المدني) وإنما هي وظيفة داخل كيان الاسرة – لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة ، وصيانتها ووجود القيم في مؤسسة ما ، لا يلغي وجود ولا شخصية ولا حقوق الشركاء فيها ، والعاملين في وظائفها ، فقد حدد الاسلام في مواضع أخرى صفة قوامة الرجل وما يصاحبها من عطف ورعاية وصيانة وحماية وتكاليف في نفسه وماله، وآداب في سلوكه مع زوجه وعياله .[١]

وبعد بيان هذه الأمور يظهر أن رياسة الرجل التي قررها الاسلام على المرأة قبل الزواج تتمثل في رعاية حكيمة تتحقق بها مصلحة الاسرة ومصلحة المرأة نفسها . وبعد الزواج فإن قوامة الرجل على المرأة لا تنقص شيئا من شخصيتها وأهليتها المدنية .

وقد بين القرآن الكريم هذا النظام في آية فقال تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾[٢] . فللمرأة من الحقوق في نظر الاسلام مثل ما عليها من واجبات، والرجل مثلها عليه من الواجبات بمقدار ما له من حقوق .

وبعد هذه الدراسة وبيان ما منح الاسلام المرأة من حقوق يظهر بطلان قول المستشرقين بأن الاسلام هضم حقوق المرأة بمنح الرجل القوامة .[٣] وقال ﷺ: «النساء شقائق الرجال».

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٢/٦٥٢.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٨.

(٣) حقوق الإنسان في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص١٠٦-١٠٧.

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من آيات الطلاق

من المواضيع التي تشبث بها المستشرقون اباحة الشريعة الاسلامية للطلاق ، وقد اتخذوا من هذه النقطة منطلقا للتهجم على الاسلام، فزعموا أن الطلاق سبب في : -

أ / تفكك وانحلال المجتمع .

ب / وفي كثرة الحوادث فيه .

جـ / وفي هضم حقوق المرأة وهدر كرامتها وانسانيتها .

وللرد على هذه الشبهة لا بد من بحث المسائل التالية : -

١ - موقف الامم السابقة من الطلاق .

٢ - موقف الدول المعاصرة من الطلاق .

٣ - مبادئ الاسلام في الطلاق، ومتى يلجأ اليه .

٤ - الطلاق في الاسلام علاج لأمور لا يمكن ان تستمر فيها الحياة الزوجية .

أولا: موقف الامم السابقة من الطلاق :

إن الطلاق ليس بدعًا في الشرائع بل هو عريق في الامم القديمة وقد كان الرجل يستعمله بمطلق حريته وليس للمرأة ان تطلبه بحال من الاحوال ، وظل الامر كذلك الى عهد الدولة الرومانية ، حيث كانت الروابط الزوجية واهية والطلاق فاشيا .. . وكان معتبرا من كيان الزواج نفسه حتى ان القضاة كانوا يحكمون ببطلان الزواج ان اشترط كلا الطرفين عدم الطلاق فيه (١) . وأما اليونانيون فكان الطلاق عندهم شائعا من غير قيد ولا شرط (٢) .

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، ص٣٧٧، ط١٧؛ الحلال والحرام في الإسلام، يوسف القرضاوي، ص٢٠٠، ط١٢، المكتب الإسلامي.

(٢) الحلال والحرام في الإسلام، يوسف القرضاوي، ص٢٠٠.

الطلاق عند اليهود :

أباحت التوراة الطلاق معللا ببعض الشروط التي تقتضيه ، وقد أباحت اليهودية الطلاق بغير عذر في حال رغبة الرجل التزوج بامرأة أجمل من امرأته، ولكن هذا النوع لا يحسن .

والاعذار التي تبيح الطلاق عندهم قسمان : -

أ / عيوب الخلقة : منها العمش والحول والبخر والحدب والعرج والعقم .

ب / عيوب الاخلاق : ومنها الوقاحة والثرثرة والوساخة ، والعناد والاسراف ، والنهمة والبطنة . . . الخ ، والزنا اقوى الاعذار عندهم فيكفي فيه الاشاعة ، وان لم تثبت .(١)

جاء في العهد القديم : "اذا اخذ رجل امرأة وتزوج بها، فان لم تجد نعمة في عينيه لانه وجد فيها عيب شيء ، وكتب لها كتاب طلاق ، ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته ، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر ، فان أبغضها الرجل الاخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها واطلقها من بيته ، أو اذا مات الرجل الاخير الذي اتخذها له زوجة ، لا يقدر زوجها الاول الذي طلقها ان يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد ان تنجست ، لأن ذلك رجس لذى الرب ، فلا تجلب خطية على الارض التي يعطيك الرب الهك نصيبا .(٢)

وجاء في التلمود أيضا : " إن حق الطلاق للرجل لا للمرأة فيستطيع طلاقها لأقل سبب ولو كان احراق الطعام ، ولا يسوغ أن يتزوج بامرأة على نية طلاقها مالا اذا انبأها بذلك قبل عقد الزواج .(٣)

موقف النصرانية من الطلاق(٤)

تنقسم النصرانية الى ثلاثة مذاهب رئيسية ، الكاثوليك، والبروتستانت ، والأرثوذكس ،

(١) حقوق النساء في الإسلام، محمد رشيد رضا، ص١٦٠، المكتب الإسلامي.

(٢) سفر التثنية، ٢٤/١-٥.

(٣) المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين، ص١١٨، ط١/١٤٠١.

(٤) حقوق الإنسان في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص١٣٦ وما بعدها؛ بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص٨٣، مؤسسة المطبوعات الحديثة.

وفيما يلي بيان موقف كل مذهب :

أما الكاثوليك : فهم يحرمون الطلاق تحريما باتا ولا يسمح بفصم عرى الزوجية لأي سبب مهما عظم شأنه ، حتى الخيانة الزوجية لا تعتبر مبيحا للطلاق ، وانما تعتبر مبيحة للتفرقة الجسمية مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية .

ولا يجوز لاحد الزوجين اثناء هذه الفرقة ان يعقد زواجه على شخص آخر لأن ذلك يعتبر تعددا في الزواج ، والديانة المسيحية لا تبيح التعدد بحال، ودليلهم ما جاء في انجيل مرقص ويكون الاثنان جسدا واحدا اذا ليسا بعد اثنين، اثنين بل جسم واحد ، فالذي جمعه الله لا يفرقه الانسان "[1].

وهناك بعض الفرق التي تشعبت عن الكنيسة الكاثوليكية تبيح الطلاق في حال الخيانة الزوجية من الزوج او الزوجة ، ولكنها تحرم كذلك على الزوجين ان يتزوج بعد ذلك .

واما المذهبان الارثوذكسي والبروتستانتي فهما يبيحان الطلاق[2] في حالات منها الخيانة الزوجية ، والعقم ، والمرض المعدي ، وفي حال الخصام ولكنها يحرمان على الرجل والمرأة الزواج بعد ذلك .

وأما دليلهم على اباحة الطلاق فهو ما جاء في انجيل متى :"من طلق امرأته لا بسبب الزنا يجعلها تزني "[3].

ودليلهم على تحريم الزواج على المطلق والمطلقة ما جاء في انجيل متى : "من يتزوج مطلقة يزني "[4].

وفي انجيل مرقص : "من طلق أمرأته وتزوج بأخرى يزني عليها ، وان طلقت امرأة من زوجها وتزوجت بآخر تزني "[5].

---

(١) مرقص، ١٠/٨-٩.

(٢) الحلال والحرام في الإسلام، يوسف القرضاوي، ص٢٠٢.

(٣) متى، ٥/٣٢.

(٤) متى، ٥/٣٢.

(٥) مرقص، ١٠/١١-١٢؛ متى، ١٩/١٠.

ثانيا : موقف الدول المعاصرة من الطلاق : –

لقد تناسى رجال النصرانية الحالات التي تطرأ في الحياة الواقعية فتجعل الطلاق ضرورة لازمة ، بل تجعله وسيلة متعينة للاسقرار العائلي نفسه ، وتجعل من المستحيل الاخذ بتعاليم الاناجيل في احكام الطلاق .

كما انهم تناسوا الواقع الذي فرض عليهم ان يرجعوا عن هذا النظام الذي لا يتلائم مع واقع الحياة الزوجية التي لا تخلوا أحيانا كثيرة من الكدر ونغوصة العيش .

وقد ادى هذا الواقع الى خروج النصارى عن نظام أناجيلهم ، وأخذوا بمبدأ الطلاق لأنه علاج لبعض المشاكل الزوجية ، فأصدروا قوانين مدنية تبيح لهم الخروج من هذا السجن المؤبد .

جاء في جريدة الجهاد بتاريخ ٤ المحرم ١٣٥١ ١٠ مايو سنة ١٩٣٢م تحت عنوان جنون الطلاق في امريكا ما نصه : "اكثر من نصف مليون رجل وامرأة وطفل يتغير مجرى حياتهم كل سنة بسبب حوادث الطلاق" .

وجاء في نفس البيان ايضا انه في المدة بين سنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٢٩ قد زاد عدد الطلاق بنسبة (٢٠٠٠) في المائة ، وزاد عدد السكان بنسبة (٣٠٠) في المائة ، وحوادث الزواج بنسبة (٤٠٠) في المائة .[(١)]

يقول الدكتور أرون أيسمان عالم نفس امريكي (Aron Aysman) : "الطلاق الهادئ المتفق على عواقبه بالحسنى والتراضي أفضل لمستقبل الاولاد من استمرار حياة زوجية فاشلة مشحونة بالنكد والنزاع وتبادل الاهانات ومظاهر الجفاء والغدر ".[(٢)]

وفي ألمانيا الغربية بلغت نسبة الطلاق فيمن دون سن الخامسة والعشرين ٣٥٪[(٣)] هذا

---

(١) حقوق الإنسان في الإسلام، محمد رشيد رضا، ص١٦٢–١٦٣ الهامش.

(٢) المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين، ص١٢٤.

(٣) ماذا عن المرأة، نور الدين عتر، ص١٦١.

وقد صدر قانون في ايطاليا يبيح الطلاق . وكذلك أقرت حكومة اسبانيا سنة ١٩٧٨ تشريع الطلاق . وهذا يدل دلالة قاطعة على ان العالم أيقن ان وضع القيود المصطنعة أمام وقوع الطلاق ليس تصرفا مثمرا ولا علاجا شافيا . وكذلك كثرة وقوع الطلاق لا يمكن ان تكون عقبة في وجه تطبيقه .

فالمجتمعات الاوروبية التي كانت تحرم الطلاق بحكم شرائعها قد بدأت في التراجع عن هذا التحريم الى التحليل ، حتى اصبح الطلاق امرا عاديا هناك . وقد تقدمت الاشارة الى ذلك .

مبادئ الاسلام في الطلاق :-

علمنا مما سبق ان الطلاق ليس بدعا في الشرائع بل هو عريق في الأمم السابقة، وقد كان الرجل يستعمله بمطلق حريته. ولما جاء الاسلام وضع أنظمة وقوانين تضبط الطلاق، وليس الطلاق كما يظن بعض الناس بأن المسلم يطلق زوجته تبعا لهوى النفس .

ومن هنا لا بد من الاشارة لبعض المبادئ التي وضعها الاسلام لقانون الطلاق : -

أولا : الاسلام شرع الطلاق لحكمة، هذه الحكمة يقصد منها عدم تعطيل النسل المرغوب، وكذلك رفع الحرج عن الزوجين .[1]

ثانيا : إن الاسلام أباح الطلاق وجعله أبغض الحلال الى الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام : (أبغض الحلال الى الله عز وجل الطلاق)[2] وفي رواية الدراقطني : (ما خلق الله شيئا أبغض اليه من الطلاق) .

فالطلاق في الاسلام أمر خطير ، أباحه الاسلام على كراهة، حتى لا يقع فيه احد الا لضرورة تضطره .

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، ص٣٧٦، ط١٧.

(٢) سنن ابن ماجة، ج١/٦٥٠، حديث رقم ٢٠١٨، كتاب الطلاق.

ثالثا : لقد ندد الاسلام بالذين يطلقون نسائهم طلبا للذة ولا يعملون على صيانة عقد الزواج قال عليه الصلاة والسلام: (ما بال اقوام يلعبون بحدود الله ، يقول احدهم : قد طلقتك قد راجعتك ، قد طلقتك)[١].

إن عقد الزواج في الاسلام عقد مقدس لا يجوز نقضه الا لضرورة من الضرورات والذي يلجأ لنقض هذا العقد من غير ضرورة انسان ساقط المروءة ، تافه القدر ، محجوب البصر عن قيم الحياة ، فان المرأة انسان، واجمل ما في الانسان انسانيته .

رابعا : ضيّق الاسلام على الرجل مسالك الطلاق حتى فيما يكره من اخلاق زوجته . . . فقد جعل الله للرجل الذي يصبر على أذى زوجته اجراً عظيما، قال تعالى : ﴿فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾[٢] .

يقول الجصاص في احكام القرآن : (وذلك يدل على ان الرجل مندوب الى امساكها مع كراهته لها لما يعلم لنا الله في ذيلك من الخير الكثير)[٣].

خامسا : وضع الاسلام ضوابط كثيرة للحياة الزوجية ، فاذا ما نشب الخلاف بين الزوجين ، وكانت الزوجة هي السبب ، أو كان الزوج هو السبب ، أو كان منهما الاثنين، فنجد ان الاسلام قد وضع علاجا لكل حالة من هذه الحالات ، حتى لا يقع الطلاق بينهما . قال الله تعالى : ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا﴾[٤] .

فالاسلام حرص على اصلاح الحياة الزوجة عندما يحصل النشوز او الاعراض ، فجعل الوعظ اولا للزوجة ، فان لم يجد نفعا سمح بالهجر ، فان لم يثمر سمح بالضرب

---

(١) سنن ابن ماجة، ج١/٦٥٠، حديث رقم ٢٠١٧، كتاب الطلاق.

(٢) سورة النساء، آية ١٩.

(٣) أحكام القرآن، الجصاص.

(٤) سورة النساء، آية ٣٤.

غير المبرح . فاذا فشلت هذه الاساليب في اصلاح الحياة الزوجية عند ذلك تأتي طريقة التحكيم بين الطرفين قال تعالى : ﴿وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا﴾ [1]. وما التحكيم الا وسيلة اصلاحية وضعت لاطفاء نار الحرب وانتزاع اسباب البغضاء من القلوب وهي وسيلة اصلاحية وُكّل أمرها الى غير الزوجين حينما فشلت وسيلة الاصلاح التي وكلت الى الزوجين فاذا عجزت الوسائل السابقة عن تحقيق الصلح والمودة فعند ذلك يلجأ الانسان الى الطلاق ، حتى يغلق باب الشر أمام الزوجين قال تعالى : ﴿وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما﴾ [2].

سادسا : جعل الاسلام الطلاق بالتدريج ، إعذارا وإنذارا فالرجل يملك على زوجته ثلاث تطليقات يملك الرجعة بعد الاولى والثانية ، وما جعل الاسلام الطلاق على دفعات الا ليجرب الرجل نفسه بعد المرة الاولى والثانية ويروضها على الصبر والاحتمال ، وكذلك لتروض المرأة نفسها .

سابعا : جعل الأسلام عدة المطلقة في بيت زوجها لما في ذلك من الفوائد، المحافظة على حرث الزوج، والاستئناس بينهما لتسهيل طريق الرجعة.

ثامنا: جعل الأسلام نفقة المطلقة على زوجها ما دامت في العدة ثم عليه أن يمتعها متعة الطلاق وهي هدية لجبر خاطرها. قال الله تعالى: ﴿ومتعوهن على الموسع قدرة وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف﴾ [3] ، واذا كانت المطلقة حاملا فنفقتها على الزوج حتى تضع، ثم عليه نفقة الرضاع قال الله تعالى: ﴿وإن كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى

---

(١) سورة النساء، آية ٣٥.

(٢) سورة النساء، آية ١٣٠.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٣٦.

يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف﴾[1].

تاسعاً: أعطى الأسلام المرأة حق الخلع اذا وجدت نفسها غير قادرة على التلاؤم وممارسة الحياة الزوجية الطبيعية، هذه هي أحكام الأسلام بالنسبة للطلاق، أباحه على بغض، ولم يدع وسيلة من وسائل الوفاق الا نص عليها، ولم يدع سببا معقولا لإرجاء ايقاع الطلاق الا قرره وأمر به، حتى جاء منهج الأسلام وسطا بين التضييق المحرج، والأطلاق الذي لا يرضاه الذوق والعقل. فليت هؤلاء الحاقدين على الأسلام يقرأون أحكام الأسلام قراءة علمية نزيهة ثم يصدرون أحكامهم.

رابعاً: الطلاق في الأسلام علاج لأمور لا يمكن أن تستمر فيها الحياة الزوجية.

لو أدرك أعداء الأسلام منافع وفوائد الطلاق الاجتماعية لما عابوا على الإسلام هذا النظام ونسوق فيما يلي الأمور التي جعل الأسلام الطلاق علاجًا لها.

أولاً: الخيانة الزوجية: فالزوجة الخائنة لولا الطلاق لكانت حملا ثقيلا على الزوج فهو إما أن يكون شريفا فيقتلها ليتخلص من جرمها، وإما أن يكون ديوثا يقر بالفاحشة على أهله.

ثانياً: اذا نشب الخلاف بين الزوجين، وتعذر الإصلاح بينهما فاجبارهما على الاتحاد ضرب من المحال، وقد تسري أحقادهما إلى أولادهما فيختل نظام العائلة ويزداد بين أفرادها الكره والتنافر فيفسد النظام العام، ففي الطلاق راحة للزوجين من الخلافات.

ثالثاً: اذا فسدت اخلاق أحد الزوجين، فأصبح لا يراعي حرمة لعقد الزواج وعجزت وسائل التقويم عن إصلاحه فالطلاق هو العلاج.

رابعا: اذا جن أحد الزوجين جنونا مطبقا، وفقد مميزاته الأنسانية وأصبحت تصرفاته تشبه تصرفات الأنعام، فما هو الحل يا ترى؟ وكذلك في حالة المرض الخطير الذي لا يرجى برؤه، كيف تستقيم الحياة الزوجية؟

---

(١) سورة الطلاق، آية ٦.

وعند اصابة أحد الزوجين بالعقم، وانعدام تحقيق اغراض الزواج فما هو الحل؟
خامسا: اذا غاب الزوج غيابا طويلا، واندرست اخباره فلا يعرف أحي هو أم ميت. أو حكم عليه بالسجن المؤبد، فالحل الأمثل للحياة الزوجية في مثل هذه الأحوال الطلاق، إلا إذا صبرت الزوجة ولم يلحقها ضرر أو أذى.
سادساً: اذا أعسر الزوج من الانفاق على زوجته ولحق الضرر الزوجة فالطلاق يحل هذه المشكلة.(١)

وبعد ضرب هذه الأمثلة لمبررات الطلاق في الأسلام نقول أن أحكام الأسلام جاءت صالحة لكل زمان ومكان فحسبت حسابا لكل الظروف والاحتمالات التي يمكن أن تكتنف الأفراد والأسر والمجتمعات، ولما كان الأسلام حريصا على مصالح أفراده وأسره ومجتمعاته، لذلك أباح الطلاق ووضع له قيودا تكفل عدم ايقاعه إلاّ في حالات الضرورة، لأن عقد الزواج له قدسية خاصة في الأسلام، وقد سماه الله ميثاقا غليظا قال تعالى ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾(٢) كما أن نظام الأسلام أنصف المرأة من فوضى الطلاق التي كانت سائدة في الجاهلية حيث لا عدد ولا عدة ولا حقوق ولا التزامات.

ويمكن أن تلخيص الرد على هؤلاء المغرضين بما يلي:-

أولاً: إن الطلاق كان مفروضا قبل الأسلام، ولما جاء الأسلام عمل على تهذيبه.
ثانياً: إن الذين ينتقدون إباحة الأسلام للطلاق من كتّاب مسيحيين وغربيين يعلمون أن جميع الدول المسيحية اباحت الطلاق بأنظمتها الحديثة وتراجعت عن الأنظمة القديمة.
ثالثاً: جعل الأسلام الطلاق آخر الحلول للمشاكل الزوجية.

---

(١) بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص٦٥ وما بعدها، مؤسسة المطبوعات الحديثة.

(٢) سورة النساء، آية ٢١.

المبحث الرابع

موقف المستشرقين من آيات الميراث

اتهم المستشرقون والملاحدة الأسلام بأنه هضم حق المرأة وجعلها في منزلة دون الرجل في الإرث من غير حق، فقد اتخذوا من قوله تعالى ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[1] دليلا على أن الأسلام هضم حقوق المرأة، فكيف يكون للرجل ميراث كامل وللمرأة نصف الرجل، هذا ظلم واستغلال وعبودية الرجل للمرأة. [2]

وللرد على هذه التهمة الباطلة نبين ما يلي:-

١- موقف الأمم السابقة من الميراث.

٢- مبادىء الأسلام في الميراث.

٣- موقف بعض المستشرقين المعتدلين من الميراث.

٤- مناقشة التهمة.

أولاً: موقف الأمم السابقة من الميراث:

اليهودية:

ترى اليهودية أن البنت لا يجوز لها أن ترث إلاّ اذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين[3]، وإلا ما كان يتبرع به لها أبوها في حياته.

جاء في التوراة: (ولم توجد نساء جميلات كنساء أيوب في كل الأرض، واعطاهن ابوهن ميراثا بين اخوتهن)[4].

---

(١) سورة النساء، آية ١١.

(٢) المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين، ص٣٨؛ شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص١٢٥، ط/١٣٨٧.

(٣) الميراث في الشريعة الإسلامية، ياسين أحمد إبراهيم، ص٣٤، مؤسسة الرسالة.

(٤) سفر أيوب، ١٦/٤٢.

وحين تحرم البنت من الميراث لوجود أخ لها ذكر يثبت لها على أخيها النفقة والمهر عند الزواج، اذا كان الأب قد ترك عقارا فيعطيها من العقار، أما اذا ترك مالا منقولا فلا شيء لها من النفقة والمهر ولو ترك القناطير المقنطرة. واذا آل الميراث إلى البنت لعدم وجود أخ لها لم يجز لها أن تتزوج من سبط اخر، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها. (١)

فالرجل بصفة عامة هو عماد الأسرة عند اليهود، ولذا فأن المرأة لا ترث عندهم سواء كانت أما أو زوجة أو بنتا أو اختا للمتوفى ما دام يوجد له ابن أو أب، أو قريب آخر من الذكور كالاخ والعم. ويمكن أن نجمل القواعد التي اعتمد عليها اليهود في ميراثهم بهذا الموجز البسيط كي نكون على علم من قواعدهم ولتظهر عظمة الشريعة الأسلامية.

١- أسباب الميراث عند اليهود أربعة: البنوة والامومة والأخوة والعمومة، ولذا فأن الزوجة لا ترث من تركة زوجها اذا توفي قبلها وهو يرثها ان توفيت قبله.

٢- ميراث الأب يكون للأبناء الذكور، وللكبير منهم حظ اثنين من اخوته الذكور فهو مميز عليهم بعلة البكورة.

٣- اذا كان الورثة ذكورا وإناثا فالتركة للذكور دون الإناث، ولهن حق النفقة.

٤- لا ترث الأم من ابنها ولا من بنتها، وإن توفيت هي يكون ميراثها لابنها.

٥- كل ما تملكه الزوجة يؤول بوفاتها ميراثا شرعيا إلى زوجها، لا يشاركه فيه أقاربها ولا أولادها.

٦- لا ميراث للزوجة من زوجها اذا توفي قبلها.(٢)

الميراث عند النصارى:-

وأما النصرانية فهي تنطر إلى المرأة بأنها شر لا بد منه، وبأنه لا يجوز أن تمنح أية

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، ص١٩.

(٢) الميراث في الشريعة الإسلامية، ياسين أحمد إبراهيم، ص٣٥-٣٦.

سلطة على أي شيء من الأشياء. بل إن القوانين الوضعية اليوم ترى أن المرأة متى تزوجت تحرم من الانتساب إلى أسرتها، ولا يجوز لها التصرف حتى في مالها هذا في القانون الفرنسي، حيث أن المرأة لا تكون مسؤولة عن مالها والتصرف به بل يؤول ذلك الحق إلى زوجها.(١)

واذا نظرنا إلى المسيحية بشكل عام فإننا لا نجد لهم نظاما خاصا بالميراث وذلك لأن الانجيل لم يتعرض للتشريعات التي تنظم العلاقات المختلفة بل اقتصرت الديانة المسيحية على معالجة النواحي الخلقية الروحية، وقد عمد رجال الكنيسة إلى استنباط بعض الأحكام في الميراث من التوراة ومن النظام الروماني.

يذكر الدكتور سليمان مرقس: أن المسيح عليه السلام رفض أن يقوم بدور القاضي أو المشرّع حينما جاءه شخص يلتمس منه أن يأمر أخاه بمقاسمته الميراث قائلا: ومن اقامني عليكما قاضيا أو مقسما.(٢)

الميراث عند العرب في الجاهلية:-

قام الميراث في الجاهلية على أساس يتناسب وعقلية القوم في هذا العصر، ويتلائم مع طرق اكتسابهم للمال ويساير نسق حياتهم الاجتماعية. وقد قام هذا النظام على أسس تتنافى مع الفطرة السليمة، فكانوا لا يورثون الا من اشتد عوده من الرجال ويحرمون المستضعفين من النساء والأطفال.

يقول القرطبي: وكانت الوراثة في الجاهلية بالرجولة والقوة، وكانوا يورثون الرجال دون النساء.(٣)

---

(١) المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين، ص٣٧.

(٢) الميراث في الشريعة الإسلامية، ياسين أحمد إبراهيم، ص٣٧، نقلا عن المدخل للعلوم القانونية، سليمان مرقس، ص٢٣٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٥/٧٩.

وسبب ايثارهم الرجال بالإرث، لأن الرجال هم الذين يحمون الديار ويذودون عن الحمى يقول ابن العربي المالكي: "وكان هذا من الجاهلية تصرفا بجهل عظيم، فإن الورثة الضعاف كانوا أحق بالمال من القوي فعكسوا الحكم، وأبطلوا الحكمة، فضلوا باهوائهم واخطأوا في آرائهم.(١)

وأما ميراث المرأة في الجاهلية، فالأخبار متضاربة، وأكثرها أنها لم تكن ترث أصلا، فبعض الروايات تجعل للمرأة بعض تركه الميت، وبعض الروايات أن المرأة ترث زوجها وقرباها، وأن عادة حرمان النساء الإرث لم تكن عامة عند جميع القبائل بل كانت شائعة عند قبائل دون أخرى.(٢)

ونظام الميراث في الجاهلية يقوم على أمرين:-

الأول: النسب.

الثاني: السبب.

وبعد هذا العرض يظهر لنا أن المرأة في الجاهلية كانت مهظومة الحقوق فليس لها حق الأرث بل أن المرأة كانت تورث كبقية الأموال، يقول عمر بن الخطاب، (والله ان كنا في الجاهلية، ما نعد للنساء امراً حتى نزل الله فيهن ما أنزل وقام لهن ما قسم).(٣)

مبادىء الأسلام في الميراث

فيما يلي عرضًا موجزاً لأهم مبادىء الأسلام في الميراث:

١- سار الأسلام في مسألة الرجل والمرأة على طريقته الواقعية المدركة لفطرة البشر، فسوى بينهما حيث تكون التسوية هي منطق الفطرة الصحيح، وفرق بينهما حيث تكون

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، ج١/٣٢٨.

(٢) الميراث في الشريعة الإسلامية، ياسين أحمد إبراهيم، ص٣٧، نقلا عن تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٥/٢٧٤/٢٧٥.

(٣) مسلم، الطلاق، ج٥/١١٠٨، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي، مصر.

التفرقة هي منطق الفطرة الصحيح.(١)

٢- جعل الأسلام الميراث في الأسرة لا تعدوها أراد صاحب المال أو لم يرد بل سواء أرضي أم سخط، وهذا عمل من الشارع من أجل حماية الأسرة، وإقامة بنيانها، وتوثيق العلاقة بين أفرادها.

٣- سار الأسلام مع نظام النفقات بين الأقارب في خطين متوازيين متماثلين، فجعل النفقة عند العجز لمن يرث المال إن كان غنيا والغنم بالغرم، والحقوق والواجبات متبادلة.

٤- التوزيع العادل الذي قام على ثلاثة أسس:

الأول: ملاحظة الحاجة فكلما كان الحاجة أشد كان العطاء أكثر ولعل ذلك هو السر في أن نصيب الأولاد أكثر من نصيب الأبوين والبنات.

الثاني: أن يعطى الميراث للأقرب إلى المتوفى الذي يعتبر شخصه امتدادا لوجود شخصه.

الثالث: الاتجاه الى التوزيع دون التجميع، فهو لم يجعل وارثا يستبد بها دون سواه.(١)

٥- رعاية الأسلام للمرأة، وخفض الجناح لها، والحب والرعاية لمصالحها وكفل لها من أسباب الرزق ما يصونها عن التبذل ويحميها من شرور الكدح في الحياة، فاعفاها من كافة أعباء المعيشة، وألقاها جميعها على كاهل الرجل.

فقبل الزواج نفقتها على أصولها وفروعها وأقربائها بحسب تريتيب الفقه لهم. وبعد الزواج نفقتها على زوجها، وقد أعفت الشريعة الأسلامية المرأة من أعباء المعيشة وألقتها جميعا على كاهل الرجل، واحتفظت للمرأة مع ذلك بحقوقها المدنية كاملة غير منقوصة.

وفي حال طلاقها: يتحمل الزوج جميع الأعباء الاقتصادية، فعليه مؤخر الصداق وعليه

---

(١) شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص١٢٥.

(٢) أحكام التركات والمواريث، محمد أبو زهرة، ص٢٣٧ وما بعدها، دار الفكر.

نفقتها من مأكل ومشرب وملبس ما دامت في العدة. [1]

٦-جعل الأسلام نصيب الذكر من تركة زوجته وقد بنيت هذه التفرقة على أساس التفرقة بين أعباء الرجل الاقتصادية في الحياة، وأعباء المرأة، فمسؤولية الرجل من الناحية الاقتصادية أوسع من مسؤولية المرأة. فكان من العدالة أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة حتى يكون في ذلك ما يعينه على القيام بهذه التكاليف الثقيلة التي وضعها الأسلام على كاهله، واعفى منها المرأة رحمة بها.

٧- عمل الأسلام على ازالة الغبن الذي لحق المرأة في المجتمعات السابقة للأسلام من حرمانها من الميراث، فجعل لها نصيبا مفروضا من التركة قال الله تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾ [2].

موقف المستشرقين المعتدلين من نظام الميراث

بالرغم من العداء السافر بين المستشرقين والأسلام، الا أننا نجد طائفة منهم وقفوا أمام بعض أنظمة الأسلام فدرسوها دراسة علمية صحيحة، فصدرت أحكامهم موافقة لحقائق العلم الصحيح فشهدوا بأن الأسلام أنصف المرأة ومنحها حقوقها.

ومن هؤلاء المستشرقة (اندره سرفيه Andrah Srfyh) التي يقول: كان النساء والأولاد قبله- أي الأسلام- لا يرثون- بل الأسوأ من ذلك الاقرب نسبا للميت هو الذي كان يرث نساء الميت في جملة ما يرث من مال ورقيق، وعندما نهض محمد ﷺ أعطى المرأة حق الإرث، وأوجب كل ما كان حسنا في حقها. [3]

---

(١) حقوق الإنسان في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص٩٩ وما بعدها، ط١٩٦٧/٤، دار النهضة، مصر؛ المواريث والوصية والهبة، بدران أبو العينين بدران، ص٩، مؤسسة شباب الجامعة.

(٢) سورة النساء، آية ٧.

(٣) المرأة ومكانتها في الإسلام، أحمد عبد العزيز الحصين، ص٤٠، نقلاً عن كتاب الإسلام ونفسية المسلمين للمستشرق اندره سرفيه.

وأما المستشرق غوستاف لوبون (G.Lebon) فيقول: (ومبادىء المواريث التي نص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والانصاف، والشريعة الاسلامية منحت الزوجات حقوقا في المواريث لا نجد مثلها في قوانينا).(١)

مناقشة هذه التهمة:-

زعم أعداء الأسلام أن الأسلام هضم حق المرأة في الميراث فهذا القول باطل من وجوه:

أولاً: إن حكمة تفضيل الرجل على المرأة في الميراث مرده إلى التبعات التي يضطلع بها الرجل في الحياة اكثر من المرأة.

فالرجل ملزم بالانفاق على نفسه وعلى عائلته، فقال الله تعالى : ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه، فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها﴾(٢).

ثانياً: كلف الأسلام الرجل بدفع الديات والتعويضات اللازمة عليه، بينما المرأة مكفولة الرزق إن تزوجت عالها زوجها وأن عنست أو ترملت عالها أولياؤها، لذلك كان من حق الرجل إن يكون له مثل حظ الاثنين.

ثالثا: أن زيادة نصيب الرجل في الميراث على نصيب المرأة مسألة حساب لا عواطف ولا ادعاء فالمرأة تأخذ ثلث الثروة لتنفقها على نفسها ويأخذ الرجل ثلثي الثروة لينفقها على زوجته وأسرته فأيهما يصيب أكثر بمنطق أكثر بمنطق الحساب والأرقام.(٣)

رابعاً: هذا التقسيم يكون في المال الموروث بلا تعب، فهو يقسم بمقتضى العدل الألهي، الذي يعطي لكل حسب حاجته، ومقياس الحاجة هو التكاليف المنوطة بمن يحملها.

أما المال المكتسب فلا تفرقة فيه بين الرجل والمرأة، لا في الأجر على العمل ولا في

---

(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص٤١٦.

(٢) سورة الطلاق، آية ٧.

(٣) شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص١٢٥.

ربح التجارة ولا ريع الأرض... الخ، فهذا يتبع مقياسا أخر هو المساواة بين الجهد والجزاء.

هذه هي انظمة الأسلام، فأين الظلم الذي يزعمه دعاة المساواة المطلقة، ومن الذي سلب المرأة حقها في الميراث وفي غيره، الأسلام أم الشيوعية والرأسمالية واخوانهم الملاحدة، ومن الذي جعل المرأة من سقط المتاع تباع وتشترى ومن الذي عقد المؤتمرات للبحث في شأن المرأة أهي مخلوق يستحق الحياة أم هي مخلوق لا يستحق الحياة.

فيراجع هؤلاء الحاقدون (دينهم)، ويصلحوا ما فيه من خلل ثم بعد ذلك يحق لهم أن يوجهوا الانتقاد إلى غيرهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع

- القرآن الكريم

- الكتاب المقدس، العهد القديم، العهد الجديد، الأناجيل الأربعة ـ الرسائل.

- الابريز، عبد العزيز الدباغ، د.ت، د.ط، مطبعة محمد علي صبيح.

- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ١٩٧٤، الهيئة المصرية.

- الاتجاهات الوطنية، محمد محمد حسين، ط٥، مؤسسة الرسالة.

- التبشير والاستعمار، عمر فروخ، ومصطفى الخالدي، ط٣، ١٩٨٤، المكتبة العصرية.

- التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبي صلى الله عليه وسلم، محمد عزت الطهطاوي، د.ت، د.ط، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية.

- آثار الحرب في الفقه الإسلامي، وهبه الزحيلي، ط٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، دار الفكر. - أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن حبنكه، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار القلم، دمشق- بيروت.

- التبشير، الاستشراق، الاستعمار، الميداني،

- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق محمد علي البيجاوي، دار الفكر، بيروت.

- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، د.ت، د.ط، دار المعرفة، بيروت.

- الأدب العربي وتاريخه في العصر الحديث، محمد هاشم عطية، ١٩٣٦، مطبعة الحلبي، مصر.

- ارادة الاعتقاد، وليم جميس، ترجمة د. محمود حسب الله،

- الأربعين في أصول الدين، محمد الرازي فخر الدين، بدون، طبعة الهند.

- الرد على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن،عبدالله كنون، ط١/١٩٨١

- ارشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي الشوكاني، ط/١٣٩٥، تحقيق إبراهيم إبراهيم هلال.

- أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله عمر الزمخشري، ط/١٩٢٣، دار الكتب المصرية.

- أساليب الغزو الفكري، د.علي جريشه وزميله، ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، دار الاعتصام.

- الإسلام أمام افتراءات المفترين، توفيق علي وهبه،

- الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، لابي الحسن الندوي، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة.

- الإسلام بين الانصاف والجحود، محمد عبد الغني حسن، ط/١٩٦٠، القاهرة.

-الاسلام بين شبهات الضالين واكاذيب المفترين، د.يوسف القرضاوي، بدون، مكتبة المنارة/الكويت.

-الاسلام الدين الفطري، مبشر الطرزي، ط ١، ١٤٠٥ / ١٩٨٤، دار الكتب العلمية.

-الاسلام في وجه التغريب/ مخططات، الاستشراق والتبشير، انور الجندي، دار الاعتصام.

-الاسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، ط٤ . ١٤٠٠/١٩٨٠، دار الفكر.

-الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ابو الاعلى المودوي، ط٥، ١٩٨٣، دار القلم، الكويت.

-الاسلام والجنس، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة.

-الاسلام والدعوات الهدامة، انور الجندي، ط/١/١٩٧٤، دار الكتاب اللبناني.

-الاسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ط٢، دار القلم.

-الاسلام والمستشرقون، محمد الدسوقي، ط١٣٨٢/١٩٦٢، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية/ القاهرة.

-الاسلام والمرأة المعاصرة، البهي، الخولي، ط/٣، دار القلم/ بيروت.

-الاسلام والغرب والمستقبل، ارنولد تويني، ط/١٩٦٥، الدار العربية/ بيروت.

-الاسلام وأهل الذمة، د. علي حسني الخربوطلي، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية/ القاهرة.

-الاسلام والحضارة الغربية، محمد كرد علي، ط/١/١٩٨١، مؤسسة الابحاث العربية/ بيروت.

-الاستشراق، د. عبدالله الشحام، بحث على الآلة الكاتبة، الجامعة الاردنية.

-الاستشراق والخلفية الفكرية، د. محمود حمدي زقزوق، كتاب الامة.

-الاستشراق / نشأته وتطوره واهدافه، د. اسحق موسى الحسيني، ط/١، مطبعة الازهر، الامانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية.

-الاستشراق والتبشير، صلتهما بالامبريالية العالمية، د. إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي.

- الشباب والتغيير، فتحي يكن، ط١/١٤٠٥/١٩٨٤، مؤسسة الرسالة.

- السنة ومكانتها في التشريع، د. مصطفى السباعي، ط٢/١٣٧٨/١٩٧٨، المكتب الإسلاني، بيروت.

-الشبهات والاخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي، انور الجندي.

-الشبهات التي تثار حول تطبيق الشريعة الاسلامية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، احد بحوث مؤتمر الفقه الاسلامي بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

-الاصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ط/١/١٩٦٩، الكليات الازهرية.

-الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية، لابي الحسن الندوي، ط/٣/١٣٩٧/ ١٩٧٧، مطبعة التقدم.

-أصول الدين، محمد الرازي فخر الدين ضياء الدين، دار الكتاب العربي/ الكويت.

-أصول الدعوة، عبد الكديم زيدان، ط/٣/١٣٦٩، جمعية الاماني/ بغداد.

-اضواء على الثقافة الاسلامية، د. نادية شريف العمري، ط/٢/١٤٠٤/١٩٨٤، مؤسسة الرسالة.

-اضواء على الاستشراق، د. محمد عبد الفتاح عليان، ط/١

-الطريق الى مكة، محمد أسد، ط/١/١٩٥٦، بيروت.

- إعجار القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي،ط/٩، دار الكتاب العربي/بيروت.

-أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين ابي عبد الله ابن القيم، ط/١٩٧٣، دار الجيل/بيروت.

- أعلام النبوة، لابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، ط/٢/١٤٠١/١٩٨١، دار الكتب العلمية/بيروت.

- اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الاسلام ابي العباس احمد بن تيمية.

- الله، عباس محمود العقاد، الموسوعة ط/١، دار الكتاب اللبناني/بيروت.

- الله أو الدمار، سعد جمعه، ط/١٩٨٠، دار الكتاب العربي.

- اللغة العربية بين حماتها وخصومها، انور الجندي، مطبعة الرسالة/ مصر.

- أمية بن أبي الصلت حياته/شعره، دراسة وتحقيق/بهجه عبد الغفور، محمد بن ادريس الشافعي، مطبعة العاني/بغداد.

- أوروبا والاسلام، د. عبد الحليم محمود، مطبعة دار الجهاد.

-آيات الجهاد في القرآن الكريم، كامل سلامه الدقس، ط/١٩٧٢، دار البيان/ الكويت.

-الايمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ط/٣/١٩٧٥، مؤسسة الرسالة/ بيروت.

-ايران في عهد الساسانيين، آرثر كريسني، ط/١٩٥٧، مصر.

- أباطيل يجب آن تمحى من التاريخ، د.ابراهيم علي شعوط،

- بحث جديد عن القرآن، محمد صبيح، ط/٦/١٩٦٦، مطابع الطناني، مصر.

- البحث عن الدين الحق، المونسينور كولي،ط/١٩٢٨.

- البداية والنهاية، عماد الدين بن كثير، ط/٢/١٤٠٢/١٩٨٢، دار المعرفة/بيروت.

- البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان، سعدي ياسين، ط، المكتب الاسلامي.

-البرهان من القرآن، محمد احمد مهدي، ط/١٣٨٥، منشورات حمد/ بيروت.

-البرهان في علوم القرآن/بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ط/٢/١٣٩١/١٩٧٢دار المعرفة/ بيروت.

-الابطال، توماس كارليل.

-بلشفة الاسلام، د.صلاح الدين المنجد، ط/٢.

- بلاغة القرآن، محمد الخضر حسين، ط/١٣٩١/١٩٧١، المطبعة التعاونية/ دمشق.

-النيابة في شرح الهداية، لابي محمد محمود بن أحمد العتبي، دار الفكر.

-بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الاسلام، د. علي عبد الواحد وافي، ط/١٩٦٠، مؤسسة المطبوعات الحديثة.

-البيان والتبيين، ابي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، ط/٤، دار الفكر /بيروت.

-بين الشريعة والقانون الروماني، د. صوفي حسن ابو طالب.

-تاج العروس في شرح القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر/بيروت.

- تاريخ آداب العرب، مصطفى الرافعي، ط/٢/١٣٩٤/١٩٧٤، دار الكتاب العربي/بيروت.

-تاريخ الأدب العربي، احمد حسن الزيات، ط/٢١، مكتبة نهضة مصر/القاهرة.

- تاريخ الدولة العربية، بوليوس فلهازون، ط/١٣٧٦، مطبعة الجامعة السورية.

- تاريخ الشعوب الاسلامية، بروكلمان كارل، ط/٣، بيروت.

-تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، ط/٢/١٩٦١، دار المعارف /مصر.

-تاريخ الامم الاسلامية/ الدولة الاموية، الشيخ محمد الخضري،١٩٧٠م، المكتبة التجارية.

-تاريخ الامم الاسلامية/ الدولة العباسية، الشيخ محمد الخضري،١٩٧٠، المكتبة التجارية.

- تاريخ الفلسفة في الاسلام، دي بوير، ط/١٩٧٠، ترجمة عبد الهادي ابو زيد.

-تاريخ القرآن، لابي عبد الله الزنجاني، ط/٣/١٣٨٨/ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، بدون، دار الكتاب العربي/ بيروت.

-تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، خالد عبد الرحمن العك، ط/١٣٩٧/١٩٧٨، دمشق.

-تأويل مشكل القرآن، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ط/٣/١٤٠١/١٩٨١، دار الكتب العلمية/ بيروت.

-التبيان في آداب حملة القرآن، ابي زكريا يحيى بن شرف النووي، ط/١/١٣٧٩، الحلبي/ مصر.

-تبسيط العقائد الاسلامية، حسن أيوب، ط/٤/١٣٩٩، دار البحوث.

- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، الدار العربية/ بيروت.

- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الفكر/ بيروت.

-تذكرة الحفاظ، للحافظ شمس الدين الذهبي، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- تراث الاسلام، مجموعة من المستشرقين إشراف سير توماس ارنولد، بيروت.

-ترجمة القرآن، د. عبد الله شحاته، ط/١٩٨٠/١٤٠٠، دار الاعتصام.

- ترجمة المعاني القرآنية، محمد احمد السنباطي، مطابع الدوحه الحديثة.

-التشريع الجنائي، عبد القادر عودة، ط/١٩٨٠، دار الكتاب العربي/ بيروت.

-تعدد الزوجات في الإسلام، عبد الله علوان، ط٢/١٤٠٤، ١٩٨٤، دار السلام.

- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

-تفسير الخازن، علي بن محمد الشهير بالخازن، ط/٢/١٩٧٥، البابي الحلبي/مصر.

-تفسير روح المعاني، محمود الالوسي البغدادي، ط/١، مصر.

- تفسير الصاوي على الجلالين، للشيخ احمد الصاوي، بدون، دار احياء الكتب العربية/ مصر.

-تفسير الطبري، لابي جعفر بن جرير الطبري، ط/١٣٩٨/١٩٧٨، دار الفكر/ بيروت.

-تفسير القرآن العظيم، للامام ابن كثير، بدون، دار احياء الكتب العربية/ مصر.

-تفسير الكشاف، لابي القاسم جار الله عمر الزمخشري، ط/٢، دار المعرفة بيروت.

- التفسير الكبير، للإمام محمد الرازي فخر الدين، ط/١٤٠٣/١٩٨٣، دار الفكر.

- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط/٢ بدون، دار المعرفة/ بيروت.

- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي.

- تلك حدود الله، ابراهيم احمد الوقفي، ط٢/١٣٩٩.

-تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ط/١٤٠٠، ١٩٨٠، دار صادر /بيروت.

-تهذيب الاسماء واللغات، ابي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلميه/ بيروت.

- التيسير في القراءات السبع، لابي عمر الداني، ط/٢/١٩٨٤، دار الكتاب العربي.

- الجامع الصحيح، محمد بن اسماعيل البخاري، ط/١٣٨٦، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية.

-الجامع لأحكام القرآن، لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، ط/١٣٨٦/ ١٩٦٧، دار الكتاب العربي/ القاهرة.

-جذور البلاء، عبد الله التل، ط٢/١٣٩٨/١٩٨٧، المكتب الاسلامي.

-الجريمة والعقوبة في الفقه الأسلامي، محمد ابو زهرة، ط/١٩٧٦، دار الفكر العربي.

-جرائم القتل في الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي، د. عبد الخالق النواوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا.

- جواهر التفاسير، مصطفى محمد المليجي، ط/١، مصر.

-الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الشيخ طنطاوي جوهري، ط/٣/١٣٩٤، المكتبة الاسلامية.

-الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح، تقي الدين احمد بن عبد الحليم، ط/١٣٧٩، مطبعة المدني، مصر.

- حاضر العالم الاسلامي، لوثروب ستودارد الامريكي، ط/٤/١٣٩٣، دار الفكر.

-الحروب الصليبية، ارنست باركر، ط، القاهرة.

-حركات ومذاهب، فتحي يكن، ط/١.

- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ط دار احياء الكتب العربية.

- حقائق الاسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، ط١/الموسوعة، دار الكتاب اللبناني.

-حقوق الانسان في الأسلام، د.علي عبد الواحد وافي، ط/٤/١٩٦٧م، دار مصر.

- حقوق النساء، محمد رشيد رضا، المكتب الاسلامي.

-حقيقة الشيوعية، أمين شاكر/ سعيد عريان/ علي، مصر.

- أحكام التركات والمواريث، محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي/ مصر.

-الأحكام السلطانية، لابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، ط١٣٨٧/٢، مصطفى البابي الحلبي/مصر.

-أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام، د. عبد الكريم زيدان، ط١٩٧٦/١٣٩٦/٢، مؤسسة الرسالة.

- الحلال والحرام في الإسلام، د.يوسف القرضاوي، ط/١٩٧٨/١٣٩٨/٢١، المكتب الاسلامي.

-حياة محمد، اميل درمنغهم/ترجمة عادل زعيتر، ط/١٩٤٩، دار إحياء الكتب العربية/ مصر.

-حياة محمد صلى الله عليه وسلم، محمد حسنين هيكل، ط/٣١، مكتبة النهضة المصرية.

-حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ط/١٩٦٩/١٣٨٩، دار النصر/مصر.

- خاتم النبيين، محمد ابو زهرة، ط/١٩٧٢/١، دار الفكر العربي/ مصر.

- الخراج، لابي يوسف يعقوب بن ابراهيم، ط/١٣٩٩ الموسوعة، دار الكتب العلمية/ بيروت.

- الخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي/ تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية/ بيروت.

-خصائص الدعوة الاسلامية، محمد أمين حسن، ط/١٩٨٣/١٤٠٣/١، مكتبة المنار.

-المخاطر التي تواجه الشباب، د. مصطفى حلمي، دار الانصار.

-دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ط/١٩٧١/٣، دار المعرفة/ بيروت.

- دائرة المعارف الاسلامية، مجموعة من المستشرقين، انتشارات جيهان/ تهران.

- دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، د. احمد ابراهيم مهنا، ط/١٩٧٨، دار الشعب/ القاهرة.

- دراسات في حضارة الاسلام، هاملتون جب.

- دعوة الحق، منصور حسين عبد العزيز، ط/٢، مكتبة علاء الدين/الاسكندرية.

-الدعوة الى الإسلام، مضامينها وميادينها، عبد الكريم الخطيب، ط٣/١٩٧٠، مكتبة النهضة/ مصر.

- الدعوة الى الاسلام، سير توماس وانولد، ط٣/١٩٧٠، مكتبة النهضة/ مصر.

-دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، مطبعة حسان.

-دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد أمين الشنقيطي، ط/١، مطبعة المدني/مصر.

-دلائل النبوة، لابي نعيم احمد بن عبد الله، عالم الكتب/ بيروت.

-دلائل النبوة، ابي بكر احمد بن الحسن بن علي البيهقي، الطبعة المحققه/١٣٨٥، دار الكتب العلمية/ بيروت.

- دور التبشير في خدمة الاستعمار، إميل الغوري.

-الدولة العربية وسقوطها، بوليوس فلهاوزن/ ترجمة يوسف العش، ط/١٣٧٦/١٩٥٦، مطبعة الجامعة السورية.

-الدين والعلم، المشير احمد عزت باشا، ط/١٣٩٦، لجنة التأليف والترجمة.

- الدين والفلسفة والعلم، محمود ابو الفيض المنوفي، دار الكتب الحديثة.

- الرسول والحرب النفسية، منصور محمد محمد عويس، ط/١٩٧٥، مكتبة النجاح.

-الرسالة المحمدية، سليمان الندوي، ط/٣، المطبعة السلفية/ مصر.

-الرسالة الخالدة، عبد الله عزام.

-رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، د. عبد الفتاح سلي.

- روائع البيان تفسير آيات الاحكام، محمد علي الصابوني، ط٢/١٣٩٧/١٩٧٧، مكتبة الغزالي/ دمشق.

-روائع اقبال، لابي الحسن الندوي، ط/١٣٨٨/١٩٦٨، دار القلم/ الكويت.

-روح الدين الاسلامي، عفيف عبد الفتاح طباره، ط/٧١/١٩٧٨، دار العلم للملايين.

-روح الاسلام، سيد أمير علي.

- الروض الأنف، للحافظ عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي المغربي، ط/١، مكتبة الكليات الازهرية.

- زاد المسير في علم التفسير، للأمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط/١/١٣٨٤، المكتب الاسلامي/دمشق.

- زاد المعاد في هدى خير العباد، لشمس الدين أبي عبد الله الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق شعيب الارنأوط.

- اسباب النزول، لابي الحسن الواحدي، ط/١٩٧٥، دار الكتب العلمية/ بيروت.

- سبل السلام، الامام محمد بن اسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

--السبعة في القراءات، لابن مجاهد/ تحقيق شوقي ضيف، ط/٢/١٤٠٠/١٩٨٠، دار المعارف/ القاهرة.

-سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الاسلامية، أنور الجندي، ط/٢، دار الاعتصام.

- سنن ابن ماجه، لابي عبد الله محمد بن يزيد، ط/١٣٩٥، دار إحياء التراث.

-سنن أبي داود، للأمام أبي داود سليمان بن الاشعث.

- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ط/٢/١٣٩٥، الحلبي/ مصر.

-سنن الدارقطني، للأمام الكبير علي بن عمر الدار قطني، ط/١٣٨٦، دار المحاسن للطباعة/ مصر.

-سنن الدارمي، لابي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ط/١٣٤٩، مطبعة الاعتدال/ دمشق.

-سنن النسائي، للقاضي احمد بن شعيب بن علي النسائي، ط١/١٣٨٣، الحلبي/ مصر.

-سير ابن هشام، عبد الملك بن هشام، ط/١٣٧٥/١٩٥٥، مصطفى البابي الحلبي.

- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد عزة دروزه، طبعة قطر.

- السيرة النبوية والآثار المحمدية، احمد زيني دحلان، ط/٢، دار المعرفة/ بيروت.

-السيرة الحلبيه، علي بن برهان الدين الحلبي، ط/القاهرة/ ١٩٦٢، المكتبة التجارية.

-سيرة سيد المرسلين، محمود ابو الفيض المنوفي الحسيني، دار نهضة مصر.

-سيدنا محمد رسول الله ﷺ، عبد الله سراج الدين، ط/٣/١٤٠٣/١٩٨٢، جمعية التعليم الشرعي/ حلب.

-السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات، فان فلوتين.

- شبهات حول الاسلام، محمد قطب، ط/٤١/١٣٨٧/١٩٦٧/ دار الشروق.

- شبهات حول التشريع الاسلامي، د. محمد نبيل غنايم، مكتبة المنار

-شبهات وأباطيل خصوم الاسلام والرد عليها، محمد متولي شعراوي، مكتبة التداث الاسلامي/ مصر.

-شبهات واباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ، محمد علي الصابوني، ط/ ١٤٠٠/ ١٩٨٠/ طبعة حسن عباس الشربتلي.

-شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، ط/٢/ ١٣٩٩/١٩٧٩، المكتب الاسلامي.

-شرح العقيدة الواسطيه، محمد خليل هراس، ط/٤، مؤسسة مكة للطباعة.

-شرح فتح القدير، للكمال بن همام،

- شرح المهذب، لأبي زكريا يحيى بن شرف الندوي.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي ابو الفضل عياض بن موسى الاندلسي، النسخة المحققة، مؤسسة علوم القرآن مكتبة القارىء.

-شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ط/١٩٦٩/٢، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر/ بيروت.

-الصاحبي، ابن فارس، ط/١٩١٠، طبعة القاهرة.

-صحيح البخاري بشرح السندي، ابن فارس، ط/١٩١٠، طبعة القاهرة.

- صحيح مسلم بشرح النووي، مسلم بن الحجاج القشيري، ط، المطبعة الأزهرية. - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط٤، دار القرآن الكريم/ بيروت.

- صور استشراقية، د. عبد الجليل شلبي، ط١٣٩٨، مجمع البحوث الاسلامية.

- اضواء البيان، محمد الامين الشنقيطي، الطبعة الاولى، مطبعة المدني/مصر.

-طبقات بن سعد، محمد بن سعد تلميذ الواقدي، ط/١٤٠٠/١٩٨٠، دار صادر/ بيروت.

-طبقات الحنابلة، لابي ابن يعلى.

-طبقات الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، دار الفكر.

-اظهار الحق، رحمه الله بن خليل الرحمن، تحقيق عمر الدسوقي، مكتبة الوحدة العربية.

-العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن خلدون، ط/١٣٩٩/١٩٧٩، مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

-العقائد الاسلامية، سيد سابق، بدون، دار الكتاب العربي/ بيروت.

– عقيدة المسلم وما يتصل بها، عبد الحميد السائح، ط/٢/١٤٠٤، منشورات وزارة الاوقاف.

–العقيدة واثرها في بناء الجيل، عبد الله عزام، ط/٣، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان.

– العقيدة في القرآن الكريم، محمد مبارك، دار الفكر، عمان.

– العقيدة والشريعة، جولد تسهير، ط٣، دار الكاتب المصري.

– على طريق العودة الى الاسلام، محمد سعيد رمضان البوطي، ط/١/١٤٠١/١٩٨١، مؤسسة الرسالة.

–عمدة القارىء شرح صحيح البخاري، بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد العتبي، ط/١٣٩٢/١٩٧٢، مصطفى البابي الحلبي.

–عون المعبود وشرح سنن ابي داود، محمد شمس الحق العظم آبادي، ط/٢/١٣٨٨، مصطفى البابي الحلبي.

–الاغاني، لابي فرج الاصفهاني، ط/١٣٨٣/١٩٦٣، مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

–الغارة على العالم الاسلامي، مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب.

– فتح الباري، احمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني، ط/١٣٩٨/١٩٧٨، المطبعة الخيرية للخشاب، مصر.

–فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط٢/١٩٦٤، مصطفى البابي الحلبي/ مصر

– الفتح الرباني، احمد عبد الرحمن البنا، ط/٢، دار إحياء التراث العربي.

–فتوح البلدان، احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ط/١٣٩٨/١٩٧٨، دار الكتب العلميه/ بيروت.

–فصل الدين عن الدولة، اسماعيل الكيلاني، المكتب الاعلامي.

-الفصل في الملل والاهواء والنحل، للأمام ابي محمد علي بن أحمد، ط٢/١٣٩٥، دار الفكر/بيروت.

-فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، ط٧/١٣٩٨/١٩٨٧، دار الفكر / بيروت.

-فقه السيره، محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة/ مصر.

-فقه العربية، أبو الحسين بن فارس.

- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ط/٨، مكتبة وهبة.

-فلسفة الاستشراق واثرها في الادب العربي المعاصر، د. احمد سميلو يلوفتيش، ط/١٤٠٠/١٩٨٠، دار إحياء التراث.

-فلسفة العقوبه في الشريعة الاسلامية والقانون، د. فكري احمد عكاز،

-فيض قدير، محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، ط/١٣٩١/١٩٧٢، دار المعرفة/ بيروت.

-في ظلال القرآن، سيد قطب، ط/١٣٩٤، دار المعرفة/ بيروت.

-في الفلسفة الاسلامية، ابراهيم مذكور، ط/٢/١٩٦٨، دار المعارف/ مصر.

-في الشعر الجاهلي، طه حسين، ط/١، دار المعارف / القاهرة.

-القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، عبد الفتاح القاضي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

-قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، ط/١٤٠١/١٩٨١، الاقصى للنشر والتوزيع.

-القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط/١٣٧١/١٩٥٢/ دار الجيل/ بيروت.

-اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن تيمية.

-القصاص- الديات- العصيان المسلح في الفقه الاسلامي، احمد الحصري، ط/٢/ ١٣٩٤/ ١٩٧٤، منشورات وزارة الاوقاف الأردنية.

-القومية العربية والاستعمار، ناصر الدين الأسد.

- الكامل في التاريخ، للعلامة عز الدين بن الحسن على ابي الكرم محمد بن محمد المعروف، ط/١٣٨٥، دار صادر/ بيروت.

-كيف نحيا بالقرآن، نبيه زكريا عبد ربه، ط/١/٣/١٤٠٣.

- لغة القرآن الكريم، د. عبد الجليل عبد الرحيم، ط/١٩٨١، مكتبة الرسالة/ عمان.

- لسان العرب، لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ط/١٣٠٠، دار صادر/ بيروت.

-لمحات من الثقافة الاسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة.

-ماذا عن المرأة، د. نور الدين عتر، ط، دار الفكر/ بيروت.

-ما يقال عن الاسلام، عباس محمود العقاد، ط/١ الموسوعة، دار الكتاب اللبناني.

-مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط/١٩٨٥/١٤٠٥، مؤسسة الرسالة.

- المبسوط، شمس الدين السرخسي، ط/١٤٠٦/١٩٨٦/ دار المعرفة / بيروت.

-المجموع، لابي زكريا يحيى بن شرف النووي، بدون، دار الفكر/ بيروت.

-محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي.

-محاضرات في الثقافة الاسلامية، منشورات مديرية الافتاء في القوات المسلحة الأردنية، الطبعة الثانية، مطابع القوات المسلحة الاردنية.

-محاضرات في النصرانية، د. محمد ابو زهرة، ط/٣/١٩٨٥/١٩٦٦، مطبعة المدني.

-المحلى، ابن حزم، بدون، دار الآفاق الجديدة/ بيروت.

-محمد المثل الاعلى، توماس كاركيل، ط/٢، المكتبة الاهلية/ بيروت.

-محمد رسول الله هكذا بشرت الاناجيل، بشرى زخارى ميخائيل، طبعه مصر.

- محمد رسول الله ﷺ، محمد رضا، دار الكتب العلميه.

-محمد رسول الاسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه، محمد فهمي عبد الوهاب، دار ابو سلامه للطباعة والنشر والتوزيع/ تونس.

-محمد عبقري مصلح أم نبي مرسل، محمد شيخاني، ط/١/١٣٩٢،

- محمد في المدينة، مونتجو مروات، ترجمة شعبان بركات، المكتبة العصرية، بيروت.

- محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن، محمد عزت اسماعيل، مطبعة التقدم.

-مختار الصحاح، للرازي/ محمد بن أبي بكر عبد القادر، ط/١٤٠٣/١٩٨٣، دار الكتب العلمية/ بيروت.

-مختصر سيرة الرسول ﷺ، محمد بن عبد الوهاب، الدار العربية للطباعة والنشر/ بيروت.

- المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الاسلامي، انور الجندي، دار الاعتصام.

-المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام، محمد محمود الصواف، دار الاعتصام.

-مدخل الى القرآن الكريم، د. محمد دراز، ط/٢/١٣٩٢/ ١٩٧٢، دار القلم/ بيروت.

-المدخل إلى الثقافة الاسلامية، رشاد سالم، ط/، دار القلم بيروت.

- المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، عبد الكريم الخطيب، ط/٦/١٤٠٢/١٩٨٢، مؤسسة الرسالة.

-مذاهب التفسير الاسلامي، جولد زيهر، ط/٢، دار إقرأ.

-مذكرة في حاضر العالم الاسلامي، د. علي جريشه، كليه الشريعة/ الجامعة الاسلامية/ المدينة المنورة.

- مذكرة في المذاهب الهدامة، د. أبو المجد سيد نوفال، كليه الدعوة واصول الدين، الجامعة الاسلامية/ المدينة المنورة.
-مذكرة في اليهودية، الشيخ محمد ابو فرحة، كليه الدعوة وأصول الدين، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة.
-المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، ط/٣، المكتب الاسلامي.،
- المرأة في القرآن، عباس العقاد، الموسوعة /ط١، دار الكتاب اللبناني/ بيروت.
-المرأة ومكانتها في الاسلام، احمد عبد العزيز الحصين، ط/١٤٠١،
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي/ علي بن الحسين، ط/١٩٧٠، طهران.
- المزهر، جلال الدين السيوطي، ط/١٩٧٠، طهران
-المستدرك، للحافظ أبي عبد الله النيسابوري، ط/١٣٣٥، دار الكتاب العربي/ بيروت.
-المستشرقون، نجيب العقيقي، ط/٤/١٩٨٠، دار المعارف/ مصر.
-المستشرقون والتاريخ الاسلامي، علي حسن الخربوطلي.
-المستشرقون والدراسات القرآنية، د. محمد حسين علي الصغير، ط/١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
-المستشرقون والآداب العربية، علي العناني، ط/١٩٣٢،
-المستشرقون ما لهم وما عليهم، د. مصطفى السباعي، المكتب الاعلامي.
-المستشرقون والاسلام، ابراهيم عبد الحميد اللبان، ط/١٩٧٠، مجمع البحوث الاسلامية.
-المستشرقون والاسلام، د. عرفان عبد الحميد، المكتب الاسلامي.
-المستشرقون وترجمة القرآن، د. محمد صالح البنداق.
-المسند، احمد بن حنبل الشيباني، ط/٢/١٣٩٨، المكتب الاسلامي/ بيروت.

- المسيحية، احمد شلبي، ط/٥/١٩٧٧، مكتبة النهضة المصرية.
-مشكلات الشباب في ضوء الاسلام، د. اسحق احمد الفرحان، ط/٤، دار الفرقان.
-مشكلات القرآن الكريم، محمد عبده، ط/٤/ مكتبة الحياة / بيروت.
-مشكل القرآن، لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ط/٣/١٤٠١/١٩٨١، دار الكتب العلمية.
-كتاب المصاحف، لابن أبي داود / تحقيق د.آرثر جفري، ط/١٩٣٦، مكتبة المثنى/ بغداد.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، احمد بن محمد بن علي المقري، ط/١٩٢٥، المطبعة الاميرية القاهرة.
- معالم في الثقافة الاسلامية، د. عبد الكريم عثمان، ط/١٩٨٢، مؤسسة الرسالة.
- مع الله/ دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، ط/٥/١٤٠١/١٩٨١، المكتبة الاسلامية.
- مع المفسرين والمستشرقين، زاهر عواض الالمعي.
-المعجزة الكبرى القرآن، محمد ابو زهرة، ط/١٣٩٠، دار الفكر العربي/ مصر.
-معجم البلدان، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي البغدادي، دار صادر، بيروت.
- المعجم الكبير، للحافظ ابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني، الدار العربية/ بغداد للطباعة.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، ١٤٠١/١٩٨١، دار الفكر، بيروت.
-المعجم المفهرس لالفاظ الحديث، المستشرق أ.ى. فنسنك.

- معجم متن اللغة، احمد رضا.

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، طبعة/١٩٦٠، القاهرة.

-معرفة القراء الكبار، للحافظ شمس الدين أبي عبد الله الذهبي تحقيق محمد سعيد جاد الحق، ط١/ ١٤٠٤/ ١٩٨٤، دار الكتب الحديثة.

-المعارف، لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ط/١٣٨٨/٤/١٩٦٩، دار المعارف/ مصر.

-المغنى، احمد بن عبد الرحمن بن قدامة، ط/١٤٠١/١٩٨١، مكتبة الرياض الحديثة.

- مفتاح كنوز السنة، د.أ.ى. فنسنك ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٠٣/١٩٨٣، دار احياء التراث العربي.

-مفتريات على الاسلام، احمد محمد جمال، ط/٣/١٩٧٥، مطبوعات الشعب.

-المفصل في تاريخ الادب العربي، احمد الاسكندري وزملاؤه.

-المفردات في غريب القرآن، للراغب أبي القاسم الحسين بن محمد الاصفهاني، ط/١٤٠٠/١٩٨٠، دار المعرفة للطباعة.

-مقاصد الشريعة الاسلامية، محمد بن الطاهر بن عاشور، ط/١٣٨٩/١٩٧٨، الشركة التونسية/ تونس.

-مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ط/١٩٣٠، الشركة التونسية/ تونس.

-مكائد اليهودية، عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، ط

-الملل والنحل، محمد عبد الكريم الشهرستاني، ط٢/١٣٩٥، دار المعرفة/ بيروت.

-مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط/٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

-منح الجليل، الشيخ عليش.

-منهج السنة في الزواج، د. محمد ابو النور، ط، دار النصر للطباعة / القاهرة.

-منهج الاسلام في الحرب والسلام، عثمان جمعه ضميريه، ط/١/١٤٠٢/١٩٨٢، مكتبة دار الارقم.

-من علوم القرآن، عبد الفتاح القاضي، ط/٢، مكتبة الكليات الازهرية.

-الاموال، لابي عبد القاسم بن سلام، ط/٣/١٣٩٥، مكتبة الكليات الازهرية.

-المواريث والوصية والهبة، د. بدران ابو العينين، ط/١٩٨٥، مؤسسة شباب الجامعة.

- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ط دار العلم للملايين/بيروت.

- موقف العقل والعلم، شيخ الاسلام مصطفى صبري.

-الموقف الأدبي من الشعر الجاهلي، محمد البيومي.

-الميراث في الشريعة الاسلامية، د. ياسين احمد ابراهيم، ط١/١٤٠٠/١٩٨٠، مؤسسة الرسالة / عمان.

-النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، ط/٢/١٣٩٠/١٩٧٠، دار القلم/ الكويت.

-نبوة محمد في القرآن، حسن ضياط الدين عتر، ط/١/١٣٩٣/١٩٧٣، دار النصر.

-الانتصار لنقل القرآن، للقاضي محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني/ تحقيق محمد زغلول سلام، دار بور سعيد للطباعة.

- نساء النبي، عائشة عبد الرحمن، ط/٤/١٩٦٧، دار الكتاب العربي/ بيروت.

-النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ط/٤/١٩٦٧، دار الكتاب العربي/ بيروت.

-نصب المجانيق لنسف الغرانيق، محمد ناصر الدين الالباني، ط/١٣٧٢، المكتب الاسلامي/ بيروت.

-نظرات استشراقية، د. محمد غلاب، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

- نقض كتاب في الشعر الجاهلي، الامام محمد الخضر حسين، ط/٢/١٣٩٧.

-نهاية الارب في معرفة انساب العرب، لابي العباس احمد القلقشندي، ط/٢/١٤٠٠/ ١٩٨٠، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

- النهاية، مبارك بن محمد بن الاثير، ط/٢/١٤٠٠/١٩٨٠، عيسى البابي/مصر.

-نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين، محمد عبد الله عنان، ط/٣/١٣٨٦، ١٩٦٦، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

-نور اليقين، محمد الخضري، ط/٢/١٤٠٣، مؤسسة علوم القرآن/ دمشق.

-الهداية شرح بداية المبتدى، المرغياني.

- هل محمد عبقري مصلح أم نبي مرسل، محمد شيخاني، ط/١/١٣٩٢/١٩٧٢.

-الوجيز في الفقه الجنائي الاسلامي، د. محمد نعيم ياسين، ط/١/١٤٠٤، ١٩٨٤، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان.

- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ط/٨، المكتب الاسلامي.

- وحي الله، د. حسن ضياء الدين عتر، بحث قدم لمؤتمر السيرة والسنة النبوية الرابع.

- اليهودية، احمد شلبي، ط/٥، مكتبه النهضة المصرية.

للجراحين.

له أكثر من ثلاثمائة مقال في الطب منها:-

١- العلم والطب.

٢-كتاب الحشاش لديوسقوريدس عند العرب.

٣- مخطط تاريخ الصيدلة والنبات عند المسلمين في أسبانيا.(١)

٤٢- بوتيه .ج (١٨٠٠-١٨٧٣م) Pautheir.G

مستشرق فرنسي بدأ حياته أديبا فترجم بعض قصائد بيرون انجلترا، ثم تحول ناحية الاستشراق ولا سيما الصيني منه، وقد ركز في حياته على رأسه القرآن، فصنف فيه بحثا مستفيضا.(٢)

٤٣- كليمان هوار ١٨٥٤-١٩٢٧م Hoar. CI

ولد في باريس، وتخرج من مدرسة اللغات الشرقية، ومدرسة الدراسات العليا، وعين مترجما مبتدئا في قنصلية فرنسا بدمشق سنة ١٨٧٥ وفي سنة ١٨٩٨ استدعى إلى باريس أمين سر ومترجما في وزارة الخارجية ثم ترك الوظائف وانتقل بالتعليم فاصبح استاذا للعربية والفارسية والتركية في مدرسة اللغات الشرقية، ومديرا لمدرسة الدراسات العليا، حيث كان يلقي محاضراته في تسير القرآن بالعربية الفصحى وقد عمل عضوا في المعهد الفرنسي، والجمعية الأسيوية، والمجمع العلمي العربي بدمشق.

له مؤلفات منها:-

١- ترجمة أنيس العشاق لشرف الدين الرامي الفارسي.

٢-الصلاة القانونية في الأسلام.

٣- النحو الفارسي.

---

(١) الموسوعة، ص٣٧٣.

(٢) المستشرقون، العقيقي، ج١/١٧٩.

المحتويات

المقدمة ٣

الباب الأول

الفصل الأول: الاستشراق

المبحث الأول: تعريفه ١١
المفهوم العام للاستشراق ١١
المفهوم اللغوي للاستشراق ١١
المفهوم العلمي للاستشراق ١٢
المستشرق في نظر علماء الغرب ١٢
المستشرق في نظر علماء العرب ١٣
المبحث الثاني: تاريخ الاستشراق ١٧
تحديد تاريخ الاستشراق ٢٣
موقف علماء الغرب من تحديد تاريخ الاستشراق ٢٧
أمور لا بد منها ٢٨
المبحث الثالث: دوافع الاستشراق ٣١
الدافع التبشيري ٣١
الدافع الاستعماري ٣٣
الدافع التجاري ٣٧
الدافع العلمي ٣٨
الأسباب التي شجعت الاستشراق العلمي ٣٨
الدافع السياسي ٣٩

الفصل الثاني:

المبحث الأول: صلة الاستشراق بالتنصير ٤١
المبحث الثاني: صلة الاستشراق بالاستعمار ٥٠
المبحث الثالث: صلة الاستشراق باليهود ٥٦

تلاحم الاستشراق والتبشير والاستعمار	٦٠
خطط العدو	٦١
وقفة مع المستشرقين	٦٢
الفصل الثالث:	
المبحث الأول: أساليب الاستشراق	٦٣
المبحث الثاني: أهداف الاستشراق والمستشرقين	٦٩
جهود المستشرقين في محاربة الإسلام	٧٠
أ- موقف المستشرقين من السنة	٧٠
ب- موقفهم من الفقه الإسلامي	٧٢
ج- موقفهم من اللغة العربية والرد على شبهاتهم	٧٦
- الوسائل التي ساعدت المستشرقين على تحقيق أهدافهم	٩٥
- تطور الاستشراق وكيفية انتشار أفكار المستشرقين	٩٦
المبحث الثالث: أنشطة المستشرقين	٩٨
١- المجال الديني	٩٨
٢- المجال العلمي	٩٩
٣- إحياء التراث الإسلامي	١٠٠
- موقف الاستشراق من التراث الإسلامي	١٠١
- سمات كتابات المستشرقين وشواذها	١٠٧
- حقيقة لا بد من الإشارة إليها	١٠٩
- أنشطة المستشرقين في المجال السياسي	١١١
- أساليب الاستشراق في حرب الإسلام	١١٢
- مكافحة الاستشراق	١١٣
- ما الذي يجب أن يكون عليه موقفنا من الاستشراق	١١٤

الباب الثاني

شبهات المستشرقين من القضايا العقدية

التمهيد ١١٩

تعريفات ١٢٠

تركيز المستشرقين على القرآن ١٢٢

الدوافع التي دفعت المستشرقين للتركيز على القرآن ١٢٤

القرآن محفوظ بحفظ الله له ١٢٦

الفصل الأول: موقف المستشرقين من القضايا العقدية

تعريف العقيدة ١٢٩

سمات العقيدة ١٣٠

المبحث الأول: موقف المستشرقين من قضية التوحيد ١٣١

المستشرقون اليهود وعقيدتهم ١٣١

المستشرقون النصارى وعقيدتهم في الإله ١٣٣

العقيدة المحرفة وعناصرها ١٣٤

كيف وصلت هذه العقيدة إلى النصارى ١٣٦

بولس وأثره في هذه العقيدة ١٣٧

الأسس التي استند عليها مجمع نيقية في تقرير هذه العقيدة ١٣٩

نقد ومناقشة هذه الأسس ١٣٩

ردود العلماء على النصارى ١٤٢

عقائد المستشرقين الشيوعين ١٤٥

شبهات المستشرقين حول العقيدة ١٤٨

١- الشبهة الأولى:

زعمهم أن العقيدة الإسلامية مستمدة من العقائد السابقة والرد عليها ١٤٩

٢- الشبهة الثانية:

زعمهم أن العقيدة الإسلامية متناقضة والرد عليها ١٦١

٣- الشبة الثالثة:

زعمهم أن التوحيد مذهب عسير الفهم والرد عليها ١٦٦
٤- الشبهة الرابعة:
زعمهم أن عقائد الإسلام جامدة والرد عليها ١٧٠
٥- الشبهة الخامسة:
تكذيب النبي ﷺ إنكار الجنة والنار والرد عليها ١٧٢
٦- الشبهة السادسة:
زعمهم أن العرب خرجوا من جزيرتهم من أجل بطونهم
لا من أجل عقيدتهم والرد عليها ١٨٤
المبحث الثاني: موقف المستشرقين من النبوة ١٨٧
١- شهادة الكتب السابقة له بالنبوة ١٨٨
٢- إثبات القرآن لنبوته ١٩٠
٣- إثبات السنة لنبوته ١٩٩
٤- أخلاقه تدل على نبوته ٢٠٠
٥- الأدلة العلمية والعقلية على نبوته ٢٠٢
٦- شهادة بعض المستشرقين على نبوته ٢٠٣
المبحث الثالث: موقف المستشرقين من مصدر القرآن ٢٠٦
أدلة المستشرقين على بشرية القرآن ٢١٢
مناقشة شبهات المستشرقين والرد عليها ٢١٦
١- القرآن من صنع محمد ٢١٦
٢- القرآن من صنع العرب ٢٢٧
٣- القرآن من صنع مصدر مجهول ٢٣٢
موقف المستشرقين من مصدر القرآن وشبهاتهم والرد عليها ٢٣٢
١- دعوى أخذ القرآن عن ورقة وأدلة بطلانها ٢٣٦
٢- دعوى أخذ القرآن عن الراهب بحيرا وأدلة بطلانها ٢٤٣
٣- دعوى أخذ القرآن عن جبير بن مطعم وبيسار وأدلة بطلانها ٢٥١
٤- دعوى أخذ القرآن عن أمية بن أبي الصلت وأدلة بطلانها ٢٥٣
٥- دعوى أخذ القرآن عن أهل الكتاب بصفة عامة وأدلة بطلانها ٢٦٣

موقف علماء الإسلام من هذه الدعوى ٢٦٨

الفصل الثاني: المستشرقون وتاريخ القرآن

المبحث الأول: دعوى المستشرقين بأن القرآن قد حُرِّف ٢٧١

الدواعي التي تدفع إلى تحريف الكتب السماوية ٢٧٧

أدلة بطلان التحريف ٢٨٢

١- من الكتاب ٢٨٢

٢- من السنة ٢٨٣

٣- موقف الرسول ﷺ من القرآن ٢٨٣

٤- شهادة التاريخ ٢٨٤

٥- شهادة علماء الغرب بحفظ القرآن ٢٨٨

مناقشة بعض مزاعم المستشرقين ٢٩١

مناقشة أقوال صاحب كتاب الوحي الجديد ٢٩٥

مؤلفات المستشرقين في تاريخ القرآن ٣٠٧

محاولة المستشرقين معارضة القرآن ٣٠٨

رد مزاعم المستشرقين حول فرية الصرع ٣٠٩

أدلة بطلان هذه الفرية ٣١١

١- شهادة التاريخ ٣١١

٢- شهادة العلم على بطلانها ٣١٢

٣- شهادة الأعداء على بطلانها ٣١٣

٤- آثار الصرع تظهر على المصروع ٣١٣

٥- شهادة الطب على بطلانها ٣١٤

٦- ردود بعض المستشرقين على من زعم هذه الفرية ٣١٥

المبحث الثاني: دعوى تناقض القرآن ٣١٩

الرد على دعوى التناقض وأدلة بطلانها ٣٢١

آيات استدل بها المستشرقون على دعوى التناقض ٢٢٨

مناقشة بعض أقوال المستشرقين في شبهة التناقض ٣٢٨

أمثلة من الايات التي استدل بها المستشرقون ٣٣٤

المبحث الثالث: المستشرقون في فواتح السور	٣٤٤
أقوال المستشرقين في فواتح السور	٣٥٠
المبحث الرابع: موقف المستشرقين من الايات المكية والمدنية	٣٥٣
مناقشة شبهاتهم	٣٥٤
المبحث الخامس: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم	٣٥٩
منشأ فكرة الترجمة	٣٥٩
تعريف الترجمة	٣٦١
أنواع الترجمة	٣٦٢
أ. الترجمة الحرفية	٣٦٢
ب. الترجمة التفسيرية	٣٦٤
شروط الترجمة التفسيرية	٣٦٥
الفوائد المترتبة على الترجمة التفسيرية	٣٦٦
الشروط التي يجب أن تتوفر في المترجم	٣٦٧
ترجمة القرآن بين الجواز والمنع	٣٦٩
المجيزون وأدلتهم	٣٦٩
المانعون وأدلتهم	٣٧٣
وجوه فساد الترجمة القرانية	٣٧٦
حكم قراءة ترجمة القران في الصلاة	٣٧٨
ترجمة القران عند المستشرقين	٣٨٣
سمات الترجمات التي قام بها المستشرقون	٣٩٣
نماذج من ترجمات المستشرقين للقرآن	٣٩٧
المبحث السادس: المستشرقون والقراءات القرآنية	٤٠١
كيف نشأت القراءات	٤٠٢
مكانة القراءات في عقيدة المسلم	٤٠٥
موقف جولدتسيهر من القراءات	٤٠٥

الباب الثالث: شبهات المستشرقين حول بعض القضايا الإسلامية

الفصل الأول:

المبحث الأول: موقف المستشرقين من قصة الغرانيق	٤٣٣
ملخص قصة الغرانيق كما أوردها ابن كثير	٤٣٤
الرد على هذه التهمة	٤٣٥
١- دلالة القرآن على بطلانها	٤٣٦
٢- دلالة السنة على بطلانها	٤٣٨
٣- دلالة اللغة على بطلانها	٤٤٤
٤- دلالة العقل علي بطلانها	٤٤٤
٥- دلالة العلم على بطلانها	٤٤٥
٦- دلالة التاريخ على بطلانها	٤٤٧
ما يترتب على هذه الرواية	٤٤٩
التوجيه الصحيح لهذه الآيات	٤٥٣
المبحث الثاني: موقف المستشرقين من آيات الجهاد	٤٥٥
ملخص فريتهم	٤٥٩
أهداف المستشرقين والمستغربين من حملاتهم	٤٥٩
محاولات التحريف في مفاهيم الجهاد	٤٦٠
الرد على هذه الفرية	٤٦٢
أسباب انتشار الإسلام بسرعة	٤٧٢
نتائج هذا المبحث	٤٧٥
المبحث الثالث: الجزية	٤٧٦
تعريفها	٤٧٦
موقف المستشرقين منها	٤٧٦
معاملة المسلمين لأهل الذمة	٤٧٨
موقف الصحابة من أهل الذمة	٤٧٩
موقف أهل الذمة من المسلمين	٤٨١
مبادىء الإسلام في الجزية	٤٨٢

شهادات منصفة من علماء الغرب ٤٨٦
مع آية الجزية– التوجيه الصحيح لها ٤٨٨
المبحث الرابع: موقف المستشرقين من الحدود ٤٩٠
الرد على هذه التهمة ٤٩١
١– مبادىء الإسلام بالحدود ٤٩١
٢– موقف الشرائع السماوية من الحدود ٤٩٢

الفصل الثاني: المستشرقون والمرأة

الهدف من شبهاتهم ٥٠٥
المبحث الأول: المستشرقون وتعدد الزوجات ٥٠٦
الرد على شبهة تعدد الزوجات ٥٠٨
١– موقف الأمم السابقة من التعدد ٥٠٨
٢– موقف علماء الغرب من التعدد ٥١١
٣– الحكمة من التعدد ٥١٣
نتائج هذا المبحث ٥٢٠
شبهات المستشرقين حول تعدد زوجات النبي ﷺ ٥٢٠
الرد على شبهات المستشرقين ٥٢٢
١– بيان الحكمة في تعدد أزواجه عليه السلام ٥٢٢
٢– السّن الذي عدد فيه ﷺ وزواجه بالأرامل ٥٣٧
٣– شهادة المستشرقين على بطلان هذه الفرية ٥٣٩
المبحث الثاني: موقف المستشرقين آية القوامة ٥٤١
١– ضرورة القوامة للأسرة ٥٤١
٢– مبررات القوامة عند الرجل ومقوماتها ٥٤٢
٣– القوامة لا تعني إلغاء شخصية المرأة ٥٤٤
المبحث الثالث: موقف المستشرقين من آيات الطلاق ٥٤٦
١– موقف الأمم السابقة من الطلاق ٥٤٦
٢– موقف الدول المعاصرة ٥٤٩
٣– مبادىء الإسلام في الطلاق ٥٥٠

المبحث الرابع: موقف المستشرقين من آيات الميراث	٥٥٥
١- موقف الأمم السابقة من الميراث	٥٥٥
٢- مبادىء الإسلام في الميراث	٥٥٨
٣- موقف بعض المستشرقين المعتدلين من الميراث	٥٦٠
٤- مناقشة التهمة	٥٦١
المراجع	٥٦٣
المحتويات	٥٨٥